قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان

المشهور ب

عقود الجمان في شعراء هذا الزمان

لكمال الدين أبي البركات المبارك بن الشعار الموصلي
المتوفى ٦٥٤ هـ

تحقيق
كامل سلمان الجبوري

المجلد السادس

الجزء السابع

المحتوى :

محمد بن حيدر بن محمد - مغتوه بن إسماعيل بن الحسين

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت لبنان

قلائد الجمان
في فرائد شعراء هذا الزمان

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
٢٠٠٥ م. ١٤٢٦ هـ

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
هاتف: ١٢/١١/ ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+ ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+ رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun-ilmiyah.com

الكتاب: قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان

المؤلف: ابن الشعّار الموصلي

المحقق: كامل سلمان الجبوري

الناشر: دار الكتب العلميـة - بيروت

عدد الصفحات: 3440

سنة الطباعة: 2005 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى

ISBN 2-7451-3796-4
9 782745 137968 90000

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد، وآله الطيبين، وصحبه المنتجبين.

وبعد:

هذا هو الجزء السابع من كتاب:

قلائد الجُمان

في فرائد شعراء هذا الزمان

ويقع في ٢٤٣ ورقة، وتحمل ورقة الغلاف عنوان الكتاب وعليها أختام التملك السالف ذكرها، وبعض التمليكات غير الواضحة، ومنها واحد باسم يحيى الأنصاري الشافعي وهو بتاريخ ٨٥٥هـ، وقد سبق ذكر يحيى هذا في الجزء السادس.

وجاء في ختام الورقة الأخيرة من هذا الجزء عبارة نصها:

«تم الجزء السابع من قلائد الجُمان، ويتلوه في الجزء الثامن بقية من اسمه محمد، محمد بن إبراهيم بن هذيل، وصلى الله على محمد وآله وسلم».

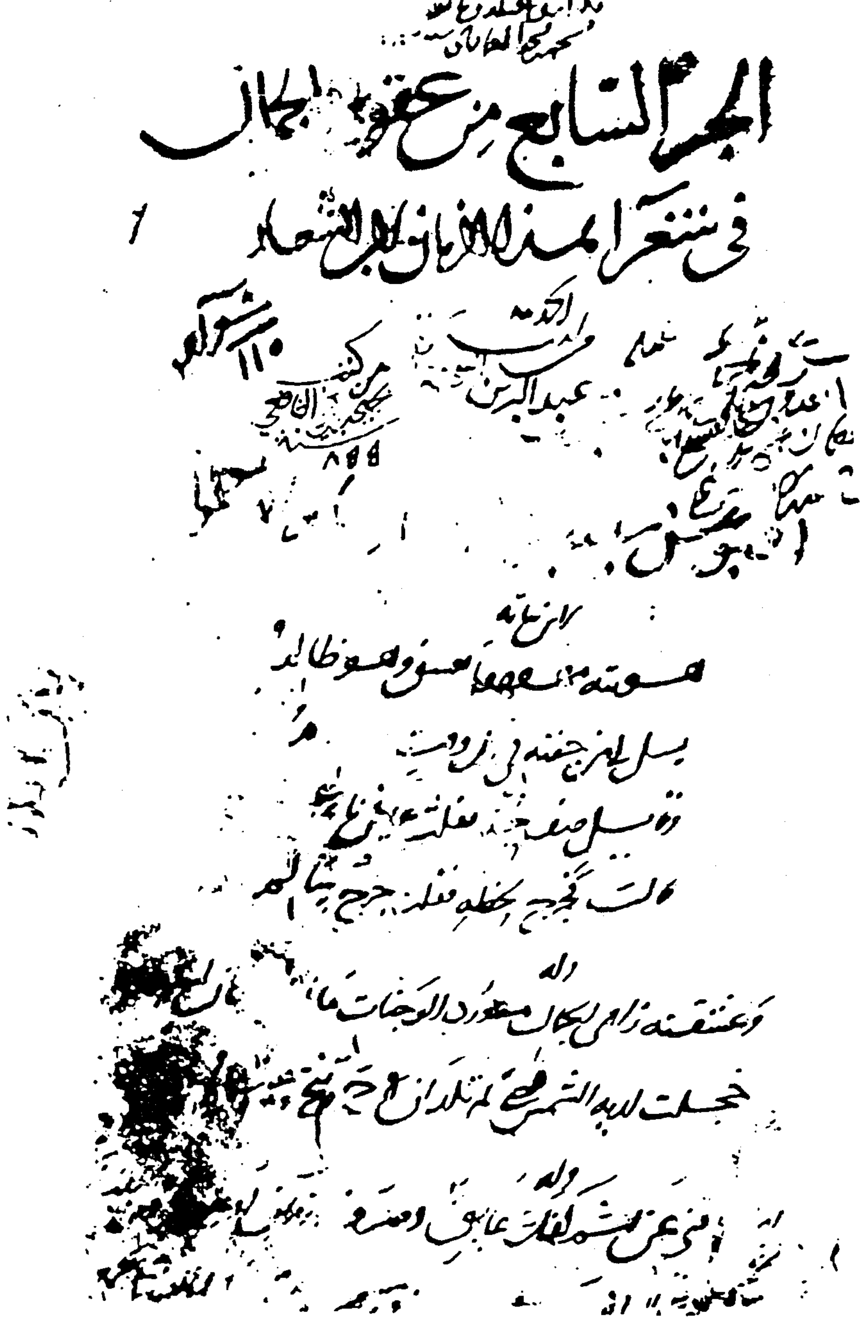
والجدير بالذكر أن الخط في هذا الجزء اعتباراً من الورقة / ١٨٦أ / حتى نهايته، صار مختلفاً، كذلك صارت رؤوس التراجم تختلف من حيث الشكل، فبعد أن كان أغلب كلمات الاسم يكتب بالخط الغليظ، صار الاسم الأول فقط هو الذي يكتب بمثل هذا الخط، ويغلب على ظنّي أن هذا القسم هو بخط ابن الشعّار نفسه.

وقد سبقني في هذا الظن وزاد في يقيني ما ذهب إليه د. سامي الصقار في مقارنته لخطه في تعليقات ـ ابن الشعّار ـ التي كتبها في بعض حواشي «تأريخ إربل» لابن المستوفي ووجد التشابه واضحاً.

ومما يعزز اليقين نموذج خط ابن الشعار على مخطوطة «معجم السفر»، النموذج الذي نشره الدكتور خورشيد الرضوي في آخر تحقيقه للجزء السادس من القلائد.

والحمد لله أولاً وآخراً.

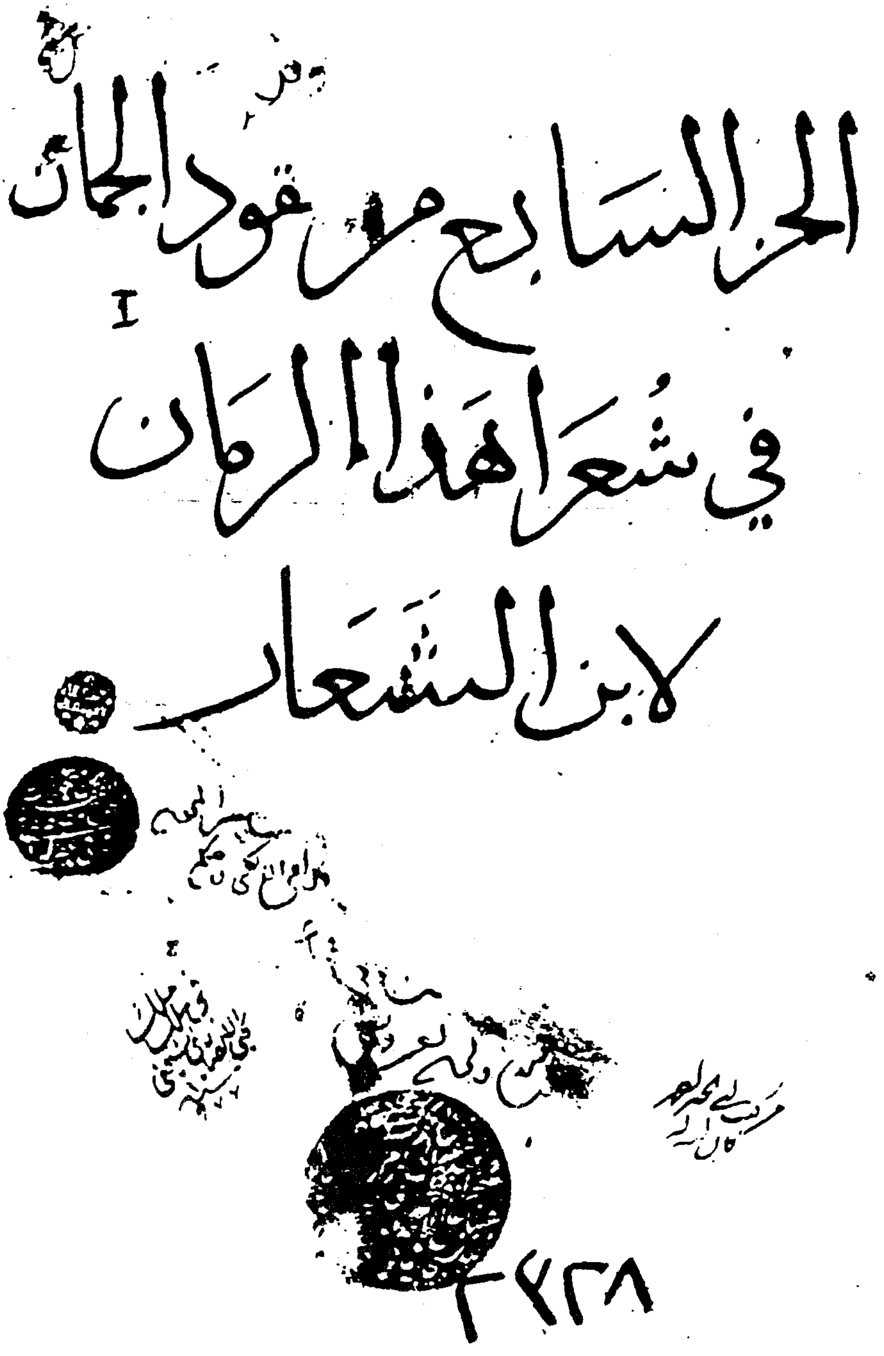
المحقـق



الجزء السابع من عقود الجمان

في شعراء هذا الزمان لابن الشعار

صفحة تسبق عنوان الجزء السابع



صفحة عنوان الجزء السابع

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي إلا بالله

محمد بن حيدر بن محمد بن زيد

ابن محمد بن محمد بن زيد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبيد الله أبو طاهر

ابن أبي الفتوح الحسيني العلوي الموصلي وقد سمعت نسبه تماما منه

عميد الدين تولى نقابة العلويين بالموصل [illegible] في الدولة

الأتابكية ثم في الأيام البدرية كانت ولادته سنة إحدى [illegible]

وخمسمائة وأخبرني الأمير بهاء الدين أبو المفاخر بدران بن صبح

ابن سلطان [illegible] بن [illegible] أن الشريف النقيب أبو طاهر

[illegible] الحسيني بالموصل يوم الأحد سلخ جمادى الأولى ودفن يوم

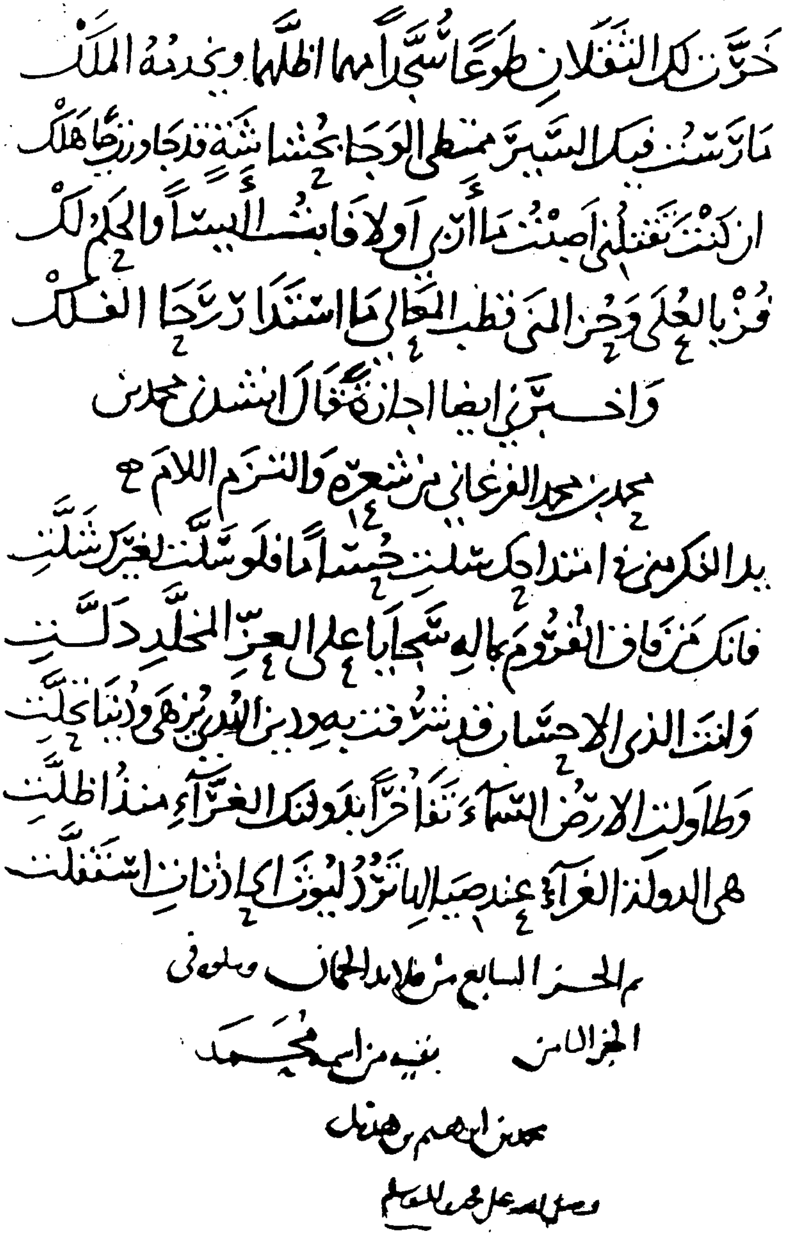
الاثنين مستهل جمادى الآخرة على والده بتربة كان [illegible] أنشأها

قبل المدة في سنة أربع وأربعين وستمائة رحمه الله تعالى أنشدني

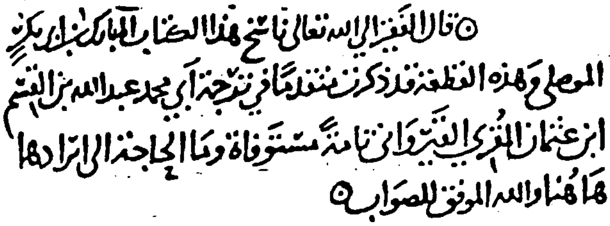
لنفسه يمدح بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله صاحب الموصل

[illegible] الشأن ثاني الحمى وسقاها [illegible] صدى ربابها

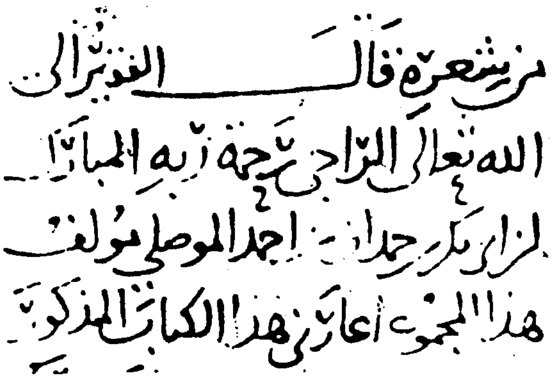
وأدجت [illegible] الصبا [illegible] طول [illegible]


خرّت لك الثقلان طوعاً شبّ راسها اظلّها وبخدمة الملك
ما زيّنت فيك السير ممتطي الوجا بحثنا شيّة قد جاوز زحاً هلك
ان كنت تعتلي اصبت ما أرى اولا فانت أبيّنا والحلم لك
فز بالعلى وحز المنى نطب المعالي ما استندا زحا الفلك
واخبرني ايضا اجازة قال انشدني محمد بن
محمد بن محمد الفرغاني من شعره والتزم اللام هـ
بذا الكرم في امتداحك شلت حسناً ما فلو شلت لغير شلت
فانك من فاق الغيوم نواله سحاباً على العز المخلد دلّت
ولنت الذي الاحسان قد شرّفت بعد بني الدين منهي ودنيا جلت
وطاولت الارض السماء تفاخراً بدولتك الغراء منذ اظلت
هي الدولة الغراء عند صيال الباتر ذليون اكيد ازمان استقلت
تم الجزء السابع من قلائد الجمان ويتلوه في
الجزء الثامن بقية من اسمه محمد
محمد بن ابراهيم بن هنبل
وصلى الله على محمد وآله وسلم

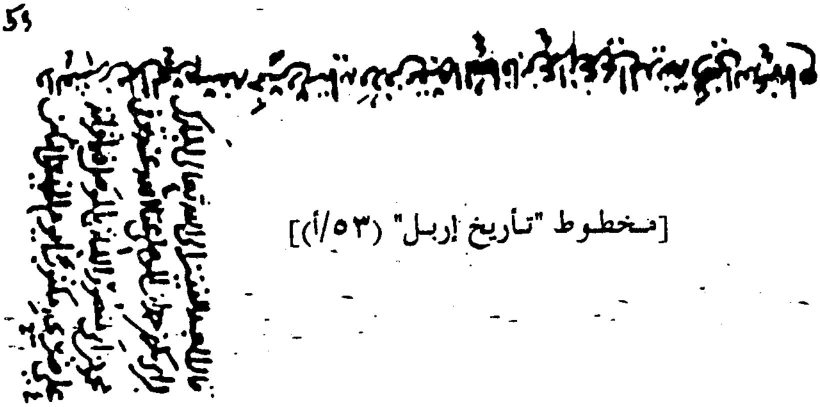
الصفحة الأخيرة من الجزء السابع


قال الفقير إلى الله تعالى ناسخ هذا الكتاب المبارك بن أبي بكر
الموصلي وهذه القطعة قد ذكرتُ منقولةً في ترجمة أبي محمد عبد الله بن القسم
ابن عثمان المزي الغير وأنها تامة مستوفاة وما الحاجة إلى إيرادها
ها هنا والله الموفق للصواب

[مخطوط "معجم السفر" (٢٢٥/أ)]


من شعره قال الفقير إلى
الله تعالى الراجي رحمة ربه المبارك
بن أبي بكر بن حمدان بن أحمد الموصلي مؤلف
هذا المجموع أعاره هذا الكتاب المذكور

[مخطوط "قلائد الجمان" (١٩٨/٩-ب)]



[مخطوط "تأريخ إربل" (٥٣/أ)]

اللوحة ـ ٣

نماذج خط ابن الشعّار

/ ١ب/

بسم الله الرحمن الرحيم
وما توفيقي إلَّا بالله

[تتمة حرف الميم]

[تتمة ذكر من اسمه محمَّد]

[٧٤١]

مُحَمَّدُ بنُ حيدر بن مُحَمَّد بن زيد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن زيد بن أحمدَ بنَ مُحَمَّد بن مُحَمَّد بنَ عبَد الله، أبو طَاهِر بنَ أبيَ الفَتوحِ الحسينيُّ العلويُّ المَوصليُّ(١).

وقد سبق نسبه بتمامه، عند ذكر والده(٢).

تولّى نقابة العلويين بالموصل ثلاث نوب في الدولة الأتابكية؛ ثم في الأيام البدرية.

كانت ولادته سنة إحدىٰ وسبعين وخمسمائة. وأخبرني الأمير مبارز الدين أبو المفاخر بدران بن فتوح بن سَلطان. . . . . . بحلب؛ قال: توفي النقيب أبو طاهر محمد بن حيدر الحسيني بالموصل، يوم الأحد سلخ جُماديٰ الأولىٰ، ودفن يوم الإثنين مستهل جُماديٰ الآخرة علىٰ والده بتربة كان والده أنشأها قبلي المدينة في سنة إحَدىٰ وأربعين وستمائة ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

أنشدني لنفسه، يمدح بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله ـ صاحب الموصل ـ:

[من الطويل]

رَعَـىٰ اللهُ أَكنَـافَ الحمَـىٰ وَسَقَـاهَـا ... مِـنَ المُـزْن مَـا رَوَّىٰ صَـديَّ رُبـاهَـا
وَلاَ بَـرِحَـتْ [أ]يـدي الصَّبَـا بِـرُبُـوعِهَـا ... تَحُـوكُ بَهِـيَّ الـرَّوْض طُـوْلَ مَـدَاهَـا
/ ٢أ/ مَرَاتِعُ غِزلاَنٍ منَ الإِنْسِ قَدْ حَوَتْ ... مَحَـاسِـنَ تُصْبـي مَـنْ تَـرَاهُ يَـرَاهَـا

---

(١) في هامش الأصل: «السيد محيي الدين كمال الشرف ـ رحمه الله ـ».
(٢) ترجم له المؤلف في الجزء الثاني المفقود.

مَــواقِــفُ فيْهَــا للْمُحِــبِّ مَــواقِــفٌ ... بِهَــا هَجَــرَ الأَجْفَــانَ طِيْــبُ كَــرَاهَــا
دَعَــانِــي بِهَــا دَاعِــيْ الصِّبَــا فَــأَجَبْنَــهُ ... إِجَــابَــةَ مَــنْ لَــمْ يَعْتَلِــقْ بِســوَاهَــا
وَقُمْــتُ مَقَــامــاً لَــمْ يَقُمْــهُ مُتَمِّــمٌ ... عَلَــى بُعْــدِ مَــنْ يَهْــوَىٰ وَطُــوْلِ نَــوَاهَــا
وَكَــمْ لُمْــتُ قَلْبِــي لَــوْمَــةً بَعْــدَ لَــوْمَــةٍ ... عَلَــى تَــرْكِ أَسْبَــابِ الهَــوَىٰ فَــأَبَــاهَــا
وَكَيْــفَ يَــرَىٰ تَــرْكَ الَّتِــيْ هِــيَ شُغْلُــهُ ... وَمَــنْ هِــيَ دَاءُ النَّفْــسِ ثُــمَّ دَوَاهَــا
فَحِيْنَئِــذٍ قَــالَ الــوُشَــاةُ وَأَكْثَــرُوا ... مَقَــالَتَهُــمْ حَتَّــىٰ اسْتَمَــسَّ قِــلاَهَــا
وَمَــا أَنَــا مِمَّــنْ يَــدْخُــلُ العَــذْلُ قَلْبَــهُ ... وَلاَ أَنَــا مَــنْ يُصْغِــي لِقَــوْلِ عِــدَاهَــا
وَمَــا أَنَــا مِمَّــنْ يَنْقُــضُ الهَجْــرُ عَهْــدَهُ ... وَلاَ أَنَــا مَــنْ أَضْحَــىٰ يَمَــلُّ هَــوَاهَــا
طُبِعْــتُ عَلَــىٰ حِفْــظِ الــوُدَادِ وَحُــبِّ مَــنْ ... أَيَــادِيْــهِ أَعْــلاَنِــي سَنِــيُّ عُــلاَهَــا
مَلِيْــكٌ بِــهِ طَــالَــتْ حَيَــاتِــي وَأَعْشَبَــتْ ... رُبُــوْعِــي بَعْــدَ المَحْــلِ حِيْــنَ سَقَــاهَــا
بِسُحْــبٍ مِــنَ الإِكْــرَامِ وَالبَــذْلِ وَالحَيَــا ... أَفَــاضَ عَلَيْنَــا جُــوْدَهَــا وَنَــدَاهَــا
دَعَــانِــيْ وَلاَئِــيْ فَــاسْتَجَبْــتُ مُسَــارِعــاً ... إِلَــىٰ خَيْــرِ دَاعٍ لِلْقُلُــوْبِ دَعَــاهَــا
لَــكَ اللهُ مِــنْ مَلْــكٍ تَعَــالَــتْ صِفَــاتُــهُ ... وَجَلَّــتْ مَعَــالِيْــهِ وَزَادَ سَنَــاهَــا
/ ٢ب/ لَقَــدْ عَــزَّ مَــنْ وَالاَهُ حَقّــاً وَذَلَّ مَــنْ ... يُنَــاوِيْ عُــلاَهُ غِبْطَــةً وَسَفَــاهَــا
سَمَــتْ بِــكَ بَــدْرَ الــدِّيْــنِ هِمَّــةُ مَــالِــكٍ ... بَنَــىٰ رُتَــبَ العَلْيَــاءِ ثُــمَّ رَقَــاهَــا
إِلَيْــكَ انْتَهَــتْ آمَــالُنَــا وَرَجَــاؤُنَــا ... وَكَفُّــكَ أَوْلاَهَــا الغِنَــىٰ وَكَفَــاهَــا
وَكَفُّــكَ رَاعَــى حَــوْزَةَ الــدِّيْــنِ وَانْبَــرَىٰ ... لَهَــا عَــزْمُــكَ المَــاضِــيْ فَعَــزَّ حِمَــاهَــا
فَيَــا مَــنْ بِــهِ قَــدْ أَسْفَــرَ الصُّبْــحُ وَانْجَلَــتْ ... غَيَــابَــةُ دُنْيَــانَــا وَزَادَ ضِيَــاهَــا
أُهَنِّــي بِــكَ النَّيْــرُوْزَ يَــا خَيْــرَ مَــالِــكٍ ... بِــهِ لَــذَّتِ الــدُّنْيَــا وَلَــذَّ جَنَــاهَــا
فَــدُمْ وَابْــقَ مَــادَامَ الضِّيَــاءُ وَأَقْبَــلَ الــ ... ـمَسَــاءُ وَأَوْلَتْنَــا السَّمَــاءُ حَيَــاهَــا

وأنشدني أيضًا يمدحه ـ ثبت الله دولته ـ: [من الطويل]

تَحِيَّــةَ مَهْجُــوْرٍ إِلَــىٰ خَيْــرِ هَــاجِــرِ ... تُهَيِّجُــهُ الــذِّكْــرَىٰ إِلَــىٰ غَيْــرِ ذَاكِــرِ
عَلَــىٰ أَنَّــهُ لَــوْ شَــقَّ قَلْبِــيْ وَجَــدْتَــهُ ... بِــهِ مَــاثِــلاً أَوْ فِــيْ ضَمِيْــرِيْ وَخَــاطِــرِيْ
وَكَيْــفَ أَرَىٰ السُّلْــوَانَ عَمَّــنْ أَعَــزَّنِــيْ ... بِــإِنْعَــامِــهِ الفَيَّــاضِ عِــزَّةَ قَــادِرِ
لَــهُ مِــنْ ثَنَــائِــيْ مَــا اسْتَطَبْــتَ سَمَــاعَــهُ ... وَمِــنْ مِــدَحِــيْ مَــا حَبَّــرَتْــهُ خَــوَاطِــرِيْ
وَمِــنْ دَعَــوَاتِــيْ المُسْتَجَــابَــةِ فِــيْ الــدُّجَــىٰ ... وَمَــا بَــاطِنِــيْ بِــاللهِ إِلاَّ كَظَــاهِــرِيْ

دَعَانِيْ هَوَاهُ فَاسْتَجَبْتُ مُسَارِعًا ... لأَنِّي أَرَاهُ مِنْ أَجَلِّ ذَخَائِرِيْ
/٣أ/ لَكَ اللهُ مِنْ مَلْكٍ بِهِ سَمَتِ الْعُلاَ ... وَعَمَّ نَدَاهُ كُلَّ بَادٍ وَحَاضِرِ
عَلَوْتَ عُلُوَّ النَّجْمِ مَجْداً وَسُؤْدُداً ... بِمَا أَنْتَ قَدْ أَوْلَيْتَهُ مِنْ مَفَاخِرِ
وَدَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَأَصْحَبَ صَعْبُهَا ... وَنِلْتَ الَّذِي تَهْوَى بِأَسْعَدِ طَائِرِ(١)
وَلَوْلاَكَ بَدْرَ الدِّيْنِ مَا الْتَذَّ وَارِدٌ ... بِوِرْدٍ وَلاَ سَاغَتْ مَصَادِرُ صَادِرِ
فَلاَ زِلْتَ مَحْمِيَّ الْجَنَابِ مِنَ الرَّدَى ... تُبِيْدُ الْعِدَا بِالْمُرْهَفَاتِ الْبَوَاتِرِ
وَكَذَّبَ ظَنَّ الْحَاسِدِيْنَ بِعَكْسِ مَا ... أَسَرُّوْهُ مِنْ دَاءٍ دَخِيْلٍ مُخَامِرِ
وَقَامَ مَنَارُ الدِّيْنِ وَاسْتَوْسَقَ الْهُدَى ... بِصِحَّةِ مَلْكٍ مَا لَهُ مِنْ مُنَاظِرِ
لَقَدْ عَزَّ مَنْ وَالاَكَ عِزاً مُؤَبَّداً ... وَذَلَّ الَّذِيْ نَاوَاكَ ذُلَّ الأَصَاغِرِ
بِنَفْسِيْ أَقِيْهِ كُلَّ أَمْرٍ يَخَافُهُ ... وَمَنْ عَزَّ مِنْ قَوْمِيْ وَجُلِّ عَشَائِرِيْ

وأنشدني أيضًا فيه يمدحه ـ أعزّ الله أنصاره ـ: [من الخفيف]

مَنْ لِصَبٍّ أَضْحَى أَسِيْرَ الأَمَانِيْ ... مُوْثَقاً فِي حَبَائِلِ الهِجْرَانِ
كُلَّمَا رَامَ أَنْ يَبُوْءَ بِعِبْءِ الْـ ... ـحُبِّ يَوْماً زَلَّتْ بِهِ الْقَدَمَانِ
كَيْفَ يَرْجُوْ الوِصَالَ مَنْ خَصْمُهُ المَحْـ ... ـبُوْبُ أَمْ مَنْ لَهُ بِيَوْمِ التَّدَانِيْ
كَانَ لِيْ فِي الْهَوَى زَمَانٌ مَضَى يُذْ ... مَمُ وَالآنَ قَدْ حَمِدْتُ زَمَانِيْ
/٣ب/ يَا خَلِيْلَيَّ أَسْعِدَانِيْ عَلَى الحُـ ... ـبِّ وَكُفَّا المَلاَمَ لاَ تَعْذُلاَنِيْ
وَذَرَانِيْ وَمَا أُحِبُّ وَمَنْ أَهْوَ ... ى وَشَانَ الغَرَامِ يَوْماً وَشَانِيْ
إِنَّ لِيْ فِي الَّذِيْ أَرُوْمُ حَدِيْثاً ... فَاقَ طِيْباً عَلَى اسْتِمَاعِ الأَغَانِيْ
غَيْرَ أَنِّي لاَ أَسْتَلِذُّ بِحَالٍ ... أَصْبَحَ السِّرُّ فِيْهِ كَالإِعْلاَنِ
وَأَلَذُّ الْهَوَى وَأَطْيَبُ مَا فِيْهِ ... جُحُوْدٌ يُفْضِيْ إِلَى كِتْمَانِ
يَا أُسَاةَ الغَرَامِ دَائِي الَّذِيْ أَسْـ ... ـقَمَ جِسْمِيْ عِلاَجُهُ أَعْيَانِيْ
أَيْنَ مِنِّي السُّلُوُّ هَيْهَاتَ يَا صَا ... حِ وَدَمْعِيْ يَلِجُّ فِي الهَمَلاَنِ
وَفُؤَادِيْ يَكَادُ مِنْ شِدَّةِ الشَّوْ ... قِ حَصَاهُ يَذُوْبُ بِالخَفَقَانِ
يَا لَيَالِيْ الحِمَى فَهَلاَّ تَعُوْدِيْـ ... ـنَ وَيَوْمِيْ بِهِ أَمَا لَكِ ثَانِيْ

---

(١) أصحب: انقاد.

لِنُعِيدَ السُّرُورَ بَدْءاً كَمَا كَا ... نَ وَنَرْمِي الفِرَاقَ بِالحَدَثَانِ
وَيُوَالِي ذِكْرَ الصِّبَا وَمَغَانِيـ ... ـهِ فَيَا حَبَّذَا بِهَا مِنْ مَغَانِي
كُلَّمَا رُمْتُ أَنْثَنِي عَنْ هَوَى النَّفْـ ... ـسِ شَآنِي قَسْراً إِلَيْهِ عِنَانِي
لَا أَرَى أَنَّنِي أَشُقُّ عَصَا اللَّذَّ ... ةِ يَوْماً بِالمَنْعِ وَالعِصْيَانِ
مِثْلَ مَا أَوْجَبَ التُّقَى طَاعَةَ المَا ... لِكِ بَدْرِ الدِّينِ العَظِيمِ الشَّانِ
مَلِكٌ أَصْبَحَتْ مَحَاسِنُهُ تُتْـ ... ـلَى وَتُرْوَى حَقّاً بِكُلِّ لِسَانِ
/ ٤١أ/ هَمُّهُ فِي اقْتِنَاءِ مَا يُكْسِبُ الأَجْـ ... ـرَ وَجَبْرِ الكَسِيرِ أَوْ فَكِّ عَانِي
جُودُهُ كَالسَّحَابِ قَدْ طَبَّقَ الأَرْ ... ضَ وَعَمَّ القَاصِي وَخَصَّ الدَّانِي
طَالَمَا أَعْجَزَ المُلُوكُ مِنَ المُلْـ ... ـكِ وَأَعْيَى بِنَاؤُهُ كُلَّ بَانِي
مَلِكٌ قَدْ سَمَا عُلُوّاً وَعِزّاً ... وَعَلَا قَدْرُهُ عَلَى كَيْوَانِ
مَنْ تَرَاهُ يُحْصِي مَكَارِمَهُ الغُـ ... ـرَّ وَمَا فِيهِ مِنْ بَدِيعِ المَعَانِي
فَهْوَ خِصْبُ الأَنَامِ إِنْ أَجْدَبَ العَا ... مُ وَأَمْنٌ مِنْ حَادِثَاتِ الزَّمَانِ
مُذْ عَلَا مَا يَزَالُ مُتَّصِلَ الإِمْـ ... ـدَادِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَاقْتِرَانِ
بِبَقَاءِ المَلْكِ الَّذِي خَصَّهُ اللّـ ... ـهُ وَإِبْلَاغِهِ جَمِيعَ الأَمَانِي

وقال يهنئه ـ أدام الله أيامه ـ: [من الطويل]

أُهَنِّي بِكَ الشَّهْرَ الَّذِي جَاءَ مُقْبِلاً ... هَنَاءً لَهُ الأَسْمَاعُ تُزْهَى وَتَطْرَبُ
وَأُثْنِي عَلَى المُلْكِ الَّذِي أَنْتَ رَبُّهُ ... ثَنَائِيَ الَّذِي قَدْ يُسْتَطَابُ وَيَعْذُبُ
أَيَا مَالِكاً أَعْيَى الأَنَامَ بِبَذْلِهِ ... فَلَمْ يَبْقَ رَاجٍ فِي الوَرَى يَتَعَتَّبُ
وَيَا مَنْ رِضَاهُ بَاتَ أَمْناً لِآمِنٍ ... وَمَنْ سُخْطُهُ مَا فِيهِ مَنْجًى وَمَهْرَبُ
/ ٤١ب/ إِلَيْكَ انْتَهَتْ آمَالُنَا وَرَجَاؤُنَا ... فَأَنْتَ لَنَا كَنْزُ الحَيَاةِ وَمَطْلَبُ
فَلَا زِلْتَ مَنْصُورَ اللِّوَاءِ مُؤَيَّدَ الـ ... ـعَلَاءِ وَمِنْ سَامِي مَعَالِيكَ يُطْلَبُ

وقال يمدحه ـ أعزّ الله نصره ـ من أبيات: [من الخفيف]

إِنَّنِي مُذْعِنٌ بِعَجْزِيَ عَنْ شُكْـ ... ـرِ أَيَادٍ أَوْلَيْتَ مِنْ إِحْسَانِ
كَيْفَ أُحْصِي قَطْرَ السَّمَاءِ وَمَا ذَا ... كَ بِجَازٍ فِي قُدْرَةِ الإِنْسَانِ
يَا مَلِيكَ الأَنَامِ يَا أَعْظَمَ الخَلْـ ... ـقِ مَحَلّاً يَعْلُو عَلَى كَيْوَانِ
أَنَا رَاجٍ بِأَنْ تَعِيشَ مَدَى الدَّهْـ ... ـرِ وَتَحْيَا فِي غِبْطَةٍ وَتَهَانِي

ومنها قوله:

إنَّ سُلْطانَنَا الَّذيْ خَصَّهُ اللّـ ـه بفَضْلٍ يَقُومُ بالبُرْهَانِ
وَبآيٍ بصِدْقِهَا أنْزَلَ اللّـ ـه قَديماً في مُحْكَمِ القُرآنِ
كُفَّ عَنِّيْ نَدَى يَدَيْكَ فَقَدْ خِفْـ ـتُ لإفْرَاطِه مِنَ الطُّغْيَانِ
وَبأنِّيْ أقُوْلُ مَا قَالَ مَنْ يَعْـ ـبُدُ عيْسَى في السِّرِّ وَالإعْلانِ
يَا مَلاذَ المَخُوْفِ يَا كَعْبَةَ الآ مَالِ يَا غَايَةَ المُنَى وَالأمَانيْ
سِرْ برَايَاتِكَ الَّتي حَفَّهَا اللّـ ـهُ بنَصْرٍ يَعْنُو لَهُ الثَّقَلانِ

/ ٥أ/ وقال يمدحه، ويُهنئه بشهر رجب: [من البسيط]

يَا مَالكاً جَلَّ قَدْراً وَاعْتَلَى شَرَفاً فَفَاتَ بالمَجْدِ سَبْقاً سَائرَ الأُمَمِ
وَخَصَّهُ اللهُ بالفَضْلِ الَّذيْ اعْتَرَفَتْ بهِ مُلُوكُ جَمِيْعِ العُرْبِ وَالعَجَمِ
أنْتَ الَّذيْ جَادَنيْ مِنْ فَيْضِ رَاحَتِه سُحْبٌ بهَا عُدْتُ في أمْرٍ مِنَ العَدَمِ
لَكَ الهَنَاءُ بشَهْرٍ جَاءَ يَشْفَعُهُ بُشْرَاكُمُ بدَوَامِ العِزِّ وَالنِّعَمِ

وقال يمدحه، ويهنئه بعيد الفطر: [من المتقارب]

أيَا مَالكاً في العُلا أوْحَدُ وَمَنْ جُودُهُ للْوَرَى مَقْصَدُ
ألا لَعَنَ اللهُ رَاجِيْ سِوَاكَ وَطَرْفُ بَصِيْرَتِه أرْمَدُ
ولَوْ جَازَ في شَرْعِ خَيْرِ الوَرَى بأنِّيْ سِوَى اللهِ مَنْ يَعْبُدُ
لَكُنْتُ أمِيْلُ بذِكْرِيَ لَكُمْ وَعِنْدَ مَدِيْحِيْ لَكُمْ أسْجُدُ
أيَا مَنْ سَحَائِبُ نَعْمَائِه يُرَوِّي الوَرَى بَحْرُهُ المُزْبِدُ
أُهَنِّيْ بكُمْ فَضْلَ عِيْدِ الفَطُوْرَ فَإنَّ فَضَائِلَهُ تُرْشِدُ
وَلازَالَ سُلْطَانُكُمْ دَائِماً مَدَى الدَّهْرِ وَالدَّهْرُ لا يَنْفَدُ

/ ٥ب/ وأنشدني لنفسه، يصف سيفاً أهدي [إلى] الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين، أبي جعفر المنصور ـ رحمه الله ـ: [من الخفيف]

أنَا إنْ فُلَّتِ القَوَاضِبُ فيْ الهَيْـ ـجَاءِ يَوْماً فَإنَّنِيْ لا أُفَلُّ
بَيْنَ حَدَّيَّ مِنْ لَظًى إنْ تَأمَّلْـ ـتَ وَنُوْحٌ فيْ فُلْكِه مُسْتَقِلُّ
وَفَخَارِيْ بأنَّنِيْ عُدْتُ فيْ كَـ ـفِّ إمَامٍ لَهُ الثُّرَيَّا مَحَلُّ

مَلِكٌ ذَلَّتِ البَرَايَا لَدَيْهِ ... وَيحَقٌّ لِبَأسِهِ مَنْ يَذِلُّ
هُوَ رُوحُ الزَّمَانِ مُسْتَنْصِرٌ بِا ... للهِ مَنْ عَقْدُ مُلْكِهِ لاَ يُحَلُّ

وقال من أبيات: [من الكامل]

مَا أَنْتَ أَوَّلَ مُولَعٍ بِغَرَامِهِ ... كَلاَّ وَلاَ عَلِقَ الهَوَىٰ بِزِمَامِهِ
فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَضَضِ التَّلَوُّمِ آمِلاً ... مِمَّنْ تُحِبُّ فَإِنْ يَفِي بِذِمَامِهِ
وَاقْنَعْ بِلَيْتَ وَرُبَّمَا وَلَعَلَّمَا ... سَمَحَ الَّذِي يَقْوَىٰ بِقُرْبِ لِمَامِهِ
إِيَّاكَ أَنْ تُصْغِي لِقَوْلِ مُفَنِّدٍ ... وَاشٍ وَلاَ تَكُ سَامِعاً لِمَلاَمِهِ
إِنِّي عَهِدْتُ أَخَا الهَوَىٰ لاَ يَنْثَنِي ... عَمَّا يَرُومُ وَلَو مُنِي بِحِمَامِهِ
كَيْفَ الوُصُولُ إِلَىٰ شَحِيحٍ مَا يَرَىٰ ... نَيْلَ المُحِبِّ تَعَلُّلاً بِكَلاَمِهِ

/ ١٦أ/ ومما كتبه إِلىٰ الملك الرحيم بدر الدين ـ ضاعف الله اقتداره، وأعلى مساره ـ: [من المنسرح]

يَا مَالِكاً أَصْبَحَتْ أَنَامِلُهُ ... تَفْتَحُ بَابَ الرَّجَاءِ لِلرَّاجِي
وَظِلُّهُ مَلْجَأُ المَخُوفِ وَمَنْـ ... ـجَاةٌ لِمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ نَاجِي
مَا بَالُ حَظِّي عَادَتْ مَحَاسِنُهُ الـ ... ـبِيضُ كَلَيْلٍ سَوَادُهُ دَاجِي

وأنشدني قوله فيه: [من مجزوء الكامل]

إِفْتَحْ دَوَاتَكَ بِالسُّعُوْ ... دِ وَوَقِّعِ الدُّنْيَا عَطَايَا
كَمْ فِي يَرَاعِكَ لِلنُّفُوْ ... سِ مِنَ التَّمَنِّي وَالمَنَايَا
وَلَكَمْ أَشَادَ مِنَ البِنَا ... ءِ بِمَا أَبَادَ مِنَ السَّرَايَا
وَإِذَا دَحَا ثُمَّ انْتَحَىٰ ... أَبْدَىٰ لَكَ النُّكَتَ الخَفَايَا

وقال فيه: [من الوافر]

صَبَاحاً بِالمَسَرَّةِ وَالتَّهَانِي ... لِمَلْكٍ مَا لَهُ فِي الدَّهْرِ ثَانِي
مَلِيكٌ سُحْبُ كَفَّيْهِ تَوَالَتْ ... فَرَوَّتْ لِلأَبَاعِدِ وَالأَدَانِي
فَلاَ زَالَتْ لَهُ الأَيَّامُ طَوْعاً ... تَدِينُ لَهُ عَلَىٰ مَرِّ الزَّمَانِ
وَلاَ بَرِحَتْ لَهُ الأَفْلاَكُ تَجْرِي ... بِإِقْبَالٍ يُخَلَّدُ غَيْرِ فَانِي

/ ٦ب/ وقال فيه أيضًا: [من مجزوء الكامل]

يَا مَنْ بِهِ وَبِعَدْلِهِ ... وَبِبَذْلِهِ كَمَلَ الزَّمَانُ
وَمَنِ الَّذِي لَوْلَا إِيَا ... لَتُهُ لَمَا ظَهَرَ الأَمَانُ
يَا مَالِكًا مَلَكَتْ أَيَا ... دِيهِ المُكَرَّمَةُ الحِسَانُ
رِقَّ الأَنَامِ بِأَنْعُمٍ ... عَنْ شُكْرِهَا قَصُرَ اللِّسَانُ

وقال فيه أيضًا: [من مجزوء الكامل]

يَا مَنْ طَوَالِعُ جُودِهِ ... هَزَمَتْ جُيُوشَ الفَقْرِ طَرْدَا
يَا ذَا الَّذِي أَضْحَى وَنَا ... ئِلُهُ إِلَى العَافِينَ نَقْدَا
يَا ذَا الفَضَائِلِ قَدْ سَبَقْـ ... ـتَ مُلُوكَهَا عَنَقًا وَشَدًّا(١)
فِي حَلْبَةِ المَجْدِ الأَثِيْـ ... ـلِ وَفِيهِمُ قُرْبًا وَبُعْدَا
فَلْيَهْنِكَ الشَّهْرُ الَّذِي ... أَوْلَاكُمُ ظَفَرًا وَسَعْدَا
لَا زَالَ مُلْكُكَ دَائِمًا ... وَحَسُودُ مَجْدِكَ لَيْسَ يَهْدَا

وقال فيه أيضًا: [من المنسرح]

يَا مَالِكًا أَخْجَلَتْ سَحَابَةُ جُدْ ... وَاهُ سَحَابَ السَّمَاءِ إِذْ هَطَلَا
فَذَاكَ يَرْوِي ظَمْآنَهُ ظَمَأً ... وَهَذِهِ بِالمَطَارِ حَيَّ هَلَا
/ ٧أ/ يَا وَاحِدًا فِي العَلَاءِ مُنْفَرِدًا ... وَمَنْ غَدَا بِالفَخَارِ مُشْتَمِلَا
كَمْ نِعْمَةٍ قَدْ أَنْعَمْتَ طَائِلَةٍ ... عَلَيَّ حَتَّى جَعَلْتَنِي خَجِلَا
وَكَمْ لِبَاسٍ أَلْبَسْتَنِي فَعَلَا ... قَدْرِي فَأَصْبَحْتُ فِي العُلَا مَثَلَا
لَا زِلْتَ فِي نِعْمَةٍ مُخَلَّدَةٍ ... دَائِمَةٍ تُورِثُ العِدَا نَهَلَا

وله جواب كتاب: [من الطويل]

وَقَفْتُ عَلَى مَكْتُوبِهِ فَوَجَدْتُهُ ... كَنَوْرِ رِيَاضٍ بَاكَرَتْهُ سَوَاجِمُهْ
لَهُ أَرَجٌ أَذْكَى مِنَ المِسْكِ نَشْرُهُ ... لِعِرْضِ أَمِينِ الدِّينِ صِينَتْ مَعَالِمُهْ

وقال أيضًا: [من مجزوء الكامل]

(١) العنق: ضرب من السير، والشدّ: الركض.

لَــوْلاَ مُعَــالَجَــةُ الصُّــدُوْ ... د لَمَــا حَــلاَ أَبَــداً وِصَــالُ
مِمَّــنْ غَــدَتْ أَجْفَــانُــهُ ... مِــنْ هُــدْبِهَــا رِيْــشَ النِّبَــالُ
وَمَــنِ الَّــذِيْ لَــوْلاَهُ مَــا ... عُــرِفَ التَّقَــاطُــعُ وَالمَــلاَلُ
يَــا مَــنْ بِــهِ دَاءُ الغَــرَا ... مِ فَــإِنَّــهُ الــدَّاءُ العُضَــالُ

وقال أيضًا، ابتداء كتاب إلىٰ بعض الأكابر: [من الطويل]

/ ٧ب/ سَلاَمٌ عَلَىٰ مَنْ عَطَّرَ الأُفْقَ نَشْرُهُ ... وَفَــاقَ جَمِيْــعَ العَــالَمِيْــنَ عُــلاَهُ
وَمَــنْ بَــاتَ مَحْسُــوْدَ الفَضَــائِــلِ وَاللُّهَــىٰ ... وَمَــنْ ظَــلَّ مَــذْمُــوْمَ الفَعَــالِ سِــوَاهُ
وَمَــنْ بِــتُّ أَرْجُــوْ قُــرْبَــهُ وَدُنُــوَّهُ ... وَمَــنْ بِــتُّ أَخْشَــىٰ بُعْــدَهُ وَنَــوَاهُ
فَلِلَّــهِ مَــا تَحْــوِيْ الأَضَــالِــعُ مِــنْ جَــوًى ... دَخِيْــلٍ وَشَــوْقٍ لاَ يُصَــابُ دَوَاهُ!
إِلَــىٰ الصَّــدْرِ شَمْسِ الــدِّيْــنِ ذِيْ الفَضْــلِ وَالنُّهَــىٰ ... ومَــنْ عَــمَّ جَــدْوَاهُ وَفَــاضَ نَــدَاهُ

وقال أيضًا: [من البسيط]

لَــوْلاَ لَــوَاعِــجُ أَشْــوَاقٍ تُجَــاذِبُنِــي ... يَــوْمًــا إِلَيْكُــمْ لَمَــا أَصْبَحْــتُ مُكْتَئِبَــا
وَلاَ غَــدَوْتُ مَــرِيْضًــا لاَ شِفَــاءَ لَــهُ ... حَتَّــىٰ جَعَلْــتُ دُمُــوْعِــيْ لِلشِّفَــا سَبَبَــا

وقال أيضًا: [من الخفيف]

لَسْــتُ مِمَّــنْ يَعُــدّ مَــا تُــذْهِــبُ الأَيَّـ ... ـــامُ مِــنْ عُمْــرِهِ بِــلاَ لُقْيَــاكُــمْ
لاَ وَلاَ يَلْتَهِــيْ عَــنِ الحُــزْنِ وَالبَلْـ ... ـــوَىٰ وَنَــارِ الجَــوَىٰ بِــلاَ ذِكْــرَاكُــمْ
فَبِحَــقِّ الــوُدَادِ وَالسَّبَــبِ الأَ ... وَّلِ عُــوْدُوا عَــنِ الجَفَــا حَــاشَــاكُــمْ

وقال أيضًا: [من الكامل]

مَــا كُنْــتُ فِــيْ عَيْــشٍ أُسَــرُّ بِــهِ ... إِلاَّ عَلَــيَّ أَصْبَــحَ السَّبَبَــا
مَــنْ بَــاتَ بِــالعَلْيَــاءِ مُتَّصِفًــا ... وَغَــدَا إِلَــىٰ الإِحْسَــانِ مُنْتَسِبَــا

/ ١٨أ/ وقال أيضًا: [من البسيط]

يَــا أَوْحَــدَ الــدِّيْــنِ إِنِّــي جِــدُّ مُنْتَظِــرٍ ... لِمَــا وَعَــدْتَ وَرَاجٍ مِنْــكَ إِنْجَــازَا
فَفُــزْ بِمَــا أَنْــتَ تَــوْلِيْــهِ فَخَيْــرُ فَتًــى ... يُــوْلِــيْ الجَمِيْــلَ فَــأَضْحَــىٰ بِــالعُــلاَ فَــازَا

[٧٤٢]

مُحَمَّدُ بنُ الحسن بن عبد القاهر بن الحسن بن القاسم بنِ المظفر بن عليٍّ، أبو السعادات بنُ أبي عَلِيٍّ القاضيْ الشَّهرَزُوْرِيُّ الموصليُّ(١).

كان والده يتقلد القضاء بالموصل، وكذلك كان عمّه وجدّه وأسلافه؛ وهم أهل بيت عريق في القضاء، أشهر من أن يُنبَّه عليه، والقضاء يتردّد فيهم علىٰ قديم الزمان وحديثه.

وأبو السعادات أخبرني؛ أنَّه ولد في ليلة النصف من شعبان سنة تسع وثمانين وخمسمائة.

حفظ القرآن، وسمع جملة من الحديث، وقرأ فقه الإمام الشافعيّ ـ رضي الله عنه ـ علىٰ الشيخ العلامة أبي المعالي موسىٰ بن يونس بن منعة بن مالك الفقيه المدرس. وأخذ عنه علم الأصول والخلاف، وغير ذلك من العلوم الشرعية.

ثم تصدَّر للتدريس، فدرس بالمدرسة الكماليّة /٨ب/ بالموصل. وهو فقيه مُدَرّس، عالم مناظر، قيّم بعلم الأدب والنحو، شاعر مجيد، له إعتناء بكلام الصوفية من الحكماء، ومعرفة بوصف الخيل ونعوتها، واختلاف أجناسها.

أنشدني لنفسه، يمدح المولىٰ المالك الرحيم بدر الدنيا والدين، عضد الإسلام والمسلمين، نصير أمير المؤمنين ـ خلّد الله دولته ـ: [من الطويل]

هُوَ القَدُّ يَسْبِي المُسْتَهَامَ رَشِيْقُهُ ... وَيُصْبِيْهِ مِنْهُ عِطْفُهُ وَيَرُوْقُهُ
وَيَهْوَىٰ اعْتِنَاقَ السَّمْهَرِيِّ لأَجْلِهِ ... وَيُطْرِبُهُ بَانُ الحِمَىٰ وَيَشُوْقُهُ
وَيَقْلَقُ وَجْداً كُلَّمَا عَنَّ عَارِضٌ ... تُذَكِّرُهُ ثَغْرَ الحَبِيْبِ بُرُوْقُهُ
وَتُغْرِيْهِ إنْ هَبَّتْ مِنَ الغَوْرِ نَفْحَةٌ ... كَأَنَّ بِهَا حَادِي الغَرَامِ يَسُوْقُهُ
وَلَمْ يَرَ زَهْرَ الرَّوْضِ إلا وَهَاجَهُ ... وَأَبْدَىٰ جَوَاهُ وَرْدُهُ وَشَقِيْقُهُ

---

(١) في هامش الأصل: «مجد الدين، قاضي القضاة، شهاب الدين الحسن». وهو من أسرة منها: (محمد بن يحيى بن الفضل بن يحيى) المترجم له في هذا الجزء برقم ٧٤٤.

كَذَا كُلُّ عُذْرِيِّ الصَّبَابَةِ شَأْنُهُ ... وَحِزْبُ الهَوَىٰ مِنْ قَبْلِهِ وَفَرِيقُهُ
وَرُبَّ خَلِيِّ القَلْبِ أَضْحَىٰ مُعَنِّفِي ... وَيَزْعُمُ أَنِّي خِلُّهُ وَشَقِيقُهُ
يُجَرِّعُنِي كَأْسَ السُّلُوِّ وَإِنَّهُ ... لَيَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ مِمَّنْ يَذُوقُهُ
وَلَوْ كَانَ لِي فِي سَلْوَةِ الحُبِّ مَذْهَبٌ ... سَلَوْتُ وَلَكِنْ سُدَّ عَنِّي طَرِيقُهُ
أَبَىٰ اللهُ إِلَّا أَنْ أَبِيتَ مُتَيَّمًا ... أَخَا زَفْرَةٍ يَتْلُو الزَّفِيرَ شَهِيقُهُ
/٩أ/ أُقَضِّي الدُّجَىٰ فِي سُوءِ حَظِّي تَفَكُّرًا ... وَقَلْبِي قَدِ اسْتَوْلَىٰ عَلَيْهِ خُفُوقُهُ
يُهَدِّدُنِي بِالهَجْرِ مَنْ لَا أَصُدُّهُ ... وَيَظْلِمُنِي فِي الحُلْمِ مَنْ لَا أُطِيقُهُ
وَكَيْفَ احْتِيَالِي وَالزَّمَانُ مُعَانِدِي ... وَقَدْ كَسَدَتْ فِيهِ لِذِي الفَضْلِ سُوقُهُ
إِذَا رُمْتُ أَمْرًا كَانَ عَكْسِي مَرَامُهُ ... وَإِنْ سُمْتُهُ بِرًّا بَدَا لِي عُقُوقُهُ
وَلَمْ يَبْقَ لِي كَهْفٌ أَلُوذُ بِظِلِّهِ ... جَدِيرٌ بِحَمْدٍ لِلثَّنَاءِ خَلِيقُهُ
سِوَىٰ مَلِكٍ مَازِلْتُ أُدْعَىٰ بِعَبْدِهِ ... عَلَىٰ أَنَّنِي مِنْ جَوْرِ دَهْرِي عَتِيقُهُ
وَإِنْ كُنْتُ بِالإِحْسَانِ مِنْهُ مُقَيَّدًا ... فَإِنِّي مِنْ صَرْفِ الخُطُوبِ طَلِيقُهُ
مَلِيكٌ إِذَا مَا سَابَقَ العِيسَ بِاسْمِهِ ... حُدَاهَا دَنَا مِنْ كُلِّ نَاءٍ سَحِيقُهُ
لِأَنَّ لَهَا عِلْمًا بِذَلِكَ إِنَّمَا ... تُصَادِفُ مِنْ بَحْرِ السَّمَاءِ عَمِيقُهُ
وَفِي جُودِهِ فَضْلٌ عَلَىٰ البَحْرِ إِنَّهُ ... إِذَا فَاضَ لَمْ يَخْشَ الهَلَاكَ غَرِيقُهُ
مَتَىٰ جِئْتَهُ مُسْتَرْفِدًا لِنَوَالِهِ ... حَبَاكَ بِهِ مِنْ غَيْرِ مَطْلٍ يَعُوقُهُ
وَمَازَالَ تَفْرِيقَ الصِّلَاتِ صَبُوحُهُ ... وَتَأْلِيفَ شَمْلِ المَكْرُمَاتِ غَبُوقُهُ
فَمَنْ لَامَهُ فِي البَذْلِ فَهْوَ عَدُوُّهُ ... وَمَنْ لَمْ يَلُمْهُ فِيهِ فَهْوَ صَدِيقُهُ
وَهَذَا مِنَ الأَوْصَافِ أَعْدَلُ شَاهِدٍ ... يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ السَّمَاحَ عَشِيقُهُ
/٩ب/ عَنَا خِيفَةً مِنْ بَأْسِهِ كُلُّ مَارِدٍ ... وَذَلَّ لَهُ صَعْبُ الحِرَانِ نَزُوقُهُ
وَعَادَ لَهَامًا بَعْدَ مَا كَانَ مُرْهَفًا ... لَدَىٰ عَزْمِهِ مَاضِي الغِرَارِ ذَلِيقُهُ
أَخُو فَتَكَاتٍ فِي العِدَا لَيْسَ تُتَّقَىٰ ... بِرَدٍّ وَمَقْدُورُ القَضَاءِ رَفِيقُهُ
وَقُورٌ إِذَا طَاشَتْ حُلُومُ ذَوِي النُّهَىٰ ... رَعَاهُ رَصِينٌ مِنْ حِجَاهُ وَثِيقُهُ
يُرَنِّحُهُ مَرُّ الثَّنَاءِ بِسَمْعِهِ ... كَمَا رَنَّحَتْ حَاسِي السُّلَافِ رَحِيقُهُ
وَيُعْجِبُهُ فِي الرَّوْعِ أَنَّ حُسَامَهُ ... يَكُونُ دِمَاءَ المَارِقِينَ خَلُوقُهُ
وَيَلْتَذُّ إِنْ عُدَّتْ فَضَائِلُ مَجْدِهِ ... وَإِنْ كَانَ لَا تُحْصَىٰ بِعَدٍّ حُقُوقُهُ

دَعَوْهُ بِبَدْرِ الدِّينِ لَمَّا تَمَكَّنَتْ   يَدُ الإِفْكِ بَسْطًا وَادْلَهَمَّ غَسُوقُهُ
وَطَالَ عِمَادُ الشِّرْكِ وَاشْتَدَّ أَزْرُهُ   وَعَزَّ حِمَاهُ وَاشْرَأَبَّ بُسُوقُهُ
وَزُحْزِحَ عَنْ دِينِ الهُدَى كُلُّ غُمَّةٍ   بِهِمَّتِهِ العُلْيَا وَفُرِّجَ ضِيقُهُ
وَعَادَ دُجَى الإِيْمَانِ أَبْلَجَ وَاضِحًا   كَذِي البَدْرِ لا يُبْقِي الظَّلامَ شُرُوقُهُ
أَمَوْلايَ سَمْعًا مِنْ عُبَيْدٍ لِسَانُهُ   بِشُكْرِكَ لا يَنْفَكُّ رَهْنًا صَدُوقُهُ
أُعِيذُكَ أَنْ تَرْضَى لِغَرْسٍ غَرَسْتَهُ   بِنُعْمَاكَ أَنْ يَظْمَا وَتَذْوَى عُرُوقُهُ
وَحَاشَاكَ مِنْ إِهْمَالِهِ وَهْوَ مُخْلِصٌ   يُدِيمُ انْتِسَابًا فِي الوَلاءِ عَرِيقُهُ
/١٠أ/ يَبُثُّ فُنُونًا مِنْ صِفَاتِكَ شِعْرُهُ   وَيَسْأَلُ حُرًّا مِنْ نَدَاكَ رَقِيقُهُ
وَقَدْ وَفَدَتْ مَوْلايَ بِنْتُ قَرِيحَتِي   بِمَدْحٍ كَنَشْرِ المِسْكِ فَاحَ سَحِيقُهُ
يُهَنِّيكَ بِالنَّيْرُوزِ يَا خَيْرَ مَالِكٍ   هَنَاءً حَكَى وَشْيَ الرِّيَاضِ أَنِيقُهُ
سَلِمْتَ مُطَاعَ الأَمْرِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا   وَمَا مَاسَ مُخْضَرُّ الأَرَاكِ وَرِيقُهُ

وأنشدني أيضًا لنفسه يمدحه ـ أدام الله أيامه، وبلّغه مرامه ـ: [من البسيط]

أَشَاقَكَ البَرْقُ نَجْدِيًّا تَأَلُّقُهُ   وَرَاقَكَ الحَزْنُ لَمَّا لاحَ أَبْرَقُهُ
وَرَاعَ لُبَّكَ ظَبْيُ الحَيِّ مُلْتَفِتًا   يَخَافُ مِنْ أَعْيُنِ الوَاشِينَ تَرْمُقُهُ
أَوْفَى عَلَى شَرَفٍ يَخْتَالُ فِي صَلَفٍ   كَالبَدْرِ فِي سُدُفٍ لَمْ يَخْفَ مَشْرِقُهُ
وَهَزَّ مِنْ قَدِّهِ لَدْنًا وَمُقْلَتِهِ   عَضْبًا وَمِنْ طَرْفِهِ سَهْمًا يُفَوِّقُهُ
وَكَانَ مِنْ سُوءِ حَظِّ المُسْتَهَامِ بِهِ   لَمَّا تَعَرَّضَ فَرْطُ الوَجْدِ يُقْلِقُهُ
وَقَوْسُ حَاجِبِهِ بِالوَتْرِ مُوْتَرَةٌ   فَمَا تَزَالُ بِنَبْلِ اللَّحْظِ تَرْشُقُهُ
حَتَّى إِذَا اسْتَحْكَمَتْ أَسْبَابُ مِحْنَتِهِ   وَشَفَّهُ بِيَدِ البَلْوَى تَعَلُّقُهُ
وَغَرَّ نَاظِرَهُ بِالسِّحْرِ نَاظِرُهُ   وَصَارَ مُنْكَرُهُ عِلْمًا يُحَقِّقُهُ
أَلْقَاهُ مُضْنًى عَلَى فُرْشِ السَّقَامِ فَمَا   أَبْقَى النُّحُولُ لَهُ حَقًّا يُؤَرِّقُهُ
/١٠ب/ يَا سَعْدُ اصْغِ لِقَوْلٍ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ   يُولِيكَ نُصْحًا فَخَيْرُ القَوْلِ أَصْدَقُهُ
إِيَّاكَ رِيمَ الحِمَى إِنْ جُزْتَ وَادِيَهُ   فَكَمْ بِهِ مِنْ أَسِيرٍ لَيْسَ يُطْلِقُهُ
وَمُدْنَفٍ مَا دَنَا مِنْهُ مُخَاطِبُهُ   إِلَّا وَكَادَ مِنَ الأَنْفَاسِ يُحْرِقُهُ
وَاحْفَظْ فُؤَادَكَ وَاحْذَرْ فَهْوَ ذُو حِيَلٍ   خَفِيَّةِ المَكْرِ يَدْرِي كَيْفَ يَسْرِقُهُ
وَصِفْ لَدَيْهِ غَرَامِي وَاشْكُ مَا لَقِيَتْ   نَفْسِي إِلَيْهِ عَسَى الشَّكْوَى تُرَقِّقُهُ

وَاذْكُـرْ لَـهُ يَـوْمَ بَـانَ السَّفْـحِ كَـمْ سَفَحَـتْ عَيْنِـي مِـنَ الـدَّمْـعِ فِـي خَـدِّيْ تُـرَقْـرِقُـهُ
وَقَـدْ حَـدَا بِـالنَّـوَىٰ الحَـادِيْ عَلَـىٰ مَضَضٍ مِنِّـي وَزُمَّـتْ لِـوَشْـكِ البَيْـنِ أَيْنُقُـهُ
وَقُـلْ إِذَا الآنَ فِـي اسْتِعْطَـافِـهِ وَبَـدَا عِنْـدَ المَقَـالِ لَـهُ سَمْـعٌ يُصَـدِّقُـهُ
مَتَـىٰ تُـوَفِّـي دُيُـونَ الـوَصْـلِ طَـالِبَهَـا مِـنْ بَعْـدِ مَـا شَـابَ بِـالهِجْـرَانِ مَفْـرِقُـهُ
وَقَـدْ تَقَضَّـتْ حَيَـاتِـي بِـالمُنَـىٰ سَفَهًـا وَضَـاعَ عُمْـرِيْ الَّـذِيْ قَـدْ كُنْـتُ أُنْفِقُـهُ
ومَـا تَـدَرَّعْـتُ ثَـوْبَ الصَّبْـرِ فِـي زَمَنِـيْ إِلاَّ وَكَـفُّ عَـوَادِيْـهِ تَمَـزُّقُـهُ

وأنشدني لنفسه أيضًا: [من البسيط]

لاَ تَقْلَقَـنَّ إِذَا نَـالَتْـكَ نَـائِبَـةٌ وَاصْبِـرْ لِمَكْـرُوْهِ مَـا أَبْـدَىٰ لَـكَ القَـدَرُ
فَلِلَّيَـالِـيْ صُـرُوْفٌ فِـي تَقَلُّبِهَـا عَجَـائِـبٌ لَيْـسَ يَـأْتِـي مِثْلَهَـا بَشَـرُ
وَمَـا صَفَـتْ هَـذِهِ الـدُّنْيَـا لِصَـاحِبِهَـا إِلاَّ وَأَعْقَـبَ مِنْهَـا صَفْـوَهَـا الكَـدَرُ
فَـلاَ تَكُـنْ جَـزِعًـا مِمَّـا أُصِبْـتَ بِـهِ فَـرُبَّ عُسْـرٍ أَتَـىٰ مِـنْ بَعْـدِهِ يَسَـرُ
/١١أ/ وَرُبَّمَـا أَخْفَـقَ السَّـاعِـيْ بِقُـدْرَتِـهِ فِيْمَـا يَـرُوْمُ وَوَافَـىٰ العَـاجِزَ الظَّفَـرُ

أنشدني القاضي أبو السعادات محمد بن الحسن الشهرزوري لنفسه، يمدح بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل: [من البسيط]

هُـوَ المُحِـبُّ حَلِيْـفُ الهَـمِّ وَالفِكَـرِ وَمَـا دَهَـىٰ قَلْبَـهُ شَـيءٌ سِـوَىٰ النَّظَـرِ
كَـمْ كَـانَ يَحْـذَرُ حَتَّـىٰ حَـلَّ فِـي شَـرَكِ الـ ـبَلْـوَىٰ وَلَـمْ تُغْـنِ عَنْـهُ شِـدَّةُ الحَـذَرِ
وَصَـارَ ذَا ذِلَّـةٍ مِـنْ بَعْـدِ عِـزَّتِـهِ دَهْـراً وَبُـدِّلَ صَفْـوَ العَيْـشِ بِـالكَـدَرِ
بِـاللهِ يَـا هَـاجِـرَ المُشْتَـاقِ صِـلْ دَنِفًـا قَـدْ بَـاعَ طِيْـبَ كَـرَىٰ الأَجْفَـانِ بِـالسَّهَـرِ
وَاسْتَبْـقِ مُقْلَتَـهُ كَيْمَـا يَـرَاكَ بِهَـا فَلَـذَّةُ العَيْـنِ فِيْهَـا غَـايَـةُ الـوَطَـرِ
وَكُـلُّ يَـوْمٍ جَلَـتْ رُؤْيَـاكَ نَـاظِـرَهُ فِيْـهِ فَـذَلِـكَ مَحْسُـوبٌ مِـنَ العُمُـرِ
وَلاَ تُطِـعْ قَـوْلَ وَاشٍ ظَـلَّ يَحْسُـدُهُ عَلَيْـكَ فِـي حُبِّـهِ يَـا ضَـرَّةَ القَمَـرِ
سَلِمْـتَ مِمَّـا أُقَـاسِـيْ مِـنْ جَـوًى وَأَسًـى تَبِيْـتُ بَيْنَهُمَـا رُوْحِـي عَلَـىٰ خَطَـرِ
إِلَـىٰ مَتَـىٰ أَنَـا ظَمْـآنٌ إِلَيْـكَ وَمَـا أُرْوَىٰ بِقُـرْبِـكَ فِـي وِرْدِيْ وَفِـي صَـدَرِيْ
أَلَـمْ يُحِـطْ لَـكَ عِلْـمٌ أَنَّ لِـيْ وَزَراً بِـهِ أَمِنْـتُ صُـرُوْفَ الـدَّهْـرِ وَالغِيَـرِ
حِلْفَ النَّدَىٰ المَلْكَ بَدْرَ الدِّيْنِ مَنْ وُسِمَتْ أَيَّـامُـهُ فِـي جَبِيْـنِ الـدَّهْـرِ كَـالغُـرَرِ
/١١ب/ قَـالُوا: هُوَ البَحْرُ إِنْ عُدَّ الكِرَامُ وَهُمْ نَهْـرٌ وَكَيْـفَ يُقَـاسُ البَحْـرُ بِـالنَّهَـرِ

عَجِبْتُ مِنْهُمْ وَمِنْ تَشْبِيهِ نَائِلِهِ   بِالبَحْرِ وَالفَرْقُ بَادٍ غَيْرُ مُسْتَتِرِ
ذَا رَاكِبُ الأَمَلِ الرَّاجِي نَدَاهُ عَلَى   أَمْنٍ وَذَاكَ عَظِيمُ الخَوْفِ وَالغُرَرِ (١)
ثُمَّ الغَرِيبُ لَدَيْهِمْ ذِكْرُ حَاتِمِهِمْ   مِنْهُمْ بِجُودٍ عَلَى العَافِينَ مُشْتَهِرِ
هَلَّا رَأَوْا جُودَكَ الهَامِي وَقَدْ بَدَرَتْ   كَفَّاكَ مَوْلَايَ بَدْرَ الدِّينِ بِالبِدَرِ
وَشَبَّهُوكَ بِلَيْثٍ عِنْدَ سَطْوَتِهِ   وَذَاكَ مِنْهُمْ دَلِيلُ العِيِّ وَالحَصَرِ
لِأَنَّ أَيْسَرَ عَبْدٍ مِنْ عَبِيدِكَ لَوْ   رَآهُ لَيْثُ الشَّرَى وَلَّى مِنَ الخَوَرِ
وَقَاسَ رَأْيَكَ أَقْوَامٌ بِقَيْسِهِمُ   هَيْهَاتَ لَيْسَ رِمَاحُ الخَطِّ كَالإِبَرِ
مَتَى أَدْلَهَمَّ ظَلَامُ الخَطْبِ فِي سَبَبٍ   وَحَلَّهُ مِنْكَ رَأْيٌ وَهْوَ لَمْ يَنُرِ
وَاسْتَعْظَمُوا أَحْنَفًا فِي الحِلْمِ وَاعْتَقَدُوا   أَنْ لَيْسَ مِثْلٌ لَهُ يَأْتِي مِنَ البَشَرِ
وَأَنْتَ أَحْلَمُ مِنْهُ وَالَّذِي نَزَلَتْ   فِي حَقِّهِ مُعْجِزُ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ
مَوْلَايَ يَا مَلِكًا عَمَّتْ مَوَاهِبُهُ   طَوَائِفَ النَّاسِ مِنْ بَدْوٍ وَمِنْ حَضَرِ
مَنَحْتَنِي بِجَوَادٍ لَوْ أُسَابِقُهُ   بِالرِّيحِ لَمْ تَتَعَلَّقْ مِنْهُ بِالأَثَرِ
رَحْبُ اللَّبَانِ أَسِيلُ الخَدِّ مُنْهَرِتُ الـ   ـشِّدْقَيْنِ حُلْوُ المُحَيَّا غَيْرُ مُنْبَهِرِ
ضَافِي السَّبِيبِ كَمِينُ اللَّوْنِ مُحْكَمَةٌ   أَرْسَاغُهُ فِي وَظِيفٍ مُحْكَمٍ عَجِرِ (٢)
/١٢أ/ مِنْ فَوْقِ خُضْرٍ كَأَمْثَالِ الزَّبَرْجَدِ فِي   أَلْوَانِهَا وَهْيَ فِي الأَجْسَامِ كَالحَجَرِ
فحدتنا كَزَهْرِ الرَّوْضِ فَوَّقَهُ   كَفُّ الحَيَا فَبَدَا كَالأَنْجُمِ الزُّهُرِ
مِنْ كُلِّ مَعْنًى لَطِيفٍ رَائِقٍ حَسَنٍ   فِي نَثْرِ مُنْتَظِمٍ أَوْ نَظْمِ مُنْتَثِرِ
عَرُوسُ فكرٍ إِلَى عَلْيَاكَ أَحْمِلُهَا   مِنْ فَوْقِهِ مِنْ بَدِيعِ القَوْلِ بِالدُّرَرِ
لَازَالَ عِزُّكَ مَحْرُوسًا بِأَرْبَعَةٍ   بِالسَّعْدِ وَالنَّصْرِ وَالإِقْبَالِ وَالظَّفَرِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الرجز]

تَاهَ عَلَى العَاشِقِ بِاحْتِشَامِهِ   وَاعْتَقَدَ الصُّدُودَ مِنْ إِنْعَامِهِ
وَكُلَّمَا طَالَعَهُ بِقُصَّةٍ   يَذْكُرُ مَا يَلْقَاهُ مِنْ غَرَامِهِ
وَقَّعَ أَعْلَاهَا لَهُ عَلَامَةً   دَلَّتْ مِنَ الهَجْرِ عَلَى دَوَامِهِ

---

(١) العُرَر: لعلها الغَرَر وهو الخطر.
(٢) السبيب: خصلة الشعر. و«كمين» لعلها «كُمَيْتُ اللون».

يَـا قَـاتَـلَ اللهُ الهَـوَىٰ كَـمْ دَنِـفٍ ... بِـهِ مُعَنَّـىٰ القَلْـبِ مُسْتَهَـامِـهِ
عَـوَّضَـهُ عَـنْ عِـزِّهِ بِـذِلَّـةٍ ... وَبِـالهَـوَانِ المَحْضِ عَنْ إِكْرَامِـهِ
مَـنْ مُبْلِغِـيْ إِلَـىٰ الحِمَـىٰ تَحِيَّـةً ... عَنِّـي وَأَشْـوَاقِـيْ إِلَـىٰ خِيَـامِـهِ
مُعَـرِّضٌ بِـذِكْـرِ ظَبْـيٍ جَفْنُـهُ ... أَعَـارَنِـي النُّحُـولَ مِـنْ سَقَـامِـهِ
إِنْ جَـرَّدَ السَّيْـفَ فَمِـنْ مُقْلَتِـهِ ... أَوْ سَـدَّدَ الـرُّمْـحَ فَمِـنْ قَـوَامِـهِ
لَـمْ أَنْسَـهُ وَافَـى بِغَيْـرِ مَـوْعِـدِ ... لَيْـلاً وَوَاشِـيْ القَـوْمِ مِـنْ نُـوَّامِـهِ
/ ١٢ب/ فَبِـتُّ طُـولَ لَيْلَتِـيْ مُـرْتَشِفًـا ... لِـرِيْقِـهِ أَشْـرَبُ مِـنْ مُـدَامِـهِ
فَقَـامَ وَالنُّعَـاسُ فِـيْ أَجْفَـانِـهِ ... أَذْيَـالُـهُ تَعْلَـقُ فِـيْ أَقْـدَامِـهِ
لَـوْ فَهِـمَ العَـاذِلُ مَـا فَهِمْتُـهُ ... مِـنْ حُسْنِـهِ أَقْصَـرَ عَـنْ مَـلاَمِـهِ
لاَسِيَّمَـا إِذَا بَـدَا مُبْتَسِمًـا ... فَـإِنَّ هَتْـكَ السِّتْـرِ فِـي ابْتِسَـامِـهِ

وأنشدني لنفسه، يصف مجمرة الطِّيب: [من الطويل]

وَمُـوْدَعَـةٍ كِتْمَـانَ سِـرٍّ وَشَـتْ بِـهِ ... وَأَدَّتْـهُ مَـا بَيْـنَ النَّـدَامَـىٰ مُفَصَّـلاَ
تَـوَهَّمْتُهَـا عِنْـدَ الحِفَـاظِ جَمِيْلَـةً ... فَـأَلْفَيْتُهَـا عِنْـدَ الإِذَاعَـةِ أَجْمَـلاَ
تُنُـمُّ بِمَـا فِيْهَـا إِذَا كَـانَ سَـاكِنًـا ... فُـؤَاداً لَهَـا نَـارٌ وَتَكْتُـمُ إِنْ خَـلاَ
تُـزِيْـلُ بِـرَيَّـاهَـا الهُمُـومَ كَـأَنَّهَـا ... سُلُـوُّ مُحِـبٍّ لَـمْ يَكُـنْ فِـي الهَـوَىٰ سَـلاَ

وأنشدني لنفسه، وذكر أنَّه صنع ذلك بديهةً: [من الكامل]

كَلَّمْتُـهُ فَتَكَلَّلَـتْ وَجَنَـاتُـهُ ... عَـرَقًـا وَلَـمْ يَنْطِـقْ لِفَـرْطِ حَيَـائِـهِ
فَظَنَنْـتُ أَنَّ الـوَرْدَ ذَاكَ وَفَـوْقَـهُ ... بَعْـدَ الغَمَـامِ بَقِيَّـةٌ مِـنْ مَـائِـهِ

وقال أيضًا، يمدح الملك الرحيم بدر الدين / ١٣أ/ أبا الفضائل صاحب الموصل ـ خلد الله سلطانه ـ ويهنئه فيها بشهر رجب وبالنيروز لاتفاقهما في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، موازنًا لقصيدة ابي عبادة البحتري ـ رحمه الله ـ: [من الوافر]

(أَكُنْـتَ مُعَنِّفِـيْ يَـومَ الـرَّحِيْـلِ ... وَقَـدْ لَجَّـتْ دُمُـوعِـيْ فِـي الهُمُـوْلِ)[1]
رُوَيْـدَكَ رُبَّـةَ الطَّـرْفِ الكَحِيْـلِ ... فَكَـمْ غَـادَرْتِ مِـنْ دَنِـفٍ نَحِيْـلِ

(١) ديوان البحتري ٣/ ١٧٣٦.

وَحَسْبُكَ مَا أُلَاقِي مِنْ غَرَامٍ ... وَوَجْدٌ لَازِمٌ وَجَوًى دَخِيلُ
وَيَكْفِي أَنَّنِي لَوْلَا أَنِينِي ... خَفِيتُ عَنِ العَوَاذِلِ مِنْ نُحُولِي
هَبِي عَيْنِي الرُّقَادَ وَلَا تَشُحِّي ... بِطَيْفٍ مِنْكِ يَشْفِي مِنْ غَلِيلِي
فَإِنْ لَمْ تَفْعَلِي فَعِدِي جَمِيلاً ... وَلَا تَسْتَكْثِرِي نَيْلَ القَلِيلِ
وَمِمَّا صَحَّ قَوْلاً وَهْوَ حَقٌّ: ... جَمَالُ الوَجْهِ أَلْيَقُ بِالجَمِيلِ
فَمُنِّي وَانْظُرِي حَالِي تَرَيْهَا ... كَحَالِ ابْنِ المُلَوَّحِ أَوْ جَمِيلِ
وَأَيْسَرُهَا إِذَا فَتَّشْتِ عَنْهَا ... وَإِنْ عَظُمَتْ مُدَارَاةُ المَلُولِ
بِحَقِّكَ يَا نَسِيمَ الرِّيحِ عَرِّجْ ... عَلَى تِلْكَ المَعَالِمِ وَالطُّلُولِ
وَسَلِّمْ إِنْ مَرَرْتَ بِآلِ سَلْمَى ... وَحَيِّ عَقَائِلَ الحَيِّ النُّزُولِ
/١٣ب/ وَبَلِّغْ ظَبْيَةَ الوَعْسَاءِ شَوْقِي ... إِذَا سَنَحَتْ ظِبَاءُ بَنِي عَقِيلِ
وَمَا كَلَّفْتُكَ الإِبْلَاغَ إِلَّا ... لِأَنِّي خِفْتُ مِنْ عَذْرِ الرَّسُولِ
وَسَلْهَا عَنْ فُؤَادٍ ضَلَّ مِنِّي ... غَدَاةَ البَيْنِ فِي أَثَرِ الحُمُولِ
فَمَا لِي مِنْهُ عِلْمٌ مُنْذُ وَلَّى ... سِوَى عَهْدِي بِهِ يَوْمَ الرَّحِيلِ
وَعَرِّفْهَا حَنِينِي وَارْتِيَاحِي ... إِلَيْهَا فِي الغُدُوِّ وَفِي الأَصِيلِ
وَأَنِّي لَسْتُ أَسْلُو عَنْ هَوَاهَا ... وَلَا أُصْغِي إِلَى لَوْمِ العَذُولِ
وَكَيْفَ وَلَمْ يَزَلْ عُمْرِي وَلُوعِي ... بِذَاتِ الخَالِ وَالخَدِّ الأَسِيلِ
وَتُعْجِبُنِي الشِّفَاهُ اللُّعْسُ ذِهْنًا ... كَأَنَّ بِهَا جَنِيَّ الزَّنْجَبِيلِ
وَيَعْذُبُ لِي نَقِيُّ الثَّغْرِ يَحْكِي ... بِرِيقَتِهِ حَبَابَ السَّلْسَبِيلِ
وَأَهْوَى القَدَّ مَيَّاسَ التَّثَنِّي ... رَشِيقَ المُلْتَوَى حَسَنَ المَمِيلِ
وَمَنْ أَغْرَاهُ حُبًّا بَعْضُ هَذَا ... فَلَيْسَ إِلَى التَّسَلِّي مِنْ سَبِيلِ
وَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ إِنْ قِيلَ عَنِّي ... صَبَا عِشْقًا وَلَا بِالْمُسْتَحِيلِ
فَكَمْ لَعِبَ الهَوَى قَبْلِي قَدِيمًا ... بِأَلْبَابِ الرِّجَالِ ذَوِي العُقُولِ
وَلَمْ أَرَ مُخْلِصًا لِي مِنْهُ إِلَّا ... إِذَا مَا عُذْتُ بِالمَلِكِ الجَلِيلِ
/١٤أ/ حَلِيفُ الجُودِ بَدْرُ الدِّينِ مَلْكٌ ... تَعَالَى عَنْ شَبِيهٍ أَوْ عَدِيلِ

وعَـزَّ عَـنِ المُفَاخِـرِ وَالمُنَاوِيْ … وَجَـلَّ عَـنِ المُبَـارِيْ وَالـرَّسِيْـلِ (١)
وَقَصَّـرَ عَنْـهُ طَـوْقُ الشُّكْـرِ لمَّـا … سَمَـتْ أَوْصَـافُـهُ عَـنْ كُـلِّ قِيْـلِ
كَـرِيْـمٌ كُـلُّ مَـنْ يُـدْعَـىٰ كَـرِيْمـاً … فَنِسْبَتُـهُ إِلَيْـهِ كَـالبَخِيْـلِ
إِذَا جَـادَتْ يَـدَاهُ لَنَـا غَنِيْنَـا … بِجُـوْدِهِمَـا عَـنِ الغَيْـثِ الهَطُـوْلِ
وَإِنْ سَحَّـتْ وَشَـحَّ فَمَـا نُبَـالِـيْ … بِجَـدْبِ العَـامِ فِيْنَـا وَالمُحُـوْلِ
رَزِيْـنٌ لَـوْ يُـوَازِنُـهُ ثَبِيْـرٌ … غَـدَا وَهْـوَ الخَفِيْـفُ عَـنِ الثَّقِيْـلِ
حَلِيْـمٌ عَـنْ عَظِيْـمِ الـذَّنْـبِ يَعْفُـو … وَيَصْفَـحُ وَهْـوَ ذُوْ حَـدٍّ وَبِيْـلِ
وَحَـزْمٍ حَـارَتِ الحُكَمَـاءُ فِيْـهِ … وَعَـزْمٍ دُوْنَـهُ حَـدُّ الصَّقِيْـلِ
وَرَأْيٍ لَـمْ يُفَـارِقْـهُ صَـوَابٌ … وَقَلْـبٍ لَـمْ يُقَلَّـبْ بِـالـذُّحُـوْلِ
شُجَـاعٌ مَـا تَقَـاعَـدَ عَـنْ لِقَـاءٍ … وَمِقْـدَامٌ عَلَـىٰ الأَمْـرِ المَهُـوْلِ
وَطَلْـقٌ وَالـزَّمَـانُ بِـهِ قُطُـوْبٌ … وَمَـاضٍ لَيْـسَ يَتْعَـبُ بِـالكُلُـوْلِ
وَمُبْتَسِـمٌ وَغَـرْبُ السَّيْـفِ يَبْكِـيْ … نَجِيْعـاً مِـنْ مُقَـارَفَـةِ الفُلُـوْلِ
وَلَـمْ تَسْمَـعْ بِـهِ الأَبْطَـالُ إِلاَّ … وَنَـادَتْ بِـالثُّبُـوْرِ وَبِـالعَـوِيْـلِ
/ ١٤ب/ وَوَدَّعَ بَعْضُهُـمْ بَعْضـاً وَقَـالُـوا … نَجَـاةٌ مَـا إِلَيْهَـا مِـنْ وُصُـولِ
يَقِيْنـاً مِنْهُـمُ أَنْ لَيْـسَ يُبْقَـىٰ … عَلَيْهِـمْ غَيْـرُ نَـائِحَـةٍ ثَكُـوْلِ
وَأَنَّ سُطَـاهُ مِثْـلُ السَّيْـلِ سَـارَتْ … صَـوَاعِقُـهُ الـرَّوَاسِـي بِـالسُّهُـوْلِ
وَأَضْحَـىٰ كُـلُّ جَبَّـارٍ عَـزِيْـزٍ … لَهَـا فِـيْ الحِلْـمِ كَـالعَبْـدِ الـذَّلِيْـلِ
تَـأَمَّـلْ مِنْـهُ فَـرْداً تَلْـقَ جَيْشـاً … وَإِنسَـانـاً تُعَـايِـنُ لَيْـثَ غِيْـلِ
وَإِنْ جَـاوَرْتَـهُ جَـاوَرْتَ بَحْـراً … تَقِـلُّ بِـهِ مَجَـاوَرَةُ السُّيُـوْلِ
إِذَا رُكِبَـتْ بِـهِ سُفُـنُ الأَمَـانِـيْ … تَجَـارَتْ فِيْـهِ أَمْنـاً بِـالقَبُـوْلِ
تُحَـبُّ عُقَـابَـهُ العِقْبَـانُ عِلْمـاً … بِـأَنْ لَـمْ تَخْـلُ حِيْنـاً مِـنْ قَتِيْـلِ
فَتَغْشَـىٰ الجَـوَّ أَسْـرَابـاً تُحَـاكِـي … رَعِيْـلاً يَقْتَفِـيْ أَثَـرَ الـرَّعِيْـلِ
وَتَتْبَعُـهُ سِبَـاعُ الـوَحْـشِ تَبْغِـيْ … قِـرَاهَـا عِنْـدَهُ كَـالمُسْتَنِيْـلِ
فَمَـا يَنْفَـكُّ مِـنْ كَـرَمٍ وَبَـأْسٍ … عَلَـىٰ حَـالَـيْ مَقَـامٍ أَوْ رَحِيْـلِ

---

(١) الرسيل: فرس السباق.

وَإِنْ دُعِيَتْ نَزَالِ سَعَى وَلَبَّى ... وَبَادَرَ مُسْرِعاً سَعْيَ العَجُولْ
وَيَطْرَبُ إِنْ جَرَى لِلْبِيضِ وَقْعٌ ... عَلَى البَيْضِ اسْتِمَاعاً لِلصَلِيلَ
وَتُصْبِيهِ الوَغَى شَغَفاً إِذَا مَا ... تَجَاوَبَتِ المَذَاكِي بِالصَّهِيلَ
وَمَادَتْ فِي سَمَاءِ النَّقْعِ شُهْبٌ ... تَلُوحُ مِنَ الأَسِنَّةِ وَالنُّصُولْ
/ ١٥أ/ وَلَيْسَ تُحَرِّكُ الأَيَّامُ مِنْهُ ... سِوَى يَوْمَي نَزَالِ أَوْ نَزِيلَ
وَرَكْبٍ نَحْوَهُ حَثُّوا رِكَاباً ... تُرَاوِحُ بِالرَّسِيمِ وَبِالذَّمِيلِ(١)
إِذَا غَنَّوا بِهِ مَالُوا اشْتِيَاقاً ... كَأَنَّهُمُ سُقُوا صَرْفَ الشَّمُولْ
أَتَوْهُ وَالرَّجَاءُ لَهُمْ شَفِيعٌ ... فَآبُوا مِنْهُ بِالنَّيْلِ الجَزِيلَ
تُحَدِّثُ عَنْهُ نِعْمَتُهُ عَلَيْهِمْ ... وَذَاكَ عَلَى النَّدَى أَقْوَى دَلِيلَ
لَهُ نَسَبٌ إِلَى الحُسْنَى عَرِيقٌ ... إِذَا مَا عُدَّ ذُو النَّسَبِ الأَصِيلَ
وَنَفْسٌ عِزُّهَا مِنْهَا إِذَا مَا انْتَـ ... ـمَى عِزٌّ إِلَى شَرَفِ القَبِيلَ
وَلَيْسَ الفَخْرُ بِالآبَاءِ فَخْراً ... فَتَتَّكِلَ الفُرُوعُ عَلَى الأُصُولْ
وَلَكِنْ مَنْ حَوَى غُرَرَ المَعَالِي ... وَكَمَّلَهَا تَمَاماً بِالخُمُولْ
وَبَالَغَ فِي شَتَاتِ المَالِ جَمْعاً ... لِشَمْلِ الحَمْدِ وَالمَجْدِ الأَثِيلَ
كَمَا حَازَ المَكَارِمَ بَدْرُ تَمٍّ ... تَنَزَّهَ عَنْ مُحَاقٍ أَوْ أُفُولْ
مَلِيكٌ لا يُضَاهِيهِ مَلِيكٌ ... عَدِيمُ المِثْلِ مَفْقُودُ العَدِيلَ
أَلاَ يَا أَيُّهَا السُّلْطَانُ حَقّاً ... وَمَنْ مَا زَالَ لِلإِحْسَانِ يُولِي
. . . . هَذَا الشَّهْرُ وَاسْعَدْ ... بِنَورُوزٍ بِمَا تَبْغِي كَفِيلُ
وسمعاً . . . . مُحِبٌّ ... رَمَاهُ الدَّهْرُ مِنْهُ بِالخُمُول
/ ١٥ب/ وَأَخَّرَ حَقَّهُ عَنْهُ وَأَخْفَى ... فَضَائِلَهُ وَقَدَّمَ ذَا الفُضُولْ
وَحَاشَا عَصْرَ مِثْلِكَ أَنْ يُسَاوَى ... غَزِيرُ العِلْمِ فِيهِ بِالجَهُولْ
أَقِلْنِي عَثْرَتِي مَوْلاَيَ يَا مَنْ ... سِوَاهُ لَمْ أَجِدْ لِيَ مِنْ مُقِيلَ
فَرَبْعُكَ لَمْ يَزَلْ حَجِّي إِلَيْهِ ... وَلَمْ يَبْرَحْ حِمَاكَ بِهِ مَقِيلِي
وَعُمْرُ شُبَيْبَتِي فِيكُمْ تَقَضَّى ... وَقَدْ أَصْبَحْتُ أُحْسَبُ بِالكُهُولْ

(١) الرسيم والذميل: ضربان من السير.

وَمَا لِيَ غَيْرُ بَابِكَ مِنْ مَلاَذٍ ... وَسَابِغُ ظِلِّ أَنْعُمِكَ الظَّلِيْلِ
فَهَبْنِي نَظْرَةً فَهْيَ اقْتِرَاحِي ... وَخَوِّلْنِي رِضَاكَ فَذَاكَ سُؤْلِي
وَعِشْ كَهْفًا لِمَلْهُوْفٍ وَأَبْشِرْ ... فَذَاكَ النَّاسُ بِالعُمْرِ الطَّوِيْلِ
وَدُمْ مُتَمَلِّكًا مَا لاَحَ بَرْقٌ ... وَمَا نَاحَ الحَمَامُ عَلَى الهَدِيْلِ

[٧٤٣]

مُحَمَّدُ بنُ نصر الله بن مُحَمَّد بن القاسم بن نصر الله بن مُحَمَّد بن أبي القاسم بنَ عَبدَ الله الأنصَاريُّ المعَروفُ بابَنِ النابلسَيِّ، أبو بكرِ بنِ أبيَ الفَتحَ الدمَشقيُّ.

كان مولده بدمشق سنة أربع وثمانين وخمسمائة.

وهو شاعر ذو قدرة على نظم الشعر، كثير القول، /١٦أ/ صاحب بديهة وارتجال. قصد ملوك الشام بشعره، من بني أيوب وغيرهم من الوزراء والأماثل، وربما أنشأ القصيدة من غير فكرة، ولم يضع لها سوداء، ولا يراجع نظره فيها، لتنقيح ألفاظها ومعانيها، وذلك لقوة قريحته.

شاهدته بمدينة الموصل وإربل عدّة مرات؛ فأنشدني لنفسه، يمدح المولى المالك الملك الرحيم، بدر الدنيا والدين، عضد الإسلام والمسلمين، سند الملّة، ملك أمر الشرق والغرب . . . . . أتابك طغرلتكين بلكا أبا الفضائل نصير أمير المؤمنين ـ ضاعف الله قدرته، وأدام تمكينه ونصرته ـ: [من الطويل]

مكَارِمُ بَدْرِ الدِّيْنِ يُشْرِقْنَ فِي العُلاَ ... كَمَا أَشْرَقَتْ فِيْ اللَّيْلِ زُهْرُ الكَوَاكِبِ
وَقَدْ حَازَ مِنْ دُوْنِ المُلُوكِ مَنَاقِبًا ... أَنَافَتْ عَلَى عَدِّ النُّجُومِ الثَّوَاقِبِ
وإِنَّ ابْنَ عَبْدِ اللهِ أَشْرَفُ مَالِكٍ ... مِنَ الصِّيْدِ مَشْهُوْرُ العُلاَ وَالمَنَاقِبِ
فَرَاجِيْهِ مِنْ دُوْنِ البَرِيَّةِ ظَافِرٌ ... بِمَا يَرْتَجِيْهِ مِنْ جَزِيْلِ المَوَاهِبِ
يَرَى أَقْبَحَ الأَشْيَاءِ أَوْبَةَ آمَلٍ ... كَسَتْهُ يَدُ المَأْمُوْلِ حُلَّةَ خَائِبِ
يُؤَمِّلُ نُعْمَاهُ العُفَاةُ وَيَرْتَجِي ... إِلَيْهِ البَرَايَا مِنْ جَمِيْعِ المَذَاهِبِ
/١٦ب/ غَدَا كَعْبَةً لِلقَاصِدِيْنَ فَلاَ وَنَتْ ... تَخُبُّ إِلَيْهَا تَامِكَاتُ الغَوَارِبِ
تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ طَالِبَ النَّدَى ... جَمِيْلَ المُحَيَّا بَاسِمًا غَيْرَ قَاطِبِ

فَمَلَّكَـهُ اللهُ البِـلاَدَ بِـأَسْـرِهَـا ... مَشَـارِقُهَـا مَـوْصُـولَـةٌ بِـالمَغَـارِبِ
فَمَـا غَيْـرُهُ فِـي الصِّيْـدِ مَـنْ يَسْتَحِقُّهَـا ... وَلَيْـسَ سِـوَاهُ يُـرْتَجَـىٰ فِـي النَّـوَائِـبِ
فَـلاَ زَالَ مَنْصُـوْرَ اللِّـوَاءِ مُـؤَيَّـداً ... وَشَـانِـيْ عُـلاَهُ عُـرْضَـةً لِلْمَصَـائِـبِ

وأنشدني أيضًا لنفسه فيه ـ خلد الله ملكه ـ: [من الكامل]

مَـازِلْـتُ أَمْتَـدِحُ الأَنَـامَ فَـأَنْثَنِـيْ ... عَنْهُـمْ بِصَفْقَـةِ خَـاسِـرٍ مَغْبُـون
حَتَّـىٰ ٱمْتَـدَحْـتُ أَبَـا الفَضَـائِـلِ ذَا النَّـدَىٰ ... فَظَفِـرْتُ مِنْـهُ بِلُـؤْلُـؤٍ مَكْنُـوْنَ
أَغْنَـىٰ ٱفْتِقَـارِيْ جُـوْدُهُ لَمَّـا غَـدَا ... بِنَـدَاهُ لِـيْ فِـي الـدَّهْـرِ خَيْـرَ مُعِيْـنَ
فَـلأُثْنِيَـنَّ عَلَيْـهِ خَيْـراً فِـي الـوَرَىٰ ... مَـا عِشْـتُ مُـدَّةَ أَشْهُـرِيْ وَسِنِيْـنِـي
وَلأَمْنَحَـنَّ عُـلاَهُ شُكْـراً دَائِمـاً ... إِنِّـيْ بِـذَاكَ عَلَيْـهِ غَيْـرُ ضَنِيْـنِ
وَلأَسْـأَلَـنَّ اللهَ أَنْ سَيَمُـدُّهُ ... طُـوْلَ المَـدَىٰ بِـالعِـزِّ وَالتَّمْكِيْـنِ
وَاللهُ أَكْـرَمُ أَنْ يَـرُدَّ دُعَـاءَ مَـنْ ... يَـدْعُـو بِصَـالِحَـةٍ لِبَـدْرِ الـدِّيْـنِ

وأنشدني لنفسه فيه أيضًا ـ أعز الله نصره ـ: [من الكامل]

/ ١٧أ/ الصِّيْـدُ مِنْ شَبَـهٍ وَبَـدْرُ الـدِّيْـنِ فِي ... حَـالِ التَّنَـاسُـبِ عَسْجَـدٌ وَنُضَـارُ
وَإِذَا الـلآلِـيءُ وَاليَـرَامِـعُ قُـوِّمَـتْ ... لاَ بُـدَّ أَنْ تَتَبَـايَـنَ الأَسْعَـارُ(١)

وأنشدني فيه أيضًا لنفسه ـ أوضح الله برهانه ـ: [من الكامل]

بِـأَبِـيْ الفَضَـائِـلِ عُـذْتُ فِـي زَمَنِـيْ فَهَـا ... أَنَـا قَـدْ أَمِنْـتُ لَـدَيْـهِ كُـلَّ مَخُـوفِ
فَكَـأَنَّ بَـدْرَ الـدِّيْـنِ أَهْـلٌ فِـي العُـلاَ ... لإِغَـاثَـةِ المَكْـرُوْبِ وَالمَلْهُـوْفِ
يَـا أَفْخَـرَ الـدُّرِّ الثَّمِيْـنِ وَمَـنْ بِـهِ ... أَضْحَـىٰ ٱفْتِخَـارُ قَـلاَئِـدٍ وَشُنُـوْفِ
هَـلْ يَفْخَـرُ الإِكْلِيْـلُ وَهْـوَ مُجَـوْهَـرٌ ... يَـوْمـاً بِمِثْـلِ اللُّـؤْلُـؤِ المَـرْصُـوْفِ

وأنشدني لنفسه فيه أيضًا ـ أدام الله سلطانه ـ من جملة أبيات: [من الطويل]

مَـدَائِـحُ بَـدْرِ الـدِّيْـنِ فَـرْضٌ عَلَـىٰ الـوَرَىٰ ... فَمَـنْ لَـمْ يَفُـهْ بِـالمَـدْحِ فِيْـهِ فَمُلْحِـدُ
فَهَـذَا نَبِـيُّ المَكْـرُمَـاتِ وَقَبْلَـهُ ... أَتَـانَـا نَبِـيُّ البَيِّنَـاتِ مُحَمَّـدُ

«صلىٰ الله عليه وسلم».

(١) اليرامع: الحصى.

وأنشدني لنفسه فيه أيضًا، وعمل ذلك بديهًا، يوم الميلاد: [من الكامل]

/١٧ب/ لأبي الفضائل لا عدته سعادةٌ … في كل يوم فرحةٌ وسرورُ
ملكٌ على أيام دولة ملكه … لا دكن ساطعةً عليها نورُ

وأنشدني لنفسه فيه أيضًا ـ ثبّت الله دولته ـ: [من البسيط]

أبو الفضائل بدر الدين أشرف من … سعى على الأرض من حافٍ ومنتعلِ
يمّمته آملاً منه عوارفه … فنلت منه ندًى أربى على أملي
فمن لشكري فيه أن يقوم بما … أولى وإن كنت بالشكر الجميل ملي
فيا له من مليك ساد سائر أمـ … ـلاك البرية في قولٍ وفي عملِ
فالله يحرسه من كل حادثةٍ … ما غرّدت في الضحى ورقاء في الأصل(١)

وأنشدني لنفسه يمدح الصاحب الوزير شرف الدين أبا البركات المبارك بن أحمد المستوفي ـ رحمه الله تعالى ـ: [من البسيط]

أنكرت ما بي ولكن دمعي اعترفا … إذ خان صبري وطرفي بالدموع وفى
فرحت إذ أظهرت سرّي الدموع أخا … تهتّك في الهوى مستهترًا كلفا
إني لأستعذب التعذيب من قمرٍ … لم يعره النقص في حسن ولا انكسفا
/١٨أ/ ريمٌ رنا فرمى عن قوس حاجبه … سهمًا فصادف أحشائي لها هدفا
فيا له يوسفيّ الحسن حاز من الـ … ـجمال أنواعه واستكمل الطرفا
لدن المعاطف مثل الغصن قامته … لكن على عاشقيه قلّما انعطفا
عذب الرضاب شهيّ الريق يحسبه … الصهباء والشهد طعمًا من له رشفا
قويم قدٍّ إذا ما ماس من هيفٍ … يعلّم اللدن الخطّيّة الهيفا
أنكرته ما ألاقي من محبته … فقال: أنكرت من بالحال قد عرفا
ستقرع السنّ إذ أنكرت حبك لي … على الذي أنت راجٍ في الهوى أسفا
وسوف تصبح إذ رمت الشفاء من الـ … ـغرام بي بعد ذا الإنكار حلف شفا
فقلت أترك حبًّا أنت تملكني … به وأمدح خير العالم الشرفا

---

(١) الأصْل: جمع أصيل وهو وقت العصر.

أَعْنِي أَبَا البَرَكَاتِ الأَرْيَحِيَّ وَمَنْ ... بِجُودِهِ الغَمْرِ كُلٌّ رَاحَ مُغْتَرِفَا
خَيْرُ الوَرَى المَاجِدُ المَأْمُولُ وَالنَّدِسُ الـ ... ـذِي حَوَى العِزَّ فِي الأَيَّامِ و.... (١)
مُمَجَّداً مِنْ أُنَاسٍ فِي العُلاَ لَزِمُوا ... لِغَامِرِ الجُودِ فِي بَذْلِ النَّدَى السَّرَفَا
إِذَا نَزَلْتَ بِهِمْ يَوْماً لِحَادِثَةٍ ... عَرَتْكَ أَلْفَيْتَ مِنْهُمْ سَادَةً رُؤَفَا
قَوْمٌ مَنَاقِبُهُمْ مِثْلُ النُّجُومِ وَقَدْ ... حَبَاهُمُ اللهُ مِنْهُ الفَخْرَ وَالأَنَفَا
إِذَا جَرَى ذِكْرُهُمْ فِي مَحْفِلٍ فَغَمَ الـ ... ـعَبِيرُ أُدْخِلْتَ فِيهِ رَوْضَةً أُنُفَا(٢)
/١٨ب/ تَبَارَكَ اللهُ مَا أَجْرَاهُمُ سَبَقًا ... إِلَى المَعَالِي إِذَا مَا غَيْرُهُمْ وَقَفَا
هُمْ أَنْجُمٌ وَابْنُ مَوْهُوبٍ سُهَيْلُهُمُ الـ ... ـذِي لِنَاظِرِ شَانِيهِمْ قَدِ اخْتَطَفَا
كَرِيمُ قَوْمٍ إِذَا عُدَّ الكِرَامُ غَدَا ... أَمَامَهُمْ إِثْرَهُ كُلٌّ تَلاَ وَقَفَا
فِيهِ يُجَمَّعُ مَا فِي النَّاسِ مُفْتَرِقٌ ... فَأَيُّ وَصْفٍ جَمِيلٍ مَا بِهِ وُصِفَا

وأنشدني قوله يهجو أمراء إربل: [من الكامل]

أُمَرَاءُ إِرْبِلَ كُلُّهُمْ نَسَقٌ ... مَا فِيهِمُ مَنْ عِنْدَهُ كَرَمُ
قَصُرَتْ بِهِ عَمَّا يَطُولُ إِلَى ... كَسْبِ الثَّنَاءِ بِمِثْلِهِ الهِمَمُ
وَتَكَادُ لَوْ قُطِعَتْ أَنَامِلُهُمْ ... مِنْ شُحِّهَا أَنْ لاَ يَشُحَّ دَمُ

وأنشدني لنفسه في الأمير عز الدين محمد بن بدر الحميدي الكردي:

[من البسيط]

مَنْ مُبْلِغٌ لابْنِ بَدْرٍ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ ... عَنِّي مَقَالَةَ مَشْهُورٍ مِنَ الدُّوَلِ
أَنْفَقْتُ مِنْ عُمُرِي فِي غَيْرِ فَائِدَةٍ ... يَوْماً بِبَابِكُمُ وَاخَيْبَةَ الأَمَلِ

وأنشدني قوله: [من البسيط]

إِنَّ ابْنَ آدَمَ إِنْ أَضْحَى وَلَيْسَ لَهُ ... قُوتٌ وَأَمْسَى ضَعِيفَ البَطْشِ وَالجَلَدِ
لَلْمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ إِذْ عَيْشُهُ نَكَدٌ ... مِنَ الحَيَاةِ وَلَوْ دَامَتْ مَعَ الأَبَدِ

/١٩أ/ وأنشدني من شعره لنفسه: [من الخفيف]

يَا مَلِيكاً نَوَالُهُ يَنْشُرُ العَا ... مِي وَقَدْ كَانَ قَبْلُ عَظْماً رُفَاتَا

---

(١) النَّدِس: الفَهِم، الكَيِّس.
(٢) فَغَمَ: ملأ خياشيمه.

شَرَفُ الدِّيْنِ بَحْرُ نُعْمَاكَ أَضْحَىٰ لِجَمِيْعِ الوُرَّادِ عَذْبًا فُرَاتَا
أَنَا مَيْتٌ وَأَنْتَ عِيْسَىٰ وَمِنْ مُعْـ ـجِزِ عِيْسَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الأَمْوَاتَا

وأنشدني لنفسه ملغزاً، في فص النرد: [من البسيط]

وَأَسْمَرَ الجِسْمِ غَرَّارٍ يُهَامُ بِهِ مُسَدَّسِ الشَّكْلِ فِيْهِ النَّفْعُ وَالضَّرَرُ
أَفْعَالُهُ قَدَرِيَّاتٌ فَصَاحِبُهُ لَمْ يُنْجِهِ مِنْهُ فِي تَصْرِيْفِهِ القَدَرُ

وأنشدني لنفسه أيضًا: [من البسيط]

وَقَائِلٍ قُمْ إِلَىٰ رِزْقٍ تُحَصِّلُهُ فَقُلْتُ دَعْنِيْ فَإِنَّ الرِّزْقَ مَقْسُوْمُ
مَا كَانَ لِيْ سَوْفَ يَأْتِيْنِيْ فَمَا لِيَ وَالْـ ـحِرْصِ الَّذِيْ هُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَذْمُوْمُ

[٧٤٤]

مُحَمَّدُ بنُ يحيىٰ بنِ الفضل بن يحيىٰ بن عبد الله بن القاسم بنِ المظفر بنِ عليٍّ، أبو حامِدِ بنِ أبي طاهرٍ الشهرزوريُّ الموصليُّ(١).

أخبرني أنه؛ ولد ثامن عشر شهر رمضان / ١٩ب/ سنة تسعين وخمسمائة. من أبناء القُضاة المشهورين. وكان والدهُ قاضي الجزيرة العُمرية.

وهم أهل بيت أشهر من أنْ ينبّه علىٰ محله في الجلالة والمكانة في العلم والجاه، وانتشر ذكرهم في الأقطار.

وأبو حامد تفقّه علىٰ مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ بالموصل وبغداد، ونظم شعراً كثيراً، فأجاد وأحسن. مدح الرؤساء والأمراء والملوك، وهو شاب جميل له رواء ومنظر، يتزيّا بزيّ الجند؛ فيه لَطافة، لقيته بمدينة السلام، متوجهًا [إلىٰ] بيت الله الحرام ـ حرسه الله تعالىٰ ـ سنة اثنتين وعشرين وستمائة.

أنشدني لنفسه، ما كتبه إلىٰ المولىٰ الملك الرحيم، بدر الدنيا والدين، عضد الإسلام والمسلمين، نصير أمير المؤمنين ـ أدام الله سُلطانه ـ: [من الوافر]

---

(١) في هامش الأصل: «محيي الدين بن تاج الدين». وهو من أسرة منها: (محمد بن الحسن بن عبد القاهر . . .) المترجم برقم ٧٤٢.

أَلَا يَا مَالِكًا عُمْرَ البَرَايَا ... بِسَيْبِ نَوَالِهِ الجَمِّ الغَفِيرِ
أَتَيْتُكَ مُسْتَجِيرًا بَعْدَ ضُرٍّ ... فَهَلْ لَكَ فِي إِجَارَةِ مُسْتَجِيرِ
عَدَدْتُكَ لِلنَّوَائِبِ خَيْرَ ذُخْرٍ ... وَهَا أَنَا فِي يَدَيْهَا كَالأَسِيرِ
فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ إِنِّي ... عَلَى أَعْدَاكَ كَاللَّيْثِ الهَصُورِ
/ ٢٠أ/ وَسَوْفَ أُصَدِّقُ الدَّعْوَى بِيَوْمٍ ... عَبُوسٍ فِي الكَرِيهَةِ قَمْطَرِيرِ
وَلَيْسَ يَطُولُ لِلإِنْسَانِ ذَيْلٌ ... إِذَا مَا خَافَ مِنْ أَجَلٍ قَصِيرِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الوافر]

وَلَيْلَةَ أَقْبَلَتْ كَالبَدْرِ نَشْوَى ... يُمَيِّلُ عِطْفَهَا مُرُّ الرِّيَاحِ
تُعَاطِيْنِي كُؤُوسَ الثَّغْرِ لَمَّا ... حَمَاهَا الثَّغْرُ بِالبِيْضِ الصِّفَاحِ
فَأَرْشُفُ مِنْ مَرَاشِفِهَا الحُمَيَّا ... وَأَلْثُمُ مِنْ مُلَثَّمِهَا الأَقَاحِي
وَجَيْشُ اللَّيْلِ مَهْزُومٌ وَأَيْدِي ... كَوَاكِبِهِ تُطَرِّقُ لِلصَّبَاحِ
يَقُومُ الدِّيكُ كَالنَّشْوَانِ فِيهَا ... لِيُوقِظَنَا بِتَصْفِيقِ الجَنَاحِ
يُنَادِي لِلصَّبَاحِ إِذَا غَفَلْنَا ... عَنِ الأَقْدَاحِ: حَيَّ عَلَى الفَلَاحِ
فَنَبْتَكِرُ السُّلَافَ بِكَفِّ بِكْرٍ ... مُهَفْهَفَةٍ مَعَاطِفُهَا رَدَاحِ
عَلَى وَرْدٍ مِنَ الوَجَنَاتِ غَضٍّ ... وَرَيْحَانٍ بِهِ تَعَبِي وَرَاحِي
وَنَشْرٍ مِنْ كَمَالِ الدِّينِ هَبَّتْ ... بِهِ كَالمِسْكِ أَنْفَاسُ الرِّيَاحِ
أَبِي الكَرَمِ الَّذِي لَوْلَا نَدَاهُ ... لَمَا ظَفِرَ العُفَاةُ بِمُسْتَبَاحِ
مُحَمَّدٍ الرَّسُولِ إِلَى البَرَايَا ... بِآيَاتِ المَكَارِمِ وَالسَّمَاحِ

[٧٤٥]

مُحَمَّدُ بنُ عبد اللطيف / ٢٠ب/ بن أبي الفتحِ بنِ أبي نصرٍ، أبو عبد الله التبريزيُّ(١).

ويكتب في نسبته النثري؛ لتعاطيه نوع المنثور، دون المنظوم.

أخبرني، أنه ولد سنة أربع وسبعين وخمسمائة، بتبريز. وشدا طرفًا من العلم في

(١) ستأتي هذه الترجمة مكررة في الورقة ١٩١أ من هذا الجزء برقم ٨٢٤.

صباه، واعتنىٰ بصناعة النثر، وتعاطي الكلام المسجوع والقرائن، وكان يتبعُ الكلمة بما وازنها ويلحقها بأختها، تشبهًا بطريقة وطواط الكاتب، فيما ينشئه، غير أنَّه يبين فيه تكلّف وركاكة، للزومه الأسلوب الذي يتوخّاه.

وله شعر بارد، وكان ذا هوس شديد في الطِّلّسمات والنجوم، ونزل الموصل، وسكنها مدة طويلة، وانضاف إلىٰ خدمة المولىٰ المالك، الملك الرحيم بدر الدين أبي الفضائل ـ ضاعف الله جلاله ـ وصار أحد ندمائه، وأجرىٰ عليه رزقًا.

ثم سافر إلىٰ بلاد الشام، وعاود الموصل، فمكث بها أشهراً، وتوفي في ربيع الأول سنة ثماني وعشرين وستمائة.

أنشدني لنفسه، يمدح المولىٰ المالك، الملك الرحيم، بدر الدنيا والدين، عضد الإسلام والمسلمين، نصير أمير المؤمنين ـ أعزّ الله أنصاره ـ: [من الطويل]

نَسِيْمَ الصَّبَا عُجْ بالخِيَامِ رَسُوْلَا ... تَجِدْ عِنْدَهَا بَرْدَ الحَيَاةِ وَسُوْلَا
/ ٢١أ/ وَحَيِّ مَلِيْكَ الأَرْضِ تَحْظَ بِقُرْبِهِ ... تَنَلْ غُرَراً مِنْ جُوْدِهِ وَحُجُوْلَا
تَأَنَّ إِذَا بَادَرْتَ نَحْوَ جَنَابِهِ ... وَعَرِّجْ بِرِفْقٍ لَا يَرَاكَ عَجُوْلَا
فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَعْتَضِدْ بِجَلَالِهِ ... أَفَادَكَ شَوْبُ الحَادِثَاتِ ذُبُوْلَا
وَجَانِبْ مُلُوْكَ الأَرْضِ عِنْدَ لِقَائِهِ ... فَأَخْلَاقُهُ لِلْمَكْرُمَاتِ هَيُوْلَىٰ
تَرَ العَدْلَ وَالإِحْسَانَ وَالعِزَّ وَالعُلَا ... جَنَائِبَهُ فِي سَيْرِهِ وَخُيُوْلَا
مَلِيْكٌ إِذَا مَا جِئْتَ تَطْلُبُ رِفْدَهُ ... أَفَاضَ مِنَ النُّعْمَىٰ عَلَيْكَ سُيُوْلَا
مِنَ النَّفَرِ البِيْضِ الَّذِيْنَ بِرَأْيِهِمْ ... يَجُرُّوْنَ فَوْقَ الكَائِنَاتِ ذُيُوْلَا
هُوَ البَدْرُ وَالعَلْيَاءُ تَحْوِيْ مَنَازِلًا ... وَجُنَّتُهُ فِيْهَا تَحُلُّ حُلُوْلَا
أَرَى الدهرَ لَمَّا أَنْ أَرَانَا بِعَادَهُ ... أَحَلَّ بِنَا رَيْبُ الزَّمَانِ غُلُوْلَا
فَصِرْنَا فُرُوْعًا لَا بَقَاءَ لِذَاتِنَا ... لِقُضْبَانِ بَانٍ قَدْ فَقَدْنَ أُصُوْلَا
أَلَا بُحْ بِأَشْوَاقِيْ وَكَرِّرْ مَدَائِحِيْ ... وَبَلِّغْ دُعَائِيْ دَائِمًا وَنُصُولا
فَلَوْ سَامَحَ الدَّهْرُ الخَؤُوْنُ بِنَظْرَةٍ ... وَصَلْتُ إِلَىٰ ذَاكَ الجَنَابِ وُصُوْلَا
وَهَنَّيْتَ مَوْلَى العَالَمِيْنَ مُبَشِّراً ... بِفَتْحٍ جَدِيْدٍ أَوْ لَكُنْتُ أُصُوْلَا

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من السريع]

مَـا لَـكَ لَا تَبْكِـيْ بِـدَمْـعٍ هَتُـوْنْ قَـدْ كَسَـرَ المَـوْتُ مُتُـونَ المَنُـوْنْ
/ ٢١ب/ إِذْ قَـالَ جِبْرِيْـلُ وَهُـمْ صَامِتُـوْنْ إِنَّـكَ مَيِّـتٌ وَهُـمْ مَيِّتُـوْنْ

[٧٤٦]

مُحَمَّدُ بنُ يوسفَ بن مسعود بن بركةَ بن سالم بن عبد الله بن جساس بن قيس بنَ مسعودَ بنَ مُحَمَّد بَن خالَد بَن مُحَمَّدَ بنَ خالد بَن يزيدَ بنَ خَريد بن زائدةَ بن مطرَ بنَ شريك بَن عمروَ بنَ قيسَ بنَ شراحيلَ بن همام بن مُرّةَ بن ذُهلَ بن شَيبانَ، أبوَ عبدِ الله بَنُ أَبي المحاسنِ الشيبانيُّ التَّلْعفَريُّ الموصليُّ(١).

أخبرني، أنه ولد في خامس عشري جمادى الآخرة، سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بالموصل. وكان أبوه شاعراً من أهل تلعفر(٢).

ومحمد هذا، شاب أسمر لطيف الخلقة مكتنز، بذيء اللسان، بهيّ الشعر، مدّاح هجّاء. له هجاء شنيع، لم يسلم منه أحد، وله في كل صنف من المنظوم: كالموشح، والدوبيت، والمواليا، والرجز، والمزدوج، وكان وكان؛ وغير ذلك، إلاّ أنّهُ غير مرضي الطريقة؛ بتبذّله وانهماكه في الشرب، والتظاهر بالخلاعة، والتهتك والفسق والقمار والسـرقـة، وأشيـاء ممـا تقـارب هـذه الأشيـاء المنكـرة التـي لا تليـق بـذوي

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٥/ ٢٢٥ ـ ٢٦٣ رقم ٢٣٣٧، وفيه: «توفي سنة خمس وسبعين وستمائة». فوات الوفيات ٢/ ٥٤٦ ـ ٥٥٥. بروكلمان ـ الذيل ١/ ٤٥٨. شذرات الذهب ٥/ ٣٤٩. النجوم الزاهرة ٧/ ٢٥٥. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٧١ ـ ٦٨٠) ص٢٠٣ ـ ٢٠٥ رقم ٢٥١. المختصر في أخبار البشر ٤/ ١٠. عيون التواريخ ٢١/ ١٢١ ـ ١٢٧. المقفى الكبير ٧/ ٥١٥ رقم ٣٦١٦. تالي وفيات الأعيان ١٤١ ـ ١٤٢ رقم ٢٢٦. الدرة الزكية ٢٧٩. العبر ٥/ ٣٠٦. البداية والنهاية ١٣/ ٢٧٢. تاريخ الملك الظاهر ٢١٤ ـ ٢١٧. تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٢٤. عقد الجمان ٢/ ١٦٩ ـ ١٧٠. الفلاكة والمفلوكين ٩٥. السلوك ج١ق١/ ٦٣٤. تاريخ ابن الفرات ٧/ ٧٦ ـ ٧٩. تاريخ ابن أسباط ١/ ٤٤٢. ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢١٨ ـ ٢٢٨. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٦٧. ديوان الإسلام ٢/ ٣٥ رقم ٦١٢. الأعلام ٧/ ١٥١. كشف الظنون ٧٨٠. معجم المؤلفين ١٢/ ١٣٨. هدية العارفين ٢/ ١٣٢.
له ديوان شعر مطبوع مراراً.

(٢) ترجم له المؤلف في الجزء العاشر برقم ٩٩٢.

الفضل والأدب فهي التي / ٢٢أ/ أهبطته وأسقطته في أعين الناس.

أنشدني لنفسه يمدح المولىٰ المالك العالم العادل المؤيد الملك الرحيم، بدر الدنيا والدين، عضد الإسلام والمسلمين أتابك طغرل تكين أبا الفضل غرس أمير المؤمنين ـ خلّد الله دولته ـ وأنشده إياها بظاهر الموصل، في الجوسق المعمور ببستانه، وذلك في سنة تسع وعشرين وستمائة: [من الخفيف]

لاَ تَلُمْهُ عَلَىٰ الهَوَىٰ فَافْتِضَاحُهْ ... صَوْنُهُ فِيهِ والفَسَادُ صَلاَحُهْ
كُلُّكُمْ مَعْشَرَ العَوَاذِلِ فِي نَهْـ ... ـجِ عَلَىٰ العَاشِقِينَ ضَاقَ انْفِسَاحُهْ
خُنْتُمُ المُسْتَهَامَ ظُلْماً وَجُرْتُمْ ... وَزَعَمْتُمْ بِأَنَّكُمْ نُصَّاحُهْ
عَذُبَتْ طِيبَةً مُطَارَحَةُ العِشْـ ... ـقِ فَصَعْبٌ عَلَىٰ المُحِبِّ اطِّرَاحُهْ
وَقَلِيلٌ إِلَىٰ مُوَاسِمِهِ بَالـ ... ـعَيْنِ مِنْهُ غُدُوُّهُ وَرَوَاحُهْ
يَا خَلِيلَيَّ سِرْ بِي مَتَىٰ مَا تَبَدَّتْ ... لُمَعٌ مِنْهُ هَانَ لِي إِيضَاحُهْ
سَلْ نَسِيمَ الصَّبَا إِذَا رِيضَ فِي مِسْـ ... ـكِيِّ رَوْضِ الحِمَىٰ الأَرِيضِ جِمَاحُهْ
أَلرَّيَّا هَذَا الَّذِي فِيهِ مِنْ رَيَّـ ... ـا أَمِ الزَّهْرُ فَتَّحَتْهُ رِيَاحُهْ
جَادَهُ طَيِّبٌ مِنَ المُزْنِ يَحكِي ... صَوْبُهُ دَمْعَ مُقْلَتِي وَانْسِفَاحُهْ
وَرَعَىٰ اللهُ عَهْدَ ذَاتِ جَمَالٍ ... جَالَ فِي كَشْحِهَا الهَضِيمِ وُشَاحُهْ
/ ٢٢ب/ غَادَةٌ خَالُ خَدِّهَا أَيْنَ لَثْمِيـ ... ـهِ مِنْهُ فِي خَدِّهَا وَأَيْنَ امْسَاحُهْ
شَعْرُهَا وَالظَّلاَمُ مِنْهُ كُسَىٰ جِسْـ ... ـمِي سَقَاماً أَمْ وَجْهُهَا وَصَبَاحُهْ
رَبَّةَ المَبْسِمِ الَّذِي رَاحَةُ الأَرْ ... وَاحِ فِي أَنْ تُرِيحَهَا مِنْهُ رَاحُهْ
هَبْكِ بِالوَصْلِ تَبْخَلِينَ وَشَرْطُ الـ ... ـحُبِّ أَنْ تَهْجُرَ السَّمَاحَ مِلاَحُهْ
أَجُنَاحٌ عَلَىٰ الخَيَالِ إِذَا مَا ... زَارَ وَهْناً وَاللَّيْلُ وَحْفٌ جَنَاحُهْ
أَرْسِلِيهِ فَوَانْعِطَافَكِ لاَ رِيْـ ... ـعَ بِرُعْبٍ وَمُقْلَتَاكِ سِلاَحُهْ
وَاسْأَلِيهِ يُجِبْكِ كَيْفَ رُقَادِي ... فَلَقَدْ طَالَ عَنْ جُفُونِيَ انْتِزَاحُهْ
حَسْبُ قَلْبِيَ بِأَنَّهُ بِالأَسَىٰ قَدْ ... أَعْجَزَتْ فِيكِ كُلَّ آسٍ جِرَاحُهْ
وَفُؤَادِي بِأَنَّهُ جَدَّ فِيهِ الـ ... ـوَجْدُ لَمَّا جَنَاهُ مِنْهُ مُزَاحُهْ
لَكِ مِنِّيَ الهَوَىٰ الَّذِي رَاقَ حُسْناً ... وَلِبَدْرِ الدِّينِ الرَّحِيمِ امْتِدَاحُهْ
مَلِكٌ فَاتِكٌ جَوَادٌ لِمَنْ زَا ... غَ وَمَنْ زَارَ بَأْسُهُ وَسَمَاحُهْ

بـالمَعَـالـي ارْتـداؤُهُ فَلَـهُ اللّـ ــه نَصيرٌ وَبالفَخَارِ اتِّشَاحُهْ
ضَمِنَتْ كَفُّهُ الأَمَانِيْ وَقَالَتْ لِلبَرَايَا: العَافِي عَلَيَّ نَجَاحُهْ
أيُّ بَابٍ للرِّزْقِ أغْلَقَهُ الدَّهْـ ـرُ وَمَا كَانَ عِنْدَهُ مِفْتَاحُهْ
كُلَّمَا قَلَّ مَالُهُ بِالعَطَايَا زَادَ مِنْ صَدْرِهِ الرَّحِيبِ انْشِرَاحُهْ
/ ٢٣أ/ وَلَعَمْرِي أبُو الفَضَائِلِ مَا يَذْخَرُ مَالاً صَانَ العُلاَ مُسْتَبَاحُهْ
غَيْثُ جَدْبٍ يُسْدِي الأَيَادِيْ نَدَاهُ لَيْثُ حَرْبٍ يُرْدِي الأَعَادِيْ كِفَاحُهْ
مَا دَجَا لَيْلُ عِثْيَرِ النَّقْعِ إلاَّ وَأضَاءَتْ سُيُوفُهُ وَرِمَاحُهْ
نُشِرَ الجُودُ عَنْهُ نَشْرَ ثَنَاءٍ أرَّجَ الأرْضَ بِالشَّذَا نَفَّاحُهْ
فَاللَّيَالِيْ وَالإنْسُ وَالجِنُّ وَالطَّيْـ ـرُ مَعَ الوَحْشِ كُلُّهُمْ مُدَّاحُهْ
لَمْ يُدَبِّرْ تَدْبِيرَهُ المُلْكَ لاَ مَنْـ ـصُورُهُ قَبْلَهُ وَلاَ سَفَّاحُهْ
مُسْتَهَامٌ بِالبِرِّ مَا ألِفَتْ غَيْـ ـرَ شَتَاتِ الكُنُوزِ بِالبَذْلِ رَاحُهْ
فَإذَا لاَمَهُ عَلَى الرِّفْدِ لاحٍ زَادَ فِي بَذْلِهِ اللُّهَى إلْحَاحُهْ
مَكْرُمَاتٌ قَلْبُ المَآثِرِ وَالمَجْـ ـدِ بِهَا اليَوْمَ جَمَّةٌ أفْرَاحُهْ
مَلَكَ الأرْضَ دَعْوَةً مَنْ وَلِيٍّ لاحَ لَمَّا إلَيْكَ مَالَ فَلاَحُهْ
لَوْ رَأى الجَوْهَرِيُّ أشْعَارَهُ فِيْـ ـكَ لَكَانَتْ قَدْ أوْدَعَتْهَا صِحَاحُهْ
عَلَّمَتْنِي صِفَاتُكَ الشِّعْرَ حَتَّى عَذُبَتْ رَاحُهُ وَرَاقَ قَرَاحُهْ
فَرَفَضْتُ العُلاَ وَلاَ كُنْتُ يَوْمَ الْـ ـفَضْلِ مِمَّنْ يُبِيْنُهُ فُصَّاحُهْ
إنْ حَبَسْتُ الثَّنَاءَ عَنْكَ إلَى حِيْـ ـنَ أرَى جِسْمِيَ الرَّدَى يَجْتَاحُهْ
جُدْتَ لِي بِالنَّوَالِ عَفْواً وَإحْسَا نُكَ كَمْ عَمَّ آمِلاً سَحَّاحُهْ
/ ٢٣ب/ دُمْتَ لِلْمُلْكِ مَا تَغَنَّتْ مِنَ الطَّيْـ ـرِ عَلَى الدَّوْحِ عُجْمُهُ وَفِصَاحُهْ
فِي سُرُورٍ قَدْ قَارَنَتْ غُرَراً تُشْـ ـرِقُ مِنْهُ طُولَ المَدَى أوْضَاحُهْ

وأنشدني لنفسه أيضًا، يمدح الصاحب الوزير شرف الدين أبا البركات المستوفي بإربل ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: [من الكامل]

لَوْ كَانَ طَيْفُكَ زَائِرِي يَا هَاجِرِي مَا أسْبَلَتْ صَوْبَ الدُّمُوعِ مَحَاجِرِي
لَكِنْ غَرَامِي طَالَ فِيكَ وَإنَّهُ لَمَّا رَأيْتُكَ رَبَّ طَرْفٍ قَاصِرِ
يَا مَالِكاً رِقَّ القُلُوبِ وَبَاسِطاً فِيهَا ظُلاَمَةَ حَاجِبٍ أوْ نَاظِرِ

عَجَبِي لِقَدِّكَ كَيْفَ أَصْبَحَ عَادِلاً ... مِنْ تَحتِ طَرْفِكَ وَهْوَ أَفْتَكُ جَائِرِ
مَنْ لِلمُقَيَّدِ فِي هَوَاكَ وَوَجْدُهُ ... مُتَرَادِفٌ مِنْ هَجْرِكَ المُتَوَاتِرِ
لَوْ لَمْ تَتِهْ عُجُبًا بِحُسْنٍ كَامِلٍ ... مَا بِتُّ فِيكَ حَلِيفَ حُزْنٍ نَافِرِ
أَنْتَ المُعِزُّ لِمَنْ تَشَاءُ وَهَا أَنَا الْـ ... ـمَشْغُوفُ مِنْكَ بِحَاكِمٍ وَبِآمِرِ
أَرْسَلْتَ صُدْغَكَ آيَةً ثُعْبَانُهُ ... فِي فَتْرَةِ الجَفْنِ الأَغَنِّ السَّاحِرِ
صُوِّرْتَ لِي صَنَمًا فَزَادَ ضَلاَلَتِي ... لَمَّا عَكَفْتُ عَلَيْهِ لَهْوَ السَّامِرِيْ
لَوْ لَمْ أَرُحْ وَأَنَا المُطِيعُ لِلَوْعَةٍ ... أَضْرَمْتَهَا لأَخَذْتُ أَخْذَ القَادِرِ
/ ٢٤أ/ وَرُضَابُ ثَغْرِكَ وَهْيَ أَيُّ أَلِيَّةٍ ... مِيْنِي بِهَا وَأَعُوذُ مِنْهُ ضَائِرِيْ
إِنَّ الَّذِيْ عَاهَدْتَهُ وَعَهِدْتَهُ ... مِنِّي لَذُوْ صِدْقٍ وَسُقْمٍ ظَاهِرِ
أَتْهَمْتَ إِذْ أَتْهَمْتَ قَلْبِيْ بِالقِلَى ... فَهَدَمْتَ مِنْهُ أَخًا الغَرَامِ العَامِرِيْ
أَيَجُوزُ عِنْدَكَ نَهْرُ سَائِلِ مَدْمَعِيْ ... جَارٍ عَلَى رَسْمِ الخُدُوْدِ الدَّاثِرِ
حَتَّى مَ تُصْبِحُ فِي وِصَالِي زَاهِدًا ... وَأَبِيتُ فِي وَلَهٍ لِعَيْنَيْ فَاجِرِ
أَصْبُو إِلَى رِيقٍ بِثَغْرِكَ بَارِدٍ ... وَأَخَافُ مِنْ لَحْظٍ بِطَرْفِكَ فَاتِرِ
وَمِنَ البَلِيَّةِ لَوْمُ ذِي لُؤْمٍ لَحَا ... . وَعَذَارُ خَدِّكَ عَاذِرِيْ
مَاذَا عَلَيْهِ وَقَدْ رَآنِي رَاضِيًا ... بِالعُذْرِ مِنْكَ وَمِنْهُ شَيْبُ غَدَائِرِيْ
يَا سَاكِبًا مِنِّي السَّوَادَ وَهَادِمًا ... رُكْنِي اتَّئِدْ إِنَّ ابنَ أَحْمَدَ نَاصِرِيْ
شَرَفُ الوَرَى وَالدِّيْنِ وَالبَانِيْ العُلاَ ... المُطْرَى بِجُوْدٍ كَالسَّحَابِ المَاطِرِ
صَدْرٌ يُحَدِّثُ مُوْرِدًا سَيْرَ العُلاَ ... وَالمَجْدُ عَنْهُ وَارِدٌ عَنْ صَادِرِ
غَيْثُ النَّدِيِّ لِكُلِّ عَاتِقٍ غَارِمٍ ... هُوَ مُعْتِقٌ بِنَدَى يَدَيْهِ الغَامِرِ
يَا بَاغِيَ العَلْمِ المَصُوْنِ وَخَائِفًا ... بَاغِيْ العِدَا مِنْ كُلِّ ضَارٍ ضَائِرِ
يَمِّمْ أَبَا البَرَكَاتِ تَظْفَرْ عِنْدَهُ ... بِالفَضْلِ بَلْ بِمَضَاءِ جَدٍّ قَاهِرِ
لَوْلاَهُ كَانَ الدَّهْرُ أَفْرَغَ فَارِغٍ ... لَكِنْ غَدَا بِثَنَاهُ أَفْغَرَ فَاغِرِ
/ ٢٤ب/ وَمِنَ الفَرِيضَةِ شُكْرُ أَهْجَرَ هَاجِرٍ ... لِخَنًا وَبِالإِحْسَانِ أَجْهَرَ جَاهِرِ
مَا رَوْضَةٌ ضَحِكَتْ ثُغُورُ أَقَاحِهَا ... أُصُلاً بِدَمْعِ بُكَا السَّحَابِ البَاكِرِ
وَشَّى الرَّبِيعُ لَهَا مُفَوَّفَ حُلَّةٍ ... قَدْ رُصِّعَتْ مِنْ حَلْيِهِ بِجَوَاهِرِ
وَغَدَتْ تُلاَمِحُ زَهْرَهَا شَمْسُ الضُّحَى ... مِنْ خَلْفِ سَجْفِ الغَيْمِ بَيْنَ سَتَائِرِ

حَتَّى إذَا مَا اليَوْمُ رَقَّ رِدَاؤُهُ   وَأَنْهَارَ جُرْفُ نَهَارِهِ المُتَقَاصِرِ
بَاتَتْ خُدُودُ شَقِيقِهَا مَحْمِيَّةً   مِنْ عَيْنِ نَرْجِسِهَا بِطَرْفٍ سَاهِرِ
وَجَرَى النَّسِيمُ بِهَا تَجُرُّ عَلِيلُهُ   ذَيْلاً وَيَخْطُو فِيهِ خَطْوَ العَاثِرِ
مُتَحَمِّلاً فِي بُرْدِهِ مِنْ عَرْفِهَا   أَرَجاً يَنُمُّ عَلَى شَذَاهَا العَاطِرِ
كَثَنَا ٱبْنِ أَحْمَدَ ذِي المَكَارِمِ وَالعُلاَ   نَشْراً وَقِفْ نَسْمَعْ حَدِيثَ النَّاشِرِ
عَنْ ذِي جَبِينٍ بِالبَشَاشَةِ سَافِرٍ   طَلْقِ الضِّيَاءِ لِكُلِّ ذَنْبٍ غَافِرِ
مُتَبَرِّعٍ مُتَوَرِّعٍ فَاعْجَبْ لَهُ   مِنْ ذَاكِرٍ مَنْ لَمْ يَسَلْهُ وَشَاكِرِ
حَازَ الصِّفَاتِ فَمَا يُشَقُّ غُبَارُهُ   مَنْ فَاقَ مِنْ آتٍ وَلاَ مِنْ غَابِرِ
يَسْمُو بِهِ فِي كُلِّ يَوْمِ تَشَاجُرٍ   قَلَمٌ يَطُولُ عَلَى القَنَا المُتَشَاجِرِ
يَسْطُو إذَا مَا ثَارَ نَقْعُ مَسَائِلٍ   قَدْ أُشْكِلَتْ بِشَبَاهُ سَطْوَةَ ثَائِرِ
قَلَمٌ لِجَوْهَرِ كُلِّ مَجْدٍ حَارِزٌ   فَالدَّهْرُ مِنْهُ مُدِيرُ لَحْظِ خَازِرِ
/ ٢٥أ/ يُجْرِيهِ حُكْمُ أَغَنَّ سَامٍ دَارُهُ   عُمِرَتْ عَلَى فَلَكِ السَّمَاءِ الدَّائِرِ
سَارٍ إِلَى سِرِّ الفَخَارِ وَآسِرٌ   مَا نَدَّ مِنْ مَثَلِ العَلاَءِ السَّائِرِ
قُلْ لِلْمُثِيرِ عَجَاجَ عَجْزٍ خَلْفَهُ   وَيَرُومُ مُعْجِزَهُ بِغَيْرِ مَآثِرِ
أَيَنَالُ مَا قَدْ نَالَ أَصْلَعُ حَاسِرٌ   عَنْ سَاعِدَيْهِ وَأَنْتَ أَطْلَعُ حَاسِرِ
شَرَفَ المَعَالِي أَسْمَعْ ثَنَاءً لَمْ يَكُنْ   لَوْلاَكَ يَجْرِي خَاطِراً فِي خَاطِرِي
قَدْ كُنْتُ صُنْتُ قَصَائِدِي فِي خِدْرِهَا   فَأَبَانَهَا مَدْحُ الهِزَبْرِ الخَادِرِ
وَإِلَيْكَ أَشْكُو جَوْرَ دَهْرٍ زَائِغٍ   بِأَذَاهُ عَنْ غَيْرِي فَكَمْ هُوَ زَائِرِي
فَعَسَاكَ تُنْجِدُ رَبَّ صَبْرٍ عَابِرٍ   مِمَّا يُكَابِدُهُ وَدَمْعٍ غَائِرِ
اجْبُرْ بِصُنْعِكَ سُؤْرَ مَا أَبْقَاهُ مِنْ   عُمُرِي زَمَانٌ كَالعُقَابِ الكَاسِرِ
وَاسْعَدْ بِهَا يَا ذَا النَّدَى رَائِيَّةً   آنَسْتُ مِنْهَا كُلَّ مَعْنًى نَافِرِ
أَتْقَنْتُ مُحْكَمَهَا بِحِذْقِ صِنَاعَةٍ   مِنْ ذِي ضَمِيرٍ كَالجَوَادِ الضَّامِرِ
إِنْ قَالَ فِي هَذِي البَرِيَّةِ شَاعِرٌ   أُخْتاً لَهَا فَحُشِرْتُ مَحْشَرَ كَافِرِ
زَارَتْ عَلَى بُعْدِ المَزَارِ وَخَلْفَهَا   مِنْ فَرْطِ شَوْقِي أَيُّ حَادٍ زَاجِرِ
فَانْظُرْ لِنُظْرَتِهَا بِنَاظِرِ مُرْتَضٍ   رَاضٍ لَهَا نَظَرَ الصَّفُوحِ العَاذِرِ
لاَزِلْتَ تَبْلُغُ مَا تَرَنَّمَ طَائِرٌ   مَا شِئْتَ مِنْ أَمَلٍ بِأَيْمَنِ طَائِرِ

/ ٢٥ب/ وأنشدني أيضًا لنفسه، غزل ابتداء قصيدة[(١)]: [من الكامل]

حَتَى مَ أرْفُلُ فـي هَـواكَ وَتَغْفُلُ ... وإلى مَ أهْزُلُ مِـنْ جَفَـاكَ وَتَهْـزَلُ
يَـا مُضْـرِمـًا بِصُـدُوْده فـي مُهْجَتِـي ... حُرَقـًا يكَـادُ لَهُـنَّ يَـذْبُـلُ يَـذْبُـلُ[(٢)]
القَلْـبُ دَلَّ عَلَيْـكَ أنَّـكَ فَـي الـدُّجَـى ... قَمَـرُ السَّمَـاء لَـهُ لأنَّـكَ مَنْـزِلُ
هَـبْ أنَّ خَـدَّكَ قَـد أُصِيْـبَ بِعَـارِضٍ ... مَـا نَـال صُـدْغَـكَ رَاحَ وَهْـوَ مُسَلْسَلُ
قَسَمـًا بِحَـاجِبِـكَ الَّـذي لَـمْ يَنْعَقِـدْ ... إلاَّ أرَانَـا السَّبْـيَ وَهْـوَ مُحَلَّـلُ
وَبِمَـاءِ ثَغْـرِكَ مِـنْ سُـلاَفَـةِ رِيْقِـهِ ... عَـذُبَـتْ فَقِيْـلَ هُـوَ الـرَّحِيْـقُ السَّلْسَلُ
لَـوْلاَ مُقَبَّلُـكَ المُنَظَّـمُ عِقْـدُهُ ... مَـا بَـاتَ مَـنْ يَهْـوَاكَ وَهْـوَ مُقَبَّـلُ
حُـزْنِـي وَحُسْنُـكَ إن لغـا مَـنْ لاَمَنِـي ... وَنَحُـوت هجـري مُجْمَـلٌ وَمُفَصَّـلُ
لَـوْ كُنْـتَ فـي شَـرْعِ المَحَبَّـةِ عَـادِلاً ... يَـا ظَـالِمِـيْ مَـا كُنْـتَ عَنِّـيْ تَعْـدِلُ
أُلْحَـى عَلَيْـكَ وَلَـوْ دَرَى بِصَبَـابَتِـي ... لأَرَاحَنِـيْ مِـنْ لَـوْمِـهِ مَـنْ يَعْـذَلُ
أَوَمَـا العَجِيْـبُ أَنَّ دَمْعِـي مُعْـرِبٌ ... عَـنْ سِـرِّ مَـا أُخْفِيْـهِ وَهْـوَ المُهْمَـلُ
أَضْحَـى وَيَـا لَـكَ مِـنْ بَـلاَءٍ هَـاتِكـًا ... سِـرَّ الهَـوَى وَعَلَيْـهِ أَصْبَـحَ يُسْبَـلُ
يَـا آمِـرِيْ بِسُلُـوِّهِ لِيَغُـرَّنِـي ... إنَّ السُّلُـوَّ كَمَـا تَقُـوْلُ لأَجْمَـلُ
/ ٢٦أ/ لَكِـنْ يَعِـزُّ خَـلاَصُ قَلْـبٍ مُتَيَّـمٍ ... تَـرَكَتْـهُ أيْـدِي الهَجْـرِ وَهْـوَ مُبَلْبَلُ
هَيْهَـاتَ كَـلاَّ لاَ نَجَـاةَ لِمَـنْ غَـدَا ... مِـنْ جِسْمِـهِ فِـي كُـلِّ عُضْـوٍ مَقْتَـلُ

وأنشدني لنفسه في الملك الأشرف مظفر الدين، وكان معه في الخيمة، بحباب التركمان بين حماة وحلب، عند رجوعه من جهاده، وقد لسعته عقرب في كفّه، فأنشأ ارتجالاً: [من السريع]

يَـا مَلِـكَ الأَرْضِ وَكَهْـفَ الـوَرَى ... وَمَـنْ إلَـى سَـاحَتِـهِ المَهْـرَبُ
مَـا لَسَعَـتْ كَفَّـكَ عَـنْ هَفْـوَةٍ ... أُقْسِـمُ مِنْهَـا هَـذِهِ العَقْـرَبُ
لَكِـنْ رَأَتْـهُ وَهْـوَ سُـمٌّ عَلَـى ... مَـالِـكَ لاَ يُـرْقَـى وَلاَ يَـذْهَـبُ
فَـأَقْبَلَـتْ تَشْتَـاقُ مِـنْ بَعْضِـهِ ... بِـاللَّسْـعِ شَيْئـًا عَلَّهَـا . . . .

(١) القصيدة في الوافي ٥/ ٢٥٧، وفوات الوفيات ٢/ ٥٤٨.
(٢) يذبل: الأولى: فعل مضارع ماضيه «ذبل الغصن»، والثاني: اسم جبل.

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الكامل]

سَلْ عَنْ دَمِي لَيْلَى إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ ... بَيْنَ النِّسَاءِ وَخَدُّهَا كَالعَنْدَمِ
وَمَتَى أَبَتْ إِلاَّ الجُحُودَ وَأَنْكَرَتْ ... فَانْظُرْ عَلَى وَجَنَاتِهَا أَثَرَ الدَّمِ
يَا لَلْرِجَالِ وَإِنَّهَا لَعَجِيبَةٌ ... مَا مِثْلُهَا أَبَداً إِلَيْهِ مُقَسَّمُ
/٢٦ب/ أَخْشَى قَنَاةَ قَوامِهَا وَمَقَاتِلِي ... غَرَضٌ لِمَا فِي لَحْظِهَا مِنْ أَسْهُمِ
وَأَهَابُ عَقْرَبَ صُدْغِهَا وَيَدِي عَلَى ... مَا أَرْسَلَتْ مِنْ شَعْرِهَا مِنْ أَرْقَمِ
مَا ذَاكَ مِنْ سَفَهٍ وَلَكِنْ لا هَوًى ... مَا لَمْ يَذَرْ رَبَّ البَصِيرَةِ كَالعَمِي
وَمُعَنِّفِي جَهْلاً عَلَى عِشْقِي لَهَا ... أَذْكَى بِمُرِّ العَذْلِ نَارَ تَأَلُّمِي
نَادَيْتُهُ قِسْهَا إِلَى شَمْسِ الضُّحَى ... حُسْنًا فَإِنْ هِيَ لَمْ تَرِدْ نُوراً لُمِ

وأنشدني لنفسه أيضًا، يهجو ابن عنين الشاعر: [من الطويل]

أَرَى ابْنَ عُنَيْنٍ لا كَلاَ اللهُ نَفْسَهُ ... أَخَافَ الوَرَى طُرّاً بِمُرِّ هِجَائِهِ
وَلَمْ يُهْمِلُوهُ خَشْيَةً مِنْهُ إِنَّمَا ... رَأَوْهُ مَهِينًا ذَمُّهُ كَثَنَائِهِ

وأنشدني أيضًا لنفسه من أبيات[1]: [من الطويل]

تَتِيهُ عَلَى عُشَّاقِهَا كُلَّمَا رَأَتْ ... حَدِيثَ صِفَاتِ الحُسْنِ عَنْ وَجْهِهَا يُرْوَى
فَتَاةٌ لَهَا فِي مَذْهَبِ الحُبِّ حَاكِمٌ ... بِقَتْلِ الوَرَى أَعْطَى لَوَاحِظَهَا فَتْوَى
يُرَنِّحُهَا سُكْرُ الشَّبَابِ فَتَنْثَنِي ... بِقَدٍّ إِذَا مَاسَتْ تَكَادُ بِأَنْ تُلْوَى
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ثَغْرِهَا بِنْتُ كَرْمَةٍ ... لَمَا أَصْبَحَتْ أَعْطَافُ قَامَتِهَا نَشْوَى

وأنشدني لنفسه، يمدح أهل البيت /٢٧أ/ ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ:

[من الخفيف]

خَلِّنِي مِنْ حَدِيثِ زَيْدٍ وَعَمرٍو ... وَاسْعَ بِي يَا نَدِيمُ نَحْوَ العُمْرِ
وَاسْقِنِي قَهْوَةً إِذَا مَا تَبَدَّتْ ... فِي الدُّجَى خِلْتَهَا عَمُودَ الفَجْرِ
بِنْتَ كَرْمٍ مَا لِيَ إِذَا بِتُّ مِنْهَا ... صَاحِيًا فَرْدَ لَيْلَةٍ مِنْ عُذْرِ
فَأَدِرْ لِي فِي جَامِدِ الفِضَّةِ البَيْـ ... ـضَاءِ مِنْ كَأْسِهَا مُذَابَ التِّبْرِ

---

(١) القطعة في ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

ثُــمَّ قُــلْ للَّــذِي يَلُــوْمُ عَلَيْهَــا خَلِّنِـــيْ أَيُّهَــا العَـــذُوْلُ وَوِزْرِيْ
أَإِذَا كُنْـــتُ ذَا ضَـــلاَلٍ وَإِثْـــمٍ تَغْتَــدِيْ أَنْــتَ نَــائِمــاً فــي قَبْــرِيْ
قَسَمــاً لاَ ثَنَيْــتُ عَنْهَــا إِلَــى المَــوْ ت عِنَــانِــيْ فَــدَعْ مَــلاَمِــيْ وَزَجْــرِيْ
أَنَـــا رَاضٍ أَنْ أَلْتَقِـــيْ اللهَ فَـــرْداً وَالْحُمَيَّــا مَــا بَيْــنَ سَحْــرِيْ وَنَحْــرِيْ
فَــأَدِرْهَــا فِــيْ كَــأْسِهَــا وَاسْقِنِيْهَــا لَيْلَــةَ القَــدْرِ أَوْ لَيَــالِــي العَشْــرِ
مِــنْ يَــدَيْ فَــاتِــرِ اللَّــوَاحِــظِ مَعْسُــوْ لِ الثَّنَــايَــا أَحْــوَى دَقِيْــقِ الخَصْــرِ
تَحْسَــبُ الكَــأْسَ وَهْــيَ فِــي يَــدِهِ تُشْــ ــرِقُ شَمْسَــاً تَلُــوْحُ فِــي كَــفِّ بَــدْرِ
لاَ حَيَــاةٌ لِغَيْــرِ مَــنْ لَــمْ يَبِــتْ يُحْــ ــيِيْ الــدَّيَــاجِــيْ مَــا بَيْــنَ عُــوْدٍ وَزَمْــرِ
فِــي رِيَــاضٍ خُضْــرٍ يَطُــوْفُ بِهَــا البِيْــ ــضُ مَــعَ السُّمْــرِ بِــالكُؤُوْسِ الْحُمْــرِ
بَيْــنَ دَوْحٍ تُمِيْــلُ مِنْــهُ غُصُــوْنَــا مُــوْرِقَــاتٍ رِيْــحُ الصَّبَــا حِيْــنَ تَسْــرِيْ
/ ٢٧ب/ كُلَّمَــا حَــرَّكَــتْ أَنَــامِــلُ شَــادٍ وَتَــراً جَــاوَبَتْــهُ أَلْحَــانُ قُمْــرِيْ

[٧٤٧]

مُحَمَّدُ بنُ العباس بنِ أبي الفضلِ بنِ أبي القاسمِ بنِ أبي مُحَمَّدٍ، أبو عبدِ الله الموصليُّ الحكم.

تولّىٰ في الدولة البدرية الحكومة في الملاعب والحرف والصنائع، كصنعة المَنَاقَفَة[١]، والصُرَّاع. وذوو الشطارة والسعاة، وأصحاب المعالجة، يرجعون إلىٰ كلامه، ويقتدون بقوله، وإليه الحُكم في ذلك. ويكتب خطًا حسنًا، ويقول الشعر الرائق.

أنشدني لنفسه، يمدح المولىٰ المالك الملك الرحيم بدر الدنيا والدين، وعضد الإسلام والمسلمين، تاج الملوك، شرف السلاطين أتابك طغرل تكين أبا الفضائل نصير أمير المؤمنين ـ خلد الله دولته ـ وكبت أعداءه وحسدته ـ: [من الكامل]

أَلاَّ سَــأَلْـــتَ الــرَّبْـــعَ وَالأَطْــلاَلاَ فَعَسَـــىٰ المَعَـــالِـــمُ أَنْ يُجِبْـــنَ سُــؤَالاَ
هِـــيَ وَقْفَـــةٌ إِمَّـــا لإِدْرَاكِ المُنَـــى أَوْ أَنْ تُضَـــاعِـــفَ عِنْـــدَكَ البَلْبَـــالاَ

---

(١) المَنَاقَفَة: الذين يضربون بالسيوف، كنوع من الرياضة والدفاع عن النفس.

أمَّــا الخَليْــطُ نَــأى بقَلْبــكَ عَــاجــلاً وَحَنيْـــــنُ قَلْبــــكَ زَادَهُ إعْجَـــالاً
جَعَلُــوا السُّهَــا نُصْبَ المَطيِّ وَحَجَّبُــوا فــي كُــلِّ سجْــف للْحُــدُوْج هــلالاً
/ ٢٨أ/ فَــأذل دُمُــوعــًا صُنْتُهَــا فَلَطَــالَمــا أذرفـــت قَبْلَـــكَ مَـــدْمَعـــًا هَطَّـــالاً
وَاجْنَــحْ لتَــرْجيْــع الحَمَــام فَطَــالَمَــا بَكَــت الهَــديْــلُ فَــأبكَــت الأطْــلالاً
مَــا هَــذه فــي الــرَّبْــع أوّل وَقْفَــة المُشْتَــــاق تَهْمـــلُ دَمْعَـــهُ إهْمَــــالاً
فَــاعْـص العَــوَاذل مَــا اسْتَطَعْــتَ فَقَلَّمَــا يُـــدْعَـــى مَلُـــوْلاً مَـــنْ عَصَـــى العُـــذَّالاً
وَمَتَــى أضَــرَّ بــكَ الهَــوَى فَــاجْنَــحْ إلَــى مَلـــك تُصَـــادفُ عنْـــدَهُ الإحْـــلالاً
مَلــك لَــو ادَّعَــت السَّمَــاءُ تَطَــاوُلاً بمَكَـــارم لسَمَـــا السَّمَـــاءَ وَطَـــالاً
أسَــدٌ وَمَــا الأسَــدُ الهِــزَبْــرُ وَإنَّنَــا لَنُجلُّـــــهُ عَـــنْ مثْلـــه إجْـــلالاً

وأنشدني لنفسه أيضًا، مبدأ قصيدة: [من الرجز]

أشَــاقَــكَ البَــرْقُ بتَيْمَــاءَ وَمَــضْ أمْ اسْتَبَــاكَ السِّــرْبُ صُبْحــًا إذْ عَــرَضْ
لا تَبْعَثَـــنَّ الطَّـــرْفَ إثْــرَ غَــادر فَـــرُبَّ رَام سَهْمُـــهُ أخْطَــا الغَــرَضْ
مَــا مَـــنْ وَفَـــى بعَهْـــده ووَعْـــدَه دَهْـــراً المَـــنْ خَـــانَ الحفَــاظَ وَنَقَــضْ
وافـــه الـــوَعْـــد المَطَــال فَــاسْتَعــر صَبْـــراً وَإنْ عَـــزَّ عَلَيْـــكَ فَـــاقْتَــرضْ
يَــا بــأبــي النَــاشــدَ قَلْبــًا بــالحمَــى ضَـــلَّ ولَمَّـــا يَبْـــغ عَنْـــهُ [مَـــنْ] عـــوَضْ
كَلَّفَـــهُ حَمـــلُ الهَـــوَى مَـــنْ كَلَــف النَّـــاشـــط مـــنْ عقَـــالـــه حَيْـــنَ نَهَـــضْ
/ ٢٨ب/ بَــانُــوا فَــأيُّ كَبــد لَــمْ تَسْتَعــرْ نَـــاراً وَأيُّ دَمْـــع عَيْـــن لَـــمْ يَفــضْ

وأنشدني أيضًا لنفسه من أخرى: [من البسيط]

نَعَــمْ نَعمْــتَ صَبَــاحــًا أيُّهَــا الطَّلَــلُ لأهْلــكَ الأهْــلُ إنْ حَلُّــوا وَإنْ رَحَلُــوا
سَجيَّـــةٌ مـــنْ كَـــريْـــم لا يُغَيِّـــرُهُ نَـــأيُ الأحبَّـــة إنْ جَـــارُوا وَإنْ عَـــدَلُـــوا
مَــا لاحَ بَــرْقٌ وَلا نَــاحَــتْ مُطَــوَّقَــةٌ إلاَّ صَـــدَفْـــتُ فَـــلا مَيْـــلٌ وَلا مَلَـــلُ
أعَلِّـــلُ النَّفْـــسَ وَالعُـــذَّالُ تُكْثــرُ مـــنْ لَـــوْمـــي وَأنَّـــى يُفيْـــدُ اللَّـــوْمُ وَالعَـــذَلُ
وَأكْتُـــمُ الـــوَجْـــدَ وَهْـــوَ الـــدَّمْـــعُ يَفْضَحُـــهُ كَـــأنَّ دَمْعـــي رَقيْـــبٌ حيْـــنَ ينهَمـــلُ
يَــا صَــاحبَــيَّ أنَــاةً بــالمَطــيِّ وَلَــوْ لَـــوْثَ الأزَار فَبـــيْ عَـــنْ وَخْـــدهَـــا شُغُـــلُ
هَــلْ شَيَّــعَ الــرَّكْــبَ مَــنْ دَعْــوَاهُ صَــادقَــةٌ فــي الحُــبِّ أمْ كُلُّهُــمْ للْــوَجْــد مُنْتَحــلُ
كُــلٌّ يَلُــوْمُ النَّــوَى يَــوْمَ الفــرَاق وَمَــا يَجْنـــي التَّبَـــاعُـــدَ إلاَّ الخَيْـــلُ وَالإبـــلُ

كَــمْ لَيْلَــةٍ بِتُّهَــا وَالنَّجْــمُ يَلْحَظُنِــي ... شَــزْراً وَجَفْنِــي بِــالتَّسْهِيْــدِ مُكْتَحِــلُ
حَتَّــىٰ إِذَا رَقَــدَ الــوَاشِــيْ وَأَمْكَــنَ مِــنْ ... لَيْلَــىٰ المَــزَارُ و . . . . بَيْنَنَــا السُّبُــلُ
زَارَتْ عَلَــىٰ وَجَــلٍ خَــوْفَ الــرَّقِيْــبِ وَمَــا ... أَحْلَــىٰ الــزِّيَــارَةَ حَيْــثُ الــزَّائــرُ الــوَجِــلُ
بَيْضَــاءُ تُسْفِــرُ عَــنْ بَــدْرٍ وَتَبْسِــمُ عَــنْ ... دُرٍّ وَيجِيــبِ لَيْــلاً شَعْــرُهَــا الــوَجِــلُ
فِــي وَجْهِهَــا خَفَــرٌ فِــيْ طَــرْفِهَــا حَــوَرٌ ... فِــي قَــدِّهَــا خِفَّــةٌ فِــي رِدْفِهَــا ثِقَــلُ
/ ٢٩أ/ لَهَا مِنَ الظَّبْيِ جِيْدٌ وَالمَهَا حَدَقٌ ... وَالخَيْــزُرَانَــةِ قَــدٌّ وَالنَّقَــا كَفَــلُ
تَمْشِــيْ وَدَلُّ الصِّبَــا يَثْنِــيْ مَعَــاطِفَهَــا ... كَــأَنَّهَــا شَــارِبٌ مِــنْ رِيقِهَــا ثَمِــلُ
وَتَحْمِــلُ الــرِّيْــحُ رَيَّــاهَــا إِذَا انْبَعَثَــتْ ... مِــنْ خِــدْرِهَــا فَيَضُــوْعُ الحَــيُّ وَالكِلَــلُ

وأنشدني لنفسه من قصيدة أخرىٰ : [من الطويل]

هَــلاَ لِيــس مَــا دُوْنَ الثَّنِيَّــةِ مَنْــزِلُ ... وَصَبْــراً فَهَــلْ غَيْــرُ الثَّــوِيَّــةِ مَنْهَــلُ (١)
أَنَــاقِ لَئِــنْ قَصَّــرْتُ عَــنْ غَــايَــةِ المَــدَىٰ ... فَعَــزْمِــيَ أَهْــدَىٰ مَــا امْتَطَيْــتِ وَأَهْمَــلُ
حَــرَامٌ عَلَــيَّ النَّــوْمُ يَــا مَــيُّ بَعْــدَهَــا ... إِذَا لَــمْ أَنَــلْ مِــنْ هَــذِهِ مَــا أُؤَمِّــلُ
وَبِــي فَــرْطُ وَجْــدٍ حَــلَّ بَيْــنَ جَــوَانِحِــي ... وَصَــدْرِي فَــلاَ يَنْــأَىٰ وَلاَ يَتَنَقَّــلُ
مَتَــىٰ شِمْــتُ مِــنْ أَطْــلاَلِ بُــرْقَــةِ بَــارِقــاً ... دَعَــانِــي هَــوىٰ خَلَّفْتُــهُ ثَــمَّ أَوَّلُ
وَمِــنْ وَلَهِــيْ بِــالــرَّبْــعِ لَــمْ أَرَ مَنْــزِلاً ... بِتَيْمَــاءَ إِلاَّ قُلْــتَ حُيِّيْــتَ مَنْــزِلُ
فَلَــوْلاَ الهَــوَىٰ العُــذْرِيُّ لَــمْ أَدْرِ مَــا الهَــوَىٰ ... وَلَــوْلاَ الحِمَــىٰ النَّجْــدِيُّ مَــا عُجْــتُ أَسْــأَلُ
خَلِيْلَــيَّ هَــلاَّ تَعْــذُرَانِ أَخَــاكُمَــا ... عَلَــىٰ دَائِــهِ فَــالعُــذْرُ بِــالحُــرِّ أَجْمَــلُ
أَجِــدَّكُمَــا أَنِّــي جَلِيْــدٌ عَلَــىٰ الهَــوىٰ ... وَمَــا كُــلُّ مَــنْ يَسْتَحْمِــلُ الضَّيْــمَ يَحْمِــلُ
مَنَعْــتُ جُفُــونِــي مِــنْ أَنْ تَطْعَــمَ الكَــرَىٰ ... كَــأَنَّ سُهَــاداً بِــالجُفُــونِ مُــوَكَّــلُ
وَقُلْــتُ ارْتَقِــبْ طَيْــفَ الخَيَــالِ وَإِنَّنِــي ... لِفَــرْطِ غَــرَامِــيْ بِــالمُنَــىٰ أَتَعَلَّــلُ

/ ٢٩ب/ وأنشدني لنفسه : [من المنسرح]

صَــدَّ فَلَيْــسَ الصُّــدُودُ مِــنْ شَــانِــهْ ... وَلَــجَّ فِــي هَجْــرِهِ وَعُــدْوَانِــهْ
رِيْــمٌ رَمَــانِــي عَــنْ قَــوْسِ حَــاجِبِــهِ ... سَهْمــاً مُــرَاشــاً بِهُــدْبِ أَجْفَــانِــهْ
عَــذَّبَ قَلْبِــي عَلَــىٰ العُــذَيْــبِ فَمَــنْ ... يُنْصِــفُ قَلْبِــي مِــنْ جَــوْرِ جِيْــرَانِــهْ

(١) هَلاَ : زجرٌ للخيل.

وَلَــوْ لَــوَىٰ بــاللِّــوَىٰ ثَنِيْــتُ عَلَــىٰ ... تلْــكَ الثَّنَــايَــا صُــدُوْرَ رُكْبَــانِــهْ
يَــا بِــأبِــيْ قَــدُّهُ الَّــذِي يَفْضَــحُ الـ ... ـغُصْــنَ إذَا مَــاسَ فَــوْقَ كُثْبَــانِــهْ
أنْسَــتُ مِنْــهُ النِّفَــارَ إذْ كُــلُّ إنْـ ... ـسَــانٍ لَــهُ رَائِــدٌ بِــإنْسَــانِــهْ
يَــا سَعْــدُ مَــنْ يُسْعِــدُ المُحِــبَّ وَقَــدْ ... أشْقَــاهُ مَحْبُــوْبُــهُ بِهِجْــرَانِــهْ
فَــانْظُــرْ عِيَــانَــاً وَاصْــغِ اسْتِمَــاعَــاً فَمَــا ... قَــامَ دَلِيْــلٌ إلاَّ بِبُــرْهَــانِــهْ
لَــوْ عَــدَلَ القَلْــبُ فِــي الحُكُــوْمَــةِ مَــا ... شَكَــوْتُ قَــاضِيَــهُ ظُلْــمَ أعْــوَانِــهْ

وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

تَنَــاءَتْ فَلَــمْ يَضْمَــنْ لَهَــا القَلْــبُ سَلْــوَةً ... وَلَمَّــا يَــزِدْهَــا البُعْــدُ إلاَّ تَــدَانِيَــا
وَإنِّــي وَإيَّــاهَــا عَلَــىٰ القُــرْبِ وَالنَّــوَىٰ ... صَبُــورَانِ إنْ مَــوْتَــاً وَإمَّــا تَــلاَقِيَــا

[٧٤٨]

مُحَمَّدُ بنُ سُليمانَ بنِ كُمشتكينَ / ٣٠أ/ بنِ إسفنديارَ المُجلِّدُ، أبو عبدِ الله الموصليُّ.

كانت صنعته في ابتداء أمره تجليد الكتب والدفاتر، ثم تركها وصار يكتب القصص، ويقول الشعر، ويمدح به الرؤساء والأكابر؛ وله بديهة في النظم، وخط حسن. ولقي جماعة من الشعراء، وأخذ عنهم من أشعارهم.

وهو شيخ مُمتَّع بإحدىٰ عينيه، أبيض اللون، تعلُوه صُفرة. وتوفي بسنجار في سنة ستٍّ وثلاثين وستمائة، وقد نيَّف علىٰ التسعين.

أنشدني لنفسه، في المولىٰ المالك، الملك الرحيم، بدر الدنيا والدين، عضد الإسلام والمسلمين، قُطب المعالي، ناصر الحق أتابك طغرلتكين بُلكا، نصير أمير المؤمنين ـ أيد الله سلطانه ـ حين عمل القنطرة والشباك بالباب العمادي. وكان يجلس به يحكم بين الناس في قضاياهم: [من الكامل]

لَــوْ أنَّ كِسْــرَىٰ فِــي زَمَــانِــكَ لَــمْ يَكُــنْ ... أذْكَــىٰ بِسِلْسِلَــةٍ إلَــىٰ الإيْــوَانِ
شُبَّــاكُنَــا فِــيْ كُــلِّ عَــامُــودٍ لَــهُ ... يَــا سَيِّــدَ الأمْــلاَكِ سِلْسِلَتَــانِ

وأنشدني لنفسه أيضًا: [من الخفيف]

مَـــنْ مُجيْـــرِيْ مِـــنْ طَـــرْفِـــهِ النَّبَّـــال ... وَمُعِيْنِـــي عَلَـــىٰ صُـــرُوْفِ اللَّيَـــالِـــيْ
بَـــدْرُ تَـــمٍّ حَـــوَىٰ جَمِيْـــعَ المَعَـــانِـــيْ ... غُصْـــنُ بَـــانٍ يَهْتَـــزُّ كَـــالعَسَّـــالِ
/ ٣٠ب/ حَلَّـــلَ الهَجْـــرَ وَاسْتَحَـــلَّ دَمَ الصَّـــبِّ ... وَهَـــذَا فِـــي الشَّـــرْعِ غَيْـــرُ حَـــلاَلِ
أَتَمَنَّـــىٰ وِصَـــالَـــهُ كُـــلَّ عَـــامٍ ... وَأُرَجِّـــي خَيَـــالَـــهُ فِـــي الخَيَـــالِ
وَلَقَـــدْ كَـــانَ قَبْـــلَ هَـــذَا التَّجَنِّـــي ... مُسْتَهَـــامًـــا بِـــزَوْرَتِـــي وَوِصَـــالِـــيْ
فِـــي زَمَـــانٍ يَفُـــوْقُ كُـــلَّ زَمَـــانٍ ... وَلَيَـــالٍ كَـــأَنَّهُـــنَّ الـــلآلِـــيْ
وَجَبِيْـــنٍ كَـــالبَـــدْرِ يَحْمِـــلُ شَمْسًـــا ... مِـــنْ عُقَّـــارٍ مِـــنْ غَيْـــرِهِ مَـــا حَـــلاَلِـــيْ
وَإِذَا أَعْـــوَزَ المُـــدَامُ عَلَيْنَـــا ... عَلَّنِـــي مِـــنْ رُضَـــابِـــهِ السَّلْسَـــالِ

وأنشدني لنفسه: [من مخلع البسيط]

دَبَّ عَلَـــىٰ خَـــدِّهِ عِـــذَارٌ ... كَـــأَنَّـــهُ اللَّيْـــلُ غَيْـــرُ سَـــارِ
فَلَـــمْ يَـــزَلْ وَاقِفًـــا حَيِيًّـــا ... يَطْلُـــبُ إِذْنًـــا مِـــنَ النَّهَـــارِ

وَأنشدني من شعره: [من مخلع البسيط]

كَـــانَ وَمَـــا فِـــي العِـــذَارِ نَبْـــتٌ ... مُـــوَاصِـــلاً دَائِـــمَ الـــوِدَادِ
فَمُـــذْ بَـــدَا الشَّعْـــرُ فِـــي المُحَيَّـــا ... إِزْدَادَ فِـــي التِّيْـــهِ وَالتَّمَـــادِيْ
فَلَيْـــتَ خَـــدَّيْـــهِ مَـــا أُرِيْعَـــتْ ... وَلاَ اكْتَسَـــتْ حُلَّـــةَ السَّـــوَادِ

وأنشدني لنفسه أيضًا: [من الكامل]

إِنْ كَـــانَ نَـــزْعُكُـــمُ الجَـــوَابَ تَقَـــاطُعًـــا ... فَـــأَنَـــا الـــوَدُوْدُ مُكَـــاتِـــبٌ وَمُـــوَاصِـــلُ
/ ٣١أ/ أَوْ كُنْتُـــمُ لَـــمْ تَسْـــأَلُـــوا عَـــنْ حَـــالِنَـــا ... فَـــأَنَـــا المُحِـــبُّ مُخَـــاطِـــبٌ وَمُسَـــائِـــلُ

وأنشدني لنفسه في إنسان يُعرف بالقوام بن حمدان: [من الخفيف]

يَـــا قِـــوَامًـــا لِلْفِسْـــقِ لاَ لِلْـــدِّيْـــنِ ... وَمَحَـــلاًّ لِلْشَّـــكِّ لاَ لِلْيَقِيْـــنِ
وَأَمِينًـــا قَـــدْ كَـــانَ يَـــا لَيْـــتَ شِعْـــرِيْ ... أَخَـــؤُوْنٌ يُـــدْعَـــىٰ بِعَـــدْلٍ أَمِيْـــنِ
فَلَـــكَ العُـــذْرُ فِـــي فَعَـــالِـــكَ هَـــذَا ... لَيْـــسَ يُـــرْجَـــىٰ الـــوَفَـــاءُ مِـــنْ يَقْطِيْـــنِ
أَيُّ فَضْـــلٍ يُعْـــزَىٰ إِلَيْـــكَ وَقَـــدْ ... أَصْبَحْـــتَ يَـــاءً مَـــا بَيْـــنَ تَـــاءٍ وَسِيْـــنِ[1]

---

(١) المراد من قوله: أصبحت ياءً بين تاء وسين: تَيْس.

وحدثني، قال: بات محمد بن يوسف بن عُراج الشاعر عندي ليلةً، فسرق مني كساء، وكان أبو محمد شاعراً أيضًا، فقلتُ فيه: [من المجتث]

لِنَجْلِ عُرّاجَ نَجْلٌ ... مِنْ كُلِّ خَيْرٍ تَعَرَّىٰ
لَصٌّ كَمِثْلِ أَبِيْهِ ... وَالإِبْنُ بِالإِرْثِ أَحْرَىٰ
فَالأَبُ يَسْرِقُ شِعْراً ... وَالنَّجْلُ يَسْرِقُ تِبْرَا

قال: فبلغت الأبيات إلىٰ أبيه، فأنفذ الكساء.

[٧٤٩]

مُحَمَّدُ بنُ الحُسينِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ الحسنِ بنِ الحُسينِ، الإِربليُّ المولد والمنشأ.

وأصل آبائه من أهل همذان، ويعرفون ببني بسريان، من يت دين وتصوّف.

وأبو عبد الله هذا؛ شاب فاضل، عنده أدب وسُكون، حافظ للقرآن الكريم، يشدو شيئًا من فقه الإمام الشافعيّ ـ رضي الله عنه ـ ويكتب خطًا رائقًا، ويقول الشعر الحسن في الزهديات.

انتقل هو وأهله إلىٰ دنيسر[١] حدثًا، ودرس الفقه بها علىٰ الشيخ الإمام أبي محمد حمد بن حُميد بن محمود الدُّنيسري، الخطيب المدرس، فلمّا جاء الخوارزمية، وقصدوا البلاد، سافر إلىٰ حلب في سنة ستٍّ وثلاثين وستمائة، فنزل في بعض مدارسها، يرتزق من جامكيها.

أنشدني لنفسه: [من البسيط]

يَوْمٌ يَمُرُّ وَيَوْمٌ بَعْدَهُ يَأْتِي ... يُنْغِّصَانِ حَيَاتِي ثُمَّ لَذَّاتِي
وَالنَّفْسُ فِي دَعَةٍ مِمَّا يُرَادُ بِهَا ... مَشْغُوْلَةٌ بِأَمَانِيٍّ وَفَرْحَاتِ
فَبَيْنَمَا المَوْتُ إِذْ حُطَّتْ رَكَائِبُهُ ... نَحْوِيْ بِغَيْرِ احْتِشَامٍ أَوْ تَحِيَّاتِ
وَقَالَ حَتَّىٰ مَتَىٰ تَرْجُو البَقَاءَ بِهَا ... أَمَا عَلِمْتَ بِأَيَّامِيْ وَسَاعَاتِي

(١) دنيسر: بلدة مشهورة من نواحي الجزيرة، تحت ماردين. انظر: معجم البلدان/ مادة (دنيسر).

فَاسْتَنْقَذَ الرُّوحَ مِنِّيْ ثُمَّ أَسْكَنَنِيْ ... فِيْ قَعْرِ لَحْدٍ بِدَارٍ عِنْدَ أَمْوَاتِ
/ ٣٢أ/ سَلاَهُمُ الأَهْلُ وَالأَحْبَابُ كُلُّهُمُ ... كَأَنَّ مَا عَرَّفُوْهُمْ بَعْضَ أَوْقَاتِ

[٧٥٠]

مُحَمَّدُ بنُ عليِّ بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بنِ الجارود، أبو عبدِ الله المارانيُّ القاضي الكَفَرْعَزِّيُّ(١).

ولد بكفر عزّة، قرية من قرايا إربل(٢)، ونشأ بها، وقرأ فقه الإمام الشافعي - رضي الله عنه - علىٰ الشيخ الإمام أبي الفضل يونس بن محمد بن منعة بن مالك الإربلي. وتقلّد القضاء بإربل في أيام الملك المعظم مظفر الدين كوكبوري بن علي بن بكتكين - رضي الله عنه - بعد القاضي أبي محمد جعفر بن محمد بن محمود الكفرعزّي. وكان نائبه.

ولم يزل متوليًا، إلىٰ أنْ توفي ليلة السبت ثالث جُمادىٰ الآخرة سنة تسع وعشرين وستمائة، فجأة - رضي الله عنه - وقد جاوز الثمانين بقليل. وكان من ظرفاء الحكام، ومحاسن الأنام، متحليًا بالنزاهة، معتليًا في ذُروة النباهة؛ شيخًا لطيفًا كيسًا، فكهًا رزينًا متواضعًا، بهي المنظر، دمث الأخلاق، فيه أدب وحسن عشرة، وطيب محاضرة وتودد.

أنشدني لنفسه، وأوائل هذه الأبيات/ ٣٢ب/ إذا جمعت تكون بيت شعر، وهو:

[من المجتث]

إِنَّ الصَّلاَحَ مُجِيْرِيْ ... مِنْ نَكبَةِ الحَدَثَانِ

وهي جوابُ أبيات كتبها إليه الصّلاح أحمد بن عبد السيّد بن شعبان الإربلي، وهُما بالديار المصرية، فقال القاضي: [من المجتث]

إِنِّيْ أُحِبُّ فَتَاةً ... كَأَنَّهَا غُصْنُ بَانِ
نَمَّتْ بِوَجْدِيْ عَلَيْهَا ... سَحَائِبُ الأَجْفَانِ

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٤/ ١٧٢ وفيه: «محمد بن علي بن محمد بن الجارود. . ».
(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (كفرعزّا).

أَهْوَى فَرِيْدَةَ حُسْنٍ   هَيْفَاءَ شَتَّى المَعَانِي
لَمْيَاءَ لَوْ شَفَتَاهَا   قَبَّلْتُهَا شَفَتَانِي
صَدَّتْ فَبَانَ اصْطِبَارِي   بِالبَيْنِ وَالهِجْرَانِ
لَا تَلْحَنِي يَا عَذُوْلِي   فَالبَيْنُ قَدْ أَضْنَانِي
حَسْبِي الَّذِيْ أَنَا لَاقٍ   مِنَ الوُجُوْهِ الحِسَانِ
مِنَ البُدُوْرِ اللَّوَاتِي   بِهِنَّ صَبْرِي فَنَانِي
جَزِعْتُ مِنْهُنَّ جِدّاً   وَلَانَ صَعْبُ جَنَانِي
يَهْوَيْنَ قَتْلِي وَأَهْوَى   بِهِنَّ فَرْطَ هَوَانِي
رَعَى الإِلَهُ زَمَاناً   قَضَّيْتُ فِيْهِ الأَمَانِي
/ ٣٣أ/ يَا مَنْ يُسَائِلُ عَنِّي   حَالِي عَجِيْبُ البَيَانِ
مَنْ لِي بِخِلٍّ أَمِيْنٍ   خَلِيْلُهُ فِي أَمَانِ
نَبِيْلِ قَدْرٍ نَبِيْهٍ   صَدْرٍ عَظِيْمِ الشَّانِ
نَبْنِي المَدَائِحَ فِيْهِ   وَجُوْدُهُ خَيْرُ بَانِي
كَتَبْتُ سِرّاً وَجَهْراً   عَنْهُ فَهَلَّا كَنَانِي
بِهِ أُدَافِعُ ضُرِّي   وَشَرَّ أَهْلِ زَمَانِي
هَذَا وَلِي مِنْ نَدَاهُ   وَفَهْمِهِ بَحْرَانِ
أَهْوَاهُ طَبْعاً وَلَكِنْ   لَوْ أَنَّهُ يَهْوَانِي
لَكُنْتُ فِي خَفْضِ عَيْشٍ   وَلَذَّةٍ وَأَمَانِ
حَتَّى يَقُوْلَ عَذُوْلِي   وَيْلَاهُ وَاحِرْمَانِي
دِيْوَانُ مَدْحِي فِيْهِ   مُذَهَّبُ العُنْوَانِ
ثَمَّ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ   كَنَغْمَةِ العِيْدَانِ
المَوْتُ وَالبُعْدُ عَنْهُ   يَا صَاحِبَيَّ سِيَّانِ
نَعَمْ وَفِيْهِ خِصَالٌ   خَفِيْفَةُ الأَوْزَانِ
إِنَّ الصَّلَاحَ مُجِيْرِي   مِنْ نَكْبَةِ الحَدَثَانِ

/ ٣٣ب/ وأنشدني لنفسه من قصيدة، يمدح بها بعض الرؤساء: [من الرجز]

لَا تَلْحِ مَنْ حَنَّ إِلَى أَحْبَابِهِ   وَشَفَّهُ الشَّوْقُ إِلَى أَتْرَابِهِ

وَخَلِّهِ يَبْكِي إِذَا جَنَّ الدُّجَى … وَأْرثِ لَهُ وَكُفَّ عَنْ عِتَابِهِ
وَلَا تُحَمِّلَنَّهُ عَلَى أَحْزَانِهِ … حُزْنًا فَقَدْ كَفَاهُ بَعْضُ مَا بِهِ
أَنَّى يُلَامُ مُسْتَهَامٌ مُدْنَفٌ … حِلْفُ أَسًى غَرَامُهُ يُغْرِي بِهِ
أَنْحَلَهُ البَيْنُ وَلَمْ يَبِنْ لَهُ … مُسَاعِدٌ عَلَى جَوَى اكْتِئَابِهِ

وأنشدني أيضًا قوله: [من مخلّع البسيط]

إِنْ كُنْتَ خِلِّي فَخَلِّ دَمْعِي … يَجْرِي كَحَرِّ الفِرَاقِ سَكْبَا
وَلَا تَلُمْ مُغْرَمًا كَئِيبًا … مِنِّي بِبَيْنِ الحَبِيبِ صَبَّا
إِذَا دَعَاهُ الغَرَامُ سِرًّا … أَجَابَهُ مُعْلِنًا وَلَبَّى

وأنشدني له في الشيب والوعظ: [من المتقارب]

مَشِيبٌ أَتَى وَشَبَابٌ رَحَلْ … أَحَلَّ العَنَاءَ بِهِ حَيْثُ حَلْ
وَعُمْرِي تَقَضَّى بِلَا طَاعَةٍ … فَوَيْحَكِ يَا نَفْسُ مَاذَا الزَّلَلْ؟
وَذَنْبُكِ جَمٌّ أَلَا فَارْجِعِي … وَعُودِي فَقَدْ حَانَ وَقْتُ الأَجَلْ
/٣٤أ/ وَدِينِي الإِلَهَ وَلَا تَقْصُرِي … وَلَا يَخْدَعَنَّكِ طُولُ الأَمَلْ
فَمَا لَكِ غَيْرُ التُّقَى مُسْعِدٌ … وَلَا صَاحِبٌ غَيْرُ حُسْنِ العَمَلْ

وأنشدني لنفسه من أبيات ابتداؤها: [من البسيط]

لَا تُكْثِرِ العِيَّ فِي عَذْلِي وَفِي فَنَدِي … وَقُلْ عَنِّي فَمَا أُصْغِي إِلَى أَحَدِ
هَلَّا نَهَضْتَ إِلَى عَذْلِي وَمَا قَدَحَتْ … نَارُ الصَّبَابَةِ بِالأَشْوَاقِ فِي كَبِدِي
أَيَّامَ أَغْدُو سَلِيمَ القَلْبِ فِي دَعَةٍ … مِنَ الغَرَامِ وَحِلْمِي فِي الهَوَى بِيَدِي
وَشَادِنٍ قَدُّهُ كَالغُصْنِ مُعْتَدِلًا … مِنْ فَوْقِ مُتَّزَرٍ كَالحِقْفِ مُنْعَقِدِ
أَحْوَى مَرِيضٍ بِحَارِي اللَّحْظِ مُقْلَتُهُ … تَعَلَّمَ النَّافِثَاتُ السِّحْرَ فِي العُقَدِ
يَزْوَرُّ عَنِّي إِذَا مَا جِئْتُ أُعْتِبُهُ … وَلَيْسَ يَعْلَمُ مَا عِنْدِي مِنَ الكَمَدِ
قَدْ كُنْتُ قَبْلَ النَّوَى وَالبَيْنِ ذَا جَلَدٍ … فَمُذْ نَأَى خَانَنِي بَعْدَ النَّوَى جَلَدِي(1)

---

(1) بعد هذا جاءت الترجمة التالية وقد شُطب عليها، ولغرض إتمام الفائدة، وللحفاظ على الأمانة العلمية نوردها هنا:

«/٣٤ب/ مُحَمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ عليِّ بنِ عثمانَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ أميرِ بنِ المؤيدِ النسائيُّ، أبو المؤيد =

[٧٥١]

محمدُ بنُ أحمدَ بن عمرَ بنِ أحمدَ بنِ أبي شاكرٍ، أبو عبدِ الله بنِ أبي محمدٍ الإربليُّ الكفرعزيُّ(١).

= الجزيدريُّ، وجزيدر ـ بالجيم والزاي المكسورة والياء الساكنة والذال المفتوحة والراء المهملتين ـ قرية من قرى نسا بها ولد ونشأ الكاتب المنشي.

كان يكتب الإنشاء عن السلطان خوارزم شاه جلال الدين أبي المظفر مينكبرني بن محمد بن تكش بن ألب أرسلان، وكان قَبل ذلك كاتبًا بالديوان الخاص، فحين ورد التتار ـ خذلهم الله تعالىٰ ـ بلاد العجم قاصدين أستاذه خوارزم شاه وخرّبوا البلدان وقتلوا عالمًا من المسلمين ونهبوا الأموال وسبوا الحرم والذراري فأخذوا ماله وأثاثه، وكان له قيمة كثيرة من الفرش وآلات الذهب والفضة، فنجا بنفسه وخرج هاربًا يتنقل في البلاد علىٰ أسوأ حال من الضائقة والإملاق فاجتاز بمدينة إربل في ذي الحجة سنة ثمان وعشرين وستمائة ولقيته بها، وذكر لي أنَّ له نظمًا ونثرًا بالعربيةَ / ١٣٥أ/ والفارسية إلّا أنَّ لسان الفارسية أغلب عليه.

أنشدني لنفسه: [من المتقارب]

وَإِنِّــي لَفِــيْ قَيْــدِ هَــذَا الــزَّمَــانِ ... لَكَــالــدُّرِّ إذْ بَــاتَ حَشْــوَ الصَّــدَفْ
تَحَلَّــىٰ بِقَــدْرِيَ جِيْــدُ العُــلاَ ... ونَظَّــمَ فَضْلِــيَ عِقْــدَ الشَّــرَفْ
وَإِنِّــيْ عَلَــىٰ الــرُّغْــمِ مِــنْ حُسَّــدِيْ ... لأَسْــلاَفِــيَ الصِّيْــدِ نِعْــمَ الخَلَــفْ
وَإِنْ كَــانَ أَنْكَــرَ قَــدْرِيْ الــزَّمَــانُ ... فَــذَا هَفْــوَةٌ صَــدَرَتْ عَــنْ خَــرَفْ
فَعَــنْ أَمَــمٍ تَنْجَلِــي غُمَّتِــيْ ... كَبَــدْرِ الــدُّجَــىٰ بَعْــدَمَــا قَــدْ خَسَــفْ
وَتَــأْتِــيْ المَقَــادِيْــرُ مُنْقَــادَةً ... يَقُــوْلُــوْنَ عَفْــوَكَ عَمَّــا سَلَــفْ

وحدثني الصَاحب شرف الدين أبو البركات ـ رضي الله عنه ـ قال: لو قال:

وَتَــأْتِــيْ المَقَــادِيْــرُ مُنْقَــادَةً ... نَقُــوْلُ: عَفَــا اللهُ عَمَّــا سَلَــفْ

كان أحسَن وسلم من الردّ عليه إستعمال ما لا يجوز استعماله».

(١) في هامش الأصل: «شهر بمجد الدين بن الظهير الحنفي الأربلي ـ أبقاه الله ـ».

ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ٣٥٦ ـ ٣٦٦ رقم ٤٣٢. الجواهر المضيئة ٢/ ٢٠١. الوافي بالوفيات ٢/ ١٢٣ ـ ١٢٧ رقم ٤٧١، وفيه: «وفاته سنة سبع وتسعين وستمائة بدمشق. بروكلمان Br.suppl 1.444». تالي كتاب وفيات الأعيان ١٧٠ ـ ١٧١ رقم ٢٨٣ وفيه: «مجد الدين يوسف المعروف بابن الظهير الإربلي». العبر ٥/ ٣١٦. معجم شيوخ الذهبي ٤٦٥ ـ ٤٦٦ رقم ٦٨٣. عقد الجمان للزركشي ٢٦٦. البدر السافر ٧٧. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٧١ ـ ٦٨٠) ص٢٧٨ ـ ٢٨٠ رقم ٣٧٧. ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٨٦ ـ ٤٠٥. البداية والنهاية ١٣/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣. ذيل التقييد ١/ ١، ٧٢ رقم ٥٧. تاريخ ابن الفرات ٧/ ١٢٧ ـ ١٣٧. شذرات الذهب ٥/ ٣٥٩. السلوك ج١ق١/ ٦٥١. المختار من تأريخ ابن الجزري ٢٩٨. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٦٨. النجوم الزاهرة ٧/ ٢٨٥. الدليل الشافي ٢/ ٥٨٧. عيون التواريخ ٢١/ ١٨٥ ـ ١٩٣. المنهل الصافي ٩/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨ رقم ٢٠٢٤. عقد الجمان ٢/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩. =

وقد سبق ذكر والده في موضعه[(١)].

أخبرني والده؛ أن ولادة محمد كانت سهرة يوم الاثنين ثاني صفر سنة إثنتين وستمائة.

وهو من فتيان / ٣٥ب/ إربل، وأحد من إعتنىٰ بقول الشعر، تأدّب علىٰ أبي عبد الله أحمد بن الحسين بن الخبّاز النحوي بالموصل. وأخذ طرفًا من فقه الإمام أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ.

وهو شاعر، طويل اللسان، ذو إحكام في قوله وإتقان، يجيد معانيه في الهجاء، ويتصرف فيهنّ كيف شاء، سمح الخاطر منقاده، ذكي الطبع وقاده.

أنشدني لنفسه في الوزير الصاحب شرف الدين أبي البركات المستوفي ـ رحمه الله ـ:

[من الكامل]

لاَ نَـالَ قَلْبِـي منكُـمُ مَـا أمَّـلاَ ... إنْ كَـانَ يَـوْمـًا مِـنْ مَحَبَّتِكُـمْ سَـلاَ
وَحُـرِمْـتُ مَـا أرْجُـوْهُ مِـنْ لُقْيَـاكُـمُ ... إنْ حَـلَّ فِـي قَلْبِـيْ سِـوَاكُـمْ أوْ حَـلاَ
أحْبَـابَنَـا عُـوْدُوا إلَـىٰ عَهْـدِ الصِّبَـا ... وَعِـدُوا بِـوَصْلِكُـمْ المُحِـبَّ المُبْتَلَـىٰ
وَإذَا بَخِلْتُـمْ بِـالـوِصَـالِ فَحَمِّلُـوا ... رَيَّـاكُـمْ رِيْـحَ الصَّبَـا وَالشَّمْـألاَ
حَمَّلْتُـمُ المُشْتَـاقَ أثْقَـالَ الهَـوَىٰ ... لَمَّـا تَبَـدَّىٰ رَكْبُكُـمْ مُتَحَمِّـلاَ
وَسَفَحْتُـمُ دَمَ أدْمُعِـي لمَّـا غَـدَا ... سَفْـحُ الغُـوَيْـرِ لَكُـمْ بِـرُغْمِـيْ مَنْـزِلاَ
مَـنْ ذَا يُعِيْـدُ لَيَـالِيـًا أنْفَقْتُهَـا ... سَـرَفـًا وَعَهْـدَ صِبـًا مَضَـىٰ وَتَبَـدَّلاَ
عُلِّقْتُكُـمْ طِفـلاً فَشَيَّـبَ لِمَّتِـيْ ... طُـوْلُ التَّجَنِّـي وَالتَّجَنُّـبُ وَالقِلَـىٰ
/ ٣٦أ/ رِقُّوا لرِقِّ حَلِيْفِ وَجْدٍ مَا عَصَىٰ ... أمْـرَ الغَـرَامِ وَلاَ أطَـاعَ العُـذَّلاَ
وَأغَـنَّ مُعْتَـدِلِ القَـوَامِ مُهَفْهَـفٍ ... مَنَعَتْـهُ نَخْـوَةُ حُسْنِـهِ أنْ يَعْـدِلاَ
فَتَـنَ الـوَرَىٰ بِجَمَـالِ وَجْـهٍ مَـا بَـدَا ... إلاَّ وَكَبَّـرَ مَـنْ رَآهُ وَهَلَّـلاَ
وَأغَـارَ غِـزْلاَنَ الصَّـرِيْـمِ تَلَفُّتـًا ... وَأعَـارَ أغْصَـانَ الأرَاكِ تَفَتُّـلاَ

= جمع شعره وحققه د. ناظم رشيد بعنوان (ديوان ابن الظهير الإربلي) ط الموصل ـ العراق ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

(١) تقدمت ترجمته (أحمد بن عمر بن أحمد. . . .) في الجزء الأول برقم (١١١).

لَمَّا بَدَا عَايَنْتُ سُنَّةَ وَجْهِهِ ... كَالْبَدْرِ فِي أُفْقِ المَلَابِسِ يُجْتَلَى(١)
وَرَأَيْتُ أَنَّ الرُّشْدَ فِي دِينِ الهَوَى ... لَمَّا رَأَيْتُ الصُّدْغَ مِنْهُ مُرْسَلَا
أَضْحَى ضَنِينًا بِالسَّلَامِ وَطَالَمَا ... أَمْسَى يُعَاطِينِي الرَّحِيقَ السَّلْسَلَا
فِي رَوْضَةٍ حَاكَ الرَّبِيعُ لِرَبْعِهَا ... حِبَرًا وَحَاكَى النَّشْرُ مِنهَا المَنْدَلَا
فَكَأَنَّمَا جُودُ ابْنِ مَوْهُوبٍ غَدَا ... دُونَ السَّحَابِ بِرَيِّهَا مُتَكَفِّلَا
مَوْلًى إِذَا مَا جِئْتَهُ تَلْقَ امْرَءًا ... يَلْقَاكَ بَارِقُ بِشْرِهِ مُتَهَلِّلَا
يَقْظَانُ مَا يَنْفَكُّ يُسْدِي نِعْمَةً ... وَيَكُفُّ حَادِثَةً وَيُوضِحُ مُشْكِلَا
مُغْرًى بِحُبِّ المَكْرُمَاتِ فَمَا يُرَى ... إِلَّا بِأَبْكَارِ العُلَا مُتَغَزِّلَا
مَا أَمَّهُ يَبْغِي نَدَاهُ مُؤَمِّلٌ ... إِلَّا أَعَادَتْهُ يَدَاهُ مُؤَمَّلَا
يَجْلُو بِطَلْعَتِهِ الظَّلَامَ إِذَا دَجَا ... وَيَفُوقُ نَائِلُهُ السَّحَابَ المُسْبِلَا
فِي كَفِّهِ القَلَمُ الَّذِي قَدْ غَادَرَتْ ... حَدَّاهُ حَدَّ الحَادِثَاتِ مُفَلَّلَا
/٣٦ب/ وَإِذَا امْتَطَى القِرْطَاسَ وَهُوَ بِكَفِّهِ ... رَاعَ الصَّوَارِمَ وَالرِّمَاحَ الذُّبَّلَا
يُحْيَى بِهِ العَافِي وَقَدْ ضَنَّ الحَيَا ... وَيَرُدُّ فِي يَوْمِ الهِيَاجِ الجَحْفَلَا
يَا أَيُّهَا المَوْلَى الوَزِيرُ وَمَنْ غَدَتْ ... بِنَدَاهُ أَخْلَافُ الأَمَانِي حُفَّلَا(٢)
بِكَ أَصْحَبَ . . . . الحَرُونُ وَأَحْسَنَ الدَّ ... هْرُ المُسِيءُ بِنَا وَأَصْبَحَ مُجْمِلَا(٣)
وَلَدَيْكَ أَضْحَى مُخْصِبًا أَمَلِي وَكَمْ ... أَمْسَى وَأَصْبَحَ عِنْدَ غَيْرِكَ مُمْحِلَا
قَدْ سِرْتَ فِينَا سِيرَةً عُمَرِيَّةً ... كَادَتْ لَهَا الآيَاتُ أَنْ تَتَنَزَّلَا
وَعَمَمْتَ مُبْتَدِئًا بِنُعْمَاكَ الوَرَى ... فَمَلَكْتَ أَحْرَارَ الكَلَامِ تَفَضُّلَا
حَتَّى لَقَدْ ظَنُّوا السُّؤَالَ مُحَرَّمًا ... فِيهِمْ وَمَالَكَ لِلْعُفَاةِ مُحَلَّلَا
فَاسْتَجْلِ مِنْ غُرَرِي غَرِيرَةَ خَاطِرٍ ... عَذْرَاءَ يَرْجُو رَبُّهَا أَنْ تُقْبَلَا
وَيَرَى الثَّنَاءَ وَكُلَّ مَدْحٍ فَاخِرٍ ... مِنْ دُونِ أَوْصَافِ الوَزِيرِ وَإِنْ عَلَا

وأنشدني فيه أيضًا، يمدحه حيث تقلّد الوزارة للملك المعظم مظفر الدين أبي سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين ـ رضي الله عنه ـ: [من الكامل]

---

(١) السُّنَّة: الوجه أو دائرته.
(٢) أخلاف: جمع خلْف وهو حلمة الثدي.
(٣) مجملا: متلطفًا محسنًا.

أَمَّـا الـزَّمَـانُ فَقَـدْ وَفَـى بِـوُعُـوْدِه وَذَوَى مِـنَ العُـدْوَانِ مُـوْرِقُ عُـوْدِه
/ ٣٧أ/ وَتَـرَدَّتِ الـدُّنْيَـا مُـلَاءَةَ بَهْجَـةٍ وَالـدَّهْـرُ قَـدْ نَجَمَـتْ نُجُومُ سُعُـوْدِه
بِعُـلَا أَبِـي البَـرَكَـاتِ أَصْبَـحَ خَـالِيًـا مِـنْ مَنْصِـبِ العَلْيَـاءِ عَـاطِـلُ جِيْـدِه
شَـرُفَـتْ بِطَلْعَتِـهِ الـوَزَارَةُ مِثْلَمَـا شَـرُفَـتْ بَنُـو أَيَّـامِـهِ بِـوُجُـوْدِه
أَمْسَـى حَفِيًّـا بِـالـرَّعِيَّـةِ فَـاغْتَـدَى مُتَتَبِّعًـا فِيْهَـا رِضَـا مَعْبُـوْدِه
خُلُـقُ التَّـوَاضُـعِ لِلْـوَزِيْـرِ خَلِيْقَـةٌ قِسَمًـا وَأَضْحَـى الـدَّهْـرُ بَعْـضَ عَبِيْـدِه
لَقِـنَ الشَّجَـاعَـةَ وَالسَّمَـاحَ يَـرَاعُـهُ عَـنْ سَيْـلِ وَادِيْـهِ وَبَـأْسِ أُسُـوْدِه
وَغَـدَا مُصِيْـبَ الـرَّأْيِ فِـي تَحْـرِيْفِـهِ وَمُبَيِّـضَ الآمَـالِ فِـي تَسْـوِيْـدِه
يَـا أَيُّهَـا المَـوْلَـى الـوَزِيْـرُ وَمَـنْ لَـهُ مَجْـدٌ يُغِيْـضُ الـدَّهْـرَ جَفْـنَ حَسُـوْدِه
مَـا قَـالَ فِيْـكَ وَإِنْ تَنَـاهَـى مَـادِحٌ إِلَّا وَفَضْلُـكَ مِـنْ أَدَلِّ شُهُـوْدِه
هُنِّئْـتَ بِـالعَـامِ الجَـدِيْـدِ وَدُمْـتَ مَـا دَامَ الـزَّمَـانُ مُبَشِّـرًا لِخُلُـوْدِه
وَسَلِمْـتَ مَحْـرُوْسَ الجَنَـابِ مِـنَ الـرَّدَى مَـا طَـرَّبَ القُمْـرِيُّ فِـي تَغْـرِيْـدِه

وأنشدني لنفسه فيه أيضًا، ويلتمس منه فروة: [من مجزوء الكامل]

يَـا مَـاجِـدًا لَبَّـى نَـدَا هُ المُعْتَفِـي قَبْـلَ النِّـدَا
وَمَـنِ اسْتَـرَقَّ بِجُـوْدِه وَنَـوَالِـهِ حُـرَّ الثَّنَـا
/ ٣٧ب/ اللهَ أَدْعُـو أَنْ يَـزِيْـ ـدَكَ رِفْعَـةً فَـوْقَ السَّمَـا
لَازِلْـتَ مَحْـرُوْسَ الجَنَـا بِ مُمَتَّعًـا طُـوْلَ البَقَـا
البَـرْدُ قَـدْ وَافَـى يُجَـرِّ رُ ذَيْـلَ تِيْـهِ وَاعْتَـدَى
وَجُيُـوْشُـهُ قَـدْ أَقْبَلَـتْ فَـاسْتَـوْعَبَـتْ كُـلَّ الفَضَـا
وَالصَّبْـرُ مُنْـذُ رَأَى بَقَـا ءَ البَـرْدِ آذَنَ بِـالفَنَـا
فَـانْعِـمْ عَلَـيَّ بِفَـرْوَةٍ تَعْـدِي عَلَـى بَـرْدِ الشِّتَـا
وَاسْلَـمْ وَدُمْ فِـي نِعْمَـةٍ عُمُـرَ الـزَّمَـانِ بِـلَا انْقِضَـا

وأنشدني أيضًا لنفسه، ما كتبه إليه، يطلب منه تحقيقه: [من السريع]

يَـا شَـرَفَ الـدِّيْـنِ الجَـوَادَ الَّـذِي يُمْنَـاهُ بِـالمَعْـرُوْفِ مَعْـرُوْفَـهْ
وَمَـنْ لَـهُ نَفْـسٌ عَلَـى كُـلِّ أَنْـ ـوَاعِ التُّقَـى وَالبِـرِّ مَـوْقُـوْفَـهْ
عَبْـدُكَ لَا شَـيْءَ عَلَـى رَأْسِـهِ هَـامَتُـهُ فِـي الحُكْـمِ مَكْشُـوْفَـهْ

وَهْــوَ عَلَــى كَثْــرَةِ تَثْقِيْلِــهِ ... يَــرْجُــو مِــنَ الإِنْعَــامِ تَخْفِيْفَــهْ
فَــاسْمَــحْ بِهَــا وَاسْمَــعْ ثَنَــاءً لَــهُ ... أَجَــادَ فِيْــهِ الفِكْــرُ تَــأْلِيْفَــهْ
وَاسْلَــمْ وَلاَ زَالَــتْ صُــرُوفُ الــرَّدَى ... عَنْــكَ مَــدَى الأَيَّــامِ مَصْــرُوْفَــهْ

/ ٣٨أ/ وأنشدني له فيه من أبيات، حين وثب عليه ذلك الشخص وجرحه، وقتل شخصًا آخر، وكان اسم المقتول غزالاً[١]: [من البسيط]

لَئِــنْ فَــدَى اللهُ إِسْمَــاعِيْــلَ مِــنْ كَــرَمٍ ... بِــالــذِّبْــحِ وَاسْتَعْظَمَتْــهُ الإِنْــسُ وَالجَــانُ
لَقَــدْ فَــدَاكَ بِــإِنْسَــانٍ وَلاَ عَجَــبٌ ... أَنْ يُفْتَــدَى بِجَمِيْــعِ الخَلْــقِ إِنْسَــانُ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الطويل]

أَحِــنُّ إِلَــى بَــانِ العُــذَيْــبِ وَأَثْلِــهِ ... وَأَشْتَــاقُ رَيَّــاهُ وَكُثْبَــانَ رَمْلِــهِ
وَأَصْبُــو إِلَــى آصَــالِــهِ وَهَجِيْــرِهِ ... وَذِكْــرِ لَيَــالِيْــهِ وَبَــارِدِ ظِلِّــهِ
أَأَحْبَــابَنَــا عُــوْدُوا وَعُــوْدُوا مُتَيَّمــاً ... بِحُبِّكُــمُ لاَ يَسْتَفِيْــقُ لِعَــذْلِــهِ
أَضَــرَّ بِــهِ إِعْــرَاضُكُــمْ عَــنْ وُدَادِهِ ... وَعَجَّــلَ صَــرْفُ الــدَّهْــرِ تَشْتِيْــتَ شَمْلِــهِ
وَقَــدْ كَــانَ ذَا عِــزٍّ مَنِيْــعٍ فَبَــاعَــهُ ... رَجَــاءَ رِضَــاكُــمْ فِــي هَــوَاكُــمْ بِــذُلِّــهِ
صَبُــوْرٌ عَلَــى جَــوْرِ الهَــوَى وَعَــذَابِــهِ ... وَقُــوْرٌ عَلَــى حِلْــمِ الــزَّمَــانِ وَجَهْلِــهِ
وَيَحْمِــلُ فِيْكُــمْ لاَ عَــدِمْتُــمْ فُــؤَادُهُ ... غَــرَامــاً يَهُــدُّ الــرَّاسِيَــاتِ بِثِقْلِــهِ
وَلَــوْلاَكُــمْ لَــمْ يَسْفَــحِ الحُــزْنُ دَمْعَــهُ ... عَلَــى السَّفْــحِ مِــنْ حَــزْنِ الغُــوَيْــرِ وَسَهْلِــهِ
وَكَيْــفَ احْتِيَــالِــيْ فِــي اللِّقَــاءِ وَبِيْضُكُــمْ ... وَسُمْــرُكُــمُ كُــلٌّ يُــذَادُ بِمِثْلِــهِ
/ ٣٨ب/ حَرَامٌ عَلَى عَيْنَيَّ أَنْ تَرِدَا الكَرَى ... إِذَا لَــمْ أَفُــزْ مِمَّــنْ أُحِــبُّ بِــوَصْلِــهِ
وَأَغْيَــدَ مَمْشُــوْقِ القَــوَامِ رَشِيْقِــهُ ... مَلِيْــحَ التَّثَنِّــي وَافِــرِ الــرِّدْفِ عَبْلِــهِ
أَحَــلَّ دَمِــي مِــنْ غَيْــرِ جُــرْمٍ سِــوَى الهَــوَى ... وَقَــدْ كَــانَ قَبْــلَ اليَــوْمِ غَيْــرَ مُحِلِّــهِ
إِذَا جِئْــتُ أَشْكُــو مَــا بِقَلْبِــي يَــرِقُّ لِــي ... وَيَخْلِــطُ لِــي جِــدَّ الحَــدِيْــثِ بِهَــزْلِــهِ
وَيُطْمِعُنِــي حَتَّــى أَقُــوْلَ مَلَكْتُــهُ ... وَيُــؤْنِسُنِــي مِــنْ طُــوْلِــهِ طُــوْلَ مَطْلِــهِ
وَإِنْ عَقَــدَ الــزُّنَّــارَ حَــلَّ تَصَبُّــرِي ... وَيَعْقِــدُ عَــنْ جَفْنِــي الكَــرَى عِنْــدَ حَلِّــهِ

---

(١) البيتان في ديوانه ص٧١.

وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

فُؤَادٌ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي يُعَذَّبُ ... وَقَلْبٌ عَلَى نَارِ الأَسَى يَتَقَلَّبُ
وَأَنْتَ لِحَيْنِي مُعْرِضٌ مُتَجَنِّبٌ ... بِنَفْسِيْ وَأَهْلِي المُعْرِضُ المُتَجَنِّبُ
مُرِ الوَجْدَ يَفْعَلْ مَا يَشَاءُ بِمُهْجَتِي ... فَإِنَّ عَذَابِي فِي تَجَنِّيكَ يَعْذُبُ
وَلاَ تَخْشَ مِنْ قَلْبِي سُلُوّاً عَنِ الهُدَى ... وَأَنْتَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ مُحَبَّبُ
إِذَا كَانَ طَرْفِي مُورِدِي مَنْهَلَ الرَّدَى ... فَمَنْ أَشْتَكِي أَمْ مَنْ أَلُومُ وَأَعْتِبُ
صَدَدْتَ فَصَفْوُ العَيْشِ فِيكَ مُكَدَّرٌ ... وَبِنْتَ فَضَوْءُ الصُّبْحِ بَعْدَكَ غَيْهَبُ
وَإِنْ عَادَ يَوْماً وَجْهُ وُدِّكَ مُقْبِلاً ... تَبَسَّمَ لِي وَجْهُ الزَّمَانِ المُقَطِّبُ
سُقِيتَ الحَيَا الغَوْرِيَّ يَا أَرْبُعَ الهَوَى ... وَجَادَكَ مِنْ دَمْعِ المُحِبِّينَ صَيِّبُ
/ ١٣٩أ/ وَحَيَّتْكَ أَنْفَاسُ النَّسِيمِ عَلِيلَةً ... تَمِيلُ بِهَا الأَغْصَانُ نَشْوَى وَتَطْرَبُ
وَنَاحَتْ بِأَعْلَى دَوْحَتَيْكَ حَمَائِمٌ ... تُهَيِّجُ أَشْوَاقَ المُحِبِّ فَيَنْدُبُ
وَلاَ بَرِحَتْ فِيكَ الرِّيَاضُ أَنِيقَةً ... فَإِنَّكَ مَلْهَى لِلْحَبِيبِ وَمَلْعَبُ
عَهِدْتُكَ دَهْراً لِلْبُدُورِ مَطَالِعاً ... وَصَرْفُ الرَّدَى عَنْ سَاحَتَيْكَ مُنَكِّبُ
فَمُذْ رَحَلُوا أَضْحَى بِكَ الدَّهْرُ نَاصِباً ... خِيَامَ عَفَاءٍ بِالرِّيَاحِ تُطَنِّبُ
رَعَى اللهُ لَيْلاَتٍ بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى ... تَقَضَّتْ وَظِلُّ العَيْشِ إِذْ ذَاكَ مُذْهَبُ
لَيَالِيَ تَرْعَى العَهْدَ لَمْيَاءُ فِي الهَوَى ... وَتَصْبُو إِلَى وَصْلِي سُلَيْمَى وَزَيْنَبُ
تَقَضَّتْ عَلَى رُغْمِي قِصَاراً حَمِيدَةً ... فَبُعْداً لِنَفْسٍ بَعْدَهَا لَيْسَ تَذْهَبُ

وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

وَظَبْيٍ غَرِيرٍ غَرَّنِي لِينُ لَفْظِهِ ... وَاجْمَالُهُ المَشْفُوعُ لِي بِجَمَالِهِ
فَهِمْتُ بِهِ مُسْتَعْذِباً مَبْدَأَ الهَوَى ... وَأَنْسَاكَ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ مَآلِهِ
وَمَا خِلْتُ أَنَّ الحَيْنَ فِي سَيْفِ لَحْظِهِ ... وَخَطِّ عِذَارَيْهِ وَنُقْطَةِ خَالِهِ
فَلَمَّا رَآنِي وَاثِقاً بِحَيَائِهِ ... وَأَنَّ فُؤَادِي مُوثَقٌ بِحِبَالِهِ
تَجَاهَلَ عَنِّي مُعْرِضاً فَكَأَنَّنِي ... مِنَ الدَّهْرِ يَوْماً مَا خَطَرْتُ بِبَالِهِ
وَخَلَّفَنِي لاَ آيِساً مِنْ جَفَائِهِ ... وَلاَ طَامِعاً فِي زَوْرِ زَوْرِ خَيَالِهِ(١)

(١) الزَّور الأولى: الزيارة، والثانية: الخيال الذي يرى في الليل.

/ ٣٩ب/ أَرُوحُ بِقَلْبٍ خَافِقٍ مِنْ صُدُودِهِ ... وَأَغْدُو بِظَنٍّ مُخْفِقٍ مِنْ وِصَالِهِ
فَيَا حَالِيًا بِالحُسْنِ رِفْقًا بِعَاطِلٍ ... مِنَ الصَّبْرِ عَانٍ فِي يَدِ الشَّوْقِ وَالِهِ
وَيَا غُصُنًا هَاجَتْ عَلَيْهِ بَلَابِلِي ... وَجَارَ عَلَى ضَعْفِي بِحُسْنِ اعْتِدَالِهِ
تَعَطَّفْ عَلَى قَلْبٍ يُقَلِّبُهُ الأَسَى ... وَصِلْ دَنِفًا أَنْتَ العَلِيمُ بِحَالِهِ

وأنشدني أيضًا من قيله: [من الطويل]

أَأَحْبَابَنَا إِنِّي عَلَى مَا عَهِدْتُمُ ... وَإِنْ لَمْ تَزَالُوا هَاجِرِينَ مُقِيمُ
وَعِنْدِي فُنُونٌ مِنْ أَسًى وَصَبَابَةٍ ... وَبِي مِنْ هَوَاكُمْ مُقْعِدٌ وَمُقِيمُ
وَقَلْبِي الَّذِي حُدِّثْتُمُ عَنْهُ إِنَّهُ ... سَلِيمٌ مِنَ الوَجْدِ القَدِيمِ سَلِيمُ
وُدَادِي وَجِسْمِي مِنْ وَفَائِي وَغَدْرِكُمْ ... بِعَهْدِي صَحِيحٌ فِي الهَوَى وَسَقِيمُ
أَحِنُّ إِلَيْكُمْ كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقٌ ... وَأَصْبُو إِذَا هَبَّتْ صَبًا وَنَسِيمُ
وَأَحْيَا بِذِكْرَاكُمْ إِذَا مَا ذَكَرْتُكُمْ ... وَلَوْ أَنَّ عَظْمِي فِي التُّرَابِ رَمِيمُ
فَلَا غَرْوَ إِنْ أَنْكَرْتَ مَا بِي أَوْ صَبَا ... فُؤَادِي وَأَضْحَى بِالهُمُومِ يَهِيمُ
فَقَدْ يَجْهَلُ الإِنْسَانُ مِنْ أَلَمِ الهَوَى ... وَيَصْبُو إِلَى الأَحْبَابِ وَهْوَ حَلِيمُ

وأنشدني لنفسه يهجو: [من السريع]

لَا تَعْجَبُوا مِنْ جَاهِلٍ أَحْمَقٍ ... بُدِّلَ ذُلًّا دَائِمًا عِزُّهُ
/ ٤٠أ/ إِنْ كَانَ قَدْ صَدَّرَهُ عَجْزُهُ ... دَهْرًا فَقَدْ أَخَّرَهُ عَجْزُهُ

وأنشدني لنفسه يهجو: [من المتقارب]

وَبَلْدَةِ سُوءٍ لَهَا حَاكِمٌ ... طَوِيلُ العَنَاءِ لِتَقْصِيرِهِ
إِذَا أَخْطَأَ الشَّرْعَ فِي حُكْمِهِ ... تَدَارَكَهُ بِمَعَاذِيرِهِ
يَزِيدُ ثَرَاءً عَلَى نَقْصِهِ ... كَمَا زَادَ الاسْمُ بِتَصْغِيرِهِ

وأنشدني لنفسه(١): [من الخفيف]

قَدْ دُفِعْنَا إِلَى زَمَانٍ لَئِيمٍ ... لَمْ نَنَلْ مِنْهُ غَيْرَ غِلِّ الصُّدُورِ
وَمُنِينَا مِنَ الوَرَى بِأُنَاسٍ ... جَعَلَتْهُمْ أَعْجَازُهُمْ فِي الصُّدُورِ

---

(١) البيتان في ديوانه ص٤٨.

وأنشدني لنفسه ما كتبه إلىٰ بعض أصدقائه، يلتمس منه كتاب البديع، وهو الذي صنّفه أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الجزري: [من السريع]

مَـولَايَ عـزَّ الـدِّيْـنِ يَـا مَـنْ لَـهُ ... مَـالٌ مُـذَالٌ وَجَنَـابٌ مَنِيـعْ
وَمَـنْ أَيَـادِيْـهِ وَأَخْـلَاقُـهُ ... يَخْجَـلُ منْهَـا جَعْفَـرٌ وَالـرَّبِيْـعْ
قَـاسَـمَ مَـا تَمْلكُـهُ كَفُّـهُ ... وَلِلْنَـدَىٰ بَيْـنَ البـرَايَـا مُشِيْـعْ
عَبْـدَكَ مَـوْلَايَ بِـهِ حَـاجَـةٌ ... دَعَـتْ إلَـىٰ نَسْـخِ كتَـابِ البَـدِيْـعْ
/٤٠ب/ فَجُـدْ بِـهِ عَـارِيَـةً وَاغْتَنِـمْ ... ثَنَـاءَ عَبْـدٍ شَـاكِـرٍ لِلْصَنِيْـعْ
وَاسلَـمْ وَلَازِلْـتَ مَـدَى الـدَّهْـرِ فِـي ... ظِـلٍّ ظَلِيـلٍ وَمَحَـلٍّ رَفِيْـعْ

وقال أيضًا: [من الكامل]

لَـوْ أَنَّ طَيْفَهُـمُ يَـزُوْرُ لمَـامَـا ... لَشَفَـىٰ أخَـا لَمَـمٍ وَبَـلَّ أُوَامَـا
وَلَـوْ أَنَّهُـمْ رَقُّـوا لـرقِّ سَلِيْمِهِـمْ ... بَعَثُـوا إِلَيْـهِ مَـعَ النَّسِيْـمِ سَـلَامَـا
قَـوْمٌ لجَـارِهِـمُ الأَمَـانُ مِـنَ الـرَّدَىٰ ... إلَّا إذَا كَـانَ الغَـرِيْـمُ غَـرَامَـا
مِـنْ كُـلِّ قَـدٍّ أَهْيَـفٍ وَكَحِيْلَـةٍ ... هَـزُّوا وَسَلُّـوا ذَابِـلًا وَحُسَـامَـا
سَـارُوْا بُـدُوراً فِـي بُـرُوجِ هَـوَادِجٍ ... وَكَسَـىٰ وُجُـوْهَهُـمُ الكُسُـوفُ تمـامـا
شَـامُـوا البُـرُوْقَ مِـنَ الحجـازِ لَـوَامِعًـا ... فَغَـدُوا لِـذَلِـكَ هَـاجِـرِيْـنَ الشَّـامَـا
بَلَغُـوا مِـنَ الحَـرَمِ المُعَظَّـمِ مَنْـزِلًا ... وَمِـنَ المَقَـامِ مُخَيَّمـًا وَمُقَـامَـا
لَا كَـانَ قَلْبِـي إنْ عَصَـىٰ فِـي حُبِّهِـمْ ... أَمْـرَ الصَّبَـابَـةِ أَوْ أَطَـاعَ مَـلَامَـا

وقال أيضًا: [من الطويل]

تُـرَىٰ مَـنْ لِصَـبٍّ بَـانَ عَنْـهُ سُكُـوْنُـهُ ... هَـوَاكَ وَإنْ لَـمْ يَحْـظَ بِـالقُـرْبِ دِيْنُـهُ
مُسَهَّـدِ جَفْـنٍ نَـامَ عَنْـهُ سَمِيْـرُهُ ... وَنَمَّـتْ عَلَيْـهِ بِـالشُّـؤُوْنِ شُـؤُوْنُـهُ
لَـهُ جَسَـدٌ هُـوَ ميّـتٌ خَـافٍ ... عَلَـىٰ نَظَـرِ العُـوَّادِ لَـوْلَا أَنِيْنُـهُ
/٤١أ/ وَدَاءُ الهَـوَىٰ بَادِيـهِ أَيْسَـرُهُ الضَّنَـىٰ ... وَأَقْتَلُـهُ لِلْمُسْتَهَـامِ دَفِيْنُـهُ
غَـدَا عنـدَهُ عَـذْبًـا أَلِيْـمُ عَـذَابِـهِ ... وَعِـزًّا لَـهُ إذْ كَـانَ يُـرْضِيْـكَ هُـوْنُـهُ
وَأَلْفَـاكَ مَطْلُـوْبًـا لَـكَ القَتْـلُ فَـاسْتَـوَىٰ ... لَـدَيْـهِ مُنَـاهُ فِـي الهَـوَىٰ وَمَنُـوْنُـهُ
وَبِـي مِنْـكَ طَـرْفٌ بَـابِلِـيٌّ فُتُـوْرُهُ ... يَـزِيْـدُ فُـؤَادِي صَبْـوَةً وفتـونـه

مَحَاسِنُ هَذَا الكَوْنِ أَنْتَ مَغِيضُهَا   وَمَوْرِدُ بَحْرِ الحُبِّ قَلْبِي مَعِينُهُ
فَشَمْسُ الضُّحَى مِنْ نُورِ وَجْهِكَ نُورُهَا   وَبَانُ اللِّوَى مِنْ لِينِ عِطْفِكَ لِينُهُ
فَمَا شَاهِدٌ إِلَّا بِحُسْنِكَ شَاهِدٌ   وَلَا غَائِبٌ إِلَّا إِلَيْكَ حَنِينُهُ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

هَلْ إِلَى ثَغْرِكِ المَنِيعِ طَرِيقُ   أَمْ لِطَيْفِ الخَيَالِ مِنْكِ طُرُوقُ
يَا ابْنَةَ العَامِرِيِّ عَهْدِيَ عَلَى النَّأْ   يِ جَدِيدٌ وَعَقْدُ وُدِّيَ وَثِيقُ
وَفُؤَادِي فَدَاكِ عَانٍ أَسِيرٌ   مُسْتَهَامٌ وَدَمْعُ عَيْنِي طَلِيقُ
لَكِ حُسْنٌ بِالحُبِّ يُغْرِي وَلِي وُ   دٌّ عَنِ الصَّبْرِ وَالسُّلُوِّ يَعُوقُ
هَلْ تُرَى وَقْفَةٌ بِنَهْرِ المُعَلَّى   يَلْتَقِي شَائِقٌ بِهَا وَمَشُوقُ
فَأُبِثَّ الوَجْدَ الَّذِي هُوَ لِلـ   ـبِّ رَحِيقٌ وَفِي الضُّلُوعِ حَرِيقُ
وَأَرَى شَاهِدًا بِعَيْنِ عِيَانِي   مِنْ ثَنَايَاكِ مَا حَكَتْهُ البُرُوقُ
/ ٤١ب/ وَبِيَ الأَهْيَفُ الَّذِي لَحْظُهُ وَالْـ   ـقَدُّ ذَا رَاشِقٌ وَهَذَا رَشِيقُ
رَاحَ فِي حُسْنِهِ غَرِيبًا وَإِنْ كَا   نَ شَقِيقًا لِوَجْنَتَيْهِ الشَّقِيقُ
ثَغْرُهُ لُؤْلُؤٌ وَسَافِحُ دَمْعِي   فِي ثَرَى السَّفْحِ لُؤْلُؤٌ وَعَقِيقُ
كُلُّ مَعْنًى مِنَ الجَمَالِ بَدِيعٌ   مِنْ مَعَانِي جَمَالِهِ مَسْرُوقُ
فِيهِ يَهْفُو لُبُّ الحَكِيمِ وَيَجْفُو   فِي هَوَى مِثْلِهِ الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ

وقال أيضًا(١): [من الطويل]

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ مِنْ دِيَارِكُمُ عَنَّا   أَلَمَّ فَكَمْ أَضْنَى فُؤَادًا وَكَمْ عَنَّى
بَدَا حَاكِيًا تِلْكَ الثُّغُورَ ابْتِسَامُهُ   وَعَادَ نَحِيلًا حَاكِيًا جِسْمِيَ المُضْنَى
وَسُلَّ كَسَيْفِ الهِنْدِ مِنْ غِمْدِ أُفْقِهِ   اخْتِلَاسًا لِقَتْلِ الغُمْضِ فِي مُقْلَتِي وَهْنَا
فَلَوْ لَمْ يَحُلْ مِنْ دُونِهِ دَمُ عَبْرَتِي   جَعَلْتُ لَهُ جَفْنِي غَرَامًا بِهِ جَفْنَا
أَأَحْبَابَنَا قَضَّيْتُ فِيكُمْ شَبِيبَتِي   وَلَمْ تَشْفَعُوا يَوْمًا بِحُسْنِكُمُ حُسْنَا
وَمَا نِلْتُ مِنْ مَأْمُولِ وَصْلِكُمُ مُنًى   وَلَا ذُقْتُ مِنْ رَوْعَاتِ هَجْرِكُمُ أَمْنَا
أَسَرْتُمْ وَقَيَّدْتُمْ فُؤَادِي بِحُبِّكُمْ   فَهَا هُوَ لَا يَرْجُو فِدَاءً وَلَا مَنَّا

(١) الأبيات ١ ـ ٤ في ديوانه ص٧٣.

سَلُو دارُكُمْ بالحَزْنِ كَمْ مِنْ مَدامِعٍ ... وَمِنْ مُهَجٍ سالَتْ لِبَيْنِكُمُ حُزْنا
وَهَلْ أَبْرَقُ الحَنّانِ صَوَّحَ نَبْتُهُ ... بِلَوْعَةِ قَلْبٍ غَيْرِ قَلْبِيَ إِذْ حَنّا(١)

/ ٤٢أ/ وقال أيضًا: [من الطويل]

عَنَى فيكُمُ المُشْتاقَ فَرْطُ عَنائِهِ ... فَرِقُّوا لِما يَلْقاهُ مِنْ بُرَحائِهِ
وَمُنُّوا بِإِهْداءِ النَّسيمِ مِنَ الحِمَى ... وَإِنْ كانَ يُذْكِي الوَجْدَ بَرْدُ هَوائِهِ
عُرَيْبَ الحِمَى إِنَّ الأُسُودَ بِرَبْعِكُمْ ... لِقَتْلي ظُبا أَلْحاظِ عِيْنِ ظِبائِهِ
أَيُطْلَقُ مِنْ أَسْرِ الصَّبابَةِ مُغْرَمٌ ... بَعادُكُمُ وَالشَّوْقُ مِنْ غُرَمائِهِ
سقيكم ما احْمَرَّ إِلاّ بِما سَقَى ... بِهِ جَفْنُهُ تُرْبَ الحِمَى مِنْ دِمائِهِ
لَئِنْ صَوَّحَتْ رَوْضاتُهُ مِنْ زَفيرِهِ ... لَقَدْ رَوَّضَتْ ساحاتُهُ مِنْ بُكائِهِ
أَأَحْبابَنا ما حالَ عَهْدُ مَشُوقِكُمْ ... وَلا حَلَّ كَفُّ الغَدْرِ عَقْدَ وَفائِهِ
وَعَبْدُ هَواكُمْ مِنْ نَواكُمْ عَلَى شَفا ... بَلَى فَتَلافَوا عَبْدَكُمْ لِشِفائِهِ

وقال أيضًا: [من مجزوء الرجز]

هُمُ المُنَى وَالغَرَضُ ... إِنْ أَقْبَلُوا أَوْ أَعْرَضُوا
وَهُمْ حُلُولٌ في الحَشا ... إِنْ خَيَّمُوا أَوْ قَوَّضُوا
نَهَوا عَنِ الحُبِّ وَلَـ ... ـكِنْ نَهْيُهُمْ يُحَرِّضُ
لَيْسَ لِقَلْبي عَنْهُمُ ... وَإِنْ أَساؤُوا عِوَضُ
إِنْ أَعْرَضُوا فَلِلْبِلَى ... بِمُهْجَتي تَعَرُّضُ
/ ٤٢ب/ يَسْوَدُّ مِنْ سُخْطِهِمُ ... وَجْهُ النَّهارِ الأَبْيَضُ
وَيَنْجَلي جُنْحُ الدُّجَى ... إِنْ واصَلُوني ورَضُوا
صِحَّةُ وَجْدي بِهِمُ ... في القَلْبِ مِنْهُمْ مَرَضُ
أَصارَ قَتْلي سُنَّةً ... هَواهُمُ المُفْتَرَضُ

وقال أيضًا: [من الكامل]

أَبْدَتْ لَكَ الأَيّامُ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ ... في ثَوْبِ رَوْضٍ بِالنَّباتِ مُشَهَّرِ

---

(١) أبرق الحنَّان: ماء لبني فزارة. انظر: معجم البلدان/ مادة (أبرق الحنان).

فَالْقَ الرَّبِيْعَ بِطَلْقِ وَجْهِكَ بَاسِماً ... وَاسْحَبْ إِلَى اللَّذَاتِ ذَيْلَ مُشَمِّرِ
وَاسْتَجْلِ مِنْ حَلَبِ الكُرُوْمِ كَرِيْمَةً ... فِيْهَا تَلِيْقُ خَلاَعَةُ المُتَوَقِّرِ
فِي لَيْلِ صَحْوٍ بِالمُدَامَةِ مُشْمِسٍ ... وَنَهَارِ غَيْمٍ بِالأَزَاهِرِ مُقْمِرِ
فَالرَّوْضُ بَيْنَ مُدَبَّجٍ وَمُضَرَّجٍ ... وَالزَّهْرُ بَيْنَ مُدَرْهَمٍ وَمُدَنَّرِ
وَالمَاءُ بَيْنَ مُصَفَّقٍ وَمُسَدَّلٍ ... وَالتُّرْبُ بَيْنَ مُمَسَّكٍ وَمُعَنْبَرِ
وَكَأَنَّ قَدَّ السَّرْوِ قَدُّ مُهَفْهَفٍ ... نَشْوَانَ مِنْ رَاحِ الصِّبَا يَتَبَخْتَرُ
وَكَأَنَّمَا النَّارَنْجُ فِي أَوْرَاقِهِ ... جَمَرَاتُ نَارٍ فِي رِدَاءٍ أَخْضَرِ
وَتَرَى الحَمَامَةَ فَوْقَ مُزْهِرِ غُصْنِهَا ... تَشْدُو مُطَرِّبَةً كَقَيْنَةِ مِزْهَرِ
وَالعَنْدَلِيْبُ عَلَى الغُصُوْنِ مُرَدِّدُ الـ ... ـنَّغَمَاتِ يَخْطُبُ فَوْقَ أَشْرَفِ مِنْبَرِ
/ ٤٣أ/ يَا أَيُّهَا المَلِكُ الَّذِيْ أَيَّامُهُ ... صَفْوُ الزَّمَانِ وَغُرَّةٌ فِي الأَعْصُرِ
. . . . . مِنْ كَفَّيْكَ إِذَا مطرتها ... سحب النَّدَى والجُوْدُ عدة أَنْهُرِ
مُلِّئَتْ قَصْرَ النَّيْرَبِ المُوْفِي بِإِتْـ ... ـقَانِ البِنَاءِ عَلَى البِنَاءِ الجَعْفَرِيْ
لَوْ كَانَ فِي أَيَّامِ كِسْرَى قَصَّرَتْ ... عَنْهُ أَمَانِيْهِ وَهِمَّةُ قَيْصَرِ
هُوَ جَنَّةُ الدُّنْيَا . . . . كَوْثَرٌ ... وَثَرَاهُ كَالمِسْكِ السَّحِيْقِ الأَذْفَرِ
فَرِيَاضُهُ مِنْ سُنْدُسٍ وَحِيَاضُهُ ... مِنْ قَرْقَفٍ وَنَسِيْمُهُ مِنْ عَنْبَرِ
وَبِهِ مِنَ الوِلْدَانِ حَوْلَكَ كُلُّ فَتَّـ ... ـانِ اللَّوَاحِظِ كَالغَزَالِ الأَحْوَرِ
مِنْ آلِ يَافِثَ رَبِّ خَصْرٍ نَاحِلٍ ... وَمُؤَزَّرٍ فَعْمٍ وَطَرْفٍ أَخْزَرِ
يَسْطُو عَلَى لَيْثِ العَرِيْنِ بِأَبْيَضٍ ... مِنْ جَفْنِهِ وَمِنَ القَوَامِ بِأَسْمَرِ
لاَزِلْتَ يَا مَلِكَ الوَرَى فِي نِعْمَةٍ ... تَبْقَى بَشَاشَتُهَا بِغَيْرِ تَغَيُّرِ

وقال أيضاً[1]: [من الكامل]

يَا ظَبْيُ كَمْ تُرْدِي الأُسُوْدَ وَأَنْتَ فِي ... حَرَمِ المَلاَحَةِ مُسْتَقِرٌّ آمِنُ
لَوْلاَ سِهَامُ فُتُوْرِ طَرْفِكَ لَمْ أَخَلْ ... أَنَّ الجُفُوْنَ الفَاتِرَاتِ كَنَائِنُ
هَبْ أَنَّ طَرْفِي بَانَ عَنْهُ رُقَادُهُ ... يَا نُوْرَهُ إِذْ أَنْتَ عَنْهُ بَائِنُ
فَعَلاَمَ لاَ يَنْفَكُّ قَلْبِي خَافِقاً ... شَوْقاً إِلَيْكَ وَأَنْتَ فِيْهِ سَاكِنُ؟

---

(١) الأبيات في ديوانه ص ٧٠ ـ ٧١.

/ ٤٣ب/ وقال أيضًا: [من الرجز]

كَمْ بَيْنَ سَهْلِ المُنْحَنَى وَحَزْنِهِ … مِنْ مُطْلَقِ الدَّمْعِ أَسِيرِ حُزْنِهِ
يُصَوِّحُ النَّبْتُ بِنَارِ وَجْدِهِ … وَتُعْشِبُ الأَرْضُ بِمَاءِ جَفْنِهِ
وَمِنْ فُؤَادٍ خَافِقٍ مُرَوَّعٍ … بِسَاكِنِ الوَجْدِ وَمُطْمَئِنِّهِ
وَبِي غَرِيرٌ نَهَبُ أَلْبَابِ الوَرَى … غَيْرُ بَعِيدٍ مِنْ بَدِيعِ حُسْنِهِ
يُغْنِي فُتُورُ طَرْفِهِ وَاللِّينُ مِنْ … قَوَامِهِ عَنْ ضَرْبِهِ وَطَعْنِهِ
فَلَحْظُهُ إِذَا رَنَا كَعَضْبِهِ … وَقَدُّهُ إِذَا انْثَنَى كَلَدْنِهِ
يَا بَاخِلاً بِوَصْلِهِ إِنْ لَمْ تَجُدْ … عَلَى المَشُوقِ بِالمُنَى فَمَنِّهِ
يَحْسُنُ سُوءُ الظَّنِّ مِنْكَ عِنْدَهُ … حُبًّا وَإِنْ خَيَّبْتَ حُسْنَ ظَنِّهِ
لِي دَمُ دَمْعٍ نَابَ فِي سُقْيَا الحِمَى … وَأَهْلِهِ عَنْ هَاطِلاتِ مُزْنِهِ

وقال أيضًا(١): [من الكامل]

غِشُّ المُفَنِّدِ كَامِنٌ فِي نُصْحِهِ … فَأَطِلْ وُقُوفَكَ بِالغُوَيْرِ وَسَفْحِهِ
وَاخْلَعْ عِذَارَكَ فِي مَحَلٍّ رِيُّهُ … بِـزَدَادِ دَمْعُ العَاشِقِينَ وَسَحِّهِ
وَإِذَا سَرَى سَحَرًا طَلِيحُ نَسِيمِهِ … مَالَتْ بِهِ سُكْرًا ذَوَائِبُ طَلْحِهِ
وَدَعِ الوَقَارَ لِحُبِّ سَاكِنِهِ وَلاَ … تَحْفَلْ بِذَمِّ أَخِي الوَقَارِ وَمَدْحِهِ
/ ٤٤أ/ مَا صَادِقٌ فِي الحُبِّ مَنْ هُوَ عَالِمٌ … فِيهِ بِحُسْنِ صَنِيعِهِ أَوْ قُبْحِهِ
جَهِلَ الهَوَى قَوْمٌ فَرَامُوا وَصْفَهُ … خَلِّ الهَوَى وَجَنَابَهُ عَنْ شَرْحِهِ
وَبِيَ الَّذِي يُغْنِيهِ فَاتِرُ طَرْفِهِ … عَنْ سَيْفِهِ وَقَوَامُهُ عَنْ رُمْحِهِ
ظَبْيٌ يُؤَنِّسُ بِالغَرَامِ نِفَارُهُ … وَيَجِدُّ فِي نَهْبِ القُلُوبِ بِمَزْحِهِ
أَسْتَعْذِبُ التَّعْذِيبَ فِي كَلَفِي بِهِ … وَالحُبُّ لَذَّةُ طَعْمِهِ فِي بَرْحِهِ
يَا شَاهِرًا مِنْ جَفْنِهِ عَضْبًا غَدَا … مَاءُ المَنِيَّةِ بَادِيًا فِي صَفْحِهِ
وَمُعَرْبِدًا فِي صَحْوِهِ وَمُبَاعِدًا … فِي قُرْبِهِ وَمُحَارِبًا فِي صُلْحِهِ
نَمْ لاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ فِي سَهَرِي وَمَا … أَلْقَاهُ فِي اللَّيْلِ الطَّوِيلِ وَجُنْحِهِ
وَسَعَى إِلَيْكَ بِيَ العَذُولُ وَإِنَّنِي … لأَخِيبُ إِنْ ظَفِرَ العَذُولُ بِنُجْحِهِ

(١) القصيدة كاملة في ديوانه ص٣٣ ـ ٣٤ قوامها ١٨ بيتًا.

طَــرِفِــيْ وَقَلْبِــيْ ذَا يَسِيْــلُ دَمَــاً وَذَا ... دُوْنَ الــوَرَىٰ أَنْــتَ العَلِيْــمُ بِقَــرْحِــهِ
وَهُمَــا بِحُبِّــكَ شَــاهِــدَانِ وَإِنَّمَــا ... تَعْــدِيْــلُ كُــلِّ مِنْهُمَــا فــي جُــرْحِــهِ
وَالقَلْــبُ مَنْــزِلُــكَ القَــدِيْــمُ فَــإِنْ تَجِــدْ ... فِيْــهِ سِــوَاكَ مِــنَ الأَنَــامِ فَنَحِّــهِ

[٧٥٢]

مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ الحسنِ بنِ الفضلِ بنِ المطلبِ، أبو القاسمِ البغداديُّ.

هكذا أملىٰ / ٤٤ب/ عليَّ نسبه لمّا سألتُه عنه، ويعرف بالنقّاش.

ورد هذا الشاعر الموصل من أرض الشام، سنة ثلاثين وستمائة، وسكنها ولقيته بها في التاريخ المذكور. وهو رجل طويل أشعر.

وأنشدني شعراً كثيراً في مدائح بني أيوب ملوك الشام، وادّعىٰ أنه من إنشائه وعمله. ولم يزل يتوصل إلىٰ الأمراء والرؤساء، ويتقرب إليهم ويمدحهم بالشعر، لينفق سوق شعره حتىٰ أوصلوه إلىٰ حضرة المولىٰ المالك، الملك الرحيم، بدر الدين ـ خلد الله ملكه ـ وزعم أنَّه قد نظم في معاليه عدّة قصائد، أفردها في مجلدة، فلما سمع بها المولىٰ المالك الملك الرحيم، خلع عليه خلعة سنية، وأثابه علىٰ مدحه له ستين ديناراً.

ثم رحل إلىٰ مدينة السلام قاصداً مولانا وسيدنا الإمام أمير المؤمنين المستنصر بالله ـ أدام الله أيامه ـ. ثم إنَّني خبرت بعد رحيله إلىٰ بغداد، أنَّه كان من أهل واسط، وأنَّ أباه كان جمالاً يكري الجمال، وأنَّه ظفر بأشعار نجم الدين يعقوب بن صابر المنجنيقي فأغار عليها، وانتحلها لنفسه، يقصد بها الناس ممتدحًا، فقيل له: إنَّك تسرق أشعار الناس / ٤٥أ/ وتدّعيها. ثم امتحن في عمل قصيدة ومعنىٰ، فبقي أيامًا لم يجبه خاطره إلىٰ المقترح عليه.

وكان يقول شعراً بارداً، ومما أنشدني لنفسه، وزعم أنَّه له، هذه القصيدة التي أنا ذاكرها، يمدح بها الملك المعظم أبا الحسن عليّ بن الإمام الناصر لدين الله ـ رضي الله عنهما ـ: [من الوافر]

غَوَادِيْ المُزْنِ بِالرَّاحِ امْطِرِيْنَا ... وَبِالصِّرْفِ الحُمَيَّا بَاكِرِيْنَا
وَرَوِّيْنَا مِنَ الصَّهْبَاءِ إِنَّا ... إِلَى شُرْبِ المُدَامَةِ قَدْ ظَمِيْنَا
وَقَدْ أَخَذَتْ لَيَالِيْ الصَّوْمِ مِنَّا ... مَآخِذَهَا فَرُحْنَا مُجْدِيْنَا
وَكَادَ يُمِيْتُنَا بِعَذَابِ قُرٍّ ... تَطِيْبُ بِهِ لَظَى لِلْمُصْطَلِيْنَا
فَبِتْنَا نَسْتَلِذُّ النَّارَ فِيْهِ ... عَلَى جَمْرِ المَجَامِرِ رَاقِدِيْنَا
يَكَادُ القُرُّ يَعْقِرُنَا ظُهُوراً ... وَلَذْعُ الجَمْرِ يَعْقِرُنَا بُطُوْنَا
وَلَوْلَا أَنَّ خَالِقَنَا رَحِيْمٌ ... لَكَانَ البَرْدُ مَثْوَى المُجْرِمِيْنَا
فَحَيِّيْ الشَّارِبِيْنَ بِكَأْسِ رَاحٍ ... تَطِيْبُ بِهِ نُفُوْسُ الشَّارِبِيْنَا
فَقَدْ طَابَتْ لِشَارِبِهَا الحُمَيَّا ... وَهَلَّ هِلَالُ عِيْدِ الصَّائِمِيْنَا
وَآذَنَتِ اللَّيَالِيْ مِنْ شُبَاطٍ ... بِتَقْوِيْضٍ وَرَاءَ الظَّاعِنِيْنَا
وَبَانَ الصِّنُّ وَالصِّنَّبْرُ مِنْهُ ... بِسَبْعٍ يَقْتَفِيْنَ الأَرْبَعِيْنَا(١)
/٤٥ب/ وَأَلْبَسَتِ الجِمَارُ الأَرْضَ وَشْياً ... مِنَ المَنْثُوْرِ مَنْثُوراً فُتُوْنَا
وَقَدْ حَمِيَتْ مُحَدَّبَةً صَعِيْداً ... وَقَدْ بَرُدَتْ مُقَعَّرَةً مَعِيْنَا
وَجَادَتْهَا السَّوَارِيْ وَالغَوَادِيْ ... فَطَبَّقَتِ الأَبَاطِحَ وَالحُزُوْنَا
فَقَهْقَهَ رَاعِدٌ وَبَكَى غَمَامٌ ... فَخِلْنَا الجَوَّ مَسْرُوْراً حَزِيْنَا
وَغَنَّى بُلْبُلٌ وَشَدَا هَزَارٌ ... فَمَاسَ الدَّوْحُ مِنْ طَرَبٍ غُصُوْنَا
وَخِلْنَا الأَرْضَ فِي الدِّيْبَاجِ تُجْلَى ... عَرُوْساً مِنْ بَنَاتِ المُتْرَفِيْنَا
مُدَغْدَغَةً مَرَابِيْهَا سُيُوْلاً ... مُفَجَّرَةً رَوَاسِيْهَا عُيُوْنَا
يَعَافُ صَعِيْدُهَا إِلَّا اخْضِرَاراً ... وَيَأْبَى الغُصْنُ إِلَّا أَنْ يَلِيْنَا
شَأَى مَنْثُوْرُهَا الأَزْهَارَ سَبْقاً ... فَحَازَ هُنَاكَ سَبْقَ السَّابِقِيْنَا
يَقُوْلُ تَأَهَّبُوا لِلْوَرْدِ بَعْدِيْ ... فَقَدْ وَافَاكُمُ وَاليَاسَمِيْنَا
وَثَغْرُ الزَّهْرِ يَبْسِمُ عَنْ أَقَاحٍ ... يَهِيْجُ بِهِ غَلِيْلُ العَاشِقِيْنَا
وَوَجْهُ الأَرْضِ وَضَّاحٌ طَلِيْقٌ ... لِوَجْهِ فَتَى أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَا
فَلِلْمَلِكِ المُعَظَّمِ نُوْرُ وَجْهٍ ... تَقَرُّ بِهِ عُيُوْنُ النَّاظِرِيْنَا

---

(١) الصِّنُّ: يوم من أيام العجوز، وكذلك الصنبر.

إذَا مَا لاحَ عَنْ قُرْبٍ وبُعْدٍ ... تَخِرُّ لَهُ المَلائِكُ سَاجِدِيْنَا
تُعَفِّرُ دُوْنَهُ خَدّاً وَتَدْمَى ... عَلَى تُرْبِ المَبَاسِمِ لاَثِمِيْنَا
/ ١٤٦أ/ وَأحْرَى أنْ تَحُفَّ بِهِ رِكَابَاً ... وَأنْ تَغْدُو عَلَيْهِ عَاكِفِيْنَا
وَأنْ تَدْعُو لِدَوْلَتِهِ وَتَعْنُو ... كَمَا نَدْعُو وَنَعْنُو مُخْلِصِيْنَا
لَهُ المَعْرُوْفُ مَعْرُوْفٌ لَدَيْهِمْ ... وَهُمْ فِيْهِ الكِرَامُ الكَاتِبُوْنَا
وَلَوْلاَ اللّهُ مُجْزِيْهِمْ حِسَابَاً ... تَعَالَى اللهُ خَيْرُ الحَاسِبِيْنَا
يُرِيْكَ سَمَاحُ رَاحَتِهِ وَجَدْوَى ... يَدَيْهِ كُلَّ ذِي كَرَمٍ ضَنِيْنَا
تَخَالُ الغَيْثَ مُنْهَمِراً شِمَالاً ... لَهُ وَالبَحْرَ مُنْسَكِباً يَمِيْنَا
قَتُوْلاً عِنْدَ سَطْوَتِهِ سَفُوْكاً ... حَلِيْماً عِنْدَ قُدْرَتِهِ رَصِيْنَا
رَؤُوْفاً بِالعِبَادِ لَهُمْ رَحِيْماً ... حَفِيْظاً فِي رِعَايَتِهِمْ أَمِيْنَا
سَمِيْعاً حِيْنَ نَدْعُوْهُ مُجِيْباً ... مُثِيْباً حِيْنَ نَسْأَلُهُ مُعِيْنَا
يَرَى ظُلْمَ اللُّهَى بِالجُوْدِ عَدْلاً ... وَقَتْلَ الفَقْرِ بِالنَّعْمَاءِ دِيْنَا
يَجُوْدُ عَلَى العُفَاةِ بِلاَ سُؤَالٍ ... صِيَانَةَ أوْجُهٍ لِلسَّائِلِيْنَا
وَيَعْصِمُ مِنْ خُطُوبِ الدَّهْرِ جَاراً ... وَيُرْغِمُ فِيْهِ أنْفَ الحَاسِدِيْنَا
يَطِيْرُ إلَى المِرِيْخِ بِغَيْرِ دِرْعٍ ... وَأُسْدُ الغَابِ تَدَّرِعُ العَرِيْنَا(١)
وَنَطْرُدُ بِاسْمِهِ الشَّيْطَانَ عَنَّا ... غَدَاةَ بِهِ نَرُوْحُ مُسَبِّحِيْنَا
وَأُقْسِمُ لَوْ دَرَى إبْلِيْسُ مَنْ فِي ... تُرَابِ آدَمٍ مِنْهُ دَفِيْنَا
/ ١٤٦ب/ أطَاعَ اللهَ فِيْهِ وَكَانَ يَوْماً ... إمَامَ السَّاجِدِيْنَ الرَّاكِعِيْنَا
وَلَمْ يَقُلِ اللَّعِيْنُ خُلِقْتُ نَاراً ... لآدَمَ عِزَّةً وَخُلِقْتَ طِيْنَا
بِهِ فَخْرُ الأئِمَّةِ مِنْ قُرَيْشٍ ... إذَا افْتَخَرَتْ رِجَالٌ بِالبَنِيْنَا
ألَيْسَ سَلِيْلَ مَنْ مَلَكَ البَرَايَا ... وَسَادَهُمُ وَأمَّ المُسْلِمِيْنَا
أبُو العَبَّاسِ مَوْلَى النَّاسِ طُرّاً ... لَهُ رِقُّ الخَلاَئِقِ أجْمَعِيْنَا
أتَمَّ اللهُ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ ... وَعَاشَ مُعَمَّراً فِي الخَالِدِيْنَا

---

(١) يبدو أن تخفيف «المريخ» ضرورة شعرية.

[٧٥٣]

مُحَمَّدُ بنُ عُثمانَ بنِ مُحَمَّدٍ، أبو عبدِ اللهِ النقجوانيُّ الملحنُ.

نزيلُ الموصِلِ.

حاذق في صنعة الغناء والألحان. كان متصلاً بخدمة بني أتابك أمراء الموصل منهم: عز الدين مسعود، ثم ولده نور الدين أرسلان شاه، ثم ولده الملك الظاهر عز الدين مسعود، ثم انقطع إلىٰ حضرة المولىٰ المالك الملك الرحيم بدر الدين أبي الفضائل ـ أعزّ الله أنصاره ـ وتقدّم لديه وقرّبه، وأنعم عليه إنعامًا وافراً، يعلّم جواريه المجتمعة بمجلسه.

سألت أبا عبد الله عن ولادته، فقال: ولدت / ٤٧أ/ خامس عشري المحرم سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وله نظم غثّ، مضطرب الوزن.

أنشدني لنفسه، يمدح أتابك نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي ـ رضي الله عنه ـ: [من الرمل]

يَـا مَلِيكًـا قَـدْ عَـلاَ سُلْطَـانُـهُ ... شَـاعَ فِـي كُـلِّ الـوَرَىٰ إحْسَـانُـهُ

مَـالِـكَ الشَّـرْقِ وَسُلْطَـانَ الـوَرَىٰ ... قَـدْ تَعَـالَـىٰ كُـلَّ يَـوْمٍ شَـانُـهُ

نُـوْرَ دِيْـنِ اللهِ شمسـًا للعُـلا ... مَـا وَنَـىٰ فِـي خَلْقِـهِ دَيَّـانُـهُ

مُحْكَـمٌ فِـي رَأْيِـهِ ذُوْ حُجَّـةٍ ... مُتْقَـنٌ قَـدْ زَادَهُ إِتْقَـانُـهُ

قَـدْ دَعَـا الخَلْـقَ إِلَـىٰ دِيْـنِ الهُـدَىٰ ... دَعْـوَةً طَـرَّزَهَـا إِيْمَـانُـهُ

نُـوْرُ دَعْـوَاهُ بَيَـانٌ وَاضِـحٌ ... مُسْتَنِيْـرٌ ظَـاهِـرٌ بُـرْهَـانُـهُ

وَهْـوَ فِـي إِيْمَـانِـهِ مُسْتَيْقِـنٌ ... زَادَ فِـي إِيْمَـانِـهِ إِيْقَـانُـهُ

أَصْبَـحَ الإِيْمَـانُ عُـرْيَـانًـا فَمُـذْ ... إِتَّقَـىٰ اللهَ اكْتَسَـىٰ عُـرْيَـانُـهُ

نَيْلُـهُ فِـي الـدَّهْـرِ رَايَـاتِ العُـلاَ ... مُمْكِـنٌ وَافَقَـهُ إِمْكَـانُـهُ

فَهْـوَ طَـوْدٌ شَـامِـخٌ فِـي مُلْكِـهِ ... وَهْـوَ دَوْحٌ قَـدْ عَلَـتْ أَغْصَـانُـهُ

مُـذْ تَـوَلَّـىٰ المُلْـكَ فِـي إِقْلِيْمِـهِ ... لَـمْ تَـزَلْ مَعْمُـوْرَةً بُلْـدَانُـهُ

[٧٥٤]

مُحَمَّدُ بنُ جعفر بن مُحَمَّد بنِ محمود /٤٧ب/ بنِ هبة الله أبو عبدِ الله بنُ القَاضَي أبي مُحَمَّدٍ الكفرعَزي الإربليّ.

وقد تقدم شعر والده في مكانه(١).

أخبرني أنه ولد بإربل في شوال سنة أربع وثمانين وخمسمائة. تولّى كتابة الإنشاء في دولة الملك المعظم مظفر الدين كوكبوري بن علي بن بكتكين ـ رضي الله عنه ـ في شهر رمضان سنة تسع وعشرين وستمائة.

أنشدني لنفسه: [من البسيط]

يَا مَنْ إذَا جَادَ أغْنَى الخَلْقَ قَاطبَةً ... وَمَنْ إذَا رَامَ حفْظَ المَال لَمْ يُطق
أمْطرْ عَلَيَّ سَحَابًا منْ نَدَاكَ وَجُدْ ... . إنَّني أخْشَى منَ الغَرَق

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الطويل]

فَهَلْ أحَدٌ في الخَلْق غَيْرُكَ يُرْتَجَى ... وَهَلْ أحَدٌ إلاّكَ في النَّاس يُقْصَدُ
فَإنْ كَانَ فَارْشُدْنَا إلَيْه فَلَمْ نَجدْ ... سوَاكَ امْرَأً يُثْنَى عَلَيْه وَيُحْمَدُ

وأنشدني قوله: [من الوافر]

لَهُ رَأْيٌ يَفُلُّ شَبَا الأعَادي ... وَعَزْمٌ مثْلُ مَا انْتُضيَ الحُسَامُ
لَهُ قَلَمٌ بأرْزَاق البَرَايَا ... كَفيْلٌ وَاثقُوْنَ بَه الأنَامُ

وأنشدني أيضًا في الملك العزيز يعقوب بن الملك العادل، /٤٨أ/ وكان مختصًا بخدمته، وقد آب من سفر: [من الطويل]

أضَاءَتْ بكَ الأيَّامُ بَعْدَ ظليلها ... وَعَادَ سُرُوْرُ الخَلْق بَعْدَ ذَهَابه
فَأنْتَ هلاَلُ الأرْض يَا خَيْرَ مَالك ... وَبَحْرُ نَدًى طَام بفَيْض عُبَابه
أجرْني مُجيْرَ الدِّيْن منْ حُبِّ شَادنٍ ... رَمَاني بهجْرَان وَعُظْم مُصَابه
وَكَمْ لَوْعَة جُرِّعْتُهَا بصُدُوْده ... وَجَرَّعَني مُرَّ الجَفَاء وَصَابه
أيَا عَاذلي لاَ تَعْذل الصَّبَّ في الهَوَى ... كَفَاهُ مُصَابًا في الهَوَى بَعْضُ مَا به

(١) ترجمة المؤلف في الجزء الثاني المفقود.

فَلاَ دَافِعٌ عَنِّي جَفَاهُ وَجَوْرَهُ ... سِوَىٰ مَلِكٍ مُرْدِي العِدَا بِاعْتِصَابِهِ
مَلِيكٌ إِذَا رَامَ المُلُوكُ تَعَزُّزاً ... تَقَبَّلَ ذُلاًّ نَعْلُهُ بِثَوَابِهِ
وَمَازِلْتُ أُرْخِي نَاقَتِي وَأَحُثُّهَا ... وَأُجْهِدُهَا حَتَّىٰ وَقَفْتُ بِبَابِهِ
فَبَلَّغَنِي كُلَّ الأَمَانِي وَزَادَنِي ... اقْتِرَاباً وَإِنِّي رَاغِبٌ فِي اقْتِرَابِهِ
فَقَدْ قَالَ فِي شِعْرٍ أَبُو الطَّيِّبِ الَّذِي ... يَفُوقُ بِنَظْمٍ فِي الوَرَىٰ وَانْتِسَابِهِ
يَسِيرُ إِلَىٰ إِقْطَاعِهِ بِحُسَامِهِ ... عَلَىٰ طَرْفِهِ مِنْ دَارِهِ فِي ثِيَابِهِ
فَلاَزَالَ فِي عِزٍّ وَنَصْرٍ وَرِفْعَةٍ ... وَجَدٍّ وَتَأْيِيدٍ وَمَجْدٍ سَمَا بِهِ
وَأَيَّدَهُ لِلنُّطْقِ فِي كُلِّ حَالَةٍ ... وَبَلَّغَهُ مَا يَرْتَجِي فِي شِهَابِهِ

وأنشدني لنفسه، ما كتبه إلىٰ الملك الأشرف: [من الطويل]

/ ٤٨ب/ أَيَا عَاذِلِي إِنَّ المَلاَمَةَ تُعْرَفُ ... وَإِنَّ اسْتِمَاعَ العَذْلِ فِي الحُبِّ مُتْلِفُ
وَيَا سَائِراً إِنْ كُنْتَ طَالِبَ حَاجَةٍ ... أَنِخْهَا إِلَىٰ كَمْ ذَا تَسِيرُ وَتَعْزِفُ ؟
فَقَالَ: إِلَىٰ مَلْكِ الأَنَامِ وَمَوْئِلِ ... العُفَاةِ هَدَاكَ اللهُ إِنْ كُنْتَ تَعْرِفُ
أَلاَ فَاسْتَمِعْ يَا أَيُّهَا المَلْكُ قِصَّتِي ... فَفِي شَرْحِهَا السَّمْعُ الشَّرِيفُ يُشَنَّفُ
فَقَالَ: إِلَىٰ الضِّرْغَامِ فِي حَوْمَةِ الوَغَىٰ ... أَبُو الفَتْحِ مُوسَىٰ مَالِكُ الخَلْقِ الأَشْرَفُ
وَبِي مَنْ هَوَىٰ ظَبْيٍ لَوَاعِجُ لَوْعَةٍ ... بِهِ الجِسْمُ يَبْلَىٰ وَالمَدَامِعُ تَذْرِفُ
فَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَأَكْشِفُهُ لَهُ ... فَيَسْخَطَ أَمْ أُخْفِيهِ عَنْهُ فَأَتْلَفُ
وَلَكِنَّنِي أُخْفِيهِ عَنْهُ فَإِنَّنِي ... وَإِنْ تَلِفَتْ رُوحِي مِنَ السُّخْطِ أَخْوَفُ
بِخَصْرٍ حَكَىٰ جِسْمِي نُحُولاً وَدِقَّةً ... وَقَدٍّ كَغُصْنِ البَانِ بَلْ هُوَ أَهْيَفُ
وَمِنْ وَجْهِهِ شَمْسُ النَّهَارِ مُضِيئَةٌ ... وَمِنْ رِيقِهِ المَعْسُولِ صَهْبَاءُ قَرْقَفُ
فَوَاحَزَنِي لَوْ جَادَ يَوْماً بِقُبْلَةٍ ... وَوَاأَسَفِي لَوْ كَانَ يُغْنِي التَّأَسُّفُ
فَقَلْبِي لِذِكْرِ البَيْنِ يَخْفِقُ دَائِماً ... وَقَدْ طَالَمَا يَدْنُو الوِصَالُ فَيَرْجُفُ
أُقَضِّي نَهَارِي مَعْ لَيَالِيَّ بِالمُنَىٰ ... لَعَلِّي يَرَىٰ ذُلِّي يَجُودُ وَيُسْعِفُ
وَكَمْ يَعْتَدِي ظُلْماً بِقَتْلِي تَعَمُّداً ... وَمَا لِي مَنْ يَرْثِي لِحَالِي وَيُنْصِفُ
سِوَىٰ مَلِكٍ مِنْ آلِ أَيُّوبَ ضَيْغَمٍ ... يَجُودُ وَيَحْنُو ثُمَّ يَسْطُو وَيَعْطِفُ
[إِلَيْكَ مُلَيْكَ الخَلْقِ أَجْهَدْتُ نَاقَتِي ... . المَوَالِي وَالنَّدَىٰ وَالتَّلَطُّفِ
وَجِئْتُكَ أَشْكُو جَوْرَ دَهْرِيَ الَّذِي اعْتَدَىٰ ... عَلَيَّ وَأَنَّ الدَّهْرَ بِالحُرِّ يُجْحِفُ

فَــإِنَّــكَ أَوْفَــىٰ الخَلْــقِ خُلْقًــا وخِلْقَــةً ... وأَنْــتَ أَنُــوشِــرْوَانَ بــالعَــدْلِ تَخْلُــفُ
وَفِيْ الحَرْبِ ضِرْغَامٌ وَفِيْ الجُوْدِ حَاتِمٌ ... وَفِـي الفَضْـلِ سَحْبَـانٌ وَفـي الحِلْـمِ أَحْنَـفُ
وَفِــيْ المُلْــكِ سَلْمَــانٌ وَفِــيْ العِلْــمِ مَــالِــكٌ ... وَفـي الـرَّأْيِ هَـارُوْنٌ وَفِـيْ الحُسْـنِ يُـوْسُـفُ][1]

/٤٩أ/ وأنشدني أيضًا لنفسه بحلب، يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من جمادىٰ الأولىٰ، سنة خمس وثلاثين وستمائة، يهنىء بخلعة: [من الخفيف]

هَــذه خِلْعَــةُ الــرِّضَــا وَالقَبُــوْلُ ... وَهْــيَ عُنْــوَانُ قَصْــدِنَــا المَــأْمُــوْلُ
مُنْــذُ جَــاءَتْــكَ دَلَّ حَظُّــكَ بــالإِقْــ ... ــبَــالِ يَــا غَــايَــةَ المُنَــىٰ والسُّــوْلُ[2]
فَتَمَتَّــعْ بِهَــا هَنِيًّــا مَلِيًّــا ... مَــا تَعَــاطَــىٰ النُّــدْمَــانُ شُــرْبَ الشَّمُــوْلِ

وأنشدني لنفسه في المعنى: [من مجزوء الكامل]

يَــا خِلْعَــةً إِذْ أُرْسِلَــتْ ... شَــرُفَــتْ عَلَــىٰ إِرْسَــالِهَــا
مُــذْ أَقْبَلَــتْ وَلَبِسْتَهَــا ... دَلَّــتْ عَلَــىٰ إِقْبَــالِهَــا

وأنشدني لنفسه في صاحب له قد مرض، ثم أبلّ من مرضه، وضمنها أبيات المتنبي: [من البسيط]

الجُــوْدُ عُــوْفِــيَ لَمَّــا أَنْ شُفِيْــتَ مِــنَ الآ ... لامِ وَالمَجْــدُ وَالعَلْيَــاءُ وَالكَــرَمُ
وَعَــمَّ مِنْــكَ جَمِيْــعَ الأَوْلِيَــاءِ فِــدًى ... وَالفَضْــلُ وَالحِلْــمُ وَالإِحْسَــانُ وَالنِّعَــمُ
فَــلاَ مَــرِضْــتَ وَلاَ زَارَتْــكَ حَــادِثَــةٌ ... (وَزَالَ عَنْــكَ إِلَــىٰ أَعْــدَائِــكَ الأَلَــمُ)
/٤٩ب/ مَا دُمْتَ فِيْ صِحَّةٍ فَالخَلْقُ فِيْ دَعَةٍ ... إِذَا سَلِمْــتَ فَكُــلُّ النَّــاسِ قَــدْ سَلِمُــوا

وأنشدني لنفسه في صاحب له، وقد تألّمت رجلُه: [من المنسرح]

قَــالُــوا اشْتَكَــتْ رِجْلُــهُ فَقُلْــتُ لَهُــمْ ... حَــاشَــاهُ أَنْ تَشْتَكِــيْ لَــهُ رِجــلُ
لأَنَّهَــا لَــمْ تَــزَلْ لِمَكْــرُمَــةٍ ... تَسْعَــىٰ وَهَــامُ العُــلاَ لَهَــا نَعْــلُ

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.
(٢) السوْل والسؤْل: ما سألته.

[٧٥٥]

مُحَمَّدُ بنُ أحمدَ بن سعيد بنِ المباركِ بنِ ثابتِ بنِ عليٍّ الأزريُّ، أبو عبدِ الله بنِ أبي العباسِ.

تقدّم شعر والده المعروف بابن الدنيّة(١).

وهو من قرية تدعىٰ أزر من قُرىٰ قُوسان(٢) الأعلىٰ من الأعمال العراقية، ويعرف بالموصلي بالباعشيقي؛ لأنه أقام بقرية من قرايا الموصل تسمىٰ باعشيقا، برهة من الزمان، فنسب إليها.

وهو شيخ مربوع مائل إلىٰ السمُرة، قدم الموصل، ولازم الإمام النقيب كمال الدين أبا الفتوح حيدر بن محمد بن زيد بن عبد الله الحسيني الموصلي ـ رحمه الله ـ وصار من أخصّ تلاميذه عنده ونفاهُ الملك الرحيم بدر الدين ـ صاحب الموصل ـ حين بلغه أنه يعمل الكيمياء، /٥٠أ/ فخرج إلىٰ إربل، ونزل بدار حديثها، وتردّد إلىٰ جماعة من أكابرها العراقيين، فنفقت سُوقه. وهو شاعر عارف متشيّع حافظ للقرآن العزيز، وقد طالع أخبار الناس وأيامهم، ومن أهل المعرفة والأدب.

أنشدني لنفسه، في شهر جمادىٰ الأولىٰ، بمدينة إربل سنة ثماني وعشرين وستمائة، يمدح الصاحب الوزير شرف الدين أبا البركات المبارك بن أحمد المستوفي ـ رحمه الله ـ:

[من المنسرح]

أَمَّا الأَسَىٰ اليَوْمَ فَهْوَ لِيْ دَابُ ... إِسْتَحْسَنَ العَاذِلُوْنَ أَمْ عَابُوا
فَلاَ تَقُوْلُوا سَلاَ فَمِثْلِيَ لاَ ... يَسلُو وَلاَ فِي هَوَاهُ يَرْتَابُ
وَلاَ تَظُنُّوا فَارَقْتُكُمْ مَلَلاً ... كُلُّ مَلُوْلٍ فِي الحُبِّ كَذَّابُ
تَشْهَدُ لِيْ عِنْدَكُمْ ضَمَائِرُكُمْ ... بِأَنَّكُمْ لِلْفُؤَادِ أَحْبَابُ
وَأَنَّنَا حضُرُ الجَوَاهِرِ وَالأَعْـ ... ـرَاضُ مِنَّا لاَ شَكَّ غُيَّابُ
يَا جِيْرَتِي حَيْثُ لاَ جِوَارَ وَأَصْـ ... ـحَابِيْ وَأَنَّا لِلصَّبِّ أَصْحَابُ
رَحَلْتُ عَنْ رَبْعِكُمْ وَلِلْدَّمْعِ فِي الـ ... ـخَدِّ نُزُوْلٌ بَادٍ وَتَسْكَابُ

---

(١) ترجمه المؤلف في الجزء الثاني المفقود.

(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (قوسان).

حَتَّىٰ لَقَدْ خلْتُ أَنَّ آذَارَ أَعْدَانِي وَإِنْ كَانَ فِي . . . . . آبُ

وَذَاكَ مِنْ بَعْدِ مَا فرت . . . . أَظَافِرٌ عِنْدَكُمْ وَأَنْيَابُ
/٥٠ب/ وَكُنْتُ أَرْجُو إِصْلاَحَ حَالِيْ إِلَىٰ أَنْ حَالَ بِالبُعْدِ مَا بَيْنَنَا الزَّابُ
فَرَائِقُ المَاءِ فِي فَمِي كَدَرٌ مُرٌّ وَحُلْوُ عَيْشَتِي صَابُ
لَوْ لَمْ يُنَهْنِهْ عَنِّيَ الأَسَىٰ شَرَفُ الـ ـدِّيْنِ لَكَانَتْ أَحْشَايَ تَنْجَابُ
هُوَ الخضَمُّ الَّذِيْ عَجَائِبُهُ لِكُلِّ عُجْبٍ مِنْهُنَّ إِعْجَابُ
تَنَوَّعَتْ لِلْوَرَىٰ مَكَارِمُهُ تَنَوُّعاً لاَ يَنَالُهُ عَابُ
لِقَاصِدِيْهِ مِنْهُ سَدًى وَنَدًى جَمٌ وَجَاهٌ ضَافٍ وَآدَابُ(١)
مَا أُسْبِلَتْ دُوْنَهُمْ لَهُ حُجُبٌ وَلاَ ٱزْدَرَاهُمْ لَدَيْهِ حُجَّابُ
كُلُّ ثَنَاءٍ عَلَىٰ سِوَاهُ يُرَىٰ نَفْياً وَلَكِنْ عَلَيْهِ إِيْجَابُ
تَأْتِيْهِ مِنْ كُلِّ وُجْهَةٍ مِدحٌ كَأَنَّهُ لِلْمَدْحِ مِحْرَابُ
مُبَارَكٌ كَاسْمِهِ مُبَارَكَةٌ أَفْعَالُهُ وَالأَفْعَالُ أَنْسَابُ
تَزْدَادُ مِنْهُ ٱلْقَابُهُ شَرَفاً إِنْ شَرَّفَ العَالَمِيْنَ ٱلْقَابُ
لَهُ يَرَاعٌ يَرُوْعُ شَانِئَهُ مُظَفَّرٌ لِلْعُدَاةِ غَلاَّبُ
إِذَا جَرَىٰ فَالأَرْزَاقُ جَارِيَةٌ تَسْتَنُّ مِنْ خَلْفِهِ وَتَنْسَابُ
وَإِنْ أَحَسَّتْ وُقُوْفَهُ وَقَفَتْ كَأَنَّمَا فِي الطَّرِيْقِ أَعْتَابُ
مِنْ مَعْشَرٍ إِنْ دَجَا الزَّمَانُ أَضَاءَ تْ مِنْهُمُ أَوْجُهٌ وَأَحْسَابُ
/٥١أ/ عَلِقَتْ مِنْهُمْ بِذَيْلِ ذِيْ كَرَمٍ لَهُ المَعَالِي وَالمَجْدُ أَتْرَابُ
يَسْتَصْغِرُ النَّائِلَ الجَزِيْلَ لِمَنْ يَغْشَاهُ فَالذَّوْدُ عِنْدَهُ نَابُ
قَدْ فَرَّقَتْ مَالَهُ مَوَاهِبُهُ إِنَّ أَبْنَ مَوْهَبُوْنَا لَوَهَّابُ
مَوْلاَيَ عَطْفاً بِالجَاهِ مِنْكَ عَلَىٰ مَنْ مَالَهُ غَيْرُ بَابِكُمْ بَابُ
قَدْ كَانَ ٱلْغَىٰ نَظْمَ القَرِيْضِ لأَسْـ ـبَابٍ أَتَتْ بَعْدَهُنَّ أَسْبَابُ
فَإِنْ وَجَدْتُمْ لَحْناً لَدَيْهِ فَفِي سَمَاعِكُمْ لِلْمُلْحُوْنِ إِعْرَابُ
وَالعَجْزُ بِالإِخْتِصَارِ أَلْزَمَهُ لَدَيْكُمُ وَالتَّطْوِيْلُ إِسْهَابُ

---

(١) السدى: المعروف.

وأنشدني أيضًا لنفسه في إنسان، اسمه يوسف يُعرّض له بطلب ثوب:

[من الطويل]

يَقُولُ لِيَ الحُسَّادُ مِنْ حَسَدٍ بِهِمْ ... وَأَكْبَادُهُمْ غَيْظًا عَلَيَّ تَفُورُ:
وَصَلْتَ إِلَى المَوْلَى الأَمِيرِ بِمِدْحَةٍ ... مِنَ الشِّعْرِ حَقًّا أَمْ كَلامُكَ زُوْرُ
فَأَيْنَ أَمَارَاتُ الوُصُولِ وَجُودُهُ ... عَلَى كُلِّ عَافٍ فِي البِلادِ غَزِيرُ
فَقُلْتُ لَهُمْ: تَاللهِ مَا أَنَا آيِسًا ... وَإِنِّي عَلَى مَا تَلْفِظُونَ صَبُورُ
عَسَى يُوسُفٌ يُلْقِي إِلَيَّ قَمِيصَهُ ... فَيَرْتَدَّ أَعْمَى الحَظِّ وَهْوَ حَسِيرُ

وأنشدني لنفسه في صديق، / ٥١ب/ وقد بلغه أنّه مريض: [من البسيط]

قَالُوا: تَمَرَّضَ مَنْ تَهْوَى فَقُلْتُ لَهُمْ: ... أَنَا المَرِيضُ وَأَمَّا ذَاكَ حَاشَاهُ!
لَوْ أَمْكَنَتْنِي اللَّيَالِي مِنْ عِيَادَتِهِ ... وَكَيْفَ أَطْمَعُ فِيمَا الدَّهْرُ يَأْبَاهُ
خَلَعْتُ مِنِّي عَلَى عِطْفَيْهِ عَافِيَتِي ... حُبًّا وَأَلْبَسْتُ جِسْمِي ثَوْبَ شَكْوَاهُ

وأنشدني لنفسه، يرثي الشيخ الإمام أبا حفص عمر بن أحمد النحوي ـ رضي الله عنه ـ: [من الطويل]

أَلا مَا لِنَادِي الفَضْلِ أَصْبَحَ بَاكِيًا ... وَرَوْضِ النُّهَى فِي أَرْضِهِ آضَ ذَاوِيَا
وَعَهْدِي بِهِ مِنْ قَبْلُ يَبْسِمُ نَيِّرًا ... فَأَوْشَكَ مَا أَمْسَى يُعَبِّسُ دَاجِيَا
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ بَدْرَ سَمَائِهِ ... عَرَاهُ خُسُوفٌ لَنْ يُرَى بَعْدُ بَادِيَا
أَمِنْ بَعْدِ مَجْدِ الدِّيْنِ تُحْمَدُ لامْرِئٍ ... مَسَاعٍ وَإِنْ أَضْحَى إِلَى المَجْدِ سَاعِيَا
مُبَيِّنِ أَعْلامِ العُلُومِ وَمُظْهِرًا ... دَقَائِقَ سُبْلٍ كُنَّ قَبْلُ خَوَافِيَا
أَلا قَاتَلَ اللهُ الخُطُوبَ بِفِعْلِهَا ... لَقَدْ هَذَّبَتْ طَوْدًا مِنَ المَجْدِ عَالِيَا
وَبَحْرَ عُلُومٍ غَيَّضَتْهُ وَطَالَمَا ... رَأَيْنَا بِهِ ذِكْرَ البَلاغَةِ طَافِيَا
حَسِبْنَا الرَّدَى لَمْ يَسْقِ كَأْسَ مُصَابِهِ ... سِوَانَا وَمَا ذُقْنَا أَذَاقَ المَعَالِيَا
/ ٥٢أ/ عَقَرْنَا عَلَيْهِ كُلَّ لُبٍّ وَخَاطِرٍ ... إِذَا نَحْنُ لَمْ نَعْقِرْ عَلَيْهِ النَّوَاجِيَا
وَأُبْنَا بِحَزِّ الشَّعْرِ لَا الشِّعْرِ وَالحِجَى ... عَلَيْهِ وَحَذَّقْنَا الذَّكَا لَا المَذَاكِيَا
وَقَائِلَةٍ مَا بَالُ دَمْعِكَ جَامِدًا ... وَكَانَ لَكَ الخِلُّ الصَّدُوقُ المُصَافِيَا
فَقُلْتُ لَهَا نَارُ التَّلَهُّفِ نَشَّفَتْ ... بِإِيْقَادِهَا مِنِّي الدُّمُوعَ الجَوَارِيَا

كَـذَلِـكَ شَمْـسُ الإفْـكِ عِنْـدَ غُـرُوْبِهَـا ... يُـرَىٰ كُـلُّ نَجْـمٍ فـي السَّمَـاوَاتِ هَـاوِيَـا
أَرَىٰ مَعْشَـراً مِـنْ بَعْـدِ مَـوْتِـكَ جَـادَلُـوا ... لِيَـرْقَـوا مِـنَ العَلْيَـاءِ مَـا كُنْـتَ رَاقِيَـا
لِعِلْمِهِـمُ أَنْ قَـدْ نَـأَيْـتَ مُفَـارِقـاً ... وَلَـوْ كُنْـتَ فِيْهِـمْ مَـا رَأَيْـتَ مُبَـارِيَـا
لَئِـنْ نَـالَ أَهْـلُ النَّقْـصِ مَنْصِبَـكَ الَّـذِيْ ... غَـدَا اليَـوْمَ قَفْـراً مِـنْ جَمَـالِـكَ خَـالِيَـا
فَغَيْـرُ عَجِيْـبٍ لِلْثَّعَـالِـبِ وَطْـؤُهَـا ... حِمَـىٰ أَسَـدٍ حَـامِيْـهِ أَصْبَـحَ نَـائِيَـا
وَأَنْ تَسْكُـنَ البُـوْمُ القُصُـورَ مَشِيْـدَةً ... إِذَا لَـمْ تَجِـدْ فِـي ذُرْوَةِ الفَخْـرِ بَـازِيَـا

[٧٥٦]

مُحَمَّدُ بنُ حيدرِ بن مسعود بن دلف بن عليٍّ بنِ أبي الحسنِ بنِ أبي البقاءِ بن الدُّنْبُدَارِ، أبو عَبدَ اللهِ الواسطيُّ.

أخبرني أنه ولد سنة خمس وتسعين وخمسمائة، بالمضمار، وهي محلّة بواسط. وقلّ ما تخلُو له قصيدة / ٥٢ب/ من ذكرها، ويُصغّرها للتحبيب.

وزعم أنَّ له نسبًا مُتصلاً إِلىٰ ميثم التمار، غلام علي بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ.

شاب أسمر، خفيف العارضين، قَضِيْف[١] البدن.

وهو شاعر مكثر مجيد مقتدر، متفنن في أقواله، لم أر أحداً من الذين ينتمون إِلىٰ هذه الصناعة، ويعزون إِلىٰ هذا الشأن؛ أقدر منه علىٰ إنشاء القوافي، وارتجال الأشعار.

وآخر عهدي به، بمحروسة إربل في رمضان سنة ثلاث وثلاثين وستمائة. وافاها مادحًا أميرها، والمستولي عليها يومئذ أبا الفضائل باتكين المستنصري، فألزم نفسه، في كل يوم إنشاء قصيدة علىٰ نظام حروف الهجاء، ما بين الخمسين والثلاثين، يمدح المستنصر بالله أَبا جعفر ـ خلد الله دولته ـ إلاَّ أن شعره؛ ظاهر الكثافة، عار من السهولة واللطافة، ذو قدرة علىٰ نحت القريض وَارتجاله، مع معرفته بضروب آلاته، بالغ في

(١) قضيف: نحيل.

ذلك أقصىٰ غاياته، طوّف قطعة من بلاد العجم، وحظي بقوله من ملوكها بأوفر القسم.

ثم هاجر إلىٰ البلاد الشامية، ومنها إلىٰ الديار المصرية، مستمطراً سحاب جود ملوكها وأمرائها، ومنتجعًا / ٥٣أ/ بقوله ندىٰ صدورها.

لقيته في شوال سنة خمس وعشرين وستمائة، بمحروسة إربل. وافاها صحبة فلك الدين بن المسيري، وهو متوجه معه نحو مدينة السلام، ثم لقيته مرّة أخرىٰ بإربل سنة ثلاث وثلاثين؛ فأنشدني لنفسه يمدح الصاحب شرف الدين أبا البركات المستوفي ـ رحمه الله ـ:

[من الكامل]

لاَ تُـرْجِنِـي لِلَّهْـوِ وَاللَّـذَّاتِ ... وَٱسْتَبْقِنِـي وَقْفًـا عَلَـىٰ الحَسَـرَاتِ
الحُبُّ أَحْكَمُ فِي قُلُوبِ بَنِي الهَوَىٰ ... بِتَقَلُّبِ الحَرَكَـاتِ وَالسَّكَنَـاتِ
حُكْـمُ التَّفَـرُّقِ أَنْ أَبِيْـتَ مُسَهَّـداً ... قَـرِحَ الجُفُـوْنِ مُـرَقْـرَقَ العَبَـرَاتِ
يَـا شِيْمَ بَـرْقِ الشَّرْقِ هِجْتَ لِمُهْجَتِي ... أَسَفًـا وَرُعْـتَ جُمُـوْعَنَـا بِشَتَـاتِ
أَحْـدَثْـتَ لِـي ظَمَـأَ الفُـؤَادِ وَرِيُّـهُ ... مِـنْ مَـاءِ دِجْلَـةَ أَوْ مِـنَ الـدَّرَجَـاتِ
زِدْنِـي بِـوَمْضِـكَ جَنَّـةً أُدْنِـي بِهَـا ... أَمَـدَ الـدُّمَـىٰ وَزِيَـارَةَ الـدِّمَنَـاتِ
فَلَكَـمْ لَنَـا فِـي وَاسِـطٍ مِـنْ مَـأْلَـفٍ ... أَمْسَـتْ مَعَـارِفُ آيِـهِ نَكِـرَاتِ
يَـا مَجْمَـعَ اللَّـذَّاتِ هَـلْ لِـزَمَـانِنَـا ... مِـنْ رَجْعَـةٍ يَـا مَجْمَـعَ اللَّـذَّاتِ
أَيَّـامَ يَـدْعُـوْنِـي الهَـوَىٰ فَيَقُـوْدُنِـي ... طَـوْعًـا إِلَيْـهِ تَعَـرُّضُ الظَّبَيَـاتِ
مِـنْ كُـلِّ مَـنْ لَعِبَ الصِّبَـا بِقَـوَامِهَـا ... لَعِـبَ الصَّبَـا بِمُهَفْهَـفِ البَـانَـاتِ
/ ٥٣ب/ لَـوْلاَ مَـوَاثِقُهَـا الَّتِـي أَوْثَقْتَنِـي ... لَـمْ أَغْتَـرِبْ مُتَقَسِّـمَ العَـزَمَـاتِ
وَلَمَـا رَأَيْـتُ الفَـوْزَ قَطْـعَ مَفَـاوِزٍ ... وَارْتَحْـتُ بِـالـرَّوْحَـاتِ وَالغَـدَوَاتِ
إِنَّ الَّتِـي نَظَـرَتْ إِلَيْـكَ أَظُنُّهَـا ... رَمَـتِ الفُـؤَادَ بِـأَسْهُـمِ النَظَـرَاتِ
كَحَلَتْ جُفُـوْنَـكَ بِالسُّهَـادِ مِـرَاضُ أَجْـ ... ـفَـانٍ لَهَـا بِـالسِّحْـرِ مُكْتَحِـلاَتِ
رِيْمِيَّـةُ اللَّفَتَـاتِ فِـي تُـرْكِيَّـةِ اللَّـ ... ـحَظَـاتِ مِـنْ عَـرَبِيَّـةِ النُّطُقَـاتِ
حَجَبَـتْ حَـوَاجِبُهَـا كَـرَاكَ فَنَقَّطَـتْ ... عَيْنَـاكَ مَـا عَـرَّقْـنَ مِـنْ نَـوَبَـاتِ
لَـمْ أَنْـسَ يَـوْمَ وَدَاعِهَـا وَتَـأَمُّلِـي ... مُقَـلاً بِمَـاءِ جُفُـوْنِهَـا شَـرِقَـاتِ
وَالبَيْـنُ يُظْهِـرُ مَـا تُجِـنُّ صُـدُوْرُنَـا ... مِـنْ فَيْـضِ أَنْفُسِنَـا عَلَـىٰ الـوَجَنَـاتِ
لاَ تُنْكِـرُوا تَصْفِيْـرَ لَـوْنٍ مُقَطِّـرٍ ... عَبَـرَاتِـهِ بِتَصَعُّـدِ الـزَّفَـرَاتِ

إِنَّ الهَوَىٰ يَقْضِي الهَوَانَ لأَهْلِهِ ... وَتَغَيُّرَ الأَلْوَانِ وَالحَالاَتِ

يَا دَهْرُ كَمْ مِنْ غُصَّةٍ جَرَّعْتَنِي ... بِفَتًى جَزِعْتُ لِبَيْنِهِ وَفَتَاةِ

أَوْهَتْ سُطَاكَ تَجَلُّدِي وَفَلَلْنَ غَرْ ... بَ مُهَنَّدِي وَحَنَتْ قَوِيمَ قَنَاتِي

وَتَرَكْتَنِي رَهْنَ الصُّرُوفِ تَنُوشُنِي ... أَحْدَاثُهَا لَوْلاَ أَبُو البَرَكَاتِ

الكَافِلُ الكَافِي بِصَيِّبِ رَاحَةٍ ... مَخْلُوقَةٍ لِلْبِرِّ وَالصَّدَقَاتِ

كَادَتْ أَنَامِلُهُ وَقَدْ جَادَتْ عَلَىٰ الأَ ... حْيَاءِ تُحْيِي غَابِرَ الأَمْوَاتِ

/ ٥٤أ/ وَصَلَتْ صِلاَتُ يَمِينِهِ وَأَتَىٰ بِهَا ... مَوْصُولَةً بِالصَّوْمِ وَالصَّلَوَاتِ

وَقَفَتْ قَوَافِينَا مَنَاقِبَهُ وَقَدْ ... وَقَفَ الثَّرَاءَ عَلَىٰ ذَوِي الفَاقَاتِ

لَمْ تَخْبُ نَارُ قِرًى تَشُبُّ وَلاَ لَهَا ... قَلْبٌ لَهُ يَوْمٌ عَنِ الإِحَنَاتِ

مِنْ نَاطِقِينَ عَنِ العَلاَءِ بِسِرِّهِ ... فَمُصَدَّرٌ مَاضٍ وَآخَرُ آتِ

قَوْمٌ إِذَا مَطَرَتْ سَحَابُ أَكُفِّهِمْ ... رَقَّتْ مِنَ الآمَالِ كُلُّ رُفَاتِ

يَتَسَابَقُونَ إِلَىٰ النَّدَىٰ فَنَدِيُّهُمْ ... أَبَداً يَحُجُّ إِلَيْهِ ذُو الحَاجَاتِ

إِنْ أَنْكَرُوا فَعَلَىٰ العُدَاةِ وَإِنَّهُمْ ... لاَ يَعْرِفُونَ المَطْلَ يَوْمَ عِدَاتِ

وَإِذَا الزَّمَانُ تَرَادَفَتْ أَزَمَاتُهُ ... كَفَّتْ أَكُفُّهُمُ أَذَىٰ الأَزَمَاتِ

حَمِدُوا مَسَاعِيَ لِلْمُبَارَكِ لَمْ تَزَلْ ... مَحْمُودَةً مَرْفُوعَةَ الدَّرَجَاتِ

وَهَبَ ابْنُ مَوْهُوبٍ لَنَا مِنْ حِلْمِهِ ... سِتْراً لِمَا يَبْدُو مِنَ العَوْرَاتِ

إِنَّ الكَلاَمَ وَإِنْ أَصَابَ مَوَاقِعاً ... مِنْ سَامِعِيهِ لَمُشْبِهُ العَثَرَاتِ

وَإِذَا أَتَيْتَ بِهِ المُبَارَكَ فَاسْتَعِنْ ... بِالصَّفْحِ وَاجْمَعْ مَا تَشَاءُ وَهَاتِ

يَا مَنْ كَسَىٰ دَسْتَ الوَزَارَةِ رَوْنَقاً ... غَرَبَتْ بِهِ الدُّنْيَا مِنَ التَّبِعَاتِ

كُنْتَ المَلِيَّ بِحَقِّهَا فَوَلِيتَهَا ... وَبَلَغْتَ مِنْهَا غَايَةَ الغَايَاتِ

مَا هِبْتَ أَمْراً هِيبَ يَوْمَ حُكُومَةٍ ... كَلاَّ وَلاَ هِبْنَاكَ يَوْمَ هِبَاتِ

/ ٥٤ب/ وَلَقَدْ عُنِيتَ بِهَا وَغَيْرُكَ مَا اعْتَنَىٰ ... بِسِوَىٰ الكُؤُوسِ وَرَنَّةِ القَيْنَاتِ

إِنْ صُغْتُ تِبْرَ المَدْحِ فِيكَ فَإِنَّنِي ... رَصَّعْتُهُ بِالدُّرِّ مِنْ لَفَظَاتِي

حِكَمٌ حَكَمْنَ عَلَىٰ القُلُوبِ وَلَمْ يَمِنْ ... فِي نَظْمِهِنَّ مُصَدِّقُ اللَّهَجَاتِ

سَتَرَ البَدِيعُ عَنِ الجَهُولِ جَمَالَهَا ... سَتْرَ البَرَاقِعِ أَوْجُهَ الفَتَيَاتِ

جَاءَتْكَ سَوْدَاءَ السُّطُورِ وَإِنَّهَا ... بَيْضَاءُ مِثْلُ الدُّرِّ فِي الظُّلُمَاتِ

نَشَرَتْ صَحَائِفَهَا فَفَاحَ بِذِكْرِكُمْ عَرْفٌ لَهَا مُتَأَرِّجُ النَّفَحَاتِ
أَنْهَضْتَنِي لَمَّا قَعَدْتُ وَطَالَمَا أَنْطَقْتَنِي بِالحَمْدِ بَعْدَ صُمَاتِ
وَفَتَحْتَ بَابًا مَا تَبَوَّأَهَا ٱمْرُؤٌ إِلَّا رَآهَا مَعْدِنَ الخَيْرَاتِ
يَأْوِي إِلَيْهَا السَّاغِبُونَ فَتَنْثَنِي مَحْفُوفَةً بِأَطَايِبِ الشَّهَوَاتِ
فَرَّقْتَ فِيهَا مَا تَجَمَّعَ مِنْ لُهًى وَجَمَعْتَ شَمْلَ المَجْدِ بَعْدَ شَتَاتِ
فَالْيَوْمَ أَغْفِرُ سَيِّئَاتِ زَمَانِنَا وَأَعُدُّ مَدْحَ عُلَاكَ مِنْ حَسَنَاتِي

وأنشدني لنفسه، يمدح فلك الدين المسيري: [من البسيط]

عَلَى مَلَاعِبِ ٱلْأَفِي وَخُلَّانِي تَحِيَّةٌ مِنْ فُؤَادِ المُدْنَفِ العَانِي
أَرْضًا بِهَا رُضْتُ قَلْبًا لَسْتُ أَمْلِكُهُ جُهْدِي وَحَيَّيْتُ مَنْ بِالوَصْلِ أَحْيَانِي
/ ٥٥أ/ أَبِيتُ فِيهَا بِلَا وَاشٍ أُحَاذِرُهُ أَجُرُّ فِي اللَّهْوِ أَذْيَالِي وَأَرْدَانِي
طَوْرًا إِلَى فَتَيَاتِ الخِدْرِ مُلْتَفِتِي وَتَارَةً حِفْظُ نُدْمَانِي بِإِدْمَانِي
تَجْلُو عَلَيَّ كُؤُوسَ الرَّحِ آنِسَةٌ هَيْفَاءُ لَمْ تَهْفُ مِنْ قَلْبِي بِإِنْسَانِ
الشَّمْسُ مِنْ وَجْهِهَا تَبْدُو وَمِنْ يَدِهَا تُهْدَى إِلَى غَيْرِ . . . . وَلَا وَانِي
أُمْسِي بِسَنْجَارَ أَحْبَابِي وَلِي وَطَنٌ بِوَاسِطٍ وَلُبَانَاتٌ بِحَرَّانِ
يَا قَصْرُ حَيَّاكَ مِنْ دَمْعِي أَوَائِلُهُ فَإِنَّ آخِرَ دَمْعِي أَحْمَرٌ قَانِي
وَلَا دَنَتْ مِنْكَ أَنْفَاسِي فَإِنَّ بِهَا مِنَ السُّمُومِ أَمَارَاتٌ لِنِيرَانِ
ٱسْتَلِذُّ حَيَاةً بَعْدَمَا عُدِمَتْ عَيْنَايَ مِنْكَ دُمًى أَدْمَيْنَ أَجْفَانِي
وَيَا فَتَاةُ . . . . ٱسْتَرْجِعِي زَمَنًا وَلَّى بِمَيَّالَةِ العِطْفَيْنِ مِذْعَانِ
بَيْضَاءَ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ تَحْسَبُهَا بَدْرَ التَّمَامِ عَلَى غُصْنٍ مِنَ البَانِ
تَخَالُ جَامِدَ دُرٍّ مِنْ مُقَبَّلِهَا يَذُوبُ فِي عَسَلٍ لَمْ يَجْنِهِ جَانِي
دَعَوْتُهَا فَأَجَابَتْنِي بِتَلْبِيَةٍ جَوَابَ وَافٍ بِعَهْدِي غَيْرِ خَوَّانِ
وَلِي رَسُولٌ إِلَيْهَا غَيْرُ مُتَّهَمٍ يَتْلُو عَلَيْهَا صَبَابَاتِي وَأَشْجَانِي
فَأَقْبَلَتْ يَنْثَنِي خَمْرُ الشَّبَابِ بِهَا فَاعْجَبْ لِصَاحِبِهِ فِي زِيِّ سَكْرَانِ
أَقُولُ لِلَّيْلِ لَوْ يُصْغِي إِلَيَّ وَقَدْ زَارَتْ وَكُلُّ رَقِيبٍ نَحْوَنَا رَانِي

/ ٥٥ب/ يَا أيُّهَا اللَّيْلُ طُلْ إنْ رُمتَ عَازمةً ... وَأَحْسِنْ لمَا يُلتقَى الحسنَى بإحسَانِ(١)
إنَّ الَّتِي صَرَمَتْ حَبْلِي وَأحْسَبُهَا ... تَخْشَى العِدَا وَاصَلَتْنِي بَعْدَ هِجْرَانِ
الحُزْنُ وَالحُسْنُ مَقْسُومَانِ لِي وَلَهَا ... رزْقًا وَلابْنِ المَسِيْرِيْ رِفْعَةُ الشَّانِ
الوَاهِبِ المَالَ يَبْتَاعُ الثَّنَاءَ بِهِ ... وَصَاحِبِ المَنْهَلِ الطَّامِي لِظَمْآنِ
وَمَنْ بِجَمِّ أَيَادِيهِ وَأَنْعُمِهِ ... آنَسْتُ مَجْمَعَ أَوْطَارِي وَأَوْطَانِي
بَنَى لَهُ رُتْبَةً فِي المَجْدِ شَاهِقَةً ... شَمَّاءَ لَمْ يُلْفِهَا مِنْ قَبْلِهِ بَانِي
مَا قَطَّ قُطَّ يَرَاعًا ثُمَّ خَطَّ بِهِ ... إِلَّا جَرَتْ مِنْهُ لِلإِحْسَانِ عَيْنَانِ
وَلَا امْتَطَى وَاحِدًا يَومًا ثَلَاثَتُهُ ... إِلَّا وَأَسْقَتْ لَهُ. . . . وَأَسْقَانِي
حِبْرٌ أُحَبِّرُ فِيهِ كُلَّ قَافِيَةٍ ... فِي رَاحَتَيْهِ لِمَنْ يَرْجُوهُ بَحْرَانِ
إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ يَوْمَ نَائِلَةٍ ... رَأَيْتَ مَنَّاحَ بِرٍّ غَيْرَ مَنَّانِ
يُعْطِي وَيَعْلَمُ أَنَّ الحَمْدَ مُكْتَسَبٌ ... بَاقٍ وَأَنَّ هَوَاهُ مُتْجَرٌ فَانِي
يَجْزِي عَلَى الخَيْرِ خَيْرًا وَهْوَ مُعْتَرِفٌ ... بِهِ وَيَغْفِرُ جُرْمَ المُذْنِبِ الجَانِي
يَا مَنْ أَيَادِيهِ عِنْدِي غَيْرُ وَاحِدَةٍ ... وَمَنْ أُنَادِيهِ فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي
وَمَنْ إِذَا رَاعَنِي دَهْرِي لِحَادِثَةٍ ... أَحْدَثْتُ مِنْ بِرِّهِ لِي خَيْرَ أَعْوَانِ
/ ٥٦أ/ إِنْ تَنْأَ دَارُكَ عَنْ دَارِي فَإِنَّ لَنَا ... قَلْبَيْنِ عِنْدَ مَزَارٍ عِنْدَهَا دَانِي
وَلَوْ تَمَكَّنْتُ مِنْ شَوْقٍ يُؤَرِّقُنِي ... إِلَيْكَ أَوْدَعْتُ طَيَّ الطِّرْسِ جُثْمَانِي
مَالِي أَبِيتُ مِنَ الآمَالِ فِي شُغُلٍ ... عَنْهَا وَقُرْبُ مَكَانِي مِنْكَ إِمْكَانِي
وَلِي قَصَائِدُ لَوْ أَلْقَى النَّبِيَّ بِهَا ... لَكُنْتُ أَجْدَرَ أَنْ أُدْعَى بِحَسَّانِ
وَعَدْتَنِي مِنْكَ مَرْكُوبًا وَإِنَّ لَنَا ... يَوْمَ الرَّحِيلِ لَتَوْدِيعًا بِإِرْنَانِ
فَامْنُنْ بِأَدْهَمَ مِثْلِ اللَّيْلِ يَنْظُرُنِي ... فِي سَرْجِهِ زَمَنِي فِي عَيْنِ خَزْيَانِ
أَوْ أَشْهَبَ فِي ظَلَامِ النَّقْعِ تَحْسَبُهُ ... صُبْحًا يُفَرِّقُهُ مِنْ خَيْلِ خَاقَانِ
أَوْ أَشْقَرٍ مِنْ دَمِ الأَعْدَاءِ صِبْغَتُهُ ... يُدَافِعُ الخَطْبَ عَنِّي مِنْهُ رُكْنَانِ
بَغْدَانُ حَنَّتْ إِلَى لُقْيَاكَ ثَانِيَةً ... فَسِرْ وَصِلْ بَعْدَ صَرْمٍ حَبْلَ بَغْدَانِ
إِبْسِطْ بِهَا يَدَ مَنٍّ مِنْكَ قَابِضَةً ... ثَنَاءَ مَنْ مَالُهُ فِي فَنِّهِ ثَانِي

---

(١) «عازمة» لعلها «عارِفَةٌ».

وَالْقَ الخَليفَةَ طَلْقَ الوَجْه مُبْتَسمًا ... حَتَّىٰ يَضيقَ بأُفْق الشَّرْق بَدْرَان
وَاسْدُدْ برَأيكَ أمْراً لاَ سَدَادَ لَهُ ... وَافْتَحْ بنُطْقكَ فيْه بَابَ بُرْهَان
سَيَرْفَعُ الوِزْرَ عَنْ بَغْدَاذَ مَقْدَمُنَا ... إذَا ٱسْتَقَلَّ عَلَىٰ دَسْتٍ وَزيْرَان

وأنشدني أيضًا فيه يمدحه: [من الطويل]

أَتَعْلَمُ ذَاتُ الخدْر أيُّ مُوَدِّع ... أشَارَتْ إلَيْه بالبَنَان المُقَمَّع (١)
/ ٥٦ب/ وَفيٌّ وَكُلٌّ بالمَوَاثيْق غَادرٌ ... وَحَافظُ أسْرَار الحَبيْب المُضَيِّع
وَهَلْ أنْكَرَتْ أنِّي عَلَىٰ بُعْد دَارهَا ... أخُو كَبد حَرَّىٰ وَقَلْب مُوَزَّع
بسنْجَارَ أحْبَابٌ لَهُ وَبوَاسط ... صَبَابَتُهُ لاَ بالعُذَيْب وَلَعْلَع
يَهيْجُ لَهُ تَذْكَارُ هَاتَيْن جَنَّةً ... وَيُطْربُهُ سَجْعُ الحَمَام المُرَجِّع
أبَيْتُ ٱجْتنَابَ العَذْل إنْ بتُّ لَيْلَةً ... وَلَمْ يُمْلَ منْ تَذْكَار نُطْقكَ مَسْمَعي
وَلاَ مَسَّ عَيْني نَوْمُهَا إنْ تَمَتَّعَتْ ... بغَيْركَ يَا ذَاتَ الحجَاب المُمَنَّع
حَنَنْتُ إلَىٰ قَصْر الفَتَاة وَدُوْنَهُ ... مَفَاوزُ قَفْر مُوْحش دُوْنَ بَلْقَع
إذَا ظَمىءَ الرُّوَّادُ فيْهَا تَعَلَّلُوا ... بهَا منْ تَعَاليْ آلهَا المُتَرَفِّع
أحبُّ بهَا طَلْقَ الأَسرَّة إنْ أقُلْ ... يُجبْني وَإنْ أشْكُ الهَوَىٰ يَتَوَجَّع
وَأَيْنَ الَّذيْ إنْ قُلْتُ قَالَ وَإنْ أرُعْ ... يُرَوَّعْ وَإنْ أبْثثْهُ مُؤْلماً يَعي
غَدا نفسي تلك الرسوم فَإنَّهُ ... سَمُوْمٌ وَسَقَّتْهَا سَحَائبُ أدْمُعي
مَنَازلُ لاَ أُمْسي بعَيْش مُكَدَّر ... مَهيْن وَلاَ أُضْحي بسَرْب مُرَوَّع
تُغَازلُنيْ الغزْلاَنُ فيْهَا وَإنَّهَا ... لَخَيْرُ ظبَاء ظَلْنَ في خَيْر مَرْتَع
وَلَمَّا بَرَانيْ جَوْرُ كُلِّ مُقَنَّع ... تَقَنَّعَتْ عَنْ كُلِّ بَدْر مُقَنَّع
تَلَفَّتُّ للتَّوْديْع خَوْفَ وُشَاتنَا ... تَلَفُّتَهَا نَحْويْ بقَلْب مُصَدَّع
/ ٥٧أ/ فَلَمْ أرَ إلاَّ أدْمُعًا مثْلَ أدْمُعي ... وَقَلْبًا لقَلْبيْ منْ أسًى وَتَفَجُّع
يُشَيِّعُنيْ منْهَا بَنَانٌ مُخَضَّبٌ ... فَقُلْ في قَتيْلٍ من. . . . المُشَيِّع
تَنَاسَيْتُ أهْلي إنْ تَنَاسَيْتُ لَيْلَةً ... رَأيْتُ بهَا شَمْسَ الضُّحَىٰ ملءَ مَضْجَعي

ومنها:

(١) المقمع: المخضب بالحناء.

سَأَرْكَبُ ظَهْرَ الهَوْلِ فِيْ مَتْنِ صَافِنٍ مِنَ الخَيْلِ سَبَّاقٍ إِلَى القَصْدِ مُسْرِعِ
أَخُوضُ بِهِ طَوْراً فَجَاجاً وَتَارَةً أَسِيرُ بِهِ فِي وَاضِحِ النَّهْجِ مَهْيَعِ
وَأَنْصِبُ نَفْسِيْ لِلْهَجِيْرِ وَلاَ أَرَى .... لِقَوْمِيْ وَمَرْبَعِ
عَسَى كَامِنٌ كَابْنِ المَسِيْرِيِّ يَجْتَنِيْ ثَنَايَ وَيُدْنِيْ مِنْ أَحِبَّايَ مَرْجِعِي

ومنها:

وليل قطعنا فيه كُلَّ تَنُوفَةٍ بِكُلِّ طَوِيْلِ البَاعِ أَشْوَسَ أَرْوَعِ
رَأَيْنَا النُّجُومَ الزُّهْرَ فِيْهِ كَأَنَّهَا حَبَابٌ عَلَى كَأْسِ المُدَامِ المُدَعْدَعِ
أُدِيرَتْ عَلَيْهِ فِيْهِ مِنْ سَأَمِ السُّرَى كُؤُوْساً حَسَوْنَاهَا بِإِرْخَاءِ أَنْسُعِ
فَلَوْ كُنْتَ فِيْنَا خِلْتَ أَنَّ رِحَالَنَا مَحَارِيْبُ قَوْمٍ سَاجِدِيْنَ وَرُكَّعِ
سَئِمْنَا بِهِ التَّعْرِيْسَ حَتَّى انْجَلَى لَنَا سَنَى صُبْحِهِ مِنْ وَجْهِكَ المُتَشَعْشِعِ

وأنشدني لنفسه، وقد استدعاه/ ٥٧ب/ صديق له، إلىٰ مجلس شراب ولم يمكنه الحضور فيه: [من البسيط]

إِنْ قَصَّرَتْ قَدَمِيْ وَالقَلْبُ فِي شُغُلٍ عَنْكُمْ فَلاَ حَمَلَتْ مَنْ فَوقَهَا قَدَمِيْ
وَإِنْ جَرَى قَلَمِيْ وَالقَلْبُ فِي شُغُلٍ عَنْكُمْ فَلا قَبَضَتْ كَفِّي عَلَى قَلَمِيْ
تَصُدُّنِي عَنْكَ أَحْوَالٌ لِهَيْبَتِهَا قَلْبِيْ لَهَا أُذُنٌ إِنْ حَدَّثَتْ بِفَمِيْ
فَدُوْنَكُمْ وَالحُمَيَّا إِنَّهَا مُزِجَتْ وَلَسْتُ حَاضِرَهَا مِنْ حُبِّكُمْ بِدَمِي
مَا قَصَّرَ الكَأْسَ عَنِّي دُوْنَكُمْ كَسَلٌ إِلاَّ وَطَالَ عَلَى نُدْمَانِكُمْ نَدَمِي

وأنشدني لنفسه في صديق مرض ولم يتمكن من عيادته لسبب ما: [من الوافر]

سَمِعْتُ بِأَنَّ عَبْدَ اللهِ يَشْكُو فَضِقْتُ وَقَدْ سَمِعْتُ بِذَاكَ ذَرْعَا
وَبِتُّ وَقَدْ مَنَعْتُ سِوَاكَ مِنِّي لِمَا خُبِّرْتُهُ بَصَراً وَسَمْعَا
وَعَزَّ عَلَيَّ عِزَّ الدِّيْنِ أَلاَّ أُطِيقَ أَرُدُّ عَنْكَ الضُّرَّ نَفْعَا
أَلَسْتَ أَخَا اليَدِ البَيْضَاءِ عِنْدِي أُقِرُّ بِهَا وَلاَ أَسْطِيعُ دَفْعَا
وَمَنْ عَمَّتْ شَمَائِلُهُ وَطَابَتْ لَنَا فَزَكَا بِهَا أَصْلاً وَفَرْعَا
وَأُقْسِمُ بِالكُؤُوْسِ مُدَعْدَعَاتٍ يُحَسِّنِي بِهَا وَتْراً وَشَفْعَا
/ ٥٨أ/ وَبِالنِّعَمِ الَّتِي قَلَّدتَنِيْهَا وَلَسْتُ أَرَى لَهَا مَا عِشْتُ مَنْعَا

لَقَدْ صَدَعَ المُخَبِّرُ لِي فُؤَاداً ... جَعَلْتُكَ خَيْرَ ثَاوٍ فِيهِ صَدْعَا
وَلَوْ مُكِّنْتُ مِنْ قَلَقٍ عَرَانِي ... عَلَى رَأْسِي لَكُنْتُ إِلَيْكَ أَسْعَى

وأنشدني قوله في صديق له، اسمه أبو بكر، كان كثير المكاتبة إليه ثم قطعها عنه: [من الطويل]

مَنَحْتُ أَبَا بَكْرٍ إِخَائِي وَمِدْحَةً ... لأَوْصَافِهَا مِثْلُ الجُمَانِ المُبَدَّدِ
وَقَدْ. . . . أَبْنَاءَ الزَّمَانِ مَوَدَّتِي ... وَقُلْتُ لآمَالِي عَلَى مِثْلِهِ اعْقِدِي
فَمَنْ سَنَّ قَطْعَ الكُتْبِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... أَخَانَ أَبُو بَكْرٍ عُهُودَ مُحَمَّدِ

وأنشدني لنفسه في فلك الدين بن المسيري، وقد نقم على أستاذ دارٍ له ربّاه صغيراً، فكان تركيًا اسمه «أقش»: [من الكامل]

يَا أَيُّهَا الفَلَكُ المُدَبِّرُ مُلْـ ... ـكَ الشَّامِ وَهْوَ لِدَسْتِهِ صَدْرُ
غِلْمَانُكَ التُّرْكُ النُّجُومُ إِذَا ... حَضَرُوا وَأَقْشُ بَيْنَهُمْ بَدْرُ
/٥٨ب/ وَلَقَدْ مَضَى لَيْلُ السِّرَارِ وَمَا ... لِلْبَدْرِ بَعْدَ سِرَارِهِ سِتْرُ
أَعْزَزْتَ جَانِبَهُ وَلَيْسَ لَهُ ... نَابٌ بِهِ يُفْرِي وَلاَ ظُفْرُ
وَكَفَلْتَهُ طِفْلاً فَشَبَّ كَمَا ... تَهْوَى إِلَيْهِ النَّهْيُ وَالأَمْرُ
كَذَبَ الوُشَاةُ بِهِ وَمَا كَذَبُوا ... إِلاَّ لِيَصْدُقَ عِنْدَكَ الهَجْرُ
حَاشَاكَ لاَ تَحْنُوا وَقَدْ ... مَوَّلْتَهُ وَبَنَانُهُ صِفْرُ

وأنشدني لنفسه، وقد عمل لفلك الدين بن المسيري، سماع بدمشق في دار حسنة البناء، وحضر جماعة من الشعراء، فامتدحوه ووصفوا الدار بحسن بنائها:

[من المنسرح]

للهِ يَا دَارُ مَنْ بَنَاكِ فَقَدْ ... سَلَكْتِ نَهْجاً مِنْ قَبْلُ مَا سُلِكَا
أَمَا كَفَاكِ الَّذِي مُنِحْتِ بِهِ ... حَتَّى أَظَلَّتْ سُقُوفُكِ الفَلَكَا

وأنشدني لنفسه، وقد نادم في بستان جماعة، منهم رجل يلقب العفيف[1]، وقد استحضر قينة يقال لها كوكب: [من السريع]

(١) في مجمع الآداب ١/ ٤٨٦ إن اسمه «مظفر بن مسلم المصري».

وَجَنَّـــةٍ بِـــتُّ بِهَـــا أَجْتَنِـــي ... لَـــذَاذَةَ المَـــأْكَـــلِ وَالمَشْـــرَبِ
/ ٥٩أ/ عَـافَ عَفِيـفُ الـدِّيـنِ فِيهَـا التُّقَـىٰ ... بِكَـــوْكَـــبٍ وَاغْتَـــرَّ بِـــالمَلْعَـــبِ
فَقُلْـــتُ فِـــي اللَّيْلَـــةِ يَـــا قَـــوْمَنَـــا ... قَـــدْ رُجِـــمَ الشَّيْطَـــانُ بِـــالكَـــوْكَـــبِ(١)

قال: فقيل لي: أطلت الفكرة في المعنىٰ، حتىٰ أجدته. فارتجلتُ:

[من المجتث]

قَـــالُـــوْا: عَفِيـــفٌ، فَقُلْنَـــا: ... مِـــنَ التُّقَـــىٰ وَالأَمَـــانَـــهْ
دَانَـــتْ لَـــدَيْـــهِ المَخَـــازِي ... لَمَّـــا أَبَتْـــهُ الـــدِّيَـــانَـــهْ
مُـــذْ بَـــاتَ فِينَـــا رَجَمْنَـــا ... بِكَـــوْكَـــبٍ شَيْطَـــانَـــهْ(٢)

وأنشدني أيضًا لنفسه في العفيف، وقد سأل غُلامًا اسمه أبو بكر، يريد به الفاحشة:

[من الطويل]

سَمِعْـتُ لأَهْـلِ السُّنَّـةِ اليَـوْمَ مَـأْتَمًـا ... وَخَطْبًـا جَلِيـلاً حَـاقَ بِـالعَبْـدِ وَالحُـرِّ
يَقُـوْلُـوْنَ: مَـا ارْتَـدَّ العَفِيـفُ وَبُـدِّلَـتْ ... عَقِيـدَتُـهُ إِلاَّ بِنُسْـكِ أَبِـي بَكْـرِ

وأنشدني لنفسه في ابن دنينير الشاعر(٣)، وكان كثير الأذيّة للناس: [من السريع]

يَـا قَـوْمُ مَـا لابْـنِ دُنَيْنِيـرَ قَـدْ ... شَـنَّ عَلَيْكُـمْ غَـارَةَ الفَتْـكِ
أَتَـىٰ مَكَـانٌ لامْـرِيءٍ لَـمْ يَـزَلْ ... أَبُـوْهُ بَيْـنَ الصَّـرْفِ وَالصَّـكِّ

/ ٥٩ب/ وأنشدني لنفسه فيه أيضًا: [من السريع]

يَـا ابْـنَ دُنَيْنِيـرٍ أَطَلْـتَ الأَذَىٰ ... لِلنَّـاسِ فِـي سِـرٍّ وَإِجْهَـارِ
وَٱسْـمُ أَبِيـكَ الشَّيْـخِ مُسْتَحْقَـرٌ ... فَكَيْـفَ لَـوْ كُنْـتَ ٱبْـنَ دِينَـارِ

وأنشدني قوله في مغنية اسمها قمر: [من الكامل]

للهِ لَيْلَتُنَـا وَقَـدْ كَسَفَـتْ ... قَمَـرَ السَّمَـاءِ بِـوَجْهِهَـا قَمَـرُ

---

(١) مجمع الآداب ١/ ٤٨٦ وقد نقلها عن القلائد.
(٢) مجمع الآداب ١/ ٤٨٦ وقد نقلها عن القلائد.
(٣) ترجم له المؤلف في الجزء الأول برقم ١٢ و١٦.

وَتَــرَنَّمَــتْ فِيْنَــا فَمِـــنْ طَـــرَبٍ كَـــادَتْ نُجُـــوْمُ الأُفْـــقِ تَنْتَثِـــرُ
فِـــي فِتْيَـــةٍ مِثْـــلَ الكَـــوَاكِـــبِ إِنْ جَـــادُوا فَجُـــوْدُ أَكُفِّهِـــمْ بَـــدَرُ
فِيْهِـــمْ لِنُـــوْرِ الـــدِّيْـــنِ مَـــرْتَبَـــةٌ تَنْحَـــطُّ مِنْهَـــا الأَنْجُـــمُ الـــزُّهُـــرُ
ذَاكَ الأَمِيْـــرُ ابْـــنُ الأَمِيْـــرِ وَمَـــنْ بِبَقَـــائِـــهِ الأَيَّـــامُ تَفْتَخِـــرُ

وأنشدني لنفسه في غلام مشبِّب جميل الصورة: [من البسيط]

وَأَسْمَــرٍ تُخْجِــلُ السَّمْــرَاءَ قَــامَتُــهُ مِـــنْ طِيْـــبِ أَنْفَـــاسِـــهِ الأَرْوَاحُ تُسْتَلَـــبُ
أَمْسَـــى يُشَبِّـــبُ وَالشَّـــادِيْ يُـــرَجِّـــعُ أَلْـ ـحَـــانَـــاً فَلَـــمْ يَـــكُ إِلاَّ زِيْـــرَهُ الطَّـــرَبُ
لَـــوْ أَنْصَفُـــوْهُ لَصَـــاغُـــوا الـــزِّيْـــرَ مِـــنْ ذَهَـــبٍ وَقَـــدْ يَقِـــلُّ لِهَـــذَا الأَسْمَـــرِ الـــذَّهَـــبُ

وأنشدني قوله في مغن يعرف بشمس الدين بلبل: [من المتقارب]

/ ٦٠أ/ أَرَىٰ الشَّمْسَ قَدْ بَزَغَتْ فِي الدُّجَىٰ تُبَيِّـــضُ مِـــنْ لَيْلِـــهِ الأَلْيَـــلِ
وَلَـــمْ أَرَ شَمْسَـــاً لِسُمَّـــارِهَـــا تُحَـــدِّثُ مِـــنْ نَغَـــمِ البُلْبُـــلِ

وأنشدني لنفسه في أخوين مطربين، يُعرف أحدهما بالشمس، والآخر بالقمر بمجلس الملك الناصر ـ صاحب حماة ـ وقد سُئل ذلك، فقال ارتجالاً: [من الكامل]

وَعِصَـــابَـــةٍ مِثْـــلِ الكَـــوَاكِـــبِ قَـــدْ جَمَعُـــوا لَـــدَيْنَـــا الشَّمْـــسَ وَالقَمَـــرَا
فَتَـــرَىٰ القُلُـــوْبُ لِـــذَا مَنَـــازِلَـــهُ وَيَـــرُوْحُ هَـــذَا السَّمْـــعَ وَالبَصَـــرَا

وأنشدني لنفسه في غلام، خلع عليه الملك الناصر جبّة حمراء، وكان يحبّه:

[من الكامل]

وَمُتَـــرَّكِ الأَلْحَـــاظِ هَـــزَّ قَـــوَامَـــهُ تِيْـــهُ الصِّبَـــا كَـــالْغُصْـــنِ هَـــزَّتْـــهُ الصَّبَـــا
عَقَـــرَ القُلُـــوْبَ وَقَـــدْ تَقَمَّـــصَ أَحْمَـــرَاً فَحَسِبْتُـــهُ بِـــدِمَـــائِهِـــنَّ تَجَلْبَبَـــا

وأنشدني أيضًا لنفسه في مشبّب يعرف بابن سلطان: [من السريع]

إِنَّ ابْـــنَ سُلْطَـــانَ وَأَنْفَـــاسُـــهُ يُحْيِـــي بِهَـــا مَـــنْ هُـــوَ مَقْبُـــوْرُ
/ ٦٠ب/ كَـــأَنَّـــهُ وَالـــزِّيْـــرُ فِـــي كَفِّـــهِ يَنْفُـــخُ إِسْـــرَافِيْـــلُ وَالصُّـــوْرُ

وأنشدني أيضًا من شعره، في مطرب حسن الصوت والوجه: [من المنسرح]

يَـــا مُطْـــرِبـــاً لَحْنُـــهُ وَنَغْمَتُـــهُ تَحُـــلُّ عَقْـــدَ العُقُـــوْلِ وَالمُهَـــجِ
إِيَّـــاكَ وَالفَتْـــكَ فِـــي القُلُـــوْبِ فَمَـــا أَفْتَـــاكَ فِـــي سَلْبِهَـــا بِـــلاَ حَـــرَجِ

أَمْسَيْتَ فِيْنَا فَنَابَ وَجْهُكَ فِي اللَّيْلِ مَنَابَ الشُّمُوعِ وَالسُّرُجِ

وأنشدني له فيه أيضًا : [من المتقارب]

لَنَا مُطْرِبٌ مِنْ سَنَى وَجْهِهِ ... يُبَيِّضُ وَجْهُ الدُّجَى المُظْلِمُ
تَكَادُ إِذَا مَا شَدَا تَرْقُصُ السَّـ ... ـمَاءُ وَتَنْتَشِرُ الأَنْجُمُ
يَهِيْمُ الحَلِيْمُ بِأَلْحَانِهِ ... وَيَفْهَمُ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَفْهَمُ

وأنشدني لنفسه فيه أيضًا : [من الكامل]

وَمُطْرِب عَذُبَتْ لَنَا أَلْفَاظُهُ ... تَهْتَزُّ مِنْ أَلْحَانِهِ الجُدْرَانُ
وَدَّتْ عُيُوْنُ النَّاظِرِيْنَ جَمَالَهُ ... مِنْ نُطْقِهَا لَوْ أَنَّهَا آذَانُ

وأنشدني لنفسه، وقد حضر مجلسًا في جوسق بدمشق / ٦١أ/ مع أميرين، يلقّب أحدهما بدر الدين، والآخر بهاء الدين، وهنالك غلام حسن الصورة، يقال له : سعدون، فسأله الأمير : أن يشبّه محاسنه بشيء من أزهار الجوسق، فقال ارتجالاً :

[من السريع]

وَجَوْسَق مَرَّتْ لَنَا نُزْهَةٌ ... فِيْهِ بِأَنْوَاعِ الرَّيَاحِيْنِ
لَمْ أَرَ شَيْئًا فِيْهِ إِلاَّ وَبِي ... مِثَالُهُ مِنْ وَجْهِ سَعْدُوْنَ
مِنْ وَجْنَةٍ كَالْوَرْدِ مُحْمَرَّةٍ ... وَحَاجِبٍ كَالآسِ مَقْرُوْنِ

وسايره الأميران المقدم ذكرهما في البستان حتىٰ وقفوا علىٰ ماء يترقرق علىٰ الحصى، فقال بديهة : [من السريع]

وَرُبَّ مَاءٍ . . . وَهْوَ مِنْ ... فَوْقِ الحَصَى مُنْدَفِقٌ يَجْرِي
لَوْ أَنَّهُ مَالَ لِشَبَّهْتُهُ ... يَدَ البَهَا أَوْ رَاحَةَ البَدْرِ

وسأله راجح الحليّ الشاعر : أشربت الخمر قبل اليوم ؟ فأنكر، وأنشد بديهة :

[من البسيط]

/ ٦١ب/ يَا رَاجِحَ القَوْلِ فِي سِرٍّ وَفِي عَلَنٍ ... وَوَاحِدَ النَّاسِ مِنْ أُنْثَىٰ وَمِنْ ذَكَرِ
هَذِي المُدَامَةُ مِنْ أَخْلاَقِكَ اعْتُصِرَتْ ... حَتَّىٰ تَصَابَىٰ إِلَيْهَا أَوْقَرُ البَشَرِ

وأنشدني لنفسه، وقد اجتاز برأس عين سنة عشرين وستمائة، وجرىٰ بينه وبين قاضيها كلام، ونهض من عنده مُغضبًا، فلقيه فيما بعد القاضي راكبًا علىٰ بغلة،

فاستوقفه، وأنشده ارتجالاً: [من البسيط]

عَاتَبْتُ بَغْلَةَ قَاضِينَا وَقُلْتُ لَهَا ... إلَىٰ مَتَىٰ أَنْتِ مِنْ مَوْلَاكِ فِي دَأْبِ
قَالَتْ: فَقَدْ جَاءَ فِي القُرآنِ مُلْتَزِمٌ ... بِالْوَالِدَيْنِ وَمَالِي أَنْ أَعُقَّ أَبِي

فشكاهُ القاضي، إلىٰ شاعر هناك، يقال له برهان الدين عثمان بن عطية، فلما عتبه، أنشدَهُ ارتجالاً لنفسه: [مِن الطويل]

أَعُثْمَانُ إنْ كَانَ القَرِيْضُ فَضِيْلَةً ... يُقَرِّبُهَا فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ تُرْوَىٰ
فَمِمَّ بِمَرْأَى إدَّعَيْتَ اجْتِنَابَهُ ... وَمَالَكَ فِيْهِ حُجَّةٌ تُثْبِتُ الدَّعْوَىٰ
وَإِنْ كَانَ نَظْمُ الشِّعْرِ غَيْرَ فَضِيْلَةٍ ... فَإِنِّي وَإِيَّاكَ اتَّفَقْنَا فَلَمْ أُزْوَىٰ

/ ٦٢أ/ وأنشدني لنفسه أيضًا، وقد حضر مع راجح الحلي الشاعر، مجلس شراب، فمدّ له قدحًا يشربه، فقبله، وأنشده ارتجالاً: [من الوافر]

كَأَنَّ الرَّاحَ فِي كَفَّيْكَ تِبْرٌ ... يَجُودُ بِهَا بِلاَ مَنٍّ عَلَيْنَا
فَلاَ شُكْرٌ يَغُرُّ يَدَيْكَ مِنَّا ... كَمَا إحْسَانُهَا يَتْرَىٰ إلَيْنَا

وأنشدني أيضًا لنفسه، يمدح الإمام المستنصر بالله أبا جعفر المنصور أمير المؤمنين، خليفة الله في العالمين - رحمه الله - ويحرّضه علىٰ أعدائه، وأخذ بلادهم:

[من السريع]

فِي صَهَوَاتِ الشُّزَّبِ الضُّمَّرِ ... مُطَّلَبُ النَّصْرِ لِمُسْتَبْصِرِ
وَفِي الرُّدَيْنِيَّاتِ نَيْلُ المُنَىٰ ... وَمَنْشَأُ العِزَّةِ وَالمَفْخَرِ
لاَ تَغْتَرِرْ بِالخَدْعِ مِنْ صَاحِبٍ ... مَنْ يُغْرَ بِالعَلْيَاءِ لاَ يُغْرَرِ
إنْ مُعْطَاةُ كُؤُوسِ السُّرَىٰ ... تَسُرُّ قَلْبَ الخَاطِرِ المُخْطِرِ
وَخَوْضَ هَوْلِ الأَرْضِ لاَ يُرْتَضَىٰ ... إلاَّ لِجَرَّارِ القَنَا مُجْتَرِي
.... الدَّهْرِ وَآرَاؤُهُ ... مَحْمُودَةُ المَوْرِدِ وَالمَصْدَرِ
/ ٦٢ب/ للهِ كَمْ مِنْ مَهْمَهٍ جِئْتُهُ ... بِهِمَّةٍ تَهْزَأُ بِالأَنْسُرِ
تُؤْنِسُنِي الوَحْدَةُ فِي مَنْزِلٍ ... وَالرِّفْقُ مَا فِي البَلَدِ المُقْفِرِ
وَجُنْحُ لَيْلٍ جَنَحَتْ رُفْقَتِي ... فِيْهِ إلَىٰ الأَزْهَارِ وَالمَزْهَرِ
بِتْنَا عَلَىٰ اللَّذَّاتِ أَسْرَارُنَا ... مَسْرُورَةٌ بِالخَمْرِ وَالمَيْسِرِ

تُقَدِّحُ الأَقْدَاحُ مِنْ لَهْوِنَا   شَرَارَ حِقْدِ الكَبِدِ المُوْغَرِ

وَضَجَّةُ الأَوْتَارِ مَا بَيْنَنَا   وأنزه الصَّاحِي مِنَ المُسْكِرِ

لَيْلُ حَمِيْدٌ مَا زَجَرْنَا بِهِ   مُهْرِيَّةً فِي المَهْمَهِ الأَغْبَرِ

وَلاَ اصْطَبَحْنَا مِنْهُ فِي غَارَةٍ   غَازَيْنَ بِالأَبْيَضِ وَالأَسْمَرِ

مَارَسَنِي الدَّهْرُ وَمَارَسْتُهُ   وَالحُرُّ مَنْ يُحْمَدُ فِي المَخْبَرِ

أَقْصَى قُصَارَايَ بِهِ عَزْمَةٌ   حكيت الملك عَلَى قَيْصَرِ

مَا أَنَا مِمَّنْ هَمُّهُ بُلْغَةٌ   يَبْلُغُ مِنْهَا إِرَبَ المُقْتِرِ

إِذَا نَبَا بِي مَوْرِدٌ عَافَهُ   خُلْقِي وَلَوْ كَانَ مِنَ الكَوْثَرِ

لاَ أَحْمَدُ النَّهْضَةَ إِلاَّ إِلَى   خَلِيْفَةِ الله أَبِي جَعْفَرِ

الآمِرِ الأُمَّةَ بِالعُرْفِ وَالـ   ـمَعْرُوْفِ وَالنَّاهِي عَنِ المُنْكَرِ

وَالصَّائِمِ القَائِمِ وَالعَالِمِ الـ   ـحَاكِمِ فِي الغُيَّبِ وَالحُضَّرِ

/ ٦٣أ/ وَعَاقِدِ الرَّايَاتِ سُوْدًا يُقَرِّ   ـبْنَ العِدَا مِنْ مَوْتِهَا الأَحْمَرِ

فِي جَحْفَلٍ جِبْرِيْلُ مِنْ جُنْدِهِ   يَمُوْرُ بِالنَّصْرِ وَلاَ يَمْتَرِي

لَوَامِعُ البِيْضِ وَبِيْضُ الظُّبَا   فِيْهِ كَبَرْقِ العَارِضِ المُمْطِرِ

كَأَنَّ فُتْخَ الطَّيْرِ مِنْ فَوْقِهِ   مَخْلُوْقَةٌ مِنْ ذَلِكَ العَسْكَرِ(١)

كَأَنَّ غَرْثَى الوَحْشِ سُرَّتْ بِهِ   سِرْبُ قَطًا بِالمَاءِ مُسْتَبْشِرِ

كَأَنَّ فِيْهِ الخَيْلَ جَوَّالَةً   ضَرَاغِمٌ ثُرْنَ فَلَمْ تَثْأَرِ

تَهْتَزُّ فِيْهِ كُلُّ خَطِّيَّةٍ   سَمْرَاءَ هَزَّ الغُصُنِ الأَخْضَرِ

شَنَّ بِهِ المَنْصُوْرُ نَصْرًا المَنْ   يعدُّ دَعْوَاهُ وَلَمْ يَغْدِرِ

لاَ غَرْوَ أَنْ . . . . بطش مَنْ   أَعْرَاقُهُ تغلق بِالمِئْزَرِ

مُبْتَهِجُ الوَجْهِ إِذَا أَمَّهُ   ذُو أَمَلٍ مُرْتَفِعُ العُنْصُرِ

زُرْنَاهُ بِالزَّوْرَاءِ فَاسْتَبْشَرَتْ   آمَالُنَا بِالنَّائِلِ الأَوْفَرِ

وَأَصْبَحَ المَعْرُوْفُ مِنْ تِيهِهِ   يَعْلُو عَلَى المُشْئِمِ وَالمُمْصِرِ

فَيَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ الَّذِي   جَبِيْنُهُ كَالقَمَرِ المُسْفِرِ

---

(١) الفتخاء: العقاب اللينة الجناح.

وَرَأْيُــــهُ فـــــي فَضْـــــل . . . . يُــزْهــرُ مثْـلَ الكَـوْكَـب النَّيِّـر
/ ٦٣ب/ عَـزَ لبـلاد الله مـن حـاكـم بـالجَـور فيهـا لحكـم مستنكـر
وَأجْبُـرْ بعَـدْل منْـكَ كيْـس أمْـرِىءٍ لَـوْلاكَ لَـمْ يُـؤْسَ وَلَـمْ يُجْبَـر
يَـا مَلكـاً أنْمُـلُ رَاحَـاتـه سَحَـائـبٌ أُنْشئْـنَ مـنْ أبْحُـر
رُع كُـلّ بـاغ مـا بـي إذا صَـالَ فَمثْـلُ الأسَـد القَسْـوَر
لَيْـثٌ عَلَـى السَّـرْج لَـهُ غُـرَّةٌ كَـالبَـدْر فـي دَائـرَة المغْفَـر
فَـالأَرْضُ إرْثٌ لَـكَ مـنْ دُوْنَنَـا يَـا أبْـنَ الصَّفَـا وَالـرُّكْـن وَالمَشْعَـر
مَـنْ لـي بـأنْ أنْظُـرَ رَايَـاتكُـمْ مَـرْفُـوعَـةً تُنْشَـرُ فـي شَيْـزَر
فـي فَيْلَـق تَجْـري كَـرجْـل الـدَّبَـى مُعْتَصمـاً بـالعَـدَد الأكْثَـر[١]
تَحْتَـلُّ مـنْ أرْض حَمَـاة الحمَـى حُلُـولَ حَـام غَيْـرَ مُسْتَنْكَـر
وَيَلْتَقـي حمْـص بمَلْمُـوْمَـة تُـدَمِّـرُ الأعْـدَاءَ فـي تَـدْمُـر
ضَـرَاغـمٌ تَطْلُـبُ مـنْ جلّـقٍ عَـريْـنَ ثَـاوٍ غَيْـر مُسْتَنْفَـر
وَتَـرْجُـمُ القَصْـرَيْـن مـنْ بَعْـدهَـا عَـزَائـمٌ طَـالَـتْ فَلَـم تَقْصُـر
تَجْتَـذبُ النّيْـلَ إلَـى دجْلَـة كَمَـا مَضَـى فـي سَـالـف الأعْصُـر
لـوَارث البُـرْدَة مـنْ أحْمَـدٍ . . . . للسَّيْـف وَالمنْبَـر
/ ٦٤أ/ وَمُنْقـذ الأمَّـة مـنْ غَيّهـمْ وَمُنْصـف الأعْمَـى مـنَ المُبْصـر
هُنَـاكَ يَنْجُـو الشَّـرْقُ مـنْ مُشْـرقٍ وَيَبْـرَأُ الغَـرْبُ مـنَ البَـرْبَـر

[٧٥٧]

مُحَمَّدُ بنُ سعيد بن يحيىٰ بن عليِّ بنِ الحجَّاج بنِ مُحَمَّد بنِ الحجَّاجِ، أبو عبدِ الله ابنِ أبي المعالي الدُّبيثيُّ الواسطيُّ[٢].

(١) الدَّبى: صغار الجراد.

(٢) هو المؤرخ المشهور ومصنف «ذيل تاريخ بغداد».
ترجمته في: تاريخ إربل ١/ ١٩٤ ـ ١٩٥. وفيات الأعيان ٤/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥. الحوادث الجامعة ص١٣٥. معجم الأدباء ٦/ ٢٥٣٩ ـ ٢٥٤٠. تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤١٤. العبر للذهبي ٥/ ١٥٤. دول الإسلام للذهبي ٢/ ١٠٩. مرآة الجنان ٤/ ٩٥. طبقات السبكي ٨/ ٦١. الوافي بالوفيات ٣/ ١٠٢. طبقات الجزري ٢/ ١٤٥. شذرات الذهب ٥/ ١٨٥ ـ ٥٨١. طبقات الأسنوي ١/ ٥٤١. تاريخ ابن كثير=

وجدُّه الأعلىٰ[(١)] كان من دَبيثَا؛ قرية الحجّاج من طريق الجبل، بينها وبين واسط عشرة فراسخ[(٢)].

شيخ صالح فاضل، عدل ثقة من مشاهير أصحاب الحديث وعلمائهم وأعيانهم وحُفاظهم، قد جمع عدّة كتب منه: تأريخًا ذيّل به علىٰ تاريخ السمعاني المذيل علىٰ تاريخ الخطيب؛ وقرىء عليه، وكتب به عدة نسخ.

وكانت ولادة أبي عبد الله يوم الإثنين سادس عشري رجب سنة ثماني وخمسين وخمسمائة، بواسط. وتوفي ببغداد يوم الإثنين ثامن شهر ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وستمائة.

وسمع الحديث الكثير علىٰ مشايخ واسط، وبغداد، والحجاز، وطلبه بنفسه، وسمع بواسط أبا طالب محمد بن علي الكتاني، وأبا العباس هبة الله بن نصر الله بن مخلّد/ ٦٤ب/ وجماعة آخرين. وبالحجاز من عبد المنعم بن عبد الله الفراوي، وببغداد من أبي السعادات نصر الله بن عبد الرحمن القزاز وغيرهم؛ وألّف التاريخ.

وهو شيخ ثقة حافظ ذو معرفة، وضبط وعلم بالتواريخ والوقائع، واسع الرواية، له أشعار متضمنة الزهد، والوعظ، وما يتصل بهذه الأنواع.

أنشدني لنفسه: [من الطويل]

سَبيلُكِ يَا نَفْسِي إِذَا رُمْتِ مَخْلَصًا ... وَرَاحَةَ سِرٍّ أَنْ تُقَلِّي مِنَ الطَّمَعْ
وَأَنْ تَقْنَعِي بِالقَصْدِ فِي كُلِّ حَاجَةٍ ... وَلَا تَيْأَسِي فِي الحَادِثَاتِ إِذَا تَقَعْ
وَإِنْ مَسَّ دَهْرٌ بِالمَسَاءَةِ فَاصْبِرِي ... وَزِيدِي خُضُوعًا لِلإِلَٰهِ فَقَدْ نَفَعْ

= ١٣/ ١٠٥. النجوم الزاهرة ٦/ ٣١٧. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٦٨ ـ ٧٠ رقم ٥٠. غاية النهاية ٢/ ٤٥٠. الرسالة المستطرفة ص١٣١. التكملة للمنذري ٣/ ٥٢٨ رقم ٢٩٢٥ وغيرها.

انظر: بحث د. بشار عواد معروف في المجلة التأريخية، العدد الثاني ص١٧ وما بعدها. ومقدمته أيضًا لذيل تأريخ مدينة السلام بتحقيقه.

(١) هو علي بن الحجاج بن محمد، ذكره ابن خلكان في الوفيات ٤/ ٢٩ في ترجمة حفيده محمد بن سعيد المؤرخ، قال: قدم جده علي من دبيثا وسكن واسط وبها توالدوا، وذكره المنذري في تكملته ١/ ٢١٩ في ترجمة سعيد بن يحيى بن علي ـ والد المؤرخ ـ.

(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (دبيثا).

وَلاَ تُظْهِرِي الشَّكْوَىٰ لِخَلْقٍ فَلَنْ تَرَيْ ... لأَمْرٍ قَضَاهُ اللهُ مِنْ دَافِعٍ دَفْعْ
فَمَا العُسْرُ بَاقٍ مِثْلَمَا اليُسْرُ لَمْ يَدُمْ ... وَلاَ المَرْءُ يَبْقَىٰ فَاتْرُكِي الحِرْصَ وَالخُدَعْ

وأنشدني لنفسه أيضًا: [من الطويل]

سَيُذْرِي دَمًا بَعْدَ الدُّمُوعِ كَآبَةً ... عَلَىٰ خَوْضِه فِي اللَّهْوِ مَنْ كَانَ لاَهِيَا
وَيَنْدَمُ مَنْ قَدْ كَانَ يَسْعَىٰ لِنَفْسِهِ ... بِأَهْوَائِهَا إِذْ بَانَ فِي النَّارِ هَاوِيَا
وَيَعْلَمُ عُقْبَىٰ حَالِهِ كُلُّ خَالِعٍ ... عِذَارَ الحَيَا يَوْمَ الحِسَابِ المُلاَقِيَا
فَقُلْ لِمُجِدٍّ فِي الحَرَامِ مُسَارِعٍ ... تَرَفَّقْ قَلِيلاً سَوْفَ تَرْحَلُ....

/ ٦٥أ/ وأنشدني من شعره أيضًا: [من الطويل]

يَغُرُّ الفَتَىٰ طُولُ السَّلاَمَةِ لاَهِيًا ... وَيَنْسَىٰ هُجُومَ المَوْتِ مَعْ ظُلْمَةِ القَبْرِ
وَأَهْوَالَ مَا يَلْقَىٰ وَيَوْمَ حِسَابِهِ ... إِذَا بَرَزَ الجَبَّارُ لِلْفَصْلِ وَالأَمْرِ
وَصَيْحَةَ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ وَالبُكَا ... إِذَا عَايَنُوا أَهْلَ المَفَازَةِ وَالغَفْرِ
فَيَا رَبِّ وَفِّقْنَا لِخَيْرِ طَرِيقَةٍ ... وَمُنَّ بِمَا يُرْضِيكَ يَا عَالِمَ السِّرِّ

وأنشدني لنفسه أيضًا: [من الكامل]

إِنِّي نَظَرْتُ مُفَكِّرًا فِي مَبْدَأي ... وَتَنَقُّلِي فِي الخَلْقِ وَالأَحْوَالِ
حَتَّىٰ عَقَلْتُ وَصِرْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ ... لاَبُدَّ لِي مِنْ مُنْتَهًى وَمَآلِ
وَكَأَنَّ مَا قَدْ كَانَ لَمْ يَكُ صَائِرًا ... فِيمَا مَضَىٰ مُتَحَقِّقًا لِزَوَالِ
أَيْقَنْتُ أَنِّي لاَ مَحَالَةَ ذَاهِبٌ ... مُتَحَلِّلُ التَّرْكِيبِ غَيْرُ مُحَالِ

ومن شعره، يمدح المستنصر بالله: [من الطويل]

إِمَامُ هُدًى أَحْيَا بِهِ اللهُ خَلْقَهُ ... وَأَغْنَاهُمُ بِالبِرِّ مِنْهُ وَبِالفَضْلِ
وَأَعْطَاهُمُ فَوْقَ الَّذِي كَانَ ظَنَّهُمْ ... مِنَ الطَّوْلِ وَالإِحْسَانِ وَالأَمْنِ وَالعَدْلِ
بِهِ إِزْدَانَتِ الدُّنْيَا وَزَادَ جَمَالُهَا ... وَظَلَّ بَنُوهَا مِنْ أَيَادِيهِ فِي ظِلِّ
فَلاَ زَالَ فِي مُلْكٍ عَقِيمٍ وَنِعْمَةٍ ... تَدُومُ وَفِي عُمْرٍ مَدِيدٍ وَفِي بَذْلِ
/ ٦٥ب/ وَبَلَّغَنَا فِيهِ الَّذِي نَرْتَجِي لَهُ ... مِنَ النَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ رَبٌّ لَهُ يُعْلِي

وله: [من الطويل]

خَلِيلَيَّ إِنْ جَارَ الزَّمَانُ أَوِ اعْتَدَىٰ ... فَلُوذَا بِحُسْنِ الصَّبْرِ فِيهِ وَسَالِمَا

فَمَنْ سَالَمَ الأَيَّامَ نَالَ مَرَامَهُ ... وَكَانَ مِنَ المَكْرُوْهِ. . . . وَسَالِمَا

وقال: [من الطويل]

عَلَيْكَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ فِي كُلِّ حَالَةٍ ... وَإِنْ كَانَ طَعْمُ الصَّبْرِ فِي حَمْلِهِ صَبْرَا
فَلَنْ يَعْدمَ الإِنْسَانُ نَيْلَ مَرَامِهِ ... إِذَا قَطَعَ الأَيَّامَ مُسْتَعْمِلاً صَبْرَا
وَعَدِّ عَنِ الأَطْمَاعِ وَاقْنَعْ بِدُوْنِهَا ... فَكَمْ أَهْلَكَتْ حِرْصًا وَكَمْ قَتَلَتْ صَبْرَا

وقال(١): [من الطويل]

خَبُرْتُ بَنِي الأَيَّامِ طُرّاً فَلَمْ أَجِدْ ... صَدِيْقًا صَدُوْقًا مُسْعِداً فِي النَّوَائِبِ
وَأَصْفَيْتُهُمْ مِنِّي الوُدَادَ فَقَابَلُوا ... صَفَاءَ وُدَادِي بِالقَذَى وَالشَّوَائِبِ
وَمَا اخْتَرْتُ مِنْهُمْ صَاحِبًا وَارْتَضَيْتُهُ ... فَأَحْمَدْتُهُ فِي فِعْلِهِ وَالعَوَاقِبِ

وقال(٢): [من البسيط]

يَا مَنْ يُكَاثِرُ بِالإِخْوَانِ مُعْتَقِداً ... أَنَّ المَوَدَّةَ مِنْ أَسْبَابِ قُوَّتِهِ
لاَ تَغْتَرِرْ بِبَنِي الأَيَّامِ مُعْتَمِداً ... عَلَى مَوَدَّةِ مَنْ تُغْرَى بِصُحْبَتِهِ
/٦٦أ/ وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ مِمَّنْ تُعَاشِرُهُ ... فَالدَّهْرُ أَنْكَدُ أَنْ تَصْفُو لِعِشْرَتِهِ
كَمْ مِنْ خَلِيْلَيْنِ طَالَ الوُدُّ بَيْنَهُمَا ... عَادَا عَدُوَّيْنِ كُلُّ حِلْفُ جَفْوَتِهِ

[٧٥٨]

مُحَمَّدُ بنُ عبد الكريم بنِ أبي بكرِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ السلامِ، أبو نصرٍ البصريُّ(٣).

لقيته بمدينة السلام سنة أربع وعشرين وستمائة؛ وهو كهل طويل. وذكر لي أنه قرأ القرآن العزيز بالروايات العشر والسبع والشواذ.

وهو تاجر يسافر [إلى] البلاد، وينتقل في طلب المعاش والتجارة، وله شعر قصره على فن التغزل والنسيب؛ ولم يمدح أحداً ولا هجاه إلاّ بقول الشعر تأدبًا،

(١) القطعة في تأريخ إربل ١/ ١٩٥. الوافي بالوفيات ٣/ ١٠٢ ـ ١٠٣. وفيات الأعيان ٤/ ٣٩٤.
(٢) القطعة في تأريخ إربل ١/ ١٩٥.
(٣) توفي بعد سنة ٦٢٤هـ. ترجمته في: تأريخ إربل ١/ ٤٢١ ـ ٤٢٢.

.... الألحان. وهو رجل حسن الحديث، لذيذ الفكاهة.

أنشدني لنفسه(١): [من الكامل]

حَتَّى مَ أُعْذَلُ في الهَوَىٰ وأُعَنَّفُ ... تَاللهِ إنَّ عَوَاذِلِي قَدْ أَسْرَفُوا
قَالُوا: اصْطَبِرْ وَاسْلُ الحَبِيبَ تَكَلُّفًا ... وَأَبَى الهَوَىٰ أَنْ يَقْتَضِيهِ تَكَلُّفُ
أَنَّىٰ وَكَيْفَ لِيَ السُّلُوُّ وَهَا أَنَا ... فِي الحُبِّ مَسْلُوبُ الحُشَاشَةِ مُدْنَفُ
أُخْفِي الغَرَامَ تَسَتُّراً مِنْ كَاشِحٍ ... فَتُذِيعُهُ عَنِّي جُفُونٌ وُكَّفُ
/٦٦ب/ يَا لَلْرِجَالِ سَبَى فُؤَادِيْ شَادِنٌ ... غَنِجُ اللِّحَاظِ رَخِيمُ دَلٍّ أَهْيَفُ
خَنِثُ الشَّمَائِلِ عَذْبَةٌ أَخْلَاقُهُ ... مِنْ خَدِّهِ وَرْدُ الشَّقَائِقِ يُقْطَفُ
مَلَكَ القُلُوبَ بِحُسْنِ لُطْفِ خِلَالِهِ ... فَكَأَنَّهُ رَبُّ المَلَاحَةِ يُوسُفُ
جَاوَزْتُ فِي حُبِّيهِ كُلَّ نِهَايَةٍ ... فَصَبَابَتِي أَنْهَىٰ حَدِيثٍ يُوصَفُ
أَشْكُو إِلَيْهِ لَعَلَّهُ أَنْ يَرْعَوِيْ ... لِشِكَايَتِي وَأَوَدُّ لَوْ يَتَعَطَّفُ
وَبَلِيَّتِيْ وَنُحُولُ جِسْمِي أَنَّهُ ... فِي وَصْلِ مِثْلِي زَاهِدٌ مُتَعَفِّفُ
وَحَيَاتِهِ قَسَمًا وَحَسْبِي أَنَّنِي ... بِحَيَاتِهِ فِي الحُبِّ بَرًّا أَحْلِفُ
لَا خُنْتُهُ جُهْدِي وَلَا عَنْ حُكْمِهِ ... أَبَداً وَلَوْ ذُقْتُ الرَّدَىٰ أَتَخَلَّفُ

وأنشدني لنفسه في الغزل(٢): [من مجزوء الرمل]

غَفَلَ الوَاشِي فَزَارَا ... لَابِسَ اللَّيْلِ إِزَارَا
بَدْرُ تَمٍّ لَوْ رَآهُ الـ ... ـبَدْرُ إِجْلَالًا تَوَارَىٰ
فِي الدُّجَىٰ يَسْرِي فَخِلْتُ اللَّيْـ ... ـلَ إِذْ وَافَىٰ نَهَارَا
فَاتِرُ الطَّرْفِ كَسَاهُ السِّـ ... ـحْرُ غُنْجًا وَاحْوِرَارَا
قُلْتُ: أَهْلًا بِحَبِيبٍ ... لَا أَرَىٰ عَنْهُ اصْطِبَارَا
/٦٧أ/ مَا لِكِي تَفْدِيكَ رُوحِي ... ذُبْتُ شَوْقًا وَانْتِظَارَا
فَسَقَانِي مِنْ رُضَابٍ ... خِلْتُهُ صِرْفًا عُقَارَا
عَطَّلَ الكَاسَاتِ لَمَّا ... خَمْرُ عَيْنَيْهِ أَدَارَا

---

(١) القطعة في تأريخ إربل ١/ ٤٢١ ـ ٤٢٢ نقلها عن القلائد.
(٢) تأريخ إربل ١/ ٤٢١ ـ ٤٢٢ نقلها عن القلائد.

وَانْتَقَلْنَا اللَّثْمَ حَتَّى ... خَالَنَا الصَّاحِي سُكَارَى
يَا لَهَا فُرْصَةَ عُمْرٍ ... لَيْتَهَا عَادَتْ مِرَارَا
لَيْلَةٌ ضَاهَيْتُ فِيهَا ... لَيْلَةَ القَدْرِ افْتِخَارَا[(١)]

[٧٥٩]

مُحَمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ أبي بكرٍ، أبو حامدٍ الجرباذقانيُّ.

وجَرباذقان بليدة بين أصفهان وهمذان[(٢)].

فقيه شافعي، جيد المعرفة في المذهب، فاضل في علم الأصول والخلاف، وله شعر يقصر عن معرفته وعلمه. وسألته عن ولادته، فقال: ولدت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة.

أنشدني لنفسه من قصيدة أولها: [من البسيط]

أَحْبَابَنَا بِالحمَى بِاللهِ مَا الخَبَرُ ... هَلْ يَعْتَرِيكُمْ سَلَامٌ فَائِحٌ عَطِرُ
أَمْ أَنْتُمُ ذُهَّلٌ عَنْ فَحْصِكُمْ أَثَرِي ... وَمَا لِوُدٍّ إِلَيْنَا بِالرِّضَا نَظَرُ
مَا هَكَذَا الوُدُّ لِلْخُلَّانِ مُنْعَقِدٌ ... بِاللهِ صَحْبِي أَرُونِي كَيْفَ أَصْطَبِرُ

/ ٦٧ب/ ومنها:

ثَغْرُ المَوَدَّةِ لِلأَحْبَابِ مُبْتَسِمٌ ... لَكِنَّ عَيْنِي بُكَاهَا مَسَّهُ الأَثَرُ
عَلَى فُؤَادِي فُنُونُ الجَوْرِ مِنْ زَمَنٍ ... . بِأَنَّ دَمِي فِي عَهْدِهِ هَدَرُ

ومنها:

أَبِيتُ فِي تَرَحٍ وَالقَلْبُ مُنْصَدِعٌ ... وَالدَّهْرُ هَيْهَاتَ لاَ يُبْقِي وَلاَ يَذَرُ

ومن مديحها:

غَوْثُ البَرِيَّةِ دُسْتُورُ المَمَالِكِ مَنْ ... ذَا عِنْدَهُ لِلنَّدَى عُظْمٌ وَلاَ خَطَرُ
عَيْنُ المَعَالِي حَلِيفُ العِزِّ مصطنع ... سِيَّانِ عِنْدَ نَدَاهُ العَيْنُ وَالمَدَرُ

---

(١) تأريخ إربل ١/ ٤٢٢ نقلها عن القلائد.
(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (جرباذقان).

[٧٦٠]

مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ الحسينِ، أبو عبدِ الله الموصليُّ.

تفقه علىٰ مذهب الإمام الشافعيّ، وقرأ طرفًا من علم النحو والعربية علىٰ جماعة من أدباء الموصل.

وكان شابًا خفيف العارضين، نحيفًا، أبيض اللون، تعلوه صفرة. وكان ترامىٰ إلىٰ العلوم الرياضية، ويدّعي معرفتها. وكان فيه ذكاء حسن، وكان بيني وبينه عشرة وصحبة. وكان في خَلَواته بارعًا. . . / ٦٨أ/ جاد خاطره بشيء من النظم، في غرض يقع لابأس به.

كانت ولادته ليلة عرفة سنة تسع وثمانين وخمسمائة. وتوفي آخر النهار يوم الجمعة سابع عشر ذي القعدة سنة ثماني عشرة وستمائة بالموصل.

أنشدني لنفسه، ما خلا البيت الأوّل وهو للأمير أبي العباس عبد الله بن المعتز:

مَـــنْ مُعِيْنِـــي عَلَـــىٰ السَّهَـــرْ وَعَلَـــىٰ الهَـــمِّ وَالفِكَـــرْ

فنظم أبو عبد الله علىٰ الوزن والقافية: [من مجزوء الخفيف]

مِـــنْ غَـــزَال قَـــدِ اشْتَهَـــرْ حُسْنُـــهُ وَٱسْمُـــهُ عُمَـــرْ
قَـــدْ بَـــرَانِـــيْ فِـــي ضَـــرَرْ مِـــنْ هَـــوَاهُ عَلَـــىٰ خَطَـــرْ
فَكَـــمِ الحُسْـــنُ قَـــدْ سَطَـــرْ خَـــاجِبَيْـــهِ وَمَـــا ٱقْتَصَـــرْ
لَيْـــسَ فِـــي خَـــدِّهِ شَعَـــرْ نُـــوْرُهُ يَقْمُـــرُ القَمَـــرْ
لَيْتَـــهُ زَارَ فِـــي السَّحَـــرْ وَالكَـــرَىٰ يَفْهَـــمُ الخَبَـــرْ

[٧٦١]

مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ بن عبد الله بن سليمانَ بنِ عليٍّ بنِ عبدِ الحميدِ بنِ أبي العافيةِ، أبُو عَبدِ الله البَلنسيُّ العُمريُّ.

من أولاد عمرَ بنِ الخطّاب ـ رضي الله عنه ـ.

رأيتهُ شابًا طويلاً، أشقر /٦٨ب/ أزرق العينين، بمدينة إربل، في أوائل رجب سنة ثماني وعشرين وستمائة. وهو من أهل القرآن والمعرفة بالنحو والأدب. وذكر أنه قرأ العربية علىٰ أبي الحجاج يوسف بن محمد الأندي. وعلىٰ ذهنه قطعة صالحة من أشعار الأندلسيين.

وله تصانيف في الأدب، عدّد لي أسماءها منها: كتاب «النكت الغريبة في شرح الجزولية»، وكتاب «الشافي في علم العروض والقوافي»، وكتاب «الروض الممطور في أوصاف الخمور»، وما يتعلق بها من الشذور».

وله شعر مليح، وقول عذب. وسألته عن مولده، فقال: ولدت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة.

أنشدني لنفسه: [من الكامل]

وَمُهَفْهَفٍ سَفَكَ الدِّمَاءَ بِلَحْظِهِ ... جَارَتْ عَلَىٰ كَلَفِي بِهِ فَتَكَاتُهُ
رَقَّتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ فَكَأَنَّمَا ... مَاءُ الحَيَا غُذِيَتْ بِهِ وَجَنَاتُهُ
رَشَأٌ إِذَا أَهْدَىٰ السَّلَامَ بِمُقْلَةٍ ... وَلَّىٰ وَقَدْ عَبَثَتْ بِنَا لَحَظَاتُهُ
نَمَّ العِذَارُ عَلَىٰ مُوَرَّدِ خَدِّهِ ... وَلَوَتْ بِعَقْرَبِ صُدْغِهِ نُونَاتُهُ
نَشْوَانُ لَكِنْ مِنْ خُمَارِ جُفُونِهِ ... مِنْ أَيْنَ لِلْقَلْبِ العَمِيدِ نَجَاتُهُ!
/٦٩أ/ أَنْتَ الكَمَالُ وَغُصْنُ قَدِّكَ نَاعِمٌ ... لَا تَبْخَلَنَّ فَقَدْ زَهَتْ ثَمَرَاتُهُ
الحُسْنُ مَالٌ وَالزَّكَاةُ فَرِيضَةٌ ... لَا يَزْكُ مَالٌ لَمْ تُؤَدَّ زَكَاتُهُ

وأنشدني لنفسه أيضًا: [من الكامل]

يَا سَيِّداً سَادَ الوَرَىٰ قَسَماً بِمَنْ ... خَلَقَ الهَوَىٰ إِنِّي إِلَيْكَ مُتَيَّمُ
جَرَحَتْ ظُبَا الحَاظِ جَفْنِكَ مُهْجَتِي ... فَعَسَاكَ تَأْسُو مَا جَرَحْتَ وَتَرْحَمُ

وأنشدني لنفسه أيضًا، وكان قد أهدىٰ إليه بعض العلماء شربة ماء: [من البسيط]

يَا خَيْرَ مَنْ كَتَبَتْ يُمْنَاهُ بِالقَلَمِ ... وَخَيْرَ مَنْ قَدْ غَدَا يَمْشِي عَلَىٰ قَدَمِ
تُغْضِي العُيُونُ حَيَاءً مِنْ مَهَابَتِهِ ... بَحْرُ العُلُومِ وَبَحْرُ الجُودِ وَالكَرَمِ
أَهْدَيْتَ لِي شُرْبَةَ مَاءٍ إِنْ شَرِبتُ بِهَا ... مَاءً سِوَىٰ حُبِّكَ المَفْرُوضِ فِي الأُمَمِ

شَـرَّفْتَنـي بـالَّتـي تَحْيَـا النُّفُـوسُ بهَـا ... يُسْقيـكَ مـنْ كُـلِّ عَـذْبٍ بَـاردٍ شَبِـمِ[1]
بـالـوَرْدِ قَـدْ طُيِّبَـتْ لكـنْ نَـوَافِجُهَـا ... طَيَّبْتَهَـا منْـكَ بـالأَخْـلاقِ وَالشِّيَـمِ
لازِلْـتَ فـي نِعْمَـةٍ تَتْـرَىٰ مُجَـدَّدَةٍ ... عَلَيْـكَ مَـا لاحَ بَـدْرٌ فـي دُجَـىٰ الظُّلَـمِ

[٧٦٢]

مُحَمَّدُ بنُ عليِّ بن أحمدَ /٦٩ب/ بن عبد الله بن عليِّ بن أبي طالب بنِ أبي الفَرَجِ بنِ مخلدِ بنِ كرمٍ، أبو عَبدِ الله الخزرَجيُّ الأَنْبَارِيّ.

كانت ولادته بمدينة السلام، سابع عشري رجب سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، بجانبها الغربيّ، في جوار محمد بن بشار بالقرية.

وهو رجل صالح عفيف، نشأ في طاعة الله تعالىٰ وحفظ القرآن المجيد، وسمع الحديث الكثير علىٰ جماعة من مشايخ بغداد الثقات؛ كأبي الفرج بن الجوزي، وأبي القاسم يحيىٰ بن أسعد بن بوش البغدادي، ومكيّ الغراد، وعبد الرحمن بن عيسىٰ البغدادي، وأبي علي عمر بن علي بن عمر الحربي الواعظ وغيرهم، مما يُنيِّف علىٰ خمسين شيخًا.

اجتمعتُ بأبي عبد الله بمدينة إربل، وهو مقيم بها، فانتظمت بيني وبينه مودة.

أنشدني لنفسه أشعاراً في أغراضه، فمن ذلك قوله: [من المديد]

يَـا خَلـيَّ البَـالِ عَـنْ كَمَـدِي ... بـأَبـي السِّبْطَيْـنِ خُـذْ بيَـدِي
أَنَـا فـي دَاءِ أُعَـالِجُـهُ ... لا أَرَىٰ الشَّكْـوَىٰ إلَـىٰ أَحَـدِ
مُغْـرَمٌ قَـدْ قَـلَّ نَـاصـرُهُ ... مُسْتَهَـامٌ نَـاحِـلُ الجَسَـدِ
رُبَّ ليـلٍ بِـتُّ سَـاهِـرَهُ ... عَـنْ غَـرَامٍ حَـلَّ فـي كَبِـدِي

/٧٠أ/ وأنشدني أيضًا: [من المنسرح]

يُـدَبِّـرُ اللهُ مَـا يَشَـاءُ وَفـي ... تَـدْبيْـرِه للْعبَـادِ إحْسَـانُ
يُقيـمُ أَرْزَاقَ خَلْقِـه وَلَـهُ ... فـي كُـلِّ وَقْـتٍ مِـنْ أَمْـرِه شَـانُ

---

(١) شبم: بارد.

[٧٦٣]

مُحَمَّدُ بنُ عمرَ بن مُحَمَّد بن عليٍّ بن مُحَمَّد بن المبارك بن مُحَمَّد المهتديْ بالله بنَ الوَاثق بن المعتصم بن الرشيدَ بنَ المهدِّيِّ بن المنصورَ بن مُحَمَّدَ بن عليِّ بن عبد الله بن العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ، أبو عبد الله بنِ أبي حفصٍ العباسيُّ.

هكذا نسب لي نفسه.

شيخ رأيتُهُ بمدينة إربل في جُمادىٰ الأولىٰ، سنة سبع وعشرين وستمائة. وذكر لي، أنَّه كان بالموصل مُعلّم صَبيّة لكتب العامة، ثم ترك صنعة التعليم، وعاد إلىٰ وطنه بغداد، فصار بها يؤدّب أولاد أمرائها بالخط.

أنشدني لنفسه، يمدح القاضي شهاب الدين أبا المناقب محمود بن أحمد بن بختيار الزنجاني: [من البسيط]

عُلُـوُّ مَجْـدكَ أَجْـرَىٰ السَّعْـدَ فـي الأُفُـقِ ... فَـأَبشـرْ بيُمْـنٍ وَإِقْبَـالٍ عَلَـىٰ نَسَـقِ

وَاسْعَـدْ بـه يَـا شهَـابَ الـدِّيْـنِ وَأَبـقَ لَنَـا ... يَـا أَبيَـضَ الـوَجْـهِ وَالإحْسَـانِ وَالخُلُـقِ

لأَنْـتَ مَـوْلَـى إذَا عُـدَّتْ مَنَـاقِبُـهُ ... فَبَلَّجَتْـكَ ضيَـاءَ الصُّبْـحِ فـي الفَلَـقِ

سَامـيْ المَنَـاقـبِ مَحْسُـوْدُ المَـرَاتـبِ مَحْـ ... ـمُـودُ العَـوَاقـبِ مَحْمُـوْلٌ عَلَـىٰ الحَـدَقِ

/٧٠ب/ إنْ قَـالَ أَوْ صَـالَ أَوْ سَـالَـتْ عَـوَارفُـهُ ... لَـدَىٰ المـرَا وَالـوَغَـى وَالنَّـائـلِ الغَـدَقِ

كَـالغَيْـثِ . . . كَـالعَضْـبِ مُنْـدَلَـقٍ ... وَاللَّيْـثِ مُنْطَلِـقٍ وَالغَيْـثِ مُنْـدَفـقِ

أَغْنَـتْ عَـوَارفُـهُ فَقْـرِيْ وَعَـاشَ بهَـا ... أَهْلـيْ وَمَـاتَ بهَـا ضـدِّيْ مـنَ الفَـرَقِ

فَمَـا اصْطَبحْـتُ بكَـأسٍ مـنْ عَـوَارفـه ... إلاَّ وَقَـدْ بُـثَّ فـيْ جلْبَـابِ مُنْـدَفـقِ

كَـمْ نلْـتُ مَـا رُمْـتُ مـنْ إنْعَـامِ رَاحَتـه ... فَنَـالَ أَقْصَـىٰ المُنَـىٰ فـي مُلْكـه وَبَقـيْ

فـي ظـلِّ مَـالكنَـا رقـاً وَمُـوْسعنَـا ... رزْقـاً وَمُنْقـذنَـا . . . مـنَ العُلَـقِ

النَّـاصـرِ المَلـكَ الـدَّاعـيْ إلَـىٰ الـرَّشَـد النَّـاهـيْ عَـنَ الفَنَـد الهَـاديْ إلَـىٰ الطُّـرُقِ

خَليْفَـةَ الله ظـلِّ الله نَـاصـرِ ديْـ ... ـنِ الله أَحْمَـدَ كَهْـفِ الـوَاهـنِ الفَـرقِ

لاَزَالَ عِصْمَـةَ مَلْهُـوْفٍ وَكَعْبَـةَ مَعْـ ... ـرُوْفٍ يَحِـجُّ إِلَيْهَـا كُـلُّ مُـرْتَـزِقِ

[٧٦٤]

مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ بن شَمَّاسَ بنِ هبةِ اللهِ، أبو عبدِ اللهِ بنِ أبي الحسنِ الإربليُّ(١).

وقد تقدّم شعر والده(٢)، وشعر أخيه(٣).

أخبرني أنه؛ ولد في شهر ذي الحجّة سنة تسع وثمانين وخمسمائة. وهو الأكبر من أولاد الوزير أبي الحسن علي بن شماس. وهو حسن المذاكرة بأيام الناس وأخبارهم، وقال أشعاراً غير أنَّها ذهبت، ولم يظهر لي منها شيء.

ومن شعره، يهجو علي بن / ١٧١أ/ النفيس. كان من أولاد نصارىٰ رومايا، قرية من بلد قلعة ألقى من أعمال الموصل.

وكان قديمًا من الجزيرة العمرية. وكان هذا المهجو بإربل قد استولىٰ علىٰ مملكة سلطانها الملك المعظم مظفر الدين كُوكبوري بن علي بن بكتكين ـ رضي الله عنه ـ وحكم فيها، واستفحل أمره، وظلم الناس ظلمًا فاحشًا حتىٰ غلب علىٰ السلطان مظفر الدين، وانقاد له في جميع ما يأمره وينهاه، وحصل أموالاً جمّة، ومات علىٰ أقبح موتة، وأراح الله المسلمين من ظلمه. فأنشدني أبو عبد الله فيه لنفسه: [من الخفيف]

قَدْ كَرِهْتُ الوِلاءَ لَمَّا تَسَمَّىٰ ... بِعَلِيٍّ هَذَا الوَضِيْعُ الرَّذِيْلُ
إِنَّ يَوْمًا يَكُوْنُ فِيْهِ رَفِيْعًا ... عِنْدَ هَذَا الوَرَىٰ لَيَوْمٌ ثَقِيْلُ
إِنَّ مُلْكًا يَكُوْنُ فِيْهِ مُشِيْراً ... مِثْلُهُ فِي الأَنَامِ مُلْكٌ عَلِيْلُ
مَا احتيال. . . . .

وأنشدني لنفسه: [من الوافر]

بَكَتْ عَيْنِي حِذَارَ البَيْنِ حَتَّىٰ ... جَرَتْ بَعْدَ الدُّمُوْعِ لَهَا الدِّمَاءُ
وَعُوِّدْتُ التِئَامَ الشَّمْلِ جُهْدِي ... وَلَيْسَ لِصُحْبَةٍ أَبَداً بَقَاءُ

---

(١) ترجم المؤلف لابن عمه (إسحاق بن معالي بن شماس) في الجزء الأول برقم ١٣٧.
(٢) مرّت ترجمته (علي بن شماس) في الجزء الرابع برقم ٤١٦.
(٣) لم أجد له ترجمة في الأجزاء الثمانية من القلائد، ولعله ضمن الجزئين المفقودين.

[٧٦٥]

/ ٧١ب/ **مُحَمَّدُ بنُ عليِّ بن يحيىٰ بن مُحَمَّد بن الحسنِ بنِ يوسفَ بنِ عبيدِ الله، أبو عبد الله بنُ أبيَ الحسنَ الشَّلمانيُّ.**

كان والده من قرية من قرايا فَنَك[١]، تُدعىٰ شلما، من عمل الجزيرة العُمرية. وقد سبق شعر أبيه[٢] في موضعه.

وأبو عبد الله ذو طبع في الشعر، إلاَّ أنَّ شعره ضعيف؛ لكونه لم يشتغل بالعربية. نزل إربل، وتولّىٰ بها عملاً، ثم حُبس، وطالت مُدّته في الحبس.

أنشدني لنفسه، ما كتبه إلىٰ الوزير الصاحب شرف الدين أبي البركات المستوفي من الحبس، يشكو حاله، وما يلاقي من الضائقة والفاقة: [من الخفيف]

شَرَفَ الدِّيْنِ لاَ بَرِحْتَ بِإِحْسَا ... نِكَ تُحْيِي مَنْ كَانَ مَيْتاً كَسِيْرَا
أَنْتَ بَحْرٌ وَالبَحْرُ يَمْنَحُ مَا يَأْ ... تِيْهِ دُرّاً وَلُؤْلُؤاً مَنْثُوْرَا
إِنْ أَكُنْ فِي الحَدِيْدِ أَصْبَحْتُ فَرْداً ... عَارِيَ الجِسْمِ جَائِعاً مَكْسُوْرَا
فَلِيَ اللهُ ثُمَّ أَنْتَ وَمَنْ كُنْـ ... ـتَ لَـهُ مُسْعِداً فَعَزَّ ظَهِيْرَا
قَيَّدَتْنِي أَطْوَاقُ إِحْسَانِكَ لَمَّا ... ضَنَّ مَنْ كُنْتُ أَرْتَجِيْهِ نَصِيْرَا
وَمَلَكْتَ القِيَادَ مِنِّي فَأَصْبَحْـ ... ـتُ بِجَدْوَاكَ مُنْعِماً مَحْصُوْرَا
قِسْتُ مَا كَانَ مِنْ زَمَانِي فَلَمْ أَحْـ ... ـظَ. . . . مِنْكُمْ هَبَاً مَنْثُوْرَا

[٧٦٦]

/ ٧٢أ/ **مُحَمَّدُ بنُ عليِّ بن الحسن بن عليِّ بن الحسن بن عليِّ بنِ ثابت بنِ مُزاحمِ بنِ عياشِ بنِ وَديعةَ، أبو عبد الله الموصليّ.**

تقدّم شعر أبيه[٣]، وكان من النيل[٤].

---

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (فنك).
(٢) ترجمه له المؤلف في الجزء الخامس برقم ٤٦١.
(٣) مرّت ترجمته في الجزء الرابع برقم ٤٢٩.
(٤) انظر: معجم البلدان/ مادة (النيل).

وكانت ولادة محمد بالموصل، في منتصف ذي القعدة يوم الإِثنين ضاحي نهار سنة ثمانين وخمسمائة.

شاب ضعيف العينين، وقد وخطه الشيب، مربوع. سمّىٰ نفسه شاعر أهل البيت. يلحن في إِنشاده.

وحكىٰ أنه وقف علىٰ منجم طرقي، فأراد أن يعبث به، فقال: نجّم لي، وذكر غير اسمه، واسم أمّه.

فقال له المنجم: قُل الصحيح.

فقال: فقلت له، اسمي الحقيقي.

فقال: أنت تكون تجمع ألواح الصبيان، وتصير معلمًا.

قال: فكنت بعد ذلك بمدّة طويلة كما قال.

وكان يؤدّب الصبيان بالموصل.

وهو شاعر غزير الشعر، طبعه مجيب في النظم، مدح أهل البيت ـ صلوات الله عليهم ـ بقصائد شتىٰ، اشتهرت عنه، وترك التأديب، ثم اشتغل بالتنجيم، وعرف منه طرفًا جيداً وكتب التقاويم الحسنة.

أنشدني لنفسه من قصيدة، يمدح بها مولانا وسيدنا الإمام المفترض الطاعة علىٰ كافة الأنام المستنصر بالله أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور ـ رحمه الله تعالىٰ ـ

/ ٧٢ب/ يقول فيها: [من السريع]

وَرُبَّ عَنْسٍ صِرْتُ فِي ظَهْرِهَا ... جَائِلَةٍ فِي مَهْمَهِ الأَنْهُرِ (١)
لاَ تَشْتَكِي فَرْطَ وَجًى لَا وَلَا ... تَرْعَىٰ مِنَ الحَوْذَانِ وَالعَرْعَرِ
جَارِيَةٍ كَالطَّيْرِ فِي جَوِّهَا ... لُغَامُهَا مِنْ طُحْلُبٍ أَخْضَرِ
تَؤُمُّ بِي نَحْوَ إِمَامِ النَّدَىٰ ... خَلِيفَةِ اللهِ أَبِي جَعْفَرِ
الطَّاهِرِ الأَنْسَابِ مِنْ هَاشِمٍ ... رَبِّ الجَبِينِ الوَاضِحِ الأَزْهَرِ

(١) العنس: الناقة القوية.

هُوَ الإِمَامُ النَّبَوِيُّ الَّذِيْ عُنْصُرُهُ مِنْ أَشْرَفِ العُنْصُرِ
وَالِي أُمُوْرِ الدِّيْنِ عَنْ جَدِّهِ العَبَّاسِ بَلْ عَنْ أَحْمَدَ المُنْذِرِ
حَامِيْ حِمَىٰ البَطْحَاءِ وَالرُّكْنِ وَالْـ ـحَطِيْمِ وَالْكَعْبَةِ وَالمَشْعَرِ
وَاللاَّبِسُ البُرْدَةَ وَالحَامِلُ الْـ ـقَضِيْبَ وَالرَّاقِيْ عَلَىٰ المِنْبَرِ
ذُوْ التَّاجِ وَالمِغْفَرِ لاَ . . . . بِرَبِّ التَّاجِ وَالمِغْفَرِ
مَنْ فِيْ فَنَاهُ مَهْبِطُ الوَحْيِ وَالتَّبْجِيْلِ وَالتَّفْضِيْلِ وَالمَفْخَرِ
مِنْ نُوْرِ رَبِّ العَرْشِ أَنْوَارُهُ كَذَاكَ لاَ تَخْفَىٰ عَلَىٰ المُبْصِرِ
مَالِكُ أَعْنَاقِ مُلُوْكِ الوَرَىٰ مُنْشِيْ زِمَامِ الرِّمَمِ الدُّثَّرِ
ذُو الجَحْفَلِ الجَرَّارِ وَالعَسْكَرِ السَّارِيْ مِنْ الأَمْلاَكِ فِيْ عَسْكَرِ
/٧٣أ/ تَخْفُقُ فِي الآفَاقِ رَايَاتُهُ بِاسْمِ مَنْصُوْرٍ وَمُسْتَنْصِرِ
إِذَا جَرَتْ فِي مَعْرَكٍ خَيْلُهُ بِغَيْرِ هَامِ الشُّوْسِ لَمْ تَعْثُرِ
تُوْسَمُ فِي الأَرْضِ المَحَارِيْبُ فَالثُّغُوْرُ بِاللَّثْمِ لَهَا تَمْتَرِيْ
يَظَلُّ مِنْ فَوْقِ الثَّرَىٰ دُوْنَهَا يَسْجُدُ وَجْهُ المَلِكِ الأَصْفَرِ
سُيُوْفُهُ مُذْ لَمْ تَزَلْ وَالقَنَا بِالدَّمِّ إِنْ يَدْعُ بِهَا يَقْطُرِ
وَبِيْضُهُ حُمْرٌ وَأَرْمَاحُهُ سُمْرٌ بِغَيْرِ الهَامِ لَمْ تُثْمِرِ
حَازَ عَلَىٰ عَشْرِ بِحَارٍ وَفِيْ كُلِّ الوَرَىٰ سَبْعٌ مِنَ الأَبْحُرِ
وَحَيْثُ جَادَتْ كَفُّهُ بِالحَيَا فَالعَارِضُ الهَتَّانُ لَمْ يُذْكَرِ
يُغْنِيْ بَعِيْدَ الدَّارِ بِالوَابِلِ الْـ ـمِدْرَارِ مِنْ مُثْرٍ وَمِنْ مُقْتِرِ
يَعْلَمُ مَا فِي السِّرِّ وَحْياً مِنَ اللْـ ـهِ وَقَدْ يُخْبِرُ بِالمُضْمَرِ
أَضْحَتْ بِهِ بَغْدَادُ كَالخُلْدِ لِلسَّاكِنِ وَالدِّجْلَةُ كَالكَوْثَرِ
فَنَشْرُهَا أَذْكَىٰ مِنَ المِسْكِ لِلنَّاشِقِ وَالكَافُوْرِ وَالعَنْبَرِ
خَلِيْفَةُ اللهِ الَّذِي حُبُّهُ فِي اليَوْمِ يُنْجِيْنِيْ وَفِيْ المَحْشَرِ
مَنْ لاَ يُوَالِيْكَ غَداً فِي لَظَىٰ يَكُبُّهُ اللهُ عَلَىٰ المَنْخِرِ
فُقْتَ عَلَىٰ كَيْوَانَ فِي رُتْبَةِ الْـ ـفَخْرِ وَجَاوَزْتَ مَدَىٰ المُشْتَرِيْ
/٧٣ب/ وَأَصْبَحَ المِرِّيْخُ فِي هُوَّةٍ مِنْكَ عَلَىٰ الأَعْدَاءِ كَالقَسْوَرِ
فَارْقَ وَطُلْ وَاسْعَدْ وَسُدْ وَابْتَهِلْ وَعِشْ وَدُمْ وَاسْمُ وَجُدْ وَافْخَرِ

وأنشدني لنفسه، وقد أهدىٰ إلىٰ الصاحب شرف الدين أبي البركات المستوفي، تقويمًا، وكتب علىٰ ظهره: [من الطويل]

وَلَمَّا رَأَيْتُ الشِّعْرَ لَيْسَ بِبَالِغٍ عُلاكَ وَأَهْلَ الأَرْضِ أَنْتَ رَئِيسُهَا
مَنَحْتُكَ بِالأَفْلاكِ تَجْرِي سُعُودُهَا إِلَيْكَ وَتَجْرِي فِي الأَعَادِي نُحُوسُها

وأنشدني لنفسه فيه أيضًا، وقد لسعته عقرب في قدمه: [من السريع]

يَا شَرَفَ الدِّيْنِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ بِجُوْدِهِ يُوْجَدُ أَهْلُ العَدَمْ
قَدْ فَاقَتِ العَقْرَبُ فَخْرًا كَمَا قَدْ فَاقَ مِنْ قَبْلُ مِنْكَ القَدَمْ

وأنشدني لنفسه، مبدأ قصيدة: [من مجزوء الكامل]

يَا مَائِسًا تَحْتَ الغَلائِلْ أَمِنَ الشَّمُوْلِ هِيَ الشَّمَائِلْ
أَزْرَتْ لِحَاظُكَ بِالسُّيُوْ فِ وَلِيْنُ قَدِّكَ بِالذَّوَابِلْ
إِنْ شِئْتَ قَتْلِي فِي هَوَا كَ فَحَبَّذَا مَا أَنْتَ فَاعِلْ
/ ١٧٤أ/ شَفَيْتَ بِي مِنْكَ الحَوَا سِدَ وَاللَّوَائِمَ وَالعَوَاذِلْ
يَا أَيُّهَا الرِّيْمُ الَّذِي مَرْعَاهُ قَلْبِيَ لا الخَمَائِلْ
لا حَبَّذَا وَاشٍ غَدَا عَنِّي إِلَيْكَ الزُّوْرَ نَاقِلْ
كَمْ ذَا أَمِيْلُ إِلَيْكَ مِنْ وَجْدٍ وَعَنِّي أَنْتَ مَائِلْ
لا تَحْمِلَنْ سَيْفًا فَلَحْـ ـظُكَ نَابَ عمَّا أَنْتَ حَامِلْ
لَكَ مِنْ جُفُوْنِكَ وَالحَشَا طُوْلُ المَدَىٰ رَامٍ وَنَابِلْ
حَازَتْ لِحَاظُكَ مَا وَعَىٰ المَلَكَانِ مِنْ سِحْرٍ بِبَابِلْ
وَيْحَ النَّسِيْمِ لَوْ أَنَّهُ أَدَّىٰ إِلَيْكَ لِيَ الرَّسَائِلْ
لَبَعَثْتُ فِي طَيَّاتِهِ مِنِّي إِلَىٰ الحِبِّ الرَّسَائِلْ

وأنشدني لنفسه: [من المتقارب]

مَدَحْتُكَ لا طَامِعًا فِي نَدَاكَ وَفِي جُوْدِ مِثْلِكَ مَنْ يَطْمَعُ
وَلَكِنْ بِشُحِّكَ لَمَّا سَمِعْتُ أَرَدْتُ أُحَقِّقُ مَا أَسْمَعُ

وأنشدني أيضًا لنفسه، في غلام لابس أحمر: [من الكامل]

وَمُهَفْهَفٍ كَالغُصْنِ قَامَتُهُ وَبِخَصْرِهِ مَا بِي مِنَ السَّقَمِ

/ ٧٤ب/ لَمْ أُنْسَهُ لمَّا بَدَا قَمَراً ... يَخْتَالُ في ثَوْبٍ مِنَ العَنَمِ
وَحَوَاسِدِي حَوْلي وَقَدْ بُهِتُوا ... مِنْ حُسْنِهِ في ذَلِكَ الصَّنَمِ
فَأَجَبْتُهُمْ وَالدَّمْعُ يُسْكَبُ مِنْ ... جَفْنَيَّ فِي خَدَّيَّ كَالدِّيَمِ
لَمْ يَكْفِ أنَّ دمِي بِوَجْنَتِهِ ... حَتَّى تَسَرْبَلَ كُلُّهُ بِدَمِي

[٧٦٧]

مُحَمَّدُ بنُ المبارك بن يحيىٰ بن عبد الله بنِ القاسمِ بنِ المظفرِ، أبو سعدِ بنِ أبي الفَتحِ الشهرزوريُّ المَوصَليُّ.

من أبناء القضاة الشهرزوريين.

أخبرني أنه ولد بالموصل، في سلخ جمادى الآخرة سنة ستٍّ وثمانين وخمسمائة.

تفقه علىٰ مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وحفظ فصولاً في الوعظ، وقال أشعاراً مختارة، ووعظ الناس بالمسجد الجامع بُرهةً من الزمان. وكان يحضر مجلسه عالم كُثْرٌ من الرؤساء، والفقهاء، وأكابر البلد. وكان حسن الصوت في إنشاد الشعر، ذا قبول تام عند الناس؛ فبقي مُدّة يصعد المنبر، ويتكلم علىٰ الناس، ويعظهم، ويظهر التدين والنسك علىٰ سيرة مرضية، وطريقة حميدة؛ فعند ذلك جذبه المولىٰ الملك الرحيم إلىٰ خدمته، واختاره لمنادمته، وأنعم [عليه]، / ٧٥أ/ وقربه إليه، وصار أحد ندمائه، ومخصوصاً من بين جلسائه، وتزيّا بزي الأجناد.

أنشدني لنفسه، يمدح المولىٰ المالك الملك الرحيم بدر الدين، عضد الإسلام والمسلمين، تاج الملوك شرف السلاطين، غياث الملهوفين، ملك أمراء الشرق والغرب بهلوان جهان خسرو إيران اج أرسلان إينانج قتلغ بك أتابك طغرل تكين بُلكا، أبا الفضائل نصير أمير المؤمنين ـ ثبّت الله أركان دولته ـ وأسبغ عليه ظل نعمته، ويُهنئه بالنيروز: [من البسيط]

لمَّا تَبَدَّىٰ الكَثِيبُ الفَرْدُ وَالعَلَمُ ... أَهْدَىٰ السَّلاَمَ فَمَادَ البَانُ وَالسَّلَمُ
وَظَلَّ يَلْثِمُ خَدَّ الأَرْضِ مُعْتَرِفاً ... بِشُكْرِ مَا أَسْلَفَتْ أَيَّامُهَا القُدُمُ
أَيَّامُ لَهْوٍ تَقَضَّتْ وَهْيَ حَافِلَةٌ ... بِالوَصْلِ لاَ سَأَمٌ فِيهَا وَلاَ نَدَمُ

وَنَحْنُ فِي صَفْوِ عَيْشٍ مَا بِهِ رَمَقٌ   وَالدَّارُ دَانِيَةٌ وَالشَّمْلُ مُلْتَئِمُ
للهِ كَمْ مِنْ لُبَانَاتٍ قَضَيْتُ بِهَا   أَيَّامَ لَمْ يَهْتَضِمْنِي الشَّيْبُ وَالهَرَمُ
فَاليَوْمَ لاَ عَثْرَتِي فِيهَا تُقَالُ وَلاَ   يُرْعَى لَدَيَّ بِهَا إِلٌّ وَلاَ ذِمَمُ
لاَ دَرَّ دَرُّ الغَوَانِي كَمْ حَشاً تَرَكُوا   مَقْرُوحَةً حَشْوُهَا مِنْ جَوْرِهِمْ أَلَمُ
يُوفُونَ بِالعَهْدِ مَادَامَ الشَّبَابُ لَنَا   غَضّاً وَمَا مَسَّنَا الإِمْلاَقُ وَالعَدَمُ
/ ٧٥ب/ صَحَوْتُ يَا صَاحِ مِنْ سُكْرِ الشَّبَابِ وَقَدْ   أَضَاءَ صُبْحُ مَشِيبٍ لَيْسَ يَنْكَتِمُ
وَعُدْتُ أَدْأَبُ فِي نَيْلِ الفَخَارِ وَلِي   عَزْمٌ يُقَصِّرُ عَنْهُ الصَّارِمُ الخَذِمُ
أَرَى المَعَالِيَ مَرَاماً لَيْسَ يُدْرِكُهُ   إِلاَّ فَتًى بِذُيُولِ العَزْمِ يَلْتَزِمُ
بَاتَتْ تُعَنِّفُنِي فِي الحِرْصِ لاَئِمَتِي   تَقُولُ مَا الحِرْصُ يُجْدِي إِذْ جَرَى القَلَمُ
فَقُلْتُ أَرْجُو زَمَانِي أَنْ يُبَلِّغَنِي   مَرَاتِباً لَيْسَ تَسْمُو نَحْوَهَا الهِمَمُ
وَكَيْفَ لاَ أَتَرَجَّى الخَيْرَ فِي زَمَنٍ   أَبُو الفَضَائِلِ فِيهِ العَادِلُ الحَكَمُ
مَلْكٌ سَمَا فِي سَمَاءِ المَجْدِ مُرْتَدِياً   ثَوْباً لَهُ العَدْلُ سِلْكٌ وَالحِجَا عَلَمُ
وَفِي مَدَائِحِ بَدْرِ الدِّينِ مَالِكِنَا   تَحَيَّرَ اللَّوْذَعِيُّ المِصْقَعُ الفَهِمُ
إِنْ قِيلَ لَيْثٌ، فَلَيْثُ الغَابِ فِي وَجَلٍ   أَوْ قِيلَ غَيْثٌ فَلَيْسَتْ تَمْرَعُ الدِّيَمُ
يَا أَيُّهَا المَلِكُ المَرْجُوُّ نَائِلُهُ   وَمَنْ تَخَافُ سُطَاهُ العُرْبُ وَالعَجَمُ
فَضَحْتَ حَاتِمَ طَيٍّ بِالنَّدَى فَغَدَا   إِلَيْكَ يَنْتَسِبُ الإِحْسَانُ وَالكَرَمُ
للهِ أَنْتَ فَكَمْ شَيَّدْتَ مِنْ رُتَبٍ   وَمِنْ جِنَانِ نَعِيمٍ دُونَهَا إِرَمُ
أَمَا وَحَقِّ أَيَادِيكَ الَّتِي مَلَكَتْ   رِقَّ الأَنَامِ وَحَسْبِي ذَلِكَ القَسَمُ!
إِنِّي عَلَى قَدَمِ الإِخْلاَصِ قَدْ عَلِقَتْ   كَفِّي بِعُرْوَةِ أَمْنٍ لَيْسَ تَنْفَصِمُ
جَعَلْتُهَا لِيَ مَلاَذاً أَسْتَجِيرُ بِهِ   مِنَ الحَوَادِثِ أَنَّى زَلَّتِ القَدَمُ
/ ٧٦أ/ لاَ زَالَ رَبْعُكَ أَمْنَ المُسْتَجِيرِ بِهِ   تَؤُمُّهُ مِنْ أَقَاصِي أَرْضِهَا الأُمَمُ
تَسْعَى إِلَى بَابِكَ المَيْمُونِ كُلَّ ضُحًى   تَطُوفُ سَبْعاً بِرُكْنَيْهِ وَتَسْتَلِمُ
يُكَبِّرُونَ إِذَا لاَحَتْ بَشَائِرُهُ   كَأَنَّهُ بَيْنَهُمْ فِي الحُرْمَةِ الحَرَمُ
تَهَنَّ وَاسْعَدْ بِذَا النَّيْرُوزِ حِينَ أَتَى   مُبَشِّراً بِسُعُودٍ لَيْسَ تَنْصَرِمُ
وَدُمْ عَلَى رُغْمِ مَنْ يَشْنَاكَ فِي نِعَمٍ   . . . . العِدَا فِي إِثْرِهَا نَعَمُ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من مجزوء الرمل]

يَا رَعَىٰ اللهُ أُنَاسًا   مَا رَعُوا عَقْدَ ذِمَامِي
فَرَّقُوا بِالهَجْرِ مَا   بَيْنَ جُفُونِي وَالمَنَامِ
وَكَسَوا جِسْمِي سَقَامًا   فَوْقَ مَا بِي مِنْ سَقَامِ

ومنها:

يَا فَتَاةَ الحَيِّ حَيَّا   أَرْضَكُمْ صَوْبُ الغَمَامِ
كَمْ قَتِيلٍ لَكِ أَمْسَىٰ   بَيْنَ أَطْنَابِ الخِيَامِ
رَاعَهَا الشَّيْبُ وَقَدْ لَا   حَ بِفَوْدَيْ كَالثَّغَامِ
فَأَجَابَتْ عَبَرَاتِي   وَهْيَ تَهْمِي بِانْسِجَامِ
لَمْ . . . . غَيْرُ   هِجْرَانِكِ عَامًا بَعْدَ عَامِ

/ ٧٦ب/ ومنها:

بَاكِرِ الرَّاحَ سُحَيْرًا   قَبْلَ تَغْرِيدِ الحَمَامِ
وَالْهُ بِالكَأْسِ وَذَرْ مَا   قِيلَ فِيهَا مِنْ أَثَامِ
فَعَرُوسُ الكَرْمِ لَا تُجْـ   ـلَىٰ عَلَىٰ غَيْرِ الكِرَامِ
سَكَنَتْ فِي الدَّنِّ حَتَّىٰ   سَئِمَتْ طُولَ المُقَامِ
ثُمَّ جَاءَتْ تُورِدُ الأَنْـ   ـبَاءَ عَنْ سَامٍ وَحَامِ

وأنشدني لنفسه، يمدح بعض الأمراء، ويعتذر إليه من أمرٍ جرىٰ له:

[من السريع]

دُمْ نَافِذَ الأَحْكَامِ وَالأَمْرِ   فِي دَوْلَةٍ مَشْدُودَةِ الأَزْرِ
وَرُتْبَةٍ بِالسَّعْدِ مَقْرُونَةٍ   تَسْمُو عَلَىٰ العَيُّوقِ وَالنَّسْرِ
وَنَحْنُ فِي ظِلِّ حِمَاكَ الَّذِي   نَلْقَىٰ بِهِ غَائِلَةَ الدَّهْرِ
نَرْتَعُ مِنْ قُرْبِكَ فِي رَوْضَةٍ   أَزْهَارُهَا أَبْهَىٰ مِنَ الزَّهْرِ
يُطْرِبُنَا ذِكْرُكَ فَوْقَ الَّذِي   يَبْلُغُ مِنَّا طَرَبُ الخَمْرِ
يَنْشُرُ مِنْ وَصْفِكَ بَيْنَ الوَرَىٰ   حُسْنَ ثَنَاءٍ طَيِّبِ النَّشْرِ
/ ٧٧أ/ إِنَّ أَيَادِيكَ الَّتِي طَوَّقَتْ   أَجْيَادَنَا جَلَّتْ عَنِ الحَصْرِ
مَا سَمِعَ النَّاسُ وَلَا أَبْصَرُوا   مِثْلَكَ فِي بَدْوٍ وَلَا حَضْرِ

تَقْنِي وَتَفْنِي لِلنَّدَىٰ والعِدَا ... فَأَنْتَ لِلنَّفْعِ وَلِلضُّرِّ
أَضْحَىٰ عِمَادُ الدِّيْنِ كَنْزاً لَنَا ... نَرْجُوْهُ فِي عُسْرٍ وَفِي يُسْرِ
يَقْضِي لَهُ الخَطِّيُّ يَوْمَ الوَغَىٰ ... عَلَىٰ العِدَا بِالجَدِّ وَالنَّصْرِ
إِنْ عَبَسَ الفِتْيَانُ يَوْمَ الرَّدَىٰ ... رَأَيْتَهُ مُبْتَسِمَ الثَّغْرِ
يَا وَاهِبَ الجُرْدِ العِتَاقِ اسْتَمِعْ ... شَكْوَايَ لَمَّا خَانَنِي صَبْرِي
للهِ مَا بِتُّ رَهِيْناً بِهِ ... مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ إِلَىٰ الصَّقْرِ
أَضْحَتْ مَوَاعِيْدُكَ عِنْدِي بِلاَ ... شَكٍّ يُمَارِيْهَا وَلاَ عُذْرِ
فَأَجْمَعْ بِهِ شَمْلِي عَلَىٰ حَالَةٍ ... تُرْضِيْكَ بِالحَمْدِ وَبِالشُّكْرِ
وَكُنْتُ أَلْهُو بِرَشِيْقٍ غَدَا ... يَسْطُو عَلَىٰ العَنْقَاءِ وَالنَّسْرِ
رَجَوْتُهُ كَيْمَا أُسَلِّي بِهِ ... طُوْلَ هُمُوْمٍ أَحْرَجَتْ صَدْرِي
فَمَا دَنَا لِيْ الدَّهْرُ فِي قُرْبِهِ ... فَابْتَزَّهُ مِنِّي بِالقَهْرِ
غَادَرَنِي بِاليَأْسِ لَمَّا غَدَا ... عِنْدَ بَهَاءِ الدِّيْنِ فِي الأَسْرِ
وَلَيْسَ يُسْلِي الهَمَّ مِنْ بَعْدِهِ ... شَيْءٌ سِوَىٰ إِحْسَانِكَ الغَمْرِ
/٧٧ب/ لَمْ يَكُ تَأْخِيْرِيَ لِغَيْرِ الَّذِيْ ... أُبْدِيْهِ يَا مَوْلاَيَ مِنْ عُذْرِي
وَذَاكَ أَنَّ الكَأْسَ لَمَّا رُمِي ... مِنِّي بِالصَّدِّ وَبِالهَجْرِ
جَنَىٰ عَلَىٰ رِجْلِيَّ لَمَّا جَنَتْ ... عَلَيْهِ بِالدَّوْسِ وَبِالكَسْرِ
لاَزِلْتَ فِي عِزٍّ مَنِيْعِ الحِمَىٰ ... مَا غَرَّدَ الصَّادِحُ فِي الفَجْرِ

[٧٦٨]

مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الله بن الحسن بن يحيىٰ بن الحسين بن أحمدَ بن عمرَ بن يحيىٰ بن الحسين بن زيد بن عليِّ بن الحسين بن عليِّ بن أبي طالب. الشريفُ أبو الغنائمِ بنُ أبي الفتحِ الحائريُّ، المعروفُ بابنِ الجعفرية.

من مشهد الحسين بن عليٍّ ـ صلوات الله عليهما وسلامه ـ.

وهو شاعر مطيل، كثير الأشعار، متبجح لَسِنٌ، هدّار ذو مديح وهجاء، وصاف

لنفسه. يفد إلىٰ بغداد يجتدي وجوه الحضرة بها، ويمدحهم.

لقيته بمدينة السلام، سنة أربع وعشرين وستمائة؛ وهو شيخ كبير السن، طويل أسمر، ذو جسم عَبْل. وخبرت أنه ولد سنة أربع أو ثلاث وسبعين وخمسمائة؛ وذكر أنَّ والده كان فقيهًا /٧٨أ/ علىٰ مذهب الإمامية، وكان جدّه نقيبًا علاّمة وقته في الأدب، وعلم العربية والفقه.

أنشدني لنفسه يفتخر: [من الطويل]

مَرَامِيْ قَرِيْضِيْ لاَ تَطِيْشُ نِبَالُهَا ... وَأَسْيَافُ فَهْمِيْ مُرْهَفَاتٌ نِصَالُهَا
وَلِيْ خَاطِرٌ كَالعَضْبِ أَخْطَرُ مِنْ ظُبًا ... مُهَنَّدَةٍ بُتْرٍ حَدِيْدٍ صِقَالُهَا
تُطَأْطِئُ دُوْنِيْ رَأْسَ كُلِّ مُعَانِدٍ ... وَعِيْلَ بِعَزْمِيْ مَنْ عَدَاهُ احْتِيَالُهَا

ومنها:

وإِنِّيْ لأَبْكَارِ القَوَافِيْ لَمَالِكٌ ... وَمَذْهَبُ غَيْرِيْ نَقْصُهَا وانْتِحَالُهَا
سَأُدْعَىٰ فَرِيْدَ العَصْرِ فَضْلاً وَحِكْمَةً ... أُقَلِّدُ خَصْمِيْ عَثْرَةً لاَ يُقَالُهَا
فَلُوْذُوْا بِسِلْمِيْ تَسْلَمُوْا مِنْ خَوَاطِرِيْ ... وَإِلاَّ دَهَاكُمْ بِالهِجَاءِ عُضَالُهَا
سَلُوا شُعَرَاءَ المَلْكِ عَنِّي فَإِنَّنِي ... إِذَا أُنْسِيَتْ يَوْمَ الفَجَارِ تَخَالُهَا
أَنَا ابْنُ عَلِيٍّ وَالبَتُوْلِ وَحَبَّذَا ... فَخَارٌ إِذَا الأَعْيَاصُ قَامَ سِجَالُهَا
أَبِيْ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... لَقَدْ جَلَّ مِنْ أَنْسَابِ قَوْمِيْ جَلاَلُهَا
فَإِنْ تَنْسُبُوْنِيْ تَخْبُرُوا لِيْ أُرُومَةً ... كَثِيْراً مَعَانِيْهَا قَلاَلاً مَآلُهَا
بِسَيْفِ أَبِيْ قَامَتْ شَرِيْعَةُ دِيْنِكُمْ ... فَبَادَ لَدَيْنَا حِرْمُهَا وَحَلاَلُهَا(١)
/٧٨ب/ وَمَازَالَ طَلاَّعَ الثَّنَايَا وَمُوْقِعَ الـ ... ـمَنَايَا بِأَحْرَانِ شَدِيْدٍ ضَلاَلُهَا
لَنَا يَوْمُ خُمٍّ وَالعُهُوْدُ عَلَيْكُمْ ... بِحُبِّ أَبِيْنَا لاَ تُجَذُّ حِبَالُهَا
وَنَحْنُ وَرَبِّ البَيْتِ أَكْرَمُ أُسْرَةٍ ... تَسُوْدُ عُلاً نِسْوَانُهَا وَرِجَالُهَا

وأنشدني لنفسه: [من الكامل]

مَا عَنَّ أَجْرَعُ رَمْلَةٍ وَعَقِيْقِ ... إِلاَّ وَلُؤْلُؤُ مُقْلَتِيَّ عَقِيْقُ

(١) الحرم: ضد الحلال.

أَوْ هَـزَّ خَفَّـاقُ النَّسِيْـمِ أَرَاكَـةً ... إِلاَّ عَـرَا منِّـي الغَـرَامَ خُفُـوْقُ
إِنِّـي وَإِنْ عَنُـفَ الـوُشَـاةُ وَرَاشَ لِـيْ ... بِـالصَّـدِّ سَهْـمَ سُلُـوِّهِ المَعْشُـوْقُ
لَمُتَيَّـمٌ بِهَـوَىٰ الأَحِبَّـةِ وَآلِـهٌ ... وَإِلَـىٰ العَقِيْـقِ وَسَـاكِنِيْـهِ مَشُـوْقُ
يَـا أَهْـلَ رَامَـةَ إِنْ جَفَـا عَـرَصَـاتِكُـمْ ... وَدْقُ الغَمَـامِ وَصَـوْبُـهُ المَـدْفُـوقُ
فَـأَنَـا الـوَفِـيُّ فَـلاَ لَـدَيَّ عُهُـوْدُكُـمْ ... رِمَـمٌ وَلاَ وُدِّيْ لَكُـمْ مَمْـذُوْقُ
كَـمْ فِـي بُيُـوْتِكُـمُ جَـدَايَـةَ رَبْـرَبٍ ... يُصْبِـي الحَلِيْـمَ جَمَـالُهَـا المَـوْمُـوْقُ[1]
فِـيَ عَطْفِهَـا هَيَـفٌ وَفِـي أَلْحَـاظِهَـا ... سِحْـرٌ بِـأَلْبَـابِ الـرِّجَـالِ عَلُـوْقُ
أَلثَّغْـرُ عَـنْ خَصِـرِ الـرُّضَـابِ مُنَضَّـدٌ ... فَـالـدُّرُّ ثَغْـرٌ وَالسُّـلاَفَـةُ رِيْـقُ[2]

[٧٦٩]

مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّد بن إبراهيمَ /١٧٩أ/ بن الحسينِ بنِ سُراقةَ، أبو القاسمِ بنُ أبي عبدِ الله الأنصاريُّ الشاطبيُّ[3].

كانت ولادته فيما أخبرني ـ من لفظه ـ بشاطبة[4]، في شهر الله رجب سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة. وهو شاب طويل، أبيض اللون، تعلوه صُفرة، خفيف العارضين، نحيف البدن.

ذكر لي أنه من أبناء القضاة الفقهاء، حفظ القرآن الكريم، وتفقه علىٰ مذهب الإمام مالك بن أنس ـ رضي الله عنه ـ. رحل إلىٰ مدينة السلام في طلب الحديث، فلقي بها جماعة من مشايخها العلماء؛ كأبي حفص عمر بن كرم بن الحسن

---

(١) الجداية: الغزال. الربرب: القطيع من بقر الوحش.
(٢) خصر: بارد.
(٣) توفي سنة ٦٦٢هـ.
ترجمته في: تأريخ إربل ١/ ٤٥٦ ـ ٤٥٨. ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٠٤ ـ ٣٠٦ نقلاً عن القلائد. العبر للذهبي ٥/ ٢٧٠. الدليل الشافي ٢/ ٦٩٠ رقم ٢٣٦١. فوات الوفيات ٢/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧. النجوم الزاهرة ٧/ ٢١٦. حسن المحاضرة للسيوطي ١/ ٢١٥. تاريخ ابن كثير ١٣/ ٢٤٣. تاريخ علماء بغداد للفاسي ص٢٠٢. المغرب ٢/ ٣٨٨. نفح الطيب ١/ ٥٠٢. البداية والنهاية ١٣/ ٢٤٣. الوافي بالوفيات ١/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩ وفيه: «توفي سنة اثنتين وستين وستمائة، بالقاهرة، ودفن بسفح المقطم». مرآة الجنان ٤/ ١٦٠. شذرات الذهب ٥/ ٣١٠. الأعلام ٦/ ٢١٧.
(٤) انظر معجم البلدان/ مادة (شاطبة).

الدينوري[١]، وأبي علي الحسن بن المبارك بن محمد الزبيدي[٢]، وأبي الفضل عبد السلام بن عبد الله بن أحمد بن بكران الداهري[٣]، وغيرهم من هذه الطبقة.

قدم إربل، ونزل بدار حديثها، وقرأ على شيخنا أبي الخير بدل بن ابي المعمر بن إسماعيل التبريزي، كتبًا كثيرة من الأحاديث والتفسير.

شاهدته بها في ربيع الأول سنة ستٍّ وعشرين وستمائة؛ فوجدته رجلاً فاضلاً، متنسّكًا عاقلاً، مسالمًا ذا دين وعفاف وبشر، ووقار علىٰ منهاج المتقدمين من العلماء، مواظبًا على الإشتغال بالعلم وتلاوة وقراءة القرآن /٧٩ب/ ثم إنَّه جيّد المعرفة بمعاني الشعر، صالح الفكرة في حلّ التراجم، له شعر حسن.

أنشدني لنفسه[٤]: [من الطويل]

إِلَىٰ كَمْ أُمَنِّي النَّفْسَ مَا لاَ تَنَالُهُ ... فَيَذْهَبَ عُمْرِيْ وَالأَمَانِيُّ لاَ تُقْضَىٰ؟
وَقَدْ مَرَّ لِيْ خَمْسٌ وَعِشْرُوْنَ حِجَّةً ... وَلَمْ أَرْضَ فِيْهَا عِيْشَتِيْ فَمَتَىٰ أَرْضَىٰ؟
وَأَعْلَمُ أَنِّي وَالثَّلاَثُوْنَ مُدَّتِي ... حَرٍ بِمَغَانِي اللَّهْوِ أُوْسِعُهَا رَفْضَا
فَمَاذَا عَسَىٰ فِي هَذِهِ الخَمْسِ أَرْتَجِي ... وَوَجْدِيْ إِلَىٰ أَوْبٍ مِنَ العَشْرِ قَدْ أَفْضَىٰ؟
فَيَا رَبِّ عَجِّلْ لِيْ حَيَاةً لَذِيْذَةً ... وَإِلاَّ فَبَادِرْ بِيْ إِلَىٰ العَمَلِ الأَرْضَىٰ

---

(١) أبو حفص، عمر بن كرم البغدادي الحمامي: ولد سنة ٥٣٩، وتوفي في رجب سنة ٦٢٩هـ، سمع من جده لأمه عبد الوهاب الصابوني، ونصر العكبري، وأبي الوقت، وله إجازات من عدة مشايخ، وكان صالحًا. ترجمته في: العبر ٥/ ١١٦، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤١٤، شذرات الذهب ٥/ ١٣٢. مجمع الآداب ١/ ٤٣٠.

(٢) أبو علي، الحسن بن المبارك بن محمد الحنفي الزبيدي: أخو سراج الدين الحسن، ولد سنة ٥٤٢، وتوفي سنة ٦٢٩هـ، سمع «الصحيح» من أبي الوقت، كما سمع من أحمد ابن الخزاز وغيره، كان إمامًا متقنًا. ترجمته في: العبر ٥/ ١١٣. تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤١٣. شذرات الذهب ٥/ ١٣٠ وفيه ورد إسمه «الحسين» خطأً.

(٣) أبو الفضل، عبد السلام بن عبد الله بن أحمد بن بكران البغدادي الداهري الخفاف الخزاز، توفي في ربيع الأول سنة ٦٢٨هـ، سمع من أبي بكر ابن الزاغوني، ونصر العكبري وجماعة، وكان عاميًا ـ الكلام للذهبي ـ مستورداً كثير الرواية. ترجمته في: العبر ٥/ ١١٢. تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٠٨. المشتبه ص٢٣٦. شذرات ٥/ ١٢٨.

(٤) القطعة في تأريخ إربل ١/ ٤٥٦. والأبيات الأربعة الأولى في الوافي ١/ ٢٠٨. والفوات ٢/ ٣٠٨. وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٠٥.

وأنشدني لنفسه، ما كتبه إلىٰ بعض ملوك المغرب[١]: [من الطويل]

لقَاؤُكَ عيْدٌ بالنَّجَاحِ بَشيرُ ... وَتَقْبيلُ يُمنَىٰ رَاحَتَيْكَ حُبُورُ
بَهَاؤُكَ في لَحْظِ المَوَاسمِ مَوْسمٌ ... وَنَشْرُكَ في رَيَّا العَبيْرِ عَبيْرُ
وَمَا عَادَنَا من عيدنَا غَيْرُ وَافد ... يَحُولُ عَلَيْه الحَوْلُ ثُمَّ يَزُوْرُ
لَهُ أَمَلٌ في لَثْمِ لُقْيَاكَ مُدْرَكٌ ... وَطَرْفٌ بها يَرْنُو إلَيْكَ قَريْرُ
سَرَىٰ نَحْوكُمْ مُذْ عَامِ أوّلَ جَاهداً ... يَجُوبُ عرَاصَ البيْدَ وَهْيَ شُهُوْرُ
فَبُشْرَاهُ وَفَّىٰ النَّفْسَ مِلْءَ فُؤَادهَا ... سُرُوْراً وَإنْ أعْيَتْ وَطَالَ مَسيْرُ
/ ٨٠أ/ وَنَاجَيْتُ نَفْسي وَالْهَوَىٰ يَبْعَثُ الهَوَىٰ ... وَطَالَ بيَ التَّسْويْفُ وَهْوَ غُرُوْرُ
أأتْرُكُ مُوسَىٰ لَيْسَ بيْني وَبَيْنَهُ ... سوَىٰ لَيْلَةٍ إنّي إذَنْ لَصَبُورُ!
فَملْتُ بوُدِّي وَانْحياشي وَهمَّتي ... إلَيْكَ وَفيْهَا عَنْ سوَاكَ نُفُوْرُ
وَأيْقَنْتُ أنّي إنْ أخَذْتُ بحَبْلكُمْ ... عَلَىٰ رَيْب دَهْري منَ الثَّناء أُجيرُ
هُمَا مُنْتَهَىٰ الأعْنَاقِ نَحْوَ عَلائه ... كَمَالٌ بأَهْوَاءِ النُّفُوسِ جَدِيْرُ

ومنها:

يَنُوْبُ عَنِ الدُّرِّ النَّفيْس كَلاَمُهُ ... وَمَا نَابَ عَنْ جَدْوَىٰ يَدَيْه بُحُوْرُ
إذَا صَفِرَتْ أَيْدي السَّحَاب فَكَفُّهُ ... سَحَابٌ بآفَاق السَّمَاحِ دَرُوْرُ

[٧٧٠]

مُحَمَّدُ بنُ يوسفَ بنِ أبي سعد بنِ يونسَ بنِ فيروزَ، أبو عبد الله التلعفريُّ الفرّاءُ.

أخبرني أنه ولد بتلعفر[٢]، بمحلة بني سعد، في المحرم سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وتوفي بالموصل في العشر الآخرة من شعبان سنة اثنتين وعشرين وستمائة. ودفن خارج البلد غربيه، بمقبرة المعافىٰ بن عمران الزاهد، تجاه باب الميدان ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

---

(١) القصيدة كاملة في تأريخ إربل ١/ ٤٥٧، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٠٦.

(٢) تلعفر، وهو تخفيف لكلمة (تل أعفر) و(تل يَعفر): وهو اسم قلعة بين الموصل وسنجار. انظر: معجم البلدان/ مادة (تل أعفر).

كان مقامُه بالموصل، يتردد إلىٰ فضلائها، ويختلف إلىٰ أدبائها لطلب الإفادات.

/ ٨٠ب/ وكان يحفظ مُقطعات من الشعر، ويذاكر بها ويَشْعُر، وله طبع يساعده في المنظوم، ومدح جماعة من أهل الموصل. وكان يخلط في شعره ألفاظًا عاميّة، ويستعملها كثيراً في أثناء كلامه؛ فتأتي لائقة في مواضعها، وربّما تكلّف لنفسه يداعب رجلاً يعرف بالحكيم الفقاعي، يبيع الفقاع. وكان يتدين، وإذا سمع موعظةً بكىٰ وتواجد، ويظهر خوفًا وخشية من الله ـ عز وجل ـ رحمه الله تعالىٰ: [من المنسرح]

لَـمْ يَبْـكِ هَـذَا الحَكيْـمُ مُسْتَمِعـًا ... إلاَّ أَقَمْنَـا لَـهُ مَعَـاذيْـرَا
لأَنَّـهُ مَـنْ كـرَامِ مَعْشَـرِه ... حَـازَ التُّقَـىٰ وَالسَّـدَادَ والخيـرَا
مَـا فيْـهِ مِـنْ خَصْلَـةٍ يُعَـابُ بِهَـا ... وَعِـرْضُـهُ لَـنْ يَـزَالَ مَسْتُـوْرَا
قَـالُـوا: نَـرَاهُ يَبْكِـي إذَا عَـرَضَـتْ ... مَـوْعظَـةٌ مَـا نَظُنُّـهُ زُوْرَا
فَقُلْـتُ: هَـذَا البُكَـاءُ مُتَّفَـقٌ ... عَلَيْـهِ قَـدْ قَـدَّرُوْهُ تَقْـدِيْـرَا
يَبْكِـي فُلُـوْسَ الفُقَّـاعِ مُنْتَحِبـًا ... إذْ لَـمْ تَكُـنْ كُلُّهَـا دَنَـانِيْـرَا

وأنشدني أيضًا لنفسه، في رجل يلقب بزنباط، وكان من أهل الخير / ٨١أ/ والديانة. وكان يكثر الصياح في الصلاة تواجداً. وكان من أبغض الناس صياحًا، وربّما كان في الصلاة، فيقرأ الإمام آيةً من القرآن، فيزعق زعقات متوالية، فيشوش علىٰ الناس صلاتهم لكثرة صياحه، ومقت صوته. وكان الحكيم الفقاعي ـ رحمهما الله تعالىٰ ـ يحتذي بحذوه في التواجد: [من المنسرح]

كَـمْ صَـاحَ زَنْبَـاطُ فـي الصَّـلاَة وَكَـمْ ... خَـرَّ صَـرِيْعـًا مَـا بَيْـنَ صَفَّيْـنِ
وَاليَـوْمَ قَـدْ أَصْبَـحَ الحَكِيْـمَ لنـا ... يَحُطُّـهُ فـي السَّمَـاعِ رُخَّيْـنِ

وأنشدني أيضًا لنفسه في زنباط ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: [من البسيط]

وَقَفْـتُ يَـوْمـًا أُصَلِّـيْ وَالصَّـلاَةُ بِهَـا ... يُمَحِّـصُ اللهُ ذَنْـبَ المُجْـرِمِ الخَـاطِـيْ
ثُـمَّ انْثَنَيْـتُ إلَـىٰ الصَّـفِّ الأَخيْـرِ عَلَـىٰ ... أَنْ لَيْـسَ ذَلِـكَ مِـنْ عَـزْمِـيْ وَأَشْـرَاطِـيْ
فَقِيْـلَ أَوَّلُ صَـفٍّ لـمْ تَـرَكْـتَ وَقَـدْ ... عَلِمْـتَ فِيْـهِ ثَـوَابـًا غَيْـرَ مُنْحَـاطِ
فَقُلْـتُ زَنْبَـاطُ فِيْـهِ وَهْـوَ مُسْتَمِـعٌ ... وَإِنَّنِـيْ أَتَخَشَّـىٰ صَـوْتَ زَنْبَـاطِ

وأنشدني قوله من أبيات، يرثي بها طير حمام، ويستعير لها ألفاظًا، / ٨١ب/ من

ألفاظ المطيرين، واصطلاحاتهم، مبدأها: [من الخفيف]

عَيْنُ سُحِّي بِدَمْعِ جَفْنٍ هَتُوْنِ   وَاسْعِدِيْ عَبْدَ بِالبُكَا وَالحَنِيْنِ
وَانْدُبِي طَيْرَهُ الَّذِيْ قَطُّ لاَ يُعْـ   ـرَفُ إِلاَّ بِالسَّابِقِ المَجْنُوْنَ
كَانَ أَوْفَى الحَمَامِ فِي العَلَمِ الأَ   وَّلِ سَبْقاً يَفُوتُهَا كُلَّ حِيْنِ
كَانَ لَوْ خَفَّقَ المُنَاصِفُ مَا   احْتَاجَ إِلَى حَامِلٍ وَغَدا مكِيْنَ
كَانَ سَهْلَ التَّسْرِيْحِ مَا خَطَرَ التَّرْحِيْلُ يَوْماً لَهُ كَدس الظنُونَ

وأنشدني أيضًا لنفسه، في إنسان يعمل الخل، يُعرف بالمؤذن، فقال له رجل: ما بال خلك يا مؤذن ما له طعم؟ فسئل محمد بن يوسف الفراء أن ينظم في ذلك شيئًا، فصنع هذه الأبيات: [من الكامل]

نَصَحَ المُؤَذِّنُ مَنْ لَهُ عَزْمُ   وَثَوَابُ كُلِّ نَصِيْحَةٍ غُنْمُ
فِي حَالِ ذَوْقِ الخَلِّ قَالَ لَهُ:   مَا بَالُ خَلِّكَ مَا لَهُ طَعْمُ؟
لاَ تُوهِمَنَّ النَّاسَ إِنَّكَ قَدْ   أَصْلَحْتَهُ مَا يَنْفَعُ الوَهْمُ
الخَلُّ أُدْمٌ أَيُّ فَائِدَةٍ   فِيهِ إِذَا لَمْ يَصْلُحِ الأُدْمُ؟
/ ٨٢أ/ وَشَرَوْهُ مِنْكَ بِغَيْرِ تَجْرِبَةٍ   خَطَأً وَلَمْ يَحْدُثْ بِذَا رَسْمُ
يَا عَاذِلِي فِي شَرْحِ قِصَّتِهِ   خَفِّضْ عَلَيْكَ فَحَرْبُهُ سِلْمُ
قُلْ لِلْمُؤَذِّنِ لاَ يَغُرَّكَ أَنْ   حَمِدُوكَ قَوْمٌ حَمْدُهُمْ ذَمُّ
يَكْفِيكَ فِعْلُكَ بِالزَّبِيبِ فَقَدْ   أَحْسَدْتَ مَا قَدْ أَصْلَحَ الكَرْمُ(١)
دِرْيَاقُنَا عِنَبُ الكُرُوْمِ وَمَا   دَبَّرْتَ مِنْهُ كَأَنَّهُ سُمُّ
لاَ تَعْزِلَنَّ نَقِيْعَ أَوَّلِهِ   فَعَلَيْكَ إِنْ أَعْزَلْتَهُ إِثْمُ
فَاقْبَلْ نَصِيْحَتَنَا تَبَرَّ وَإِنْ   خَالَفْتَ مَا لَكَ فِي السَّمَا نَجْمُ

وأنشدني لنفسه من قصيدة، يقول فيها من أبيات: [من الخفيف]

وَعَلَى جِيْرَةٍ نَعِمْتُ زَمَاناً   بِهِمُ مِنْ خَلِيْلَةٍ وَخَلِيْلِ
كُلُّ بَيْضَاءَ لَدْنَةِ القَدِّ تَحْكِيْ   الغُصْنَ فِي لِيْنِهِ وَفِي التَّعْدِيْلِ
ذَاتُ ثَغْرٍ كَالأُقْحُوَانِ كَأَنَّ الـ   ـخَمْرَ فِيْهِ قَدْ شِيْبَ بِالزَّنْجَبِيْلِ

(١) احسده: وجده حاسداً.

يُخْجِلُ الغُصْنَ قَدُّهَا كُلَّمَا مَا ... سَتْ دَلَالاً عَنْ فَوْقِ رِدْفٍ ثَقِيلِ
حِجْلُهَا صَامِتٌ وَنُطْقُ نِطَاقِ الـ ... ـخَصْرِ مِنْهَا مَا بَيْنَ قَالٍ وَقِيلِ
مَا بَدَتْ فِي الظَّلَامِ إِلَّا وَقُلْنَا ... طَلْعَةُ البَدْرِ مَا لَهَا مِنْ أُفُولِ
/ ٨٢ب/ بِي غَرَامٌ وَحَرُّ شَوْقٍ إِلَى ... رَشْفِ لُمَى مِنْ رُضَابِهَا المَعْسُولِ
فِيهِ إِنْ أَعْوَزَ الدَّوَاءُ شِفَاءٌ ... مِنْ سَقَامِ المُضْنَى الكَئِيبِ العَلِيلِ
وَاصَلَتْ وَهْيَ جَارَةُ الجُنْبِ حَتَّى ... مَا نَبَا الرَّبْعُ آذَنَتْ بِالرَّحِيلِ
وَأَبَى طَيْفُهَا يَزُورُ لِأَنِّي ... لَمْ أَذُقْ لَذَّةَ الكَرَى فِي مَقِيلِ
يَا أُخِلَّايَ هَلْ عَلَى كَثْرَةِ اللُّوَّامِ مِنْ عَثْرَةِ الهَوَى مِنْ مُقِيلِ
غَدَرَتْ فَاعْتَمَدْتُ بِالصَّادِقِ الوَعْـ ... ـدِ زَعِيمِ الجُيُوشِ إِسْمَاعِيلِ
الأَمِيرِ المُهَذَّبِ الأَصْيَدِ الذَّرْ ... بِ الذَّكِيِّ النَّدْبِ الكَرِيمِ النَّبِيلِ
جِئْتُهُ أَشْتَكِي مِنَ العِلْمِ لِمَا ... شَاعَ فِي النَّاسِ ذِكْرُهُ بِالجَمِيلِ

وأنشدني لنفسه يهنىء بعض الرؤساء بولده: [من الوافر]

سَعِدْتَ بِطَلْعَةِ الوَلَدِ السَّعِيدِ ... وَعِشْتَ الدَّهْرَ فِي عَيْشٍ رَغِيدِ
تَأَمَّلُ أَنْ تَعِيشَ بِلَا نَظِيرٍ ... يَفُوقُ كَمَا يَفُوقُ عَلَى الوُجُودِ

ومنها:

فَأَنْتُمْ أَكْمَلُ الرُّؤَسَاءِ مِنْكُمْ ... يُحَقِّقُ سَبْقُ وَعْدٍ مِنْ وَعِيدِ
إِذَا مَا الخَطْبُ أَضْحَى مُدْلَهِمًّا ... يُضِيءُ بِحُسْنِ رَأْيِكُمُ السَّدِيدِ
/ ٨٣أ/ وَقَدْ عَرَفَ المُلُوكُ بِأَنَّ فِيكُمْ ... نَصَائِحَ مَا عَلَيْهَا مِنْ مَزِيدِ
عَتَبْتُ عَلَى الرَّئِيسِ حُسَيْنَ لَمَّا ... تَبَاعَدَ وَهْوَ أَقْرَبُ مِنْ وَرِيدِ
عَتَبْتُ عَلَيْهِ لَمَّا صَدَّ عَنِّي ... وَمَا عُوِّدْتُ مِنْهُ بِالصُّدُودِ
وَمِنْ شِيَمِ المُحِبِّ إِذَا تَمَادَى ... بِهِ المَحْبُوبُ تَذْكَارُ العُهُودِ
تَهَنَّ بِطَلْعَةِ الوَلَدِ المُفَدَّى ... سَعِدْتَ بِهِ وَبِالشَّهْرِ الجَدِيدِ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

شَغَلَ الحَزْمُ بِالعَنْوَةِ عَنَّا ... كُلَّ رِيمٍ إِذَا مَشَى يَتَثَنَّى
بَدْرِ تَمٍّ بِنُورِهِ يُخْجِلُ البَدْ ... رُ بَهَاءً وَيُخْجِلُ الشَّمْسَ حُسْنَا

سِحْـرَ عَيْنَيْـهِ عَلَّمَتْ بَابِلُ السِّحْـ ـرَ وَقَدْ أشْبَهَ الغَزَالَ الأغَنَّا
مِنْ فُنُونِ الجَمَالِ فِيهِ وَيَزْدَا دُ مِنَ الحُسْنِ كُلَّمَا مَاسَ فَنَّا
عَوَّدُونَا الوِصَالَ مِنْهُمْ فَأضْحَوا بَعْدَ إقْبَالِهِمْ يُوَلُّونَ عَنَّا
أوْقَعَ الحَزْمُ بَيْنَنَا بَعْدَ قُرْبٍ نَارَ حَرْبٍ ضِرَامُهَا لَيْسَ يَفْنَى
وَيْكَ مَا جُرْمُ مَنْ أبَاحَكَ فِيَّ المُرْدَ نِقِيَّهِمْ وَلَمْ تَخْشَ مِنَّا
وَشُيُوخُ الفِتْيَانِ قَالُوا جَمِيعاً لا يُعَنَّى مَنْ لَيْسَ يَقْنَصُ دَقْنَا
وَيْكَ هَلاَّ اسْتَأذَنْتَ فِي ذَاكَ طَرْخَا نَ وَالأشْيَاخَ الفُتُوَّةِ يُمْنَا
/ ٨٣ب/ جَعَلَ الحَزْمَ ذَا الفُتُوَّةِ صَيْداً لَيْسَ يُخْفِي مَقَاصِدَ الحَزْمِ عَنَّا
وَادَّعَى أنَّهَا صِيَانَةُ عِرْضٍ يَنْطَوِي فِي بُلُوغِهِ مَا تَمَنَّى
خَيَّرُوهُ وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ حَالُ عِلْقٍ إذَا عَلَيْهِ تَجَنَّى
كُلَّمَا شَدَّ أمْرَداً بِسَرَاوِيـ ـلَ نَهَاراً نَحُلُّهُ نَحْنُ وَهْنَا
قَدْ تَعَجَّبْتُ حَيْثُ مَالُوا إلَيْهِ وَهْوَ مِنَّا أشَدُّ فِسْقاً وَأزْنَى
قُلْ لِمَنْ رَامَهُ رَفِيقاً لَعَمْرِي عَنْ قَلِيلٍ مَحَبَّةُ المُرْدِ تَفْنَى
فَقُصَارَى مَا نِلْتَ يَا صَاحِ مِنْهُمْ فَهْوَ نِصْفُ اسْمِ كُلِّ شَيْءٍ مُثَنَّى
إنَّمَا أنْتَ فَاعِلٌ وَالمَفَاعِيـ ـلُ كَثِيرٌ وَالحَزْمُ حَرْفٌ لِمَعْنَى

[٧٧١]

مُحَمَّدُ بنُ يوسفَ بن مكارمَ بن منصورِ بن عبد الله بنِ منصورِ بنِ علويٍّ، أبو عبد الله الشيبانيُّ الموصليُّ المؤدِّبُ.

شاب أسمر قصير، نزل في عارضيه الشيب. كان يؤدّب الصبيان في المكتب بالموصل، ثم ارتبطه الأمير أمين الدين أبو المكارم لؤلؤ بن عبد الله البدري، لتأديب ولده الأصغر.

وهو شاعر فطن مجيد، ذو فكرة نادرة، وبديهة في الشعر حاضرة. كان النظم طوع يديه، والقوافي / ٨٤أ/ مسلمة أزمتها إليه، يتصرف في القريض، كيف ما أراد من غير فكرٍ ولا استعداد. ومدح جماعة من رؤساء مدينته وأمرائها.

أنشدني لنفسه، يمدح المولى المالك الملك الرحيم بدر الدنيا والدين، عضد

الإسلام والمسلمين، محي العدل في العالمين، جلال الملوك والسلاطين بهلوان جهان طغر لبك مكا أتابك أبا الفضل غرس أمير المؤمنين ـ خلّد الله دولته ـ ويذكر القنطرة والشباك، بالباب العمادي. وكان في الحكومات بين الناس: [من الوافر]

أَلاَ يَــا أَيُّهَــا المَلِــكُ الــرَّحِيْــمُ ... بِعَــدْلِــكَ ذَا الصِّــرَاطُ المُسْتَقِيْــمُ
بَثَثْــتَ العَــدْلَ فَــالعَنْقَــاءُ تُلْفَــىٰ ... وَلاَ يُلْفَــىٰ لِمَخْلُــوْقٍ ظَلُــوْمُ
وَجُــدْتَ فَــلاَ نَــرَىٰ إِلاَّ غَنِيّــاً ... فَمُنْــذُ وُجِــدْتَ قَــدْ عُــدِمَ العَــدِيْــمُ
بِنُــوْرِكَ . . . . دِيــن اللهِ ضَــاءَتْ ... دَيَــاجِــيْ الظُّلْــمِ وَاللَّيْــلُ البَهِيْــمُ
سَلِيْــلُ الجُــوْدِ أَنْــتَ فَلَيْــسَ يَــأْتِــيْ ... بِمِثْلِــكَ بَعْــدَهَــا الــدَّهْــرُ العَقِيْــمُ
فَــدُمْــتَ أَبَــا الفَضَــائِــلِ لاَ رَأَيْنَــا ... يَتِيْمــاً فِــي الفَضَــائِــلِ يَــا يَتِيْــمُ
طَــوَيْــتَ حَــدِيْــثَ طَــيٍّ فِــي العَطَــايَــا ... وَقَــالَ كَــرِيْمُهُــمْ هَــذَا كَــرِيْــمُ
كَسَــرْتَ نَصِيْحَــةً فِــي العَــدْلِ كِسْــرَىٰ ... كَمَــا سَفَّهْــتَ أَحْنَــفَ يَــا حَلِيْــمُ
/٨٤ب/ تَهَــابُ الأُسْــدُ بَــأْسَكَ خَــادِرَاتٍ ... فَفِــيْ الأَرْحَــامِ يَقْــدُمُهَــا الــوُجُــومُ
وَتَخْشَــاكَ الهَــوَامُ بِكُــلِّ أَرْضٍ ... فَلَــوْ أَكَلَــتْ لَمَــا ضَــرَّ السُّمُــوْمُ
وَلَــوْ مَلِــكٌ تَــوَهَّمَــكَ احْتَــوَتْــهُ ... هُمُــوْمٌ جَمَّــةٌ وَعَــرَاهُ لُــوْمُ
سُيُــوْفُــكَ لاَ تُفَــارِقُهَــا الغَــوَاشِــيْ ... وَبَــأْسُــكَ فِــي الــوَغَــىٰ عَنْهَــا يَقُــوْمُ
فَلَــوْ جَــرَّدْتَ عَضْبــاً يَــوْمَ حَــرْبٍ ... إِذَنْ عَــمَّ الــوَرَىٰ مَــوْتٌ عَمِيْــمُ
وَدَهْــرٌ كُلُّــهُ يَــوْمَــانِ بُــؤْسٌ ... لِمَــنْ عَــادَىٰ وَلِلــرَّاجِــيْ نَعِيْــمُ
وَكُــلُّ النَّــاسِ فِــي يَــوْمَيْــكَ إِمَّــا ... سَلِيْــمٌ بِــالمَنِيَّــةِ أَوْ سَلِيْــمُ

وأنشدني لنفسه يمدح: [من الرجز]

بَيْــنَ أَرَاكِ المُنْحَنَــىٰ وَضَــالِــهِ ... مُهَفْهَــفٌ كَــالغُصْــنِ فِــي اعْتِــدَالِــهِ
بَــدْرُ دُجًــى إِذَا بَــدَا مُقَــرْطَقــاً ... يَخْجَــلُ بَــدْرُ التَّــمِّ مِــنْ جَمَــالِــهِ
تَخَــالُ كُثْبَــانَ النَّقَــا إِذَا انْثَنَــىٰ ... مُعْتَــدِلاً تَــرْتَــجُّ فِــي سِــرْبَــالِــهِ
حَــازَ جَمِيْــعَ الحُسْــنِ فَهْــوَ كَــامِــلٌ ... أُعِيْــذُهُ بِــاللهِ مِــنْ كَمَــالِــهِ
يَشْتَــاقُــهُ قَلْبِــيْ وَطَــرْفِــيْ فَــإِذَا ... رَأَيْتُــهُ أُطْــرِقْــتُ مِــنْ صَــلاَلِــهِ
مَلِيْــلُ الصُــدْغَيْــنِ . . . . لَــمْ يُفِــقْ ... فِــي حُبِّــهِ قَلْبِــيَ مِــنْ بَلْبَــالِــهِ
/٨٥أ/ لاَ يَعْــرِفُ العَطْــفَ عَلَــىٰ عُشَّــاقِــهِ ... بَــلِ الجَفَــا وَالصَّــدُّ مِــنْ خِصَــالِــهِ

يَغْضَبُ طَوْراً وَيَصُدُّ تَارَةً ... ظُلْماً فَكَمْ يَعْمَهُ فِي ضَلاَلِهِ
رَضِيتُ يَا قَوْمُ بِأَنِّي عَاشِقٌ ... لَهُ بِمَا يَرْضَاهُ مِنْ فِعَالِهِ
يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَعُودُ لَيْلَةٌ ... قَضَّيْتُهَا بِالسَّفْحِ فِي وِصَالِهِ
إِذْ بِتُّ أَجْنِي الوَرْدَ مِنْ خُدُودِهِ ... غَضّاً وَأُسْقَى الوِرْدَ مِنْ سَلْسَالِهِ
وَكُنْتُ لاَ أَرْضَى الوِصَالَ عِفَّةً ... وَاليَوْمَ أَشْتَاقُ إِلَى خَيَالِهِ
لَمْ أَنْسَ إِذْ زَارَ بِغَيْرِ مَوْعِدٍ ... وَالنَّسْرُ قَدْ أُطْلِقَ مِنْ عِقَالِهِ
فَلَمْ نَزَلْ فِي غِبْطَةٍ حَتَّى انْقَضَى ... اللَّيْلُ وَلاَحَ الصُّبْحُ فِي خِلاَلِهِ
كَوَجْهِ تَاجِ الدِّينِ وَالمَوْلَى الَّذِي ... عَمَّ جَمِيعَ الخَلْقِ مِنْ نَوَالِهِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الرجز]

مَا سَنَحَتْ بِبَابِلٍ نِعَاجُهُ ... إِلاَّ أَبَانَ . . . .
وَلاَ تَذَكَّرْتَ ظِبَاءَ عَالِجٍ ... إِلاَّ وَأَبْدَى كَمَدِي اعْتِلاَجُهُ
مِنْ كُلِّ مَعْسُولِ الرُّضَابِ أَشْنَبٍ ... أَلَذُّ فِي مُخِّ الطُّلَى مُجَاجُهُ
أَهْيَفَ مَمْشُوقِ القَوَامِ مَائِلِ الْـ ... ـعِطْفِ يَزِينُ رِدْفَهُ ارْتِجَاجُهُ
مُرْنَانُهُ حَاجِبُهُ وَنَبْلُهُ ... لِحَاظُهُ وَمُهْجَتِي امْاجُهُ(١)
/ ٨٥ب/ يَلِجُّ فِي هَجْرِي فَإِنْ عَاتَبْتُهُ ... زَادَ عَلَى تَعَتُّبِي لَجَاجُهُ
بَدْرٌ لَهُ قُلُوبُنَا مَنَازِلٌ ... وَحَبَرَاتُ عَبْقَرٍ أَبْرَاجُهُ
أَعَزُّهُ الحُسْنُ كَدِينِ أَحْمَدٍ ... أَعَزَّهُ المَوْلَى الحُسَيْنُ تَاجُهُ

وأنشدني أيضًا من شعره، في غلام اسمه حسن، وقد قال له: هل عشقت أحسن مني ؟ فأنشده بديهة: [من الخفيف]

بِأَبِي شَادِنٌ أَغَنُّ غَضِيضُ الْـ ... ـطَّرْفِ لَدْنُ القَوَامِ حُلْوُ التَّثَنِّي
عَرَبِيُّ الأَلْفَاظِ مِنْ آلِ خَا ... قَانَ سَمَا حُسْنُهُ عَلَى كُلِّ حُسْنِ
بَابِلِيُّ الأَلْحَاظِ مُعْجِزُ هَارُو ... تَ بِسِحْرِ الجُفُونِ فِي كُلِّ فَنِّ
يَتَجَنَّى عَلَيَّ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ ... فَهْوَ عَذْبُ الجَنَى وَمُرُّ التَّجَنِّي
لَسْتُ أَنْسَاهُ قَائِلاً: بِحَيَاتِي ... هَلْ تَعَشَّقْتَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنِّي

---

(١) المرنان: القوس.

قُلْـتُ: دَعْ مَـا مَضَـىٰ فَلَسْـتُ أَرَىٰ مِثْـ ـلَـكَ حُسْنـًا يَـا غَـايَـةَ الْمُتَمَنِّـيْ

[٧٧٢]

مُحَمَّدُ بنُ فَضلون بن أبي بكر بن الحسين بن مُحَمَّد بن وهب بن صالح بن يوسفَ بنَ عمرَ بنَ عبدِ الله /١٨٦أ/ بنِ عَاصم بنِ عبدِ الله بنِ عمرَ بنِ الخطّاب، أبوعبدالله العقريُّ(١).

من أبناء الأكراد، والعَقْر قلعة حصينة مشهورة، يقال لها: عَقْر الحُمَيْدِيَّة جيل من الأكراد، ببلد الموصل(٢).

شاب طويل أحول، مائل إلىٰ الشقرة، ضئيل البدن نحيفه.

أخبرني أنه ولد بها في جمادىٰ الأولىٰ سنة ستٍّ وثمانين وخمسمائة. وبلغني أنه كان مريضًا بالموصل، فتوجه نحو أهله إلىٰ العَقْر، فأدركته منيته بموضع يعرف برأس الناعور؛ فدفن هنالك، وقبره به علىٰ تلعة من الأرض؛ وذلك في أواخر ذي الحجة سنة أربع وعشرين وستمائة ـ تغمده الله برحمته ورضوانه إنَّه جواد كريم ـ.

وكان من الفضلاء في كل علم، فقيهًا شافعيًا، مناظراً، أديبًا، نحويًا، شاعراً، متفننًا، لقي علماء الأدب والفقه، وأخذ عنهم، وسمع عليهم الحديث، وصنّف كتبًا منها: كتاب «الرُموز الشرقية علىٰ الكنوز الخفية» في علم الأصول. وكتاب في الفرائض، وغير ذلك.

أنشدني لنفسه: [من الكامل]

بِـيْ مِـنْ فِـرَاقِـكَ وَحْشَـةٌ وَصَبَـابَـةٌ أَبَيْـنَ لِجَنْبِـيْ أَنْ يُـلاَئِـمَ مَضْجَعَـا
وَغَضَضْـتُ مِـنْ بَصَـرِيْ فَفِيْـهِ تَـوَرُّعٌ عَـنْ رُؤْيَـةِ الـدُّنْيَـا إِلَـىٰ أَنْ يَـرْجِعَـا
/٨٦ب/ وَلَقَدْ ذَمَمْتُ الصَّبْرَ قَبْلَ دِفَاعِه وَالشَّـوْقُ قَـدْ قَـرَعَ الْفُـؤَادَ فَـأَوْجَعَـا

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٤/٣٢٨ وفيه: «محمد بن فضلون بن أبي بكر بن الحسن بن محمد...». معجم البلدان ٣/ ٦٩٦. معجم الأدباء ٦/ ٢٦٠١..

(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (العقر).

وَحَمِدْتُ بعدَكَ إذْ أُعَاتِبُ أدْمُعِي … فَمُرِ المُعِينَ فَقَدْ نَزَفْتُ الأدْمُعَا

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الكامل]

وَصَلَ الكتَابُ فكَانَ عنْدَ وُرُوْدِه … رُوْحًا تَرَدَّدُ في حُشَاشَةِ هَالِك
فَطَفِقْتُ أنْشدُ في الجَوَانِحِ كُلِّهَا … لا يَعْدَمُ المَمْلُوْكُ جُوْدَ المَالِكِ

وأنشدني من شعره: [من الوافر]

أُبثُّكَ أنَّ منْ شيَمِ اللَّيَالِي الـ … ـعَنيْفَةِ أنْ تَجُوْرَ عَلَى اللَّهِيفِ
كَمثْلِ الخَلْطِ أقْوَى مَا تَرَاهُ … يَصُبُّ أذَاهُ فِي العُضْوِ الضَّعيْفِ

وأنشدني قوله: [من الطويل]

كَتَمْتُ الهَوَى حَتَّى بَرَى جِسْميَ الهَوَى … وَغَادَرَنِي مثْلَ الخَيَالِ الَّذِي يَسْرِي
فَلَوْ حَلَّتِ الصَّهْبَاءُ لِي مَا شَرِبْتُهَا … مَخَافَةَ تَعْرِيْضِي بِذِكْرِكِ فِي السُّكْرِ

وأنشدني لنفسه: [من البسيط]

تَمَكَّنَ الحبُّ منْ قَلْبِي يُعَذِّبُنِي … وَلا مَحَالَةَ أنَّ الحُبَّ تَعْذِيْبُ
فَهَلْ كَمثْلِي مُحبٌّ لا يُفِيقُ هَوًى … أمْ هَلْ كَمَحْبُوبِيَ الفَتَّانِ مَحْبُوْبُ
هَوِيْتُ مَنْ لَوْ رَآهُ العَاذِلُوْنَ أمَـ … ـضَّنِي فِيْهِمُ عَذْلٌ وَتَأنِيْبُ
/ ١٨٧أ/ كَأنَّمَا قَدُّهُ وَالتِّيهُ يَعْطِفُهُ … رُمْحٌ قَدِ اضْطَرَبَتْ منْهُ الأنَابِيْبُ
وَفِي لَوَاحِظِهِ سَيْفَانِ لَوْ شُهِرَا … عَلَى.... لأضْحَى وَهْوَ مَغْلُوْبُ

وأنشدني قوله: [من الطويل]

وَفَيْتُ بِوَعْدِي وَالمَوَانِعُ جَمَّةٌ … وَأخْلَفْتَ منْكَ الوَعْدَ منْ غَيْرِ مَانِعِ
وَمَا ذَاكَ إلاَّ أنَّ عنْدَكَ نُفْرَةً … وَعنْدِي هَوًى كَالنَّارِ بَيْنَ الأضَالِعِ
فَكُنْ كَيْفَ مَا تَهْوَى جفَاءً وَرقَّةً … فَإنَّكَ عنْدِي فِي أعَزِّ المَوَاضِعِ
مَتَى تَجْنِ ذَنْبًا يَقْتَضِي عَنْكَ سَلْوَةً … فَفِي وَجْهِكَ المَحْبُوْبِ أكْرَمُ شَافِعِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من المتقارب]

قَرَأْتُ كتَابَكَ فَازْدَادَ بِي … إلَيْكَ اشْتِيَاقِي وَهَاجَ التِيَاعِي
عَسَى مَنْ رَمَانَا بِبُعْدِ الدِّيَارِ … يَمُنُّ عَلَيْنَا بِقُرْبِ اجْتِمَاعِ

وأنشدني من شعره: [من الطويل]

وَلَوْ أَنَّني حَمَّلْتُ كُتْبي بَعْضَ مَا ... يُلاَقِيهِ قَلْبي مِنْ فِرَاقِكَ وَالصَّدِّ
لَمَا وَصَلَتْ إلاَّ وَفي صَفَحَاتِهَا ... نُدُوبٌ مِنَ الهَمِّ المُبَرِّحِ وَالوَجْدِ

وأنشدني لنفسه، ما كتب به إلىٰ صديق له في صدر رقعة، يشفع فيها لبعض الشعراء: [من الكامل]

/ ٨٧ب/ كَرُمَتْ طِبَاعُكَ كَالخَلاَئِقِ رَوْضَةً ... وَالكَفُّ غَيْثٌ دَائِمُ الهَطَلاَنِ
وَتَنَاقَلَ المُدَّاحُ وَصْفَكَ بَيْنَهُمْ ... لاَ زِلْتَ مَمْدُوحاً بِكُلِّ لِسَانِ

وأنشدني لنفسه ما كتبه إلىٰ بعض الرؤساء عتابًا: [من الطويل]

أَلَيْسَ عَجِيباً أَنَّنِي لَكَ شَاكِرٌ ... مُحِبٌّ وَأُمْسِي مَوْغَرَ الصَّدْرِ بَاكِيا
وَكَانَتْ ظُنُونِي فِي عُلاَكَ جَمِيلَةً ... فَغَادَرْتَهَا وَاللهُ يَعْلَمُ مَا هِيَا
أَتَعْمُرُ جِسْراً بِاطِّرَاحِكَ جَانِبِي ... وَتَهْدِمُ بِي قَصْراً مِنَ الذِّكْرِ عَالِيَا
وَتَرْقُدُ عَنِّي مِلْءَ جَفْنَيْكَ مُلْغِياً ... حُقُوقِي وَقَدْ نَبَّهْتُ فِيكَ القَوَافِيَا
وَجَدْتُ لِسَانِي عَنْ كَلاَمٍ يَسُؤُكُمْ ... كَلِيلاً وَإِنْ كَانَ الحُسَامَ اليَمَانِيَا
وَجَاءَ أَذَاكُمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ... فَصَادَفَ مِنِّي صَابِراً مُتَغَاضِيَا
فَلاَ تُحْوِجُونِي أَقْتَفِي غَيْرَ مَذْهَبِي ... وَأَنْوِي لَكُمْ غَيْرَ الَّذِي كُنْتُ نَاوِيَا
وَمَا ضَرَّكُمْ أَنْ تَسْتَدِيمُوا مَوَدَّتِي ... عَلَيْكُمْ وَأَنْ تَشْرُوا بِمَالٍ ثَنَائِيَا

وأنشدني أيضًا لنفسه في المعنىٰ: [من الطويل]

إِذَا زِدْتُ شُكْراً زِدْتُمُونِي أَذِيَّةً ... فَبِتُّ وَلِي قَلْبٌ يُقَلَّبُ فِي العَتْبِ
وَمَا زَلَّتِي فِيمَا أَرَىٰ غَيْرُ حُبِّكُمْ ... فَهَلْ عِنْدَكُمْ أَنْ تَغْفِرُوا زَلَّةَ الحُبِّ

/ ١٨٨أ/ (١).

/ ٨٨ب/ وأنشدني لنفسه يصف الثلج: [من الطويل]

عَدِمْتُ رُوَاءَ الثَّلْجِ إِنَّ بَيَاضَهُ ... سَوَادٌ إِذَا النِّيرَانُ لَمْ تَتَضَرَّمِ
كَأَنِّيَ وَقَدْ أُرْعِدْتُ عِنْدَ وُقُوعِهِ ... فُؤَادُ جَبَانٍ خَافَ مِنْ وَقْعِ لَهْذَمِ

(١) هذه الصفحة مكررة مشطوب عليها في الأصل.

هُوَ المُشْتَرَىٰ المَذْمُومُ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ ... وَلٰكِنَّهُ فِي الصَّيْفِ غَيْرُ مُذَمَّمِ

[٧٧٣]

مُحَمَّدُ بنُ عمرَ بن عليٍّ بن سعد الله بنِ يوسفَ بنِ إسماعيلَ، أبو حامدٍ المعروفُ بابنِ الحديثيِّ.

شيخ ربعة، نقي الشيبة، ضعيف العينين جدّاً.

أخبرني أنَّه ولد بحديثة الموصل ـ وهي بليدة علىٰ دجلة، بالجانب الشرقي قرب الزاب الأعلى[(١)] ـ وقيل إنَّها كانت. . . . ولاية الموصل، منتصف شوال سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة.

ونشأ بإربل، وحفظ القرآن الكريم، وتوجّه إلىٰ الموصل، فقرأ تجويداً علىٰ الشيخ أبي الحرم مكيّ بن ريّان النحوي، ثم عاود إربل، وختم عليه القرآن خلق كثير. وكان يتولّىٰ بإربل لسلطانها الملك المعظم مظفر الدين ـ رضي الله عنه ـ الوقوف والحشرية وارتفاع الخاص، والنظر في / ١٨٩أ/ أملاكه، ولم يكن له شعر طائل.

أنشدني لنفسه ما كتبه إلىٰ الأثير أبي محمد الحسن الموصلي العُمراني، وهو يومئذ يتولىٰ الإشراف بديوان إربل: [من الكامل]

قُلْ لِلأَثِيرِ بْنِ الأَثِيرِ وَمَنْ لَهُ ... بَيْنَ الوَرَىٰ الإِجْلالُ وَالإِعْظَامُ
بعُلاَكَ يَا ابْنَ عَلِيٍّ الشَّرَفُ الَّذِي ... يَعْلُو وَيَقْصُرُ دُونَهُ بَهْرَامُ
إِنْ ضَاعَ حَقِّي عِنْدَ غَيْرِكَ لَمْ يَضِعْ ... لِلْمُسْلِمِيْنَ بِحَوْزَتَيْكَ ذِمَامُ
. . . . بك يا محمد التقى ... والفضل والقرآن والإسلام

[٧٧٤]

مُحَمَّدُ بنُ ثروانَ بنِ سُلطانَ بنِ حَسّانَ المعروفُ بهياسٍ، يكنّىٰ أبا عليٍّ.

رجل عبل اليدين، متكهل أسمر اللون، ضعيف البصر. وكان يخضب لحيته، ثم

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (الحديثة).

ترك الخضاب، ولم يستعمله؛ كان أبوه من أهل هيت.

وأبو علي ولد بالموصل سنة ثماني وسبعين وخمسمائة. وكانت صنعته في ابتداء أمره الحياكة، ثم مال إلىٰ الشعر، وأحبّه من صغره، وصحب أدباء وقته من أهل الموصل، وامتدح بها جماعة.

نزل إربل، وأقام بها بُرهة /٨٩ب/ من الزَّمان يتكسّب بشعره الوزراء والأمراء؛ ولما رأىٰ من لُؤم أهل هذا الزَّمان، ورفضهم الفضائل والآداب، وتقاعُسَهم عن المكرمات، وكساد سُوق القريض، غسل ديوان شعره، واعتنىٰ بحفظ الحكايات والملح والمحاضرات، وأخبار الناس والتواريخ، وحين مات مظفر الدين كوكبُوري بن علي بن بكتكين ـ رضي الله عنه ـ وجاءت الدولة المستنصريَّة، فارق إربل، ورحل إلىٰ بلاد الشَّام؛ فنزل محروسة حلب في أيام الملك العزيز غياث الدين، فامتدحه، فأجَازَهُ وجعله أحد شعراء دولته، وقرّر له جراية وجامكية، تصل إليه في رأس كل شهر.

ولما توفي الملك العزيز، وتولّىٰ السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن يوسف ـ خلد الله ملكه ـ لم يغير عليه شيئًا، ومدحه وأنعم عليه:

أنشدني لنفسه، يمدح الملك المنصور عماد الدين زنكي بن أرسلان شاه:

[من الطويل]

لَقَدْ هَاجَ لِيْ رَنْدُ الحجَازِ بِنَشْرِه ... جوًى خلتُ حَرَّ النَّارِ مِنْ دُوْنِ حَرِّه
وَأَذْكَرَنِيْ عَهْداً بِنُعْمَانَ سَالِفاً ... عَلَىٰ أنَّنِي مَازِلْتُ مُغْرًى بِذِكْرِه
خُذُوا مِنْ حَدِيْثِيْ مَا لَكُمْ فِيْهِ عِبْرَةٌ ... لِمُعْتَادِ أوْجَاعِ الهَوَىٰ مُسْتَمِرِّه
/٩٠أ/ وَلَا تَطْلُبُوا مِنْ مُغْرَمِ القَلْبِ سَلْوَةً ... فَمِيْقَاتُ مَا تَبْغُوْنَهُ يَوْمُ حَشْرِه
كَفَىٰ قَلْبِيَ المَحْزُوْنَ كَثْرَةُ وَجْدِه ... غَدَاةَ اسْتَقَلُّوا عِنْدَ قِلَّةِ صَبْرِه
أَلِفْتُ الغَضَا مِمَّا أُبِثُّ لَهُ الجَوَىٰ ... كَأُلْفَةِ وُدٍّ بَيْنَ قَلْبِي وَجَمْرِه
وَطَالَ عَلَيَّ اللَّيْلُ حَتَّىٰ ظَنَنْتُهُ ... سَمِيْرِيْ مِنَ الأحْزَانِ مِنْ فَقْدِ فَجْرِه
وَأَهْيَفَ مَعْسُوْلِ الشَّمَائِلِ طَرْفُهُ ... يَفِيْضُ عَلَىٰ هَارُوْتَ تَيَّارُ سِحْرِه
يَحَارُ ضِيَاءُ الصُّبْحِ مِنْ صُبْحِ وَجْهِه ... وَيَغْرَقُ جُنْحُ اللَّيْلِ فِيْ لَيْلِ شَعْرِه

رَضِيْتُ بِمَا يَرْضَاهُ فِي السُّخْطِ وَالرِّضَا ... وَأَعْرَضْتُ عَنْ زَيْدِ المَلَامِ وَعَمْرِه
أَيَا قَاتِلَ المُشْتَاقِ مِنْ غَيْرِ زَلَّةٍ ... لَكَ اللهُ مَا أَغْنَاكَ عَنْ حَمْلِ وِزْرِه
لَئِنْ خُنْتَ عَهْدِي أَنْ غَدَرْتَ بِذِمَّتِي ... وَكُلُّ أَخِي حُسْنٍ يَدِلُّ بِعُذْرِه
وَسَاعَدَكَ الدَّهْرُ الخَؤُوْنُ مُعَانِداً ... وَكُلُّ أَخِي فَضْلٍ شَكَا صَرْفَ دَهْرِه
فَلِي وَلِصَرْفِ الدَّهْرِ وَالدَّهْرِ وَقْفَةٌ ... لَدَى المَلِكِ المَنْصُوْرِ عِلْماً بِنَصْرِه
فَتًى تَعْجِزُ الأَسْمَاعُ عَنْ حَدِّ مَدْحِه ... وَتَعْيَى ذَوُوْ الأَفْهَامِ عَنْ بَثِّ شُكْرِه
يُمِيْتُ وَيُحْيِي سَيْفُهُ وَبَنَانُهُ ... كَأَنَّ الرَّجَا وَالبُؤْسَ يَأْتِي بِأَمْرِه
إِذَا مَا لَجَا عَافٍ إِلَى يُسْرِ كَفِّه ... بِمَتْرَبَةٍ أَنْسَاهُ أَيَّامَ عُسْرِه

وأنشدني لنفسه يمدح: [من المديد]

/ ٩٠ب/ يَا نَدِيْمِي هَزَّنِي الفَرَحُ ... وَدَعَانِي لِلْهَوَى المَرَحُ
فَاسْقِنِي خَمْراً إِذَا مُزِجَتْ ... خِلْتَ مِنْهَا النَّارَ تَنْقَدِحُ
سُتِرَتْ فِي الدَّنِّ فَاحْتَجَبَتْ ... وَهْيَ فِي الكَاسَاتِ تُفْتَضَحُ
مُذْ أَتَى المَنْثُوْرُ مُنْتَظِماً ... نُبِذَتْ مَا بَيْنَنَا السُّبَحُ
وَغَدَا القِنْدِيْلُ مُنْكَسِفاً ... وَتَلالا خَلْفَهُ القَدَحُ

ومن مديحها، يقول:

يَا مَلِيْكاً عَنْ تَفَضُّلِه ... تَقْصُرُ الأَوْصَافُ وَالمِدَحُ
وَالَّذِي بِالعَدْلِ مُغْتَبِقٌ ... وَهْوَ بِالإِحْسَانِ مُصْطَبِحُ
ذهب . . . . وقد ... جَاءَتِ اللَّذَّاتُ وَالمُلَحُ
بِكَ نَلْقَى العِيْدَ تَهْنِئَةً ... أَنْتَ عِيْدُ النَّاسِ وَالفَرَحُ

وأنشدني لنفسه، يمدح السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبا المظفر يوسف بن محمد ـ صاحب حلب المحروسة أدام الله أيامه ـ ويهنئه بعيد النحر:

[من المنسرح]

مَنْ لِي بِإِيْنَاسِ نَوْمِيَ النَّافِرْ ... وَبِالحَبِيْبِ المُفَارِقِ الهَاجِرْ
/ ٩١أ/ وَبِالوِصَالِ الَّذِي نَعِمْتُ بِه ... نَهْباً كَظِلٍّ أَتَى بِهِ طَائِرْ
يَا غَادِراً غَادَرَ المُحِبَّ لَقًى ... وَرَاقِداً عَنْ أَسِيْرِهِ السَّاهِرْ

لاَ تَسَلِ النَّاسَ مَا مُنِيتُ بِهِ — وَسَلْ بِحَالِيْ خَيَالَكَ الزَّائِرْ
قَدُّكَ قَدْ حَيَّرَ الرِّمَاحَ وَقَدْ — أَعْجَزَ هَارُوتَ طَرْفُكَ السَّاحِرْ
كَمْ يَجْحَدُ الحَقَّ عِنْدَ سَفْكِ دَمِي — وَفَوْقَ خَدَّيْكَ شَاهِدٌ حَاضِرْ
إِفْعَلْ بِقَلْبِيْ الَّذِيْ تَشَاءُ فَمَا — زَالَ جَلِيداً عَلَى الأَذَى صَابِرْ
ظَبْيٌ مِنَ التُّرْكِ تَارِكِي مَثَلاً — مُعْتَدِلٌ عِنْدَ حُكْمِهِ جَائِرْ
أَسْمَرُ مِنْ صَدِّهِ غَلاَ سَمَراً — حَدِيثُ وَجْدِي وَالحُزْنُ لِي سَامِرْ
يُعْذَرُ مَنْ جُنَّ فِي مَحَبَّتِهِ — وَمَا لَهُ فِي سُلُوِّهِ عَاذِرْ
يَا رَوْضَةً بِالحِمَى. . . . — بَيْنَ صَرِيمِ النَّقَا إِلَى حَاجِرْ
لاَ تَحْزَنِي إِنْ عَدَتْكِ غَادِيَةٌ — فَسَوْفَ يَكْفِيكِ جَفْنِيَ المَاطِرْ
أَوْ نَائِلُ المَالِكِ الَّذِيْ نَصَرَ الإِ — سْلاَمَ حَقّاً فَسُمِّيَ النَّاصِرْ
صَلاَحُ دِيْنِ الإِلَهِ وَالمَوْرِدُ العَذْبُ — لِبَادِي العُفَاةِ وَالحَاضِرْ
يَسْمُو بِجُودٍ وَسُؤْدُدٍ وَنَدَى — كَفٍّ وَأَصْلٍ مُؤَثَّلٍ طَاهِرْ
أَبْلَجُ مَاضِيٌّ الجَنَانِ يَعْتَمِدُ الإِ — حْسَانَ وَالعَدْلَ وَاهِبٌ غَافِرْ
/ ٩١ب/ أَصْبَحَ يَحْكِي المَسِيحَ نَائِلُهُ — وَأَصْبَحَ النَّاسُ كُلُّهُم عَازَرْ
يَا ظَاهِرَ الفَضْلِ فِي المُلُوكِ لَقَدْ — أَحْيَيْتَ ذِكْرَ العَزِيزِ وَالظَّاهِرْ
يَا ضَاحِكَ الوَجْهِ وَالخِلاَلِ إِذَا — جَاءَ زَمَانِي بِوَجْهِهِ البَاسِرْ
أَصْبَحْتَ لِلْمُلْكِ جَبْهَةً وَغَدَا — الأَمْلاَكُ عِنْدَ القِيَاسِ كَالحَافِرْ
عِنْدَكَ يَلْقَى العَافِي مُنَاهُ وَفِي — مَدْحِكَ يَصْفُو وَيَسْمَحُ الخَاطِرْ
جُودُكَ كَالبَحْرِ عِنْدَ زَخْرَتِهِ — لَيْسَ لَهُ عَائِمٌ وَلاَ جَازِرْ
سَيْفُكَ قَدْ مَهَّدَ البِلاَدَ وَقَدْ — طَهَّرَهَا مِنْ مُعَانِدٍ غَافِرْ
مَا خَالَفَ القَوْلَ عِنْدَ مَدْحِكَ بَيْـ — ـنَ النَّاسِ لاَ صَادِقٌ وَلاَ فَاجِرْ
عَنْتَرَةٌ فِي اللِّقَاءِ دُونَكَ والـ — ـطَّائِيُّ عَمَّا تَرُومُهُ قَاصِرْ
يَا بَحْرُ يَا لَيْثُ يَا مُقَدَّمُ — فِي المُلْكِ وَإِنْ كَانَ عَصْرُهُ آخِرْ
وَيَا جَوَاداً أَضْحَى بِحِلْيَتِهِ — كُلُّ جَوَادٍ مُقَصِّراً عَاثِرْ
تَهَنَّ بِالعِيدِ شَاكِراً أَنْعُمَ اللّهِ إِلَهاً لِخَلْقِهِ فَاطِرْ
وَصَلِّ وَانْحَرْ كَمَا أُمِرْتَ فَلاَ — زِلْتَ عَلَى الخَلْقِ نَاهِياً آمِرْ

فَـأَنْـتَ عِيْـدُ الأَنَـامِ وَالفَـرْحَـةُ الـ ـكُبْـرَىٰ فَـدُمْ سَـالِمـًا إِلَـىٰ حَـاشِـرْ
لاَزِلْـتَ تَلْقَـىٰ مُنَـاكَ فِـي السَّلْـمِ وَالـ ـحَـرْبِ سَلِيمـًا مُـؤَيَّـداً ظَـافِـرْ

وأنشدني لنفسه، في غلام له شامتان في شفتيه، إذا أطبقهما انضمتا، فتصيران كأنهما واحدة، وإذا تبسّم انقسمتا: [من المنسرح]

يَـا صَنَمـًا بَـاتَ لِلْـوَرَىٰ صَنَمَـا وَجَـائِـراً بِـالمُحِـبِّ إِذْ حَكَمَـا
وَمَـنْ لَـهُ مُقْلَـةٌ صَـوَارِمُهَـا تَقْتُـلُ عَمْـداً وَمَـا تُـرِيْـقُ دَمَـا
وَوَرْدُ خَـدٍّ يَـزِيْـدُهُ وَعَـكُ التَّـ ـقْبِيْـلِ حُسْنَـي نَضَـارَةً وَنَمَـا
وَلَيْـلُ خَـالٍ عَلَـىٰ مُقَبَّلِـهِ كَـأَنَّمَـا ثَغْـرُهُ بِـهِ خُتِمَـا
يُشْبِعُـهُ صَمْتُـهُ وَيَقْسِمُـهُ بَـرْقُ ثَنَـايَـاهُ كُلَّمَـا ابْتَسَمَـا

وأنشدني أيضًا لنفسه، ما كتبه إلىٰ كمال الدين بن مُهاجر الموصلي:

[من الطويل]

أَلاَ يَـا كَمَـالَ الـدِّيْـنِ نَفْعُـكَ حَـاضِـرُ وَغَيْـرُكَ يَـأْتِـي نَفْعُـهُ بَعْـدَ ضُـرِّهِ
تَجُـوْدُ بِـأَمْـوَالٍ سَعَيْـتَ لِكَسْبِهَـا وَغَيْـرُكَ يُعْطِـي مِـنْ مَكَـاسِـبِ غَيْـرِهِ

وأنشدني أيضًا لنفسه من قصيدة: [من الخفيف]

خَـوِّلُـوا جَفْنَـهُ القَـرِيْـحَ رُقَـادَهْ فَعَسَـىٰ طَيْفُكُـمْ يَـزُوْرُ وِسَـادَهْ
وَاقْنَعُـوْا مِنْـهُ بِـالَّـذِيْ فَعَـلَ الهَجْـ ـرُ فَقَـدْ أَمْـرَضَ الصُّـدُوْدُ فُـؤَادَهْ
/٩٢ب/ كَـانَ حَظِّـيْ الشَّقَـاءُ مِنْكُـمْ عَلَـىٰ الـوُ دِّ وَغَيْـرِي بِكُـمْ يَنَـالُ السَّعَـادَهْ
فَـارْحَمُـوا عَـاشِقـًا بِكُـمْ ذَا اعْتِقَـادٍ أَفْسَـدَ الحُـبُّ دِيْنَـهُ وَاعْتِقَـادَهْ
قَـدْ لَقِيْتُـمْ مُـرَادَكُـمْ مِنْـهُ بِـالهَجْـرِ مَتَـىٰ بِـالـوِصَـالِ يَلْقَـىٰ مُـرَادَهْ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من البسيط]

أَبِيْـتُ فِـي لُجَـجِ التَّـذْكَـارِ مِنْـكَ وَبِـي حَـالاَنِ مُخْتَلِفَـانِ: اليَـأْسُ وَالأَمَـلُ
لاَ يَهْتَـدِيْنِـي طَيْـفٌ مُـذْ هَجَـرْتُ وَلاَ يَـزُوْرُنِـي المَبِينَـانِ الكُتْـبُ وَالـرُّسُـلُ
أُسَـائِـلُ الـدَّارَ مِـنْ وَجْـدٍ عَلَيْـكَ فَلَـمْ يُجِبْنِـيَ المُقْفِـرَانِ الـرَّبْـعُ وَالطَّلَـلُ
قَـدْ كُنْـتُ فِـي دَعَـةٍ قَبْـلَ الغَـرَامِ وَقَـدْ ضَـاقَـتْ بِـيَ الأَقْصَيَـانِ السَّهْـلُ وَالجَبَـلُ
تَصَـادَمُ كُلَّمَـا سُلَّـتْ لَـوَاحِظُـهُ لَـمْ يَعْمَـلِ القَـاتِـلاَنِ البِيْـضُ وَالأَسَـلُ

وَإِنْ بَدَا رِيقُهُ فِي كَأْسِ شَارِبِهِ ... لَمْ يُحْمَدِ الأَطْيَبَانِ الخَمْرُ وَالعَسَلُ
مُهَفْهَفٌ مِنْ بَنِي الأَتْرَاكِ مُعْتَدِلٌ ... لَدَيْهِ يَخْتَصِمَانِ الخَصْرُ وَالْكَفَلُ
أُخْفِي هَوَاهُ وَيُخْفِي لَوْعَتِي حُرَقٌ ... يَهِيْجُهُ المُزْعِجَانِ اللَّوْمُ وَالعَذَلُ
عِنْدِيْ لَهُ عَقْدُ وُدٍ لاَ انْفِصَامَ لَهُ ... وَعِنْدَهُ الأَقْبَحَانِ الغُدْرُ وَالمَلَلُ

وأنشدني من شعره: [من الطويل]

أَلَمْ يَكْفِكُمْ ذُلِّي بِفَقْدِ حَبِيْبِي ... وَشَاهِدُ أَسْقَامِي وَفَرْطُ شُحُوبِي
/ ١٩٣أ/ إِلَى أَنْ أَطَلْتُمْ فِي المَلاَمِ فَلَيْتَكُمْ ... عَذَلْتُمْ . . . . القلب غير كئيب
أُجِيْرَانَنَا مَا كُنْتُ فِي حِفْظِ عَهْدِكُمْ ... خَؤُوْنًا وَلاَ فِي ذِكْرِكُمْ غَرِيبِ
نَزَحْتُمْ دُمُوعِي إِذْ نَزَحْتُمْ فَلَمْ أَفُزْ ... لِدَعْوَةِ ضُرِّيْ بَعْدَكُمْ بِمُجِيبِ
فَهَلاَّ تَرَكْتُمْ بَعْدَ صَبْرِيْ ذَخِيرَةً ... لِسَاعَةِ بَيْنٍ أَوْ لِعَيْنِ رَقِيبِ
فَوَاعَجَبًا يَشْتَاقُ قَلْبِي لِحَاظَكُمْ ... وَمَا بُرْؤُهُ مِنْ جُرْحِهَا بِقَرِيبِ
لِيَعْجَبَ أَرْبَابُ الهَوَى كَيْفَ يَدَّنِي ... فُؤَادُ مُصَابٍ مِنْ سِهَامِ مُصِيبِ
أَقُوْلُ وَقَدْ مَالَتْ بِقَلْبِي صَبَابَةٌ ... تُؤَجِّجُ وَجْدِي أَوْ تَزِيْدُ لَهِيبِي
سَقَى اللهُ أَرْضَ الغَائِبِيْنَ غَمَامَةً ... وَرَدَّ إِلَى الأَوْطَانِ كُلَّ غَرِيْبِ

[٧٧٥]

مُحَمَّدُ بنُ فاخرِ بنِ شجيرِ بنِ أبي الهيجِ، أبو عبد الله البغداديُّ(١).

شاب أشقر، أبيض اللون، مشرب بحمرة، من شباب مدينة السلام؛ فيه دماثة وطلاقة، ويترامىٰ إلىٰ قرض الأشعار، والتحفظ منها، ويتشبه بشعراء مصره، ويسلك نهجهم في سهولة الألفاظ، وخفّة أرواح المعاني، وتارة يسلك مذاهب العرب في أقوالهم وجزالتها.

سألتهُ عن ولادته، فقال: ولدت في . . . سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، واستنشدته من شعره، فأنشدني / ٩٣ب/ لنفسه مبدأ قصيدة: [من الطويل]

(١) سترد له ترجمة أخرى في الورقة من هذا الجزء برقم ٨٢٠.

خَلِيلَيَّ عُوجَا بِالمَطِيِّ عَلَى الحِمَى   لِنَقْضِيَ لُبَانَاتٍ لَنَا وَنُسَلِّمَا
وَمِيلا إِلَى الشِّعْبِ التِّهَامِيِّ سُحْرَةً   فَبِالشِّعْبِ قَدْ أَصْبَحْتُ صَبًّا مُتَيَّمَا
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي أَنَّ شِعْبَ تِهَامَةٍ   يَصِيرُ ثَرَاهُ لِي مَزَاراً وَمَلْثَمَا
فَلا تَعْذُلانِيَ فِي هَوَايَ جَهَالَةً   فَلَوْ بِكُمَا بَعْضُ الَّذِي بِي عَذَرْتُمَا
رَجَوْتُكُمَا أَنْ تُسْعِدَانِي عَلَى الهَوَى   فَخَابَ الَّذِي قَدْ كُنْتُ أَرْجُوهُ مِنْكُمَا
وَإِنْ كُنْتُمَا أُغْرِيْتُمَا بِمَلامَتِي   ذَرَانِي وَوَجْدِي وَاذْهَبَا حَيْثُ شِئْتُمَا
فَإِنِّي رَأَيْتُ الصَّبْرَ عَنِّي ظَاعِناً   وَوَجْدِي بِلَيْلَى فِي جَنَابِي مُخَيِّمَا
فَتَاةٌ قَضِيبُ البَانِ يَحْسُدُ قَدَّهَا   وَدِعْصُ النَّقَا مِنْ دُونِهَا قَدْ تَظَلَّمَا
لَهَا مَبْسِمٌ عَذْبٌ تَخَالُ رُضَابَهُ   مُجَاجَةَ نَحْلٍ أَوْ رَحِيقاً مُخَتَّمَا
وَبِي ظَمَأٌ يُذْكِي المِيَاهَ ضِرَامُهُ   وَيُطْفَى بِرَشْفِ الظَّلْمِ مِنْ ذَلِكَ اللُّمَا
وَلَوْلا وُشَاةُ الحَيِّ لا دَرَّ دَرُّهُمْ   نَزَلْتُ وَسَرَّحْتُ المَطِيَّ المُخَرَّمَا
وَإِنِّي لأَجْفُو الدَّارَ لا عَنْ مَلالَةٍ   وَلَكِنَّنِي أَخْشَى الرَّقِيبَ المُذَمَّمَا
إِلَى مَ قُعُودِي لَسْتُ أَنْهَضُ لِلْعُلا   تُعَلِّلُ آمَالِي بِلَيْتَ وَعَلَّمَا
وَحَتَّى مَ لا أَسْعَى لَهَا سَعْيَ مَاجِدٍ   بِعَزْمٍ يَفُلُّ المَشْرَفِيَّ المُصَمَّمَا
/١٩٤أ/ عَصَيْتُ عَلَى الآمَالِ إِلَّا ارْتِيَاحَةً   تُنَازِعُنِي لِلْمَجْدِ قَلْباً مُقَسَّمَا
وَلا حَمَلَتْنِي الخَيْلُ إِنْ لَمْ أَرُدَّهَا   سَوَاهِمَ قَدْ أَوْدَى بِنَا وَبِهَا الظَّمَا
وَلا رُفِعَتْ نَارِي لِتَجْلِبَ طَارِقاً   وَلا حَمَلَتْ كَفِّي الوَشِيجَ المُقَوَّمَا
وَلا أَخَذَتْ عَنِّي الرُّوَاةُ قَصَائِداً   وَلا شِمْتُ فِي يَوْمِ الكَرِيهَةِ مِخْذَمَا
إِذَا أَنَا لَمْ أَبْلُغْ مِنَ المَجْدِ غَايَةً   يُقَصِّرُ عَنْ إِدْرَاكِهَا كُلُّ مَنْ سَمَا

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من مجزوء الكامل]

أَرِحِ المَطِيَّ مِنَ الرَّسِيمْ   وَذَرِ التَّعَلُّلَ بِالرُّسُومْ
وَانْزِلْ بِحَانَاتِ المَطِيرَةِ   خَاطِباً بِنْتَ الكُرُومْ
وَاسْتَجْلِ بِكْراً شُتِّتَتْ   يَوْماً بِهَا شَمْلُ الهُمُومْ
صَفْرَاءَ فِي كَاسَاتِهَا   حَمْرَاءَ فِي كَفِّ النَّدِيمْ
يُمْلِي عَلَيْكَ هَدِيرُهَا   مَا كَانَ فِي الزَّمَنِ القَدِيمْ
نَصَبَتْ شِبَاكَ مَوَاقِعٍ   صَادَتْ بِهَا عَقْلَ الحَلِيمْ

مَـــنْ كَـــفِّ مُعْتَــــدلِ القَـــوَامِ ... بِـــوَجْهِـــهِ مَــــاءُ النَّعِيْــــمِ
مَثْـــلُ الصَّبَـــاحِ جَبِيْنُــــهُ ... وَالفَـــرْعُ كَـــاللَّيْـــلِ البَهِيْــــمِ
بَـــرَعَــتْ مَحَــاسِنُــهُ فَلَيْـ ... ـسَ تُحَــدُّ بِـــالشِّعْــرِ النَّظِيْــمِ
/ ٩٤ب/ وَالـــرَّوْضُ يُسْكِــرُهُ النَّــدَىٰ ... وَيُفِيْقُــهُ مَــرُّ النَّسِيْــمِ
وَالـــزَّهْـــرُ يَضْحَـــكُ شَـــامِتـاً ... لِبُكَـــاءِ أَجْفَـــانِ الغُيُـــوْمِ

[٧٧٦]

مُحَمَّدُ بنُ قرطايا بنِ عبدِ الله، أبو العباسِ بنِ أبي الوفاءِ الإربليُّ(١).

كانت ولادته في شهر رمضان، سنة ستٍّ وستمائة.

وقد تقدّم شعر أخيه(٢).

وهو أمير ذو منظر ورواء وجمال رائع وبهاء. ولم يزل يتولع بصناعة القريض، ويصرف همّته إلىٰ إنشائه، حتىٰ صدر عن خاطره ما استحسن معناه، واستجلي مغزاه.

لقيتهُ بإربل، وكان يومئذ في خدمة سلطانها مظفر الدين كوكبوري بن علي بن بكتكين ـ رحمه الله تعالىٰ ـ فلما مات مظفر الدين، سافر أبو العباس إلىٰ حلب، وخدم مليكها الملك العزيز غياث الدين محمد بن غازي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ وتقدّم لديه، ونادمه وأنعم عليه إنعامًا وافراً، فحينئذ توفي الملك، أقرّ علىٰ ما هو عليه.

اجتمعتُ به بحلب بمنزله بالحاضر السليماني في سنة أربع وثلاثين وستمائة، وترددت إليه ثلاث مرات، آخر مرة كنت عنده جالسًا؛ وذلك يوم الإثنين في رجب سابع عشر. فتشكىٰ من كسل اعترضه، وثقل في جسمه، فأشاروا عليه بالفصد، ففصد من ساعته، ونهضت من عنده، ودعوت له بالسلامة، فأعقب ذلك الفصد / ٩٥أ/

(١) في هامش الأصل: «توفي في سنة سبع وثلاثين أو ثمان وثلاثين وستمائة».
ترجمته في: الوافي بالوفيات ٤/ ٣٥٣ رقم ١٩١٦، وفيه: «محمد بن قَرَطاي... توفي سنة أربع وثلاثين وستمائة». تأريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠) ص٢١٦ ـ ٢١٧ رقم ٢٨٨ وفيه «قراطاي»، المختار من تأريخ ابن الجزري ١٦٥ وفيه: «قيراطلي».

(٢) ترجم المؤلف لأخيه (أحمد بن قرطايا بن عبد الله) في الجزء الأول برقم ١٠٢.

مرض انصبّ عليه، من إسهال وحُمىٰ، وعُولج ولم يزل يعالجه الأطباء، وأحواله تتناقص، إلىٰ أن تُوفي يوم الأحد الثالث والعشرين من التاريخ، في الشهر المذكور. ودفن يوم الإثنين قبلي البلد بالمقابر المعروفة بالمقام ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

لقد كان شابًا كيّسًا ساكنًا، ومما أنشدني لنفسه(١): [من الطويل]

أمَـا وَاشْتِيَـاقِـي عِنْـدَ خَطْـرَةِ ذِكْـرِكُـمْ ... وذا قَسَـمٌ لَـوْ تَعْلَمُـونَ عَظِيْـمُ(٢)
لأنْتُـمْ وَإنْ عَـذَّبْتُمُـونِـي بِهَجْـرِكُـمْ ... عَلَـىٰ كُـلِّ حَـالٍ جَنَّـةٌ وَنَعِيْـمُ
سَلِمْتُـمْ مِـنَ الـوَجْـدِ الَّـذِيْ بِـيْ عَلَيْكُـمُ ... وَمِـنْ مُهْجَـةٍ فِيْهَـا أسًـى وَكُلُـومُ
وَلاَ ذُقْتُـمُ مَـا ذُقْـتُ مِنْكُـمْ فَلِـيْ بِكُـمْ ... رَسِيْـسُ غَـرَامٍ مُقْعِـدٌ وَمُقِيْـمُ

وأنشدني لنفسه(٣): [من الطويل]

أقَـدُّكَ هَـذَا أمْ هُـوَ الغُصْـنُ الـرَّطْـبُ ... وَطَـرْفُـكَ هَـذَا أمْ هُـوَ الصَّارِمُ العَضْـبُ
أيَـا بَـدْرَ تَـمٍّ فِيْـكَ لِلعَيْـنِ نُـزْهَـةٌ ... وَلِلْقَلْـبِ تَعْـذِيْـبٌ وَلكِنَّـهُ عَـذْبُ
خَـفِ اللهَ فِـي قَتْـلِ الكَئِيْـبِ وَعِـدْهُ ... بِـالـوِصَـالِ عَسَـىٰ نَـارٌ بِمُهْجَتِـهِ تَخْبُـوْ
وَلاَ تَجْهَلَـنْ مَـا بِـيْ وَإنْ تَـكُ جَـاهِـلاً ... سَقَـانِـيْ بِـهِ الجَـوْزَاءِ وَالأنْجُـمُ الشُّهْـبِ

وأنشدني أيضًا من شعره: [من المنسرح]

/ ٩٥ب/ بِـوَرْدِ خَـدَّيْـكَ إنَّـهُ قَسَـمُ ... صِلْنِـيْ فَقَـدْ شَـفَّ جِسْمِـيَ السَّقَـمُ
يَـا صَنَمًـا ضَـلَّ فِيْـهِ عَـابِـدُهُ ... كَـمْ مِـنْ دمٍ قَـدْ أرَقْـتَ يَـا صَنَـمُ
مَنَحْتَنِـي بِـالخَيَـالِ مُخْتَلَسًـا ... يَـا لَيْـتَ عُمْـرِيْ بِـأسْـرِهِ حُلُـمُ
للهِ مَـنْ غَـادِرٍ مَحَـاسِنُـهُ ... شَتَّـىٰ مِـنَ العَـاشِقِيْـنَ تَنْتَقِـمُ
يَقُـولُ قَـوْمٌ كَـأنَّـهُ غُصُـنٌ ... مِـنْ أيْـنَ لِلْغُصْـنِ رِيْقُـهُ الشَّبِـمُ(٤)
أفْـدِيْـهِ نَشْـوَانَ فَـوْقَ وَجْنَتِـهِ ... نُـوْرٌ وَنَـارٌ فِـي القَلْـبِ تَضْطَـرِمُ
يَـا لاَئِمِـيَ فِيْـهِ خَـلِّ وَيْحَـكَ عَـنْ ... عَـذْلِـيْ فَلَـوْمِـيْ فِـيْ حُبِّـهِ ألَـمُ

---

(١) القطعة في الوافي ٤/ ٣٥٣.
(٢) اقتباس من الآيه ٧٦ من سورة الواقعة.
(٣) الأبيات ١ ـ ٣ في تأريخ الإسلام ٢١٧.
(٤) الشبم: البارد.

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الرجز]

قَدْ أزِفَ البَيْنُ وآنَ السُّرَىٰ ... تَبًّا لجَفْنِي إنْ دَنَاهُ الكَرَىٰ
وكَيْفَ يَأتِي النَّوْمُ جَفْنَ امْرِىءٍ ... لَوْلاَ حَنِينٌ فِي الحَشَا لَنْ يُرَىٰ
يَا حَاوِيَ الظَّعْنِ رُوَيداً فَقَدْ ... رَوَّيْتَ مِنْ دَمْعِي يَبِيسَ الثَّرَىٰ
كَأنَّمَا العِيسُ أُنِيخَتْ عَلَىٰ ... جَفْنِي فَلَمَّا أنْ أُثِيرَتْ جَرَىٰ
رِفْقًا بِصَبٍّ هَجْرُكُمْ قَاصِمٌ ... مِنْ صَبْرِهِ الوَاهِي عُقُودَ العُرَىٰ
فَمَا يَخُونُ العَهْدَ فِيكُمْ وَلاَ ... يُغَادِرُ الحَبَّ لِخَطْبٍ عَرَا

ومنها يقول:

للهِ قَوْمٌ قَدْ أرَاقُوا دَمِي ... بِكُلِّ طَرْفٍ فَاتِرٍ أحْوَرَا!
أوْدَعْتَنِي سُقْمًا وَحَمَّلْتَنِي ... فِي الحُبِّ مَا يَعْجَزُ عَنْهُ حِرَا
آهًا لِعَيْشٍ كَانَ لِي بِالغَضَا ... غَضًّا وَعُودِي بِالحِمَىٰ مُثْمِرَا

وأنشدني لنفسه أيضًا: [من الكامل]

يَا أيُّهَا الشَّاكِي السِّلاَحَ وَطَرْفُهُ ... عَنْ سَهْمِهِ وَحُسَامِهِ يُغْنِيهِ
الصَّبُّ أوْلَىٰ أنْ يَكُونَ مُدَرَّعًا ... لِسِهَامِ مُقْلَتِكَ الَّتِي تَرْمِيهِ

[٧٧٧]

مُحَمَّدُ بنُ غازي بن عليِّ بن مُحَمَّدِ بن أبي سعدٍ، أبو بكرٍ الموصليُّ المعروفُ بالفقاعيِّ(١).

أخبرني أنه ولد بالموصل سنة تسع وخمسين وخمسمائة، في محلة شاطىء النهر، وتوفي بدمشق في رجب سنة تسع وعشرين وستمائة.

رأيته شيخًا كبيراً، أسمر أبيض اللحية، فقيهًا، يتعلّق بخدمة الملكة خاتون بنت أيوب بن شاذي، بإربل. وكان شَرْبدارها.

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٤/ ٣٠٦. الجواهر المضيئة ٣/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦، نقلها عن القلائد، وفيه: «محمد بن علي بن غازي بن علي...». تاريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ ـ ٦٣٠) ص٣٧٥ رقم ٥٥١. الطبقات السنية رقم ٢١٥٩.

أنشدني لنفسه، يمدح الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شاذي؛ من جملة أبيات أولها: [من الكامل]

/ ٩٦ب/ يَا صَاحِبَيْ بَيْنَ الأَرَاكِ وَلَعْلَعِ ... أَرِح المَطِيَّ بِهِ وَذَرْهَا تَرْتَعِي
إِنَّ المَسَافَةَ وَالدِّيَارَ بَعِيدَةٌ ... أَيْنَ الأَرَاكُ مِنَ اللِّوَىٰ وَالأَجْرَعِ؟
وَإِذَا اكْتَفَتْ مِنْ رَعْيِهَا وَرَأَيْتَهَا ... قَدْ أَنْفَقَتْ مِنْ وِرْدِهَا فِي المَشْرَعِ
اقْصِدْ بِهَا نَحْوَ الغَدِيْرِ لأَنَّنِي ... يَوْمَ الفِرَاقِ مَلأْتُهُ مِنْ أَدْمُعِي
كَمْ قَدْ سَفَحْتُ مَدَامِعِيْ فِي أَرْبُعٍ ... عَبِثَتْ بِهَا أَيْدِيْ الرِّيَاحِ الأَرْبَعِ
وَمِنَ العَجَائِبِ أَنَّنِيْ أَسْقِي الحَيَا ... مِنْ مَدْمَعِيْ وَلَظَىٰ الجَحِيْمِ بِأَضْلُعِي
وَحَمَامَةٍ سَجَعَتْ عَلَىٰ بَانِ الحِمَىٰ ... سَحَراً فَقُلْتُ لَهَا كَذَلِكَ فَاسْمَعِي
حُزْنِيْ لِحُزْنِكِ فِي الهَوَىٰ يَا هَذِهِ ... لَوْ كَانَ يُجْدِيْ فِي الرُّسُوْمِ تَخَضُّعِي
وَاللهِ مَا هَجَعَتْ جُفُوْنِي بَعْدَهُمْ ... فَكَأَنَّمَا شَوْكُ القَتَادِ بِمَضْجَعِي
مَا ذَاكَ إِلاَّ أَنَّ يَوْمَ وَدَاعِنَا ... قَالَتْ أُمَيْمَةُ لِي بِقَلْبٍ مُوجَعِ
لاَ تَنْسَ صُحْبَتَنَا بُعَيْدَ فِرَاقِنَا ... فَأَجَبْتُهَا: لاَ وَالبَطِيْنِ الأَنْزَعِ

ويقول في مديحها:

يَا أَيُّهَا المَلِكُ المُغِيْثُ أَنَا الَّذِيْ ... أُثْنِي وَلَسْتُ عَنِ الثَّنَاءِ بِمُقْلِعِ
وَوَعَدْتَنِي بِالخَيْرِ يَا خَيْرَ الوَرَىٰ ... وَطَمِعْتُ فِيْهِ فَلاَ تُخَيِّبْ مَطْمَعِي

وأنشدني أنها قوله من أخرىٰ: [من البسيط]

/ ٩٧أ/ قِفَا قَلِيْلاً بِرَبْعِ الدَّارِ مِنْ أَضَمٍ ... كَيْمَا أَبُثُّ إِلَىٰ ذَاتِ اللُّمَا أَلَمِيْ
قَدْ رَقَّ لِي حَاسِدِيْ مِمَّا بُلِيْتُ بِهِ ... وَعَاذِلِيْ قَدْ رَثَىٰ لَمَّا رَأَىٰ سَقَمِي
كَيْفَ الخَلاَصُ مِنَ البَلْوَىٰ وَقَدْ تَلِفَتْ ... رُوْحِيْ وَقَدْ صَارَ خَصْمِيْ فِي الهَوَىٰ حَكَمِي
يَا نَازِلِيْنَ بِأَرْضِ الخَيْفِ عَبْدُكُمْ ... مِنْ بَعْدِ بُعْدِكُمْ عَيْنَاهُ لَمْ تَنَمِ
يَهِيْمُ شَوْقاً وَوَجْداً كُلَّمَا صَدَحَتْ ... بِالجَا. . . . وَرْقَاءُ عَلَىٰ عَلَمِ
مَا هَبَّتِ الرِّيْحُ يَوْماً مِنْ دِيَارِكُمُ ... إِلاَّ ذَكَرْتُ لَيَالِيْنَا بِذِيْ سَلَمِ
أَيْنَ العُهُوْدُ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ ... أَيَّامَ حَبْلُ التَّدَانِيْ غَيْرُ مُنْصَرِمِ
أَطْمَعْتُمُوْنِي إِلَىٰ أَنِّي هَوَيْتُكُمُ ... فَمَا حَصَلْتُ عَلَىٰ شَيْءٍ سِوَىٰ نَدَمِي

وأنشدني لنفسه، يهجو بعض القضاة: [من مجزوء الكامل]

قَاضٍ يَقُولُ لِضَيْفِهِ ... الخُبْزُ فِي بَيْتِي وَدِيعَهْ
وَالمَاءُ أُصْبِحَ عِنْدَنَا ... مَالاَ تُجَوِّزُهُ الشَّرِيعَهْ
فَاحْتَلْ لِنَفْسِكَ فِي قِرًى ... فَالأَرْضُ مُخْصِبَةٌ وَسِيعَهْ

[٧٧٨]

مُحَمَّدُ بنُ شعيب بنِ عُبَيد بنِ المُجلّىٰ بنِ عبدِ الله التميميُّ البصريُّ، أبو عبدِ الله.

شاب /٩٧ب/ قصير، أسمر اللون، تعلو لونه صُفرة.

وردَ من إربل إلىٰ مدينة الموصل، في أواخر ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وستمائة؛ وأقام بها أشهراً. وكان مُدّة مقامه يستنسخ بها كتاب: «المثل السائر»، ويتردد إلىٰ مصنِّفه أبي الفتح نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الكاتب الجزري. يقرأهُ عليه، فحين فرغ من نسخه وقراءته، سافر إلىٰ إربل في شهر رمضان سنة إثنتين وثلاثين وستمائة.

وكان شابًا ذكيًا، شاعراً خبيراً بالشعر، بصيراً بمعانيه، حافظًا للقرآن العظيم، شدا طرفًا صالحًا من الأدب واللغة. وكان عاقلاً دينًا، ذا سكون وصلاح، وحسن صحبة. سألته عن ولادته، فقال: ولدتُ في جمادىٰ الآخرة بالبصرة سنة إثنتين وستمائة.

أنشدني لنفسه، يمدح بهاء الدين أرغش. . . . ، وأنشده إياها بالبصرة:

[من المنسرح]

دَارَتْ عَلَىٰ دَارِ مَيَّةَ الدِّيَمُ ... تَسِحُّ طَوْراً بِهَا وَتَنْسَجِمُ
وَكُلَّمَا نَاحَ غَيْمُهَا وَبَكَىٰ ... بَدَتْ ثُغُورُ الرِّيَاضِ تَبْتَسِمُ
دَارٌ أُدِيرَتْ عَلَىٰ كُؤُوسِ الـ ... ـلَّهْوِ دَهْراً وَالشَّمْلُ مُلْتَئِمُ
/٩٨أ/ مِنْ كُلِّ فَتَّانَةٍ إِذَا بَرَزَتْ ... تَوَهَّمَ القَوْمُ أَنَّهَا صَنَمُ
يَا مُنْيَةَ القَلْبِ فِي تَوَدُّدِهَا ... وَطَرْفُهَا فِي الوَفَاءِ مُتَّهَمُ

يَنْجَابُ سِتْرُ الدُّجَى إِذَا سَفَرَتْ   عَنْ وَجْهِهَا وَالظَّلامُ مُرْتَكِمُ
لا يُدْرِكُ الوَاصِفُونَ بَهْجَتَهَا   وَصْفًا وَأَوْصَافُ حُسْنِهَا الأَمَمُ
مَضَى الزَّمَانُ الَّذِي نَعِمْتُ بِهِ   كَمَا يَرَى فِي المَنَامِ مُحْتَلِمُ
كَأَنَّمَا الدَّهْرُ كَانَ يَحْسُدُنِي   عَلَيْهِ إِذْ ذَاكَ فَهْوَ يَنْتَقِمُ
أَصَارَ حَظِّي إِلَى الحَضِيضِ فَمَا   يَنْفَعُنِي إِنْ تَسَامَتِ الهِمَمُ
.... الفَتَى كَامِلاً وَيُسْعَدُ مَنْ   لَيْسَ لَهُ فِي فَضِيلَةٍ قَلَمُ
وَدِدْتُ لَوْ كَانَتِ الحُظُوظُ عَلَى   أَقْدَارِ فَضْلِ الأَنَامِ تَنْقَسِمُ
تَاللهِ لَوْلا رَجَاءُ خَيْرِ فَتًى   أَضْحَتْ تُرَجِّيهِ العُرْبُ وَالعَجَمُ
مَلْكٌ أَضَاءَتْ لَنَا بِدَوْلَتِهِ الدُّ   نْيَا وَقَدْ أَحْدَقَتْ بِهَا الظُّلَمُ
مَا كُنْتُ ذَا مَطْمَعٍ بِأَنْ يُصْبِحَ الدَّ   هْرُ وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ ذِمَمُ
فَلَسْتُ أَخْشَى مِنْ حَادِثٍ وَبَهَاءُ الدِّ   يْنِ لِي مَلْجَأٌ وَمُعْتَصَمُ
مَا لامْرِئٍ أَصْبَحَتْ تُعَانِدُهُ الأَ   يَّامُ إِلاَّ جَنَابُهُ حَرَمُ

ومنها:

/ ٩٨ب/ يَا مَنْ غَدَوْا بِأَعْلَى الزَّمَانِ بِهِ   لَمَّا غَزَتْنَا أَحْدَاثُهُ الحُطَمُ
أَحْيَيْتَ بَيْتَ القَرِيضِ فَابْتَدَرَتْ   قَالَتُهُ حَيْثُ أَنْتَ تَزْدَحِمُ
عَلِمْتَ أَنَّ الأَمْوَالَ يُذْهِبُهَا الدَّ   هْرُ وَيَبْقَى عَلَيْهِ مَا نَظَمُوا
تَكَرُّمُ لِلْمَدْحِ مَا مُدِحْتَ إِذَا   مَا رَاحَ قَوْمٌ لَهُ وَقَدْ لُؤُمُوا
مَنْ لَمْ يَرَ المَدْحَ عِنْدَهُ شَرَفًا   فَذَاكَ عِنْدِي وُجُودُهُ عَدَمُ
أَلَمْ يُرَ الشِّعْرَ فِي الَّذِينَ مَضَوْا   يَنْشُرُ مِنْ فَضْلِهِمْ وَهُمْ رِمَمُ
مَا كَانَ لَوْلا القَرِيضُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ زُهَيْرٌ يُعْنَى بِهِ هَرِمُ
كَانَ مَتَى مَا رَآهُ جَادَ لَهُ   حَتَّى أَبَى الجُودَ وَهْوَ يَغْتَنِمُ
وَأَيْنَ مِنْ أَرْغَشِ النَّدَى هَرِمٌ   وَهَلْ تُسَاوَى المُلُوكُ وَالخَدَمُ
يَمْنَحُ فَوْقَ الَّذِي نُؤَمِّلُهُ   وَيُنْهَبُ المَالُ وَهْوَ مُبْتَسِمُ
كَأَنَّ أَخْلاقَهُ لِسَائِلِهِ   مَاءٌ أَذَالَتْهُ مُزْنَةٌ شَبِمُ
قَدْ أَلِفَ البَذْلَ مُنْذُ قَامَ بِهِ   فَنَفْسُهُ لا يَمَسُّهَا سَأَمُ

ومنها:

يَا وَاحِدَ المَجْدِ وَالعَلاَءِ وَمَنْ … يُعْزَىٰ إِلَيْهِ السَّمَاحُ وَالكَرَمُ
/ ٩٩أ/ إِلَيْكَ يُهْدِيْ قَلاَئِداً نُظِمَتْ … لِجِيْدِ عَلْيَاكَ شَاعِرٌ فَهِمُ
مُؤَيَّدٌ بِالصَّوَابِ مَنْطِقُهُ … فَكُلُّ قَوْلٍ يَقُوْلُهُ حِكَمُ
يَرْجُو بِهَا عِنْدَكَ الغَنَاءَ فَقَدْ … أَوْدَىٰ بِهِ مُذْ أَصَابَهُ العَدَمُ
وَامْرُكَ اليَوْمَ بِالنَّوَالِ لَهُ … كَالبُرْءِ وَافَىٰ مَنْ غَالَهُ السَّقَمُ
لاَزِلْتَ ذَا عِزَّةٍ يَذِلُّ لَهَا … كُلُّ عَزِيْزٍ بِأَنْفِهِ شَمَمُ
مُقْتَدِراً مَا بَقِيْ الزَّمَانُ عَلَىٰ … الأَعْدَاءِ تَعْفُوْ عَنْهُمْ وَتَنْتَقِمُ

وأنشدني لنفسه، ما كتبه إلىٰ الشرف عبد الصمد بن محمد بن المجلّىٰ النصيبي:

[من البسيط]

للهِ مَا شَرَفُ الدِّيْنِ [الَّذِيْ] شَرُفَتْ … أَفْعَالُهُ فَهْوَ حَالٍ بِالثَّنَا كَاسِيْ
مَا إِنْ رَأَيْتُ عَلَىٰ إِفْرَاطِ تَجْرِبَتِيْ … لِلْنَّاسِ أَكْرَمَ طَبْعاً مِنْهُ فِي النَّاسِ

فأجابه عبد الصمد بن محمد، عنها في الحال بديهة: [من البسيط]

سِوَىٰ مَكَارِمِ شَمْسِ الدِّيْنِ مَنْ ظَهَرَتْ … أَنْوَارُهُ فَهْيَ فِيْنَا ضَوْءُ مِقْبَاسِ
وَمَنْ غَدَا نَظْمُهُ مِنْ لُطْفِ صَنْعَتِهِ … أَشْهَىٰ إِلَىٰ الرُّوْحِ مِنْ مَشْمُوْلَةِ الكَاسِ

وأنشدني لنفسه في طلوع / ٩٩ب/ القمر علىٰ دجلة: [من المنسرح]

كَأَنَّمَا دِجْلَةٌ لِنَاظِرِهَا … إِذْ رَفَعَ اللَّيْلُ ثَوْبَهُ الأَسْوَدْ
ثَوْبُ لُجَيْنٍ مُعَرَّكٌ رَقَمَ الـ … ـبَدْرُ طِرَازاً لَهُ مِنَ العَسْجَدْ

وأنشدني لنفسه، يهجو الصدر علي بن أبي الفرج الواسطي: [من المتقارب]

أَعَنْ عَزْمَةٍ مَا الدِّيَارُ الدِّيَارُ … وَلاَ الأَهْلُ أَهْلٌ وَلاَ الجَارُ جَارُ
وَسُقْهَا تُتَابِعُ أَرْسَالَهَا … كَمَا رِيْعَ بِالقَفْرِ وَحْشٌ مُثَارُ
فَقَدْ أَدْرَكَ البَيْنُ ثَارَاتِهِ … وَلَمْ يُدْرِكِ العَامَ لِلشِّعْرِ ثَارُ
وَإِنَّ تَقَلْقُلَهَا قَدْ يُفِيْدُ … سُرُوْراً إِذَا لَمْ يَسُرَّ القَرَارُ
أَرَتْكَ صُرُوفُ النَّوَىٰ بِالشَّآمِ … نَوَائِبَ لَمْ يُغْنِ مِنْهَا حِذَارُ
فَإِنَّ سُهَادَكَ فِيْهَا كَثِيْرٌ … وَإِنَّ رُقَادَكَ فِيْهَا غِرَارُ
وَمَا إِنْ حَصَلْتَ عَلَىٰ طَائِلٍ … مُقِيْمَ التَّثَبُّطِ وَالإِصْطِبَارِ

فَـلاَ صَـاحِـبٌ حَـافِـظٌ لِلْعُهُـوْدِ ... وَلاَ مَـنْ يُقَـالُ لَـدَيْـهِ العِثَـارُ
وَكَلْـبٍ تَعَـرَّضَ لِـيَ نَـابِحـاً ... وَإِنَّ دَوَاءَ الكِـلاَبِ الحِجَـارُ
طَغَـى أَنْ صَبَـرْتُ عَلَـى شَـرِّهِ ... وَصَبْـرِيَ هَـوَانٌ بِـهِ وَاحْتِقَـارُ
/ ١٠٠أ/ وَلَـوْ كَـانَ ذَا شُهْـرَةٍ فِـي الـوَرَى ... لَعَـاجَلَـهُ مِـنْ يَـدَيَّ البَـوَارُ
هَمَمْـتُ بِـهِ ثُـمَّ أَلْفَيْتُـهُ ... حَقِيْـراً فَفَـاءَ إِلَـيَّ الـوَقَـارُ
مَتَـى مَـا يُجَـازِيْ الشَّـرِيـفُ الـوَضِيْـعَ ... فِـي الأَمْـرِ حَـاكَـى النِّجَـارَ النِّجَـارُ
عَلَـى أَنَّنِـي مِـنْ أُنَـاسٍ هُـمُ ... لَـدَى السِّلْـمِ مَـاءٌ وَفِـي الحَـرْبِ نَـارُ
فَيَـا ابْـنَ اللَّئِيمَـةِ مَـا قَـدْرُ مَـا ... يُغَـالِـبُ عَصْـفَ الـرِّيَـاحِ الغُبَـارُ
فَهَـلْ أَنْـتَ إِلاَّ الصُّـدَيْـرُ الَّـذِي ... لَـهُ العَـارُ فِـي وَاسِـطٍ وَالشَّنَـارُ
خَـدَمْـتَ المُغَنِّيْـنَ حَتَّـى كَبِـرْتَ ... وَكَـانَ شِعَـارُكَ بِئْـسَ الشِّعَـارُ
وَهَـا أَنْـتَ ذُوْ أُبْنَـةٍ لاَ يَـزَالُ ... يَكُـوْنُ بِهَـا حَيْـثُ كُنْـتَ الفِجَـارُ
وَهَـلْ كُنْـتَ فِـي جَمْـعِ قَـوْمٍ وَلاَ ... يَكُـوْنُ الجِـرَابُ عَلَيْهِـمْ يُـدَارُ
فَصَـارَ نَصِيْبُـكَ مِمَّـا يَـدِقُّ ... فَـذَلِـكَ مِـنْ غَيْـرِ خَمْـرٍ خُمَـارُ
عَجِبْـتُ لَعَمْـرِي لِتَفْضِيـلِ قَـوْمٍ ... مَقَـامُـكَ فِيهِـمْ عَلَـى القَـوْمِ عَـارُ
قَمَـرتَ بِـإِفْكِـكَ أَلْبَـابَهُـمْ ... وَدَاؤُكَ مُنْـذُ نَشَـأْتَ القِمَـارُ
فَظَنُّـوْكَ بَيْنَهُـمُ صَـالِحـاً ... وَأَنْـتَ حَلِيْـفُ المَخَـازِيْ قُـدَارُ(١)
وَنِلْـتَ بِجَهْلِـكَ فِـي بَلْـدَةٍ ... تَسَـاوَى الـرَّصَـاصُ بِهَـا وَالنُّضَـارُ
إِلَـى أَنْ دُعِيـتَ بِنَحْـوِيِّهَـا ... وَأَوْلَـى بِـذَا الإِسْـمِ مِنْـكَ الحِمَـارُ

/ ١٠٠ب/ وقال فيه أيضًا يهجوه: [من البسيط]

حَـوَى اللَّـآمَـةَ ثَـوْبٌ أَنْـتَ لاَبِسُـهُ ... وَبَـاءَ بِـالعَـارِ مَخْلُـوقٌ تُجَـالِسُـهُ
صُـدَيْـرُ أَنْـتَ الَّـذِي لَـو قِيْـسَ مِـنْ شَبَـهٍ ... لَمَّـا تَعَـدَّى حِمَـاراً مَـنْ يُقَـايِسُـهُ
سَمْـحُ القَفَـا لاَ يَـرُدُّ السَّـائِلِيْـنَ وَإِنَّ ... يَـرْكَـبْ عَلَـى الأَيـرِ يَـوْمًـا فَهْـوَ فَـارِسُـهُ
يَـذِلُّ جُبْنًـا فَـإِنْ . . . . مِـنْ دَرِّهِ ذَلَّ عَنْـهُ مَـنْ يُمَـارِسُـهُ
مَـا إِنْ يُـلاَمُ عَلَـى فَحْشَـاءَ يَفْعَلُهَـا ... بِطِيْـبِ فَـرْعٍ إِذَا طَـابَـتْ مَغَـارِسُـهُ

---

(١) قدار: عاقر الناقة.

وقال فيه أيضًا، وهو يرقص: [من الرجز]

أُنْظُرْ إِلَىٰ فِعْلِ الصُّدَيْرِ الَّذِيْ ... بفعْلِهِ دَلَّ عَلَىٰ نَقْصِهِ
لَمَّا تَثَنَّىٰ بَيْنَنَا رَاقِصًا ... ذَكَرْتُ فِعْلَ الدُّبِّ فِي رَقْصِهِ
فَلاَ نَرَىٰ أَعْظَمَ مِنْ حُمْقِهِ ... وَلاَ نَرَىٰ أَحْقَرَ مِنْ شَخْصِهِ

وقال فيه يهجوه: [من الكامل]

مَا لِي غَفَلْتُ عَنِ الصُّدَيْرِ فَلَمْ يَزُرْ ... نَعْلِي قَفَا الكَلْبِ اللَّئِيمِ خَلاَئِقُهْ
حَسْبُ الخُمُوْلِ يَكُفُّنِي عَنْ صَفْعِهِ ... وَهَوَانِهِ فَسَرَتْ إِلَيَّ بَوَائِقُهْ
مَا إِنْ تُسَلِّمُهُ حَقَارَةُ قَدْرِهِ ... مِنِّي وَمَا لِلْكَلْبِ إِلاَّ خَانِقُهْ
إِنِّي امْرُؤٌ يُخْشَىٰ إِذَا مَا زَمْجَرَتْ ... سُحُبُ الحَقَائِدِ رَعْدُهُ وَبَوَارِقُهْ

/١٠١أ/ وقال فيه أيضًا: [من الكامل]

مَنْ يُبْلِغُ المَلِكَ المُعَظَّمَ بَعْدَ إِبْـ ... ـلاَغٍ إِلَيْهِ تَحِيَّةً وَسَلاَمَا
مِنْ عَبْدِهِ وَرَبِيْبِ نِعْمَتِهِ الَّذِيْ ... مَلأَ العِرَاقَ بِمَدْحِهِ وَالشَّامَا
إِنَّ الصُّدَيْرَ إِذَا سَأَلْتَ وَجَدْتَهُ ... يُلْغِي الجَمِيْلَ وَيَكْفُرُ الإِنْعَامَا
فَفِعَالُهُ يُنْبِي بِأَنَّ جُدُوْدَهُ ... وَأَبُوْهُ كَانُوا فِي الفِعَالِ لِئَامَا
قَدْ أَطْلَقَ الجَهْلُ المُضِلُّ لِسَانَهُ ... فِي الإِفْكِ حَتَّىٰ مَا يُفِيْقُ...
أَبَداً يُرَىٰ مِنْ نَحْوِ إِرْبِلَ ذَاكِراً ... أَشْيَاءَ تُحْدِثُ لِلْفَتَىٰ أَوْهَامَا

[٧٧٩]

مُحَمَّدُ بنُ عبد الرحيم بن عليِّ بن أبي منصور بنِ جعفر بنِ أحمدَ بنِ عَلِيِّ بنِ الحسينِ بنِ الحسنِ الهِيْتِيُّ الأنصَارِيُّ.

شاب قصير، أحمر اللون. زعم أنه من ولد قيس بن سعد بن عبادة.

وكانت ولادته بهيت في الثاني والعشرين من شعبان سنة ستمائة، ونشأ بالشام، وأصله من ديار مصر، يَشْعُر ويقصد الناس بشعره.

أنشدني لنفسه من قصيدة: [من الخفيف]

لَهْوَ قَلْبِي أَيْنَ الصَّدِيْقُ الصَّدُوْقُ ... لِيُوَالِي أَوِ الشَّقِيْقُ الشَّفِيْقُ

خَانَنِي فِيْهِمَا الزَّمَانُ فَحَالَفْـ ـتُ إنْفِرَادِيْ لَمَّا دَهَا التَّفْرِيْقُ
/١٠١ب/ فَذَرِ اللَّوْمَ يَا عَذُوْلِي عَلَى الوَحْـ ـدَةِ قَدْ دَلَّنِيْ لَهَا التَّوْفِيْقُ
كُلُّ خِلٍّ نَرَاهُ لَمْعُ سَرَابٍ يَتَرَاءَى لِلْعَيْنِ مِنْهُ بُرُوْقُ
إنْ يَكُنْ يَرْتَجِيْكَ فَهْوَ مُصَافٍ أَوْ تَكُنْ تَرْتَجِيْهِ فَهْوَ مَذُوْقُ
خَبُثَ الدَّهْرُ فَاجْتَنِبْهُ وَأَهْلِيْـ ـهِ فَمَا عِنْدَهُمْ لِخَيْرٍ طَرِيْقُ

ومن مديحها يقول:

.... مِنْ أَبِي السَّعَادَاتِ سَعْداً لَمْ يَشُبْهُ مَدَى الزَّمَانِ حَرِيْقُ
مَاجِدٌ إنْ عَرَاكَ خَطْبٌ يَكُنْ عَوْ نَكَ فِي كَشْفِهِ وَأَنْتَ.....
وَجَوَادٌ يَجْرِي بِرَاحَتِهِ بَحْـ ـرُ نَوَالٍ فِيْهِ الأَنَامُ غَرِيْقُ

[٧٨٠]

مُحَمَّدُ بنُ ياقوتِ بنِ أبي نصرِ بنِ المقلّدِ بنِ الحارثِ، أبو مُحَمَّدٍ.

زعم انهم يرجعون في النسب إلىٰ عبد القيس. وكان والده من المحرزة، أُخذ أبوه وعمه وعمته نهبًا، ووردوا الحلة المزيدية، بسقي الفرات، فأخذهم أبو الفضائل محمد بن خشرم ورباهم، فسمىٰ والده ياقوتًا، وسمىٰ عمّه لؤلؤاً، وسمّى عمته خيزرانًا.

وكان مولد محمد هذا بالعامرية من أرض العراق، بعد السبعين وخمسمائة، ونشأ بإربل، واعتنىٰ بسماع حديث /١٠٢أ/ رسول الله ﷺ فسمع كثيراً منه علىٰ المشايخ، الذين قدموا إربل.

أنشدني لنفسه: [من المتقارب]

وَقَالُوا: مَرَارَةُ هَذَا الغُرَابِ خِضَابٌ وَهَيْهَاتَ رَجْعُ الشَّبَابِ
يَعُوْدُ إذَا رَجَعَ القَارِظَانِ وَمَا لَهُمَا أَبَداً مِنْ إيَابِ
وَأَعْجَبُ مِمَّنْ يُحِبُّ الحَيَاةَ وَمِنْ دُوْنِهَا كُلُّ صَعْبٍ وَصَابِ
وَفِي عَصْرِنَا لاَ أَرَى مَنْ يَلَذُّ بِطِيْبِ الطَّعَامِ وَبَرْدِ الشَّرَابِ

[٧٨١]

مُحَمَّدُ بنُ مَكَارِمَ بنِ أَبي العلاءِ بنِ عليٍّ بنِ أبي العلاءِ بنِ مُحَمَّدٍ أَبو عبد الله.

زعم أنَّ جدّه أبا العلاء من قرية بدُجيل(١)، تُدعىٰ: «الداودية»، وانتقل إلىٰ نواحي إربل، وسكن قرية فيها، تعرف باللهثيَّة، فولد محمد بها، ونشأ وترامى إلىٰ نظم القريض، وقصد نهج الشعراء، فيما يتوخونه، ومدح. . . . ناحيته والمقدمين بها، ولم يكن يمتاح أحداً لرفده. وهو يتحرّىٰ من اللحن، ويعرف مواقع الخطأ في كلامه، ويقيم أوزان شعره.

أنشدني لنفسه، يمدح الصاحب شرف الدين أبا البركات المستوفي رحمه الله:

[من المنسرح]

/ ١٠٢ب/ رِفْقًا فَهَـذي الـرُّسُـوْمُ وَالطَّلَـلُ ... تُخْبِـرُ أَنَّ الأَحْبَـابَ قَـدْ رَحَلُـوا
وَقِـفْ مَعِـيْ بِـالـدِّيَـارِ نَنْـدُبُهَـا ... لَعَـلَّ بِـالنَّـوحِ تَـذْهَـبُ العِلَـلُ
أَمَـا تَـرَىٰ الـدَّارَ وَهْـيَ خَـالِيَـةٌ ... وَقَـدْ نَـأَتْ عَـنْ عِـرَاصِهَـا الحُلَـلُ
وَالبَيْـنَ قَـدْ شَـتَّ شَمْـلَ سَـاكِنِهَـا ... وَلِلْـرَّدَىٰ فِـي رُبُـوْعِهَـا عَمَـلُ
فَـالصَّبْـرُ مُـذْ حَيْـثُ فَـارَقُـوا رَحَلَـتْ ... جُيُـوْشُـهُ ثُـمَّ خُيِّـبَ الأَمَـلُ
فَبَعْـدَهُـمْ لاَ سَقَـىٰ العَقِيْـقَ حَيًـا ... وَلاَ جَـرَىٰ فِيْـهِ وَابِـلٌ هَطِـلُ
بَـانُـوا فَمِـنْ بَعْـدِ بَيْنِهِـمْ هَجَـرَتْ ... طِيْـبَ الكَـرَىٰ إِذْ بَـاعَـدُوْا المُقَـلُ
تَـاللهِ لَـوْ بَعْـضُ مَـا حَمَلْـتُ مِـنَ الـ ... ـوَجْـدِ بِـرَضْـوَىٰ تَضَعْضَـعَ الجَبَـلُ
مَـنْ قَيْسُ لَيْلَـىٰ، مَـنْ بِشْـرُ هِنْـدَ، وَمَـنْ ... عُـرْوَةَ، مَـنْ بَـدْرُ، نِعْـمَ مَـا فَعَلُـوا
أَنَـا الَّـذِيْ فِـي الغَـرَامِ هَـانَ عَلَـ ... ـيَّ المَـوْتُ إِنْ قَـاطَعُـوْا وَإِنْ وَصَلُـوا

ويقول في مديحها:

وَغَيْـرُ جُـوْدِ المَـوْلَـىٰ اللَّبِيْـبِ فَـلاَ ... يَحْسُـنُ فِيْـهِ المَـدِيْـحُ وَالغَـزَلُ
الفَـاضِـلِ المُنْعِـمِ السَّمُـوحِ وَمَـنْ ... عَطَـاءُ مَعْـنٍ فِـيْ جُـوْدِهِ وَشَـلُ

---

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (دجيل).

وَالأَرْيَحِيِّ الَّذِيْ مَكَارِمُهُ يَفْرُقُ مِنْهُنَّ السَّهْلُ وَالجَبَلُ
وَالكَامِلِ المَاجِدِ الخَلائِقِ وَالإِحْسَانِ مَا شَابَ جُوْدَهُ بَخَلُ
/ ١٠٣أ/ عَمَّتْ عَطَايَاهُ كُلَّ نَاحِيَةٍ وَسَارَ فِي جُوْدِهِ لَهُ المَثَلُ
إِمَامُ هَذَا الأَنَامِ فِي أَدَبٍ أَوْفَرُهُمْ نَائِلاً إِذَا بَذَلُوا
مَوْلايَ يَا أَوْحَدَ الزَّمَانِ نَدًى وَيَا جَوَاداً بَاهَتْ بِهِ الدُّوَلُ
يَا شَرَفَ الدِّيْنِ مُنْتَهَى أَمَلِي دُمْ فِي سُرُوْرٍ مَا سَارَتِ الإِبِلُ

وأنشدني لنفسه يتغزل: [من الرجز]

يَا قَمَراً أَرَاقَ دَمْعِي وَدَمِي ظُلْماً بِسَلْسَالِ الرُّضَابِ الشَّبِمِ
وَيَا غَزَالاً نَاظِرَاهُ سُلِّطَا عَلَى تَلافِ المُغْرَمِ المُتَيَّمِ
لَحْظُكَ أَمْضَى فِي القُلُوبِ فَتْكُهُ تَاللهِ مِنْ حَدِّ الحُسَامِ المِخْذَمِ
يَا مَنْ بِمَعْسُوْلِ اللُّمَا مِنْ رِيْقِهِ أَسْكَرَنِي وَزَادَ فِي تَأَلُّمِي
لَوْلاكَ مَا عَرَفْتُ مَا طَعْمُ الهَوَى يَا قَاتِلِي وَمُتْلِفِي وَمُسْقِمِي
أَفْدِيْكَ مِنْ بَدْرٍ دُجًى تَكَامَلَتْ أَنْوَارُهُ مِنْ لَجْبِ لَيْلٍ مُظْلِمِ
عَلَى قَوَامٍ كَالقَضِيْبِ أَهْيَفٍ رَيَّانَ مِنْ مَاءِ الصِّبَا مُنَعَّمِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من المنسرح]

مُهَفْهَفٌ كَالقَضِيْبِ مُعْتَدِلٌ فِي وَجْهِهِ لَمْحَةٌ مِنَ الحُوْرِ
كَأَنَّمَا الخَالُ فَوْقَ وَجْنَتِهِ نُقْطَةُ مِسْكٍ مِنْ فَوْقِ كَافُوْرِ

/ ١٠٣ب/ لما أنشدني أبو عبد الله هذين البيتين، قلت له: أخذت البيت الثاني من قطعة لشاعر، يعرف بابن الستري، من شعراء واسط، ويلقب بالخُفّ، ثم أنشدته الأبيات، وهي:

أَلجَوْرُ مَنْسُوْبٌ إِلَى الحُوْرِ عِذَارُهُ أَفْنَى مَعَاذِيْرِي
الجَوْرُ مِنْ حُكْمِ فَتًى جَائِرٍ مُنْتَسِبِ الجَدِّ إِلَى جُوْرِ
ذِي طُرَّةٍ طُيِّرَ عَقْلِي بِهَا وَشَارِبٍ أَخْضَرَ مَطْرُوْرِ
كَأَنَّمَا الخَالُ عَلَى خَدِّهِ نُقْطَةُ مِسْكٍ فَوْقَ كَافُوْرِ

فلما سمع هذه الأبيات، أقسم بالله أنّه لم يسمعها أبداً، فعجبت من اتفاق

خاطريهما على المعنى.

[٧٨٢]

مُحَمَّدُ بنُ منصور بن دبيس بن أحمدَ بنِ درْعٍ، أبو عبدِ اللهِ بنِ أبي المنى المعروفُ بابنِ الحَداد(١).

شاب خفيف اللحية لم تستتم، يعلو لونه صُفرة.

أخبرني أنه ولد سنة ثلاث وستمائة، صحب أبا إسحاق إبراهيم بن المظفر بن البَرْني الواعظ / ١٠٤أ/ وسمع عليه الأحاديث، وأخذ عنه شيئًا من الفصول الوعظيّة. وهو شاب ينسخ ويعظ ويشعر.

أنشدني لنفسه، يمدح مولانا المالك الملك الرحيم بدر الدنيا والدين، عضد الإسلام والمسلمين، شهريار الشام، بهلوان جهان ألب قتلغ طغرلتكين بُلكا أتابك أبا الفضائل نصير أمير المؤمنين ـ ثبّت الله دولته بمحمد وآله أجمعين ـ: [من البسيط]

بَـدْرٌ مَتَـىٰ قَـابَلَتْـهُ الشَّمْـسُ تَنْكَسِـفُ ... وَغُصْـنُ بَـانٍ لَـهُ مِـنْ قَـدِّهِ هَيَـفُ
رِيْـمٌ رَمَـىٰ لَحْظُـهُ عَـنْ قَـوْسِ حَـاجِبِـهِ ... سَهْمـاً يُصِيْـبُ الحَشَـا قَلْبِـيْ لَـهُ هَـدَفُ
فَـالـوَرْدَ مِـنْ خَـدِّهِ بـاللَّحْـظِ نَقْتَطِـفُ ... وَالخَمْـرَ مِـنْ رِيْقِـهِ المَعْسُـوْلِ نَـرْتَشِـفُ
مَـوْلاَيَ كُـلُّ جَمَـالِ النَّـاسِ مُتَّصِـفٌ ... إلاَّ جَمَـالَـكَ مِمَّـا لَيْـسَ يَتَّصِـفُ
كَـأَنَّ وَجْهَـكَ يَـا مَـنْ لا شَبِيْـهَ لَـهُ ... فِـي الحُسْـنِ صُبْـحٌ تَبَـدَّىٰ فَـوْقَـهُ سُـدفُ
مَـا بَـالُ جِيْـدِكَ عَنِّـي اليَـوْمَ مُنْعَطِفـاً ... وَالخَصْـرِ مِنْـكَ بِمَـرِّ الـرِّيْـحِ يَنْعَطِـفُ
تَهْـوَىٰ الصُّـدُوْدَ وَأَهْـوَىٰ الـوَصْـلَ يَـا أَمَلِـي ... فَنَحْـنُ مُـؤْتَلِـفٌ فِيْـهِ وَمُخْتَلِـفُ
يَا حَاضِراً فِي الحَشَا مُذْ غِبْتَ عَنْ بَصَرِي ... وَجْـدِي مُقِيْـمٌ وَصَبْـرِيَ عَنْـكَ مُنْصَـرِفُ
أُخْفِـي هَـوَاكَ وَفَـرْطُ الـوَجْـدِ يُظْهِـرُهُ ... وَأُنْكِـرُ الحُـبَّ وَالآمَـاقُ تَعْتَـرِفُ
لَـجَّ العَـوَاذِلُ فِـي عَـذْلِـيْ وَلَـوْ وَجَـدُوا ... لِبَعْـضِ وَجْـدِي عَلَيْـهِ فِـي الهَـوَىٰ تَلِفُـوا
/ ١٠٤ب/ لاَمُـوا وَقَـدْ عَلِمُـوا تَـرْكِـي مَلاَمَتَهُـمْ ... كَـأَنَّهُـمْ جَهِلُـوا بِـالعَـذْلِ مَـا عَـرَفُـوا

(١) توفي بعد سنة ٦٢٦هـ. ترجمته في: تأريخ إربل ١/ ٤٥٩.

يَا مَنْ كلفتُ بهِ طفلاً فَشَيَّبَنِي ... منهُ الصُّدُودُ ومنِّي الوَجْدُ والكَلَفُ
يَا مُمْرِضِيْ بالجَفَا أَنْتَ الطَّبِيْبُ فَعُدْ ... وَدَاوِنِي بوِصَالِي إِنَّنِي دَنِفُ
أَفْنَيْتُ فِيْكَ حَيَاةً مَا بَلَغْتُ بِهَا ... مِنْكَ المُنَى وزَمَانًا مَا لَهُ خَلَفُ
يَا مُنْيَةَ القَلْبِ كَمْ أَدْنُو وتُبْعِدُنِي ... حَتَّى مَتَى تَنْثَنِي عَنِّي وَتَنْحَرِفُ
أَسْرَفْتَ فِي الهَجْرِ إِفْرَاطًا كَرَاحَةِ بَدْ ... رِ الدِّيْنِ مِنْ شَأْنِهَا فِي بَذْلِهَا السَّرَفُ
مَلْكٌ سَجِيَّتُهُ بَذْلُ النَّدَى أَبَدًا ... فَكُلُّ جُوْدٍ تَعَدَّى جُوْدَهُ كَلَفُ
عَمَّ الوَرَى جُوْدُهُ الطَّامِي فَمَا أَحَدٌ ... إِلاَّ بِجُوْدِ نَدَى كَفَّيْهِ مُعْتَرِفُ
فَكُلُّ دَانٍ لَهُ مِنْ رِفْدِهِ طُرَفٌ ... وَكُلُّ قَاصٍ لَهُ مِنْ جُوْدِهِ تُحَفُ
بَحْرٌ خِضَمٌّ جَمِيْعُ النَّاسِ وَارِدُهُ ... فَكُلُّهُمْ صَادِرٌ عَنْهُ وَمُغْتَرِفُ
إِنْ قَايَسُوهُ بِعَمْرٍو فِي شَجَاعَتِهِ ... أَوْ حَاتِمٍ فِي النَّدَى ضَلُّوا بِمَا وَصَفُوا
كَأَنَّ كَفَّ المَنَايَا طَوْعُهُ فَلِذَا ... عُدَّتْ لأَرْوَاحِ مَنْ عَادَاهُ تَخْتَطِفُ
يَا مَنْ لَهُ ذَلَّتِ الأَبْطَالُ صَاغِرَةً ... وَالأَقْوِيَاءُ لَدَيْهِ هَيْبَةً ضَعُفُوا
يَا مَالِكًا طَاعَةُ الرَّحْمَنِ طَاعَتُهُ ... فِيْنَا نُقِرُّ بِهِ طَوْعًا وَنَعْتَرِفُ
للهِ سِرٌّ لَطِيْفٌ فِيْكَ أَوْدَعَهُ ... مَا فِيْهِ شَكٌّ وَلاَ رَيْبٌ وَلاَ خُلُفُ
/١٠٥أ/ يَا مَنْ تَعُمُّ عَلَى الدُّنْيَا مَوَاهِبُهُ ... وَمَنْ مَنَاقِبُهُ تُمْلَى بِهَا الصُّحُفُ
يَا دُرَّةً غُرَّةُ الأَيَّامِ فَاخِرَةٌ ... بِهَا فَكُلُّ الوَرَى مِنْ دُوْنِهَا صَدَفُ
جَلَّتْ صِفَاتُكَ عَنْ حَصْرِ الأَنَامِ فَعَنْ ... إِدْرَاكِ بَعْضِ مَعَانِي كُنْهِهَا صَدَفُوا
لاَزِلْتَ تَرْقَى بِجَدٍّ فِي صُعُوْدِ عُلاً ... مَادَامَتِ النَّيِّرَاتُ السَّبْعُ تَخْتَلِفُ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من مجزوء الخفيف]

يَا وَصُوْلِي وَمُصْرِمِي ... وَمُصِحِّي وَمُسْقِمِي
هَلْ تُرِيْحَنَّ مَنْ جَفَا ... كَ كَصَبٍّ مُتَيَّمِ
مُزِجَ الحُبُّ فِي هَوَا ... كَ بِلَحْمِي وَأَعْظُمِي
لاَ أُطِيْعُ العَذُوْلَ فِيْـ ... ـكَ وَأُصْغِي لِلُوَّمِي
فَتَكَتْ مُقْلَتَاكَ بِالْـ ... ـقَلْبِ فَتْكَ ابْنِ مُلْجَمِ
لَسْتُ مِنْ بَعْدِ فَتْكِهَا ... فِي الهَوَى بِالمُسَلِّمِ

ومنها:

هَلْ مُهِينِي بِهَجْرِهِ ... وَهْوَ بِالوَصْلِ مُكْرِمِي
بَانَ صَبْرِي بِبَيْنِهِ ... وَهْوَ بِالصَّبْرِ مُلْزِمِي
/ ١٠٥ب/ أَنْتَ بِالهَجْرِ قَاتِلٌ ... لامْرِىءٍ غَيْرِ مُجْرِمِ
أَيُّ قَاضٍ قَضَى وَأَفْـ ... ـتَاكَ فِي قَتْلِ مُسْلِمِ
أَوْ نَبِيٍّ مُشَرِّعٍ ... حَلَّ فِي شَرْعِهِ دَمِي
أَيْسَرُ الوَجْدِ فِي هَوَا ... كَ مِنَ الوَجْدِ مُعْدَمِي
يَا قَلِيلَ البُكَا عَلَيَّ كَثِيرَ التَّبَسُّمِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الطويل]

جَنَى وَتَجَنَّى فِي الهَوَى مَنْ أَلِفْتُهُ ... وَأَعْرَضَ عَنِّي لَيْتَهُ مَا عَرَفْتُهُ
جَفَا فَجَفَا جَفْنِي لَذِيذُ رُقَادِهِ ... حَبِيبٌ فَقَدْتُ الصَّبْرَ لَمَّا فَقَدْتُهُ
وَأَفْرَطَ فِي هِجْرَانِهِ وَمَلالِهِ ... بِلا سَبَبٍ مِنِّي وَجُرْمٍ فَعَلْتُهُ
وَأَسْلَمَنِي لِلنَّائِبَاتِ وَلِلأَسَى ... وَقَاطَعَنِي فِي الحُبِّ لَمَّا وَصَلْتُهُ
فَلَمَّا رَأَى وَجْدِي بِهِ وَصَبَابَتِي ... وَصِحَّةَ صِدْقِ الوُدِّ فِيمَا زَعَمْتُهُ
أَتَى زَائِراً مِنْ غَيْرِ سَابِقِ مَوْعِدٍ ... فَأَهْلاً بِهِ مِنْ زَائِرٍ لا عَدِمْتُهُ
فَبَاعَدَ عَنْ قَلْبِي الهُمُومَ بِقُرْبِهِ ... وَبَلَّغَنِي بِالوَصْلِ مَا كُنْتُ رُمْتُهُ

وأنشدني أيضًا لنفسه من أبيات: [من الخفيف]

/ ١٠٦أ/ هَاجَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الأَشْوَاقْ ... لِسَنًى لاحَ مِنْ .... العِرَاقْ
مَرَّ وَهْناً وَلَمْ يُلِمَّ بِصَبٍّ ... مُسْتَهَامٍ مُتَيَّمٍ مُشْتَاقِ
مُدْنَفٍ فَارَقَ الأَحِبَّةَ كَرْهاً ... فَهْوَ مِنْ بَعْدِ بُعْدِهِمْ فِي سِيَاقِ
كُلَّمَا فَرَّ وَجْدُهُ عَاوَدَتْهُ ... بُرَحٌ مِنْ لَوَاعِجِ الأَشْوَاقِ
قَدْ بَكَانِي العَذُولُ مِمَّا أُقَاسِي ... وَرَثَى لِي الحَسُودُ مِمَّا أُلاقِي
كَمَدِي فِيكُمُ قَدِيمٌ وَوُدِّي ... لَكُمُ دَائِمٌ عَلَى العَهْدِ بَاقِي

وأنشدني لنفسه، يعتذر عن الوداع: [من الطويل]

تُؤَنِّبُنِي لَمَّا تَرَكْتُ وَدَاعَهَا ... وَتُنْكِرُ مَا أَبْدَيْتُهُ مِنْ تَجَلُّدِي
تَقُولُ بِدَمْعِ العَيْنِ تَوْدِيعَ ذِي هَوًى ... عَلَى زَعْمِهِ حِلْفِ الصَّبَابَةِ مُكْمَدِ

فَقُلْتُ لَهَا: إنِّي جَزِعْتُ فَلَمْ أُطِقْ … وَدَاعًا لَهُ تَمْتَدُّ عِنْدَ النَّوَىٰ يَدِي
وَلَمْ أَدْرِ مِنْ وَجْدٍ وَفَرْطِ صَبَابَةٍ … أَفِي يَوْمِنَا هَذَا التَّفَرُّقُ أَمْ غَدِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الوافر]

رَمَتْنِي حِينَ صَدَّتْ بِالدَّوَاهِي … فَتَاةٌ أَمْرَضَتْنِي وَالدَّوَاهِي
فَتَاةٌ تُخْجِلُ الأَغْصَانَ قَدًّا … تقل بطلعة. . . .
لَهَا نَغَمٌ يَنُوبُ عَنِ المَثَانِي … وَيُغْنِي السَّمعَ عَنْ صَوْتِ المَلاَهِي
/١٠٦ب/ فَلَوْ نَادَتْ بِهِ مَيْتًا رَمِيمًا … أَجَابَ كَمَا يُجِيبُ نِدَا الإِلَهِ
تُخَالُ الشَّمْسُ إِذْ سَفَرَتْ لِمَيْلٍ … عَلَيْنَا طَالِعًا فِي نُونِ كَاهِي
تُفَوِّقُ أَسْهُمًا تُصْمِي الحَشَايَا … فَلَيْسَ لِرَمْيِهَا أَبَدًا تَنَاهِي
قَتِيلٌ لاَ يُقَادُ بِهَا قَتِيلٌ … فَبِالقَتْلَىٰ وَكَثْرَتِهِمْ تُبَاهِي
لَهَوْتُ بِهَا حَيَاتِي وَهْيَ عَنِّي … بِفَرْطِ الهَجْرِ وَالإِعْرَاضِ لاَهِي
تُعَاهِدُنِي فَلَمْ تَفِ لِي بِعَهْدٍ … أَنَا الوَافِي لَهَا بِالعَهْدِ لاَهِي
أُقَابِلُ عِزَّهَا مِنِّي بِذُلٍّ … كَمَا ذُلِّي تُقَابِلُهُ بِجَاهِ
إِذَا مَا اسْتَحْسَنَتْ عَيْنَايَ مَرْأًى … رَأَيْتُ خَيَالَهَا فِيهِ تُجَاهِي
فَرُكْنُ الوُدِّ مِنْ قَلْبِي مَشِيدٌ … لَهَا أَبَدًا وَرُكْنُ الصَّبْرِ وَاهِي
تَصُدُّ وَتَدَّعِي السُّلْوَانَ مِنِّي … فَكَيْفَ وَلِي عَنِ السُّلْوَانِ نَاهِي
وَكَمْ لَجَّ العَوَاذِلُ فِي هَوَاهَا … وَلاَمُوا بِالزَّوَاجِرِ وَالنَّوَاهِي
وَكَيْفَ الصَّبْرُ عَنْهَا وَالتَّسَلِّي … وَقَدْ مَلَكَتْ قِيَادِي وَالمُنَىٰ هِي
أَلاَ هِيَ لَيْسَ لِي عَنْهَا اصْطِبَارٌ … إِلَيْكَ المُشْتَكَىٰ مِنْهَا إِلَهِي

وأنشدني لنفسه مبدأ قصيدة: [من الكامل]

لَوْ أَنَّ طَيْفَكَ كَانَ مِنْ عُوَّادِهِ … مَا كَانَ قَدْ أَوْدَىٰ الهَوَىٰ بِفُؤَادِهِ
/١٠٧أ/ أَنْتَ الطَّبِيبُ فَدَاوِ مَنْ أَمْرَضْتَهُ … وَاعْطِفْ عَسَاهُ يَنَالُ بَعْضَ مُرَادِهِ
يَا أَيُّهَا الرَّشَأُ الَّذِي أَصْفَيْتُهُ … وُدِّي وَلَمْ يَسْمَحْ بِبَعْضِ وِدَادِهِ
أَنْتَ الَّذِي شَهَرَتْ لَوَاحِظُ طَرْفِهِ … عَضْبًا حِدَادُ البِيضِ دُونَ حِدَادِهِ
وَجَعَلْتَنِي حِلْفَ اشْتِيَاقٍ يَنْقَضِي … عُمُرِي وَلاَ يَأْتِي عَلَىٰ إِنْفَادِهِ
مَنْ مُنْصِفِي مِنْ ظَالِمٍ وَجَوَارِحِي … أَنْصَارُهُ وَالقَلْبُ مِنْ أَجْنَادِهِ

يُذْكي غَرامًا كُلَّ نارٍ أُجِّجَتْ ... بَيْنَ الضُّلُوعِ فَتِلْكَ قَدْحُ زِنادِهِ
طِيبُ الحَياةِ بِقُرْبِهِ وَوِصالِهِ ... وَالمَوْتُ مِنْ هِجْرانِهِ وَبِعادِهِ
غُصْنٌ وَما لِلْغُصْنِ مِثْلُ قَوامِهِ ... . يُزْرِي عَلَى مَيَّادِهِ

وأنشدني أيضًا قوله، من جملة أبيات أولها: [من البسيط]

تِهْ كَيْفَ شِئْتَ فَما لِيْ عَنْكَ مُصْطَبَرُ ... فَصَفْوُ عَيْشِيَ مُذْ فارَقْتَنِي كَدِرُ
عَنِيتَ بالهَجْرِ عَنْ وَصْلِي فَذُبْتُ أَسًى ... صِلْنِي فَإِنِّي إِلَى لُقْياكَ مُفْتَقِرُ
أَنْتَ الَّذِي تُخْجِلُ الأَغْصانَ قامَتُهُ ... وَإِنْ تَبَدَّى لِبَدْرِ التِّمِّ يَسْتَتِرُ
سَلَبْتَنِي النَّوْمَ فارْدُدْهُ عَلَيَّ عَسَى ... يَسْرِي الخَيالُ عَلَى كَسْرِي فَيَنْجَبِرُ

[٧٨٣]

مُحَمَّدُ بنُ يحيىٰ بنُ مَعَنَّصر / ١٠٧ب/ بن أبي مضر بنِ يُكساسَ بنِ عليِّ بنِ أبي عليٍّ، أبو عبدِ الله المغربيُّ القُسْنَطينيُّ(١).

هو من قُسَنْطِينَة الهوىٰ، من بلاد المغرب(٢).

شاهدته شابًا أسمر اللون، لطيف الخلقة، بمدينة إربل، في صفر سنة ثمان وعشرين وستمائة، متفقهًا وفيه ديانة وصلاح.

أنشدني لنفسه: [من الكامل]

إِنْ جُزْتَ بالعَرَصاتِ مِنْ يَبْرِينِ ... فاشْرَحْ غَرامًا كادَ أَنْ يَبْرِينِي
لأُهَيْلِ ذاكَ الحَيِّ وَابْثُثْ عِنْدَهُمْ ... وَجْدِي وَبَعْضَ صَبابَتِي وَأَنِينِي
وَقُلِ المُتَيَّمُ عَنْ هَواكُمْ ما سَلا ... دَنِفٌ وَبِالعَبَراتِ غَيْرُ ضَنِينِ
يَحْنِي جَوانِحَهُ عَلَى جَمْرِ الغَضا ... وَيَئِنُّ أَنَّةَ عاشِقٍ مَحْزُونِ
مُذْ حَلَّ بِالحَدْباءِ قَدْ عَلِقَ الضَّنَى ... بِفُؤادِهِ وَأُسِيغَ كَأْسَ مَنُونِ(٣)

(١) ترجمته في تأريخ إربل: ص٤٣٢ ـ ٤٣٣ وفيه: «التُلُكّاني الحمْيَري، ولد سنة ٦٠٤هـ» بقسنطينية الهوى.
(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (قسنطينية).
(٣) هذه الأبيات من قطعة في تأريخ إربل ص٤٣٢، قوامها ٧ أبيات.

وأنشدني أيضًا لنفسه : [من الكامل]

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا يَجِنُّ فُؤَادِيْ ... لأَخَذْتَ فِي وَصْلِيْ وَتَرْكِ عِنَادِيْ

لكِنَّ قَلْبَكَ مَا أَلَمَّ بِهِ الهَوَىٰ ... فَجَهِلْتَ مَا يَلْقَاهُ قَلْبِيْ الصَّادِيْ[(١)]

[٧٨٤]

مُحَمَّدُ بن مُحَمَّد بن يوسفَ /١٠٨أ/ بن قليج بن تكينَ خان بن محمودِ خَان، أبو عَبدِ الله الموصليُّ، المعروفُ بابنِ آيدغدي.

وقد تقدّم شعر أخيه[(٢)].

كانت ولادته، فيما أخبرني ـ من لفظه ـ يوم الثلاثاء سابع عشر ذي القعدة سنة تسع وخمسين وخمسمائة. وتوفي بالموصل يوم . . . . . .[(٣)] سنة ثلاثين وستمائة.

وكان جنديًا مُدّة، ثم ترك الجنديّة، ولبس الفُوط، ولزم الأثر، وسلك طريق التصوف، وتنقل في الأمصار، ومال إلىٰ مصاحبة أصحاب الأحوال والدين. وكان شيخًا، أشقر نقي الشيبة، عرضها ملء بدنه، مربوعًا.

أنشدني لنفسه : [من مجزوء الوافر]

سَقَىٰ الوَسْمِيُّ إذْ وَكَفَا ... زَمَانَ شَبِيْبَةٍ وَكَفَىٰ

مَضَىٰ وَمَضَىٰ لَذِيْذُ العُمْـ ... ـرِ فِيْهِ وَخَلَّفَ الأَسَفَا

فَكَمْ بَاكَرْتُ فِيْهِ الحَا ... نَ رَقَّ سُلَافُهَا وَصَفَا

مُدَامٌ تَسْتَبِيْحُ حِمَىٰ الـ ... ـهُمُومِ وَتُسْعِدُ الدَّنِفَا

أَطَالَ الوَاصِفَانِ لَهَا ... فَكَانَتْ فَوْقَ مَا وُصِفَا

---

(١) البيتان في تأريخ إربل ١/ ٤٣٣.

(٢) ترجم له المؤلف بعنوان (علي بن محمد بن يوسف . . . .) في الجزء الرابع برقم ٤٥٠.

(٣) بياض في الأصل.

[٧٨٥]

مُحَمَّدُ بنُ يونسَ بن أبي البركاتِ /١٠٨ب/ بنِ إبراهيمَ بنِ أبي القاسمِ، أبو عبدِ اللهِ الموصليُّ.

عنده طرف صالح من علم العربية، ويحفظ صدراً جيداً من الشعر الحسن، ويشعر. أقام بإربل مُدَّة، يمدح أهلها ويرتزقهم، فسئموهُ لكثرة إلحاحه وسؤاله إياهم.

وكان شابًا أسمر اللون، مقرون الحاجبين، رقيق الحال، مجازفًا صعلوكًا، وسخ الثياب، زري الهيأة، لا دين له، كثير الهذيان؛ وأكثر ما كان يحصل له من نفقة يخرجه على الصبيان. لقبه أهل إربل خمارويه، فبسط لسانه فيهم، وتناول بالتقطع أعراضهم؛ فبغضوه بغضًا شديداً، وكانت سيرته معهم سيرة غير جميلة.

أنشدني لنفسه، يمدح الصاحب شرف الدين أبا البركات المستوفي ـ أيده الله ـ ويذكر إنعامه عليه، بكسوة: [من الطويل]

أَلاَ أيُّهَذَا الصَّاحِبُ المُنْعِمُ الَّذِيْ ... تَجَمَّعَ فِيْهِ الفَضْلُ وَهْوَ مُفَرَّقُ
لَقَدْ نلْتَ مِنْ عِزِّ المَعَالِيْ مَكَانَةً ... تَسَامَتْ فَأَدْنَى شلْوِهَا لَيْسَ يُلْحَقُ
وَأَحْيَيْتَ مَيْتَ الجُوْدِ بَعْدَ مَمَاتِهِ ... وَمَسْكَنُهُ لَحْدٌ مِنَ الحُزْنِ ضَيِّقُ
فَهَا هُوَ بَاقٍ مَا بَقِيْتَ وَإِنَّهُ ... لَحَيٌّ عَلَىٰ مَرِّ الأَهِلَّةِ يُرْزَقُ
عُلاً . . . . لَقَدْ غَدَا ... كَأَنْ لَمْ يَكُنْ مَنٌّ [مِنَ] الدَّهْرِ يُخْلَقُ
/١٠٩أ/ وَعَطَّرْتَ نَشْراً كُلَّ طِيْبٍ يَحُدُّهُ ... وَيَحْصُرُهُ غَرْبٌ فَسِيْحٌ وَمَشْرِقُ
فَمَا الظَّنَّ بِالرَّوْضِ الأَنِيْقِ مُبَاكَراً ... بِقَطْرِ غَمَامَاتٍ وَبِالمِسْكِ يُسْحَقُ
وَحَلَّ حُلُولاً فِيْ عُرُوْقِكَ كُلِّهَا ... دَمٌ وَنَدَى فِيْهِ الرَّجَاءُ مُصَدِّقُ
وَإِجْمَاعُ مَنْ ضَمَّ الوُجُوْدُ وَمَنْ حَوَىٰ ... بِأَنَّ النَّدَىٰ مِنْ ذَلِكَ الدَّمِ أَسْبَقُ
مَتَىٰ أَمَّهُ القَوْمُ العُفَاةُ فَعَيْشُهُ ... عَلَىٰ أَرْضِ آمَالٍ لَهُمْ تَتَدَفَّقُ
أَمَوْلاَيَ . . . . أَوْلَيْتَنِي مِنْ مَضِيْعَةٍ ... بِأَطْوَاقِهَا جِيْدِيْ المُبِيْنُ مُطَوَّقُ
وَمِنْ بَعْضِهَا هَذَا الَّذِيْ أَنَا لاَبِسٌ ... أَيُنْكَرُ ضَوْءُ الصُّبْحِ وَالصُّبْحُ مُشْرِقُ!
أَلاَ إِنَّهُ ثَوْبٌ . . . . وَجُوْدُهُ ... عَلَيَّ بِمَا شَرَّفْتَنِي مِنْكَ يَنْطِقُ
تُطَرِّزُ طُرْزاً مِنْ عُلاَكَ جَمِيْلَةً ... لِمَنْظَرِهَا الأَوْفَى بَهَاءٌ وَرَوْنَقُ

وَلَـمْ يَـرَنـي إلاَّكَ مُـذْ كُنتُ عَـارِيـًا ... وَثَـوبـي عَلَـى مَـرِّ الـدُّهُـورِ مُمَـزَّقُ
فَمَـا وُفِّقُـوا أَنْ يَفْعَلُـوا مَـا فَعَلْتَـهُ ... لأَنَّـكَ مِـنْ دُونِ الجَميـعِ مُـوَفَّـقُ
فَـدُمْ لابسـًا ثَـوبَ البَقَـاءِ مُطَـرَّزًا ... بطـرزتنـا مَـا تعفَـى مُطَـوَّقُ

وأنشدني لنفسه: [من مجزوء الكامل]

قَسَمـًا بِصُبْـحِ جَبِيْنِـهِ ... وَبِلَيْـلِ طُـرَّةِ شَعْـرِهِ
وَبِطَـرْفِـهِ السَّـاجِـي الكَحِيْـ ... ـلِ وَمَـا حَـوَىٰ مِـنْ سِحْـرِهِ
/١٠٩ب/ وَبِخَـدِّهِ الضَّـرِجِ الأَسِيْـ ... ـلِ وَسَـالِفَيْـهِ وَنَحْـرِهِ
وَبِـرِيقِـهِ العَـذْبِ الشَّهِـ ... ـيِّ وعقـد لُـؤْلُـؤِ ثَغْـرِهِ
وَبِلِيْـنِ غُصـنِ قَـوَامِـهِ الـ ... ـغَضِّ الـرَّشِيْـقِ وَخَصْـرِهِ
إِنِّـي قَتِيْـلُ فِـي هَـوَا ... هُ بِسَيْـفِ مُـؤْلِـمِ هَجْـرِهِ
مَـا ضَـرَّهُ لَـوْ رَقَّ لِـي ... أَوْ فَكَّنِـي مِـنْ أَسْـرِهِ
حَـازَ القُلُـوبَ هَـوًى كَمَـا ... حَـازَ الجَمَـالَ بِـأَسْـرِهِ

وأنشدني أيضًا قوله: [من المديد]

مَـالِكِـيْ يَـا غَـوْثَ مُشْبِهِـهِ ... عَـزَّ عَـنْ كَـوْنٍ فَلَـمْ يَكُـنِ
غَنِـجٌ فِـي طَـيِّ نَـاظِـرِهِ ... سِـرُّ سِحْـرٍ شِيْـبَ بِـالفِتَـنِ
جَـلَّ عَـنْ عِلْـمٍ يُحِيْـطُ بِـهِ ... لِغَبِـيٍّ كَـانَ أَوْ فَطِـنِ
أَبَـداً مَـا زَالَ نَـاظِـرُهُ ... ذَاكَ وَسْنَـانًـا بِـلاَ وَسَـنِ
فَتَنَـتْ بِـالحُسْـنِ صُـورَتُـهُ ... كُـلَّ مَخْلُـوقٍ مَـدَىٰ الـزَّمَـنِ
حُسْنُـهُ أَعْـدَىٰ وَلاَ عَجَـبٌ ... كُـلَّ ظَبْـيٍ غَيْـرِهِ حَسَـنِ
كُـلُّ عَقَّـارٍ لَـهُ وَثَـنٌ ... وَهْـوَ فِـي دِيْـنِ الهَـوَىٰ وَثَنِـي

[٧٨٦]

مُحَمَّدُ بنُ مكيِّ بن عبد الملك /١١٠أ/ بنِ أبي حربِ بنِ حمدانَ أبو عبدِ الله الإربليُّ.

شاب أسمر، قصير، نزل الشيبُ بعارضيه.

أخبرني أنه ولد في أوائل سنة ثمان وتسعين وخمسمائة.

إعتنىٰ بسماع حديث رسول الله ﷺ، فرحل في طلبه إلىٰ بغداد سنة ثلاث عشرة وستمائة. وسمع رجال الحديث بها، وكتب عنهم.

ولقي في رحلته أصحاب أبي الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأرموتي، وأصحاب أبي بكر محمد بن عبيد الله بن نصر بن الزاغوني، وأصحاب أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري ـ قاضي البيمارستان ـ وأصحاب أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد السّلال الوراق، وغيرهم من هذه الطبقة بمدينة السلام.

وهو يسلك طريق التصوف، ويخالط المتصوفة والفقراء، ولم يكن أحد من أبناء جنسه يشابه حُسن خطه. وله أشعار في مديح، وغزل، وهجاء، وغير ذلك.

أنشدني لنفسه من قصيدة أولها: [من الخفيف]

غَيْرُ مُجْدٍ إنْ عَنَّفَ العُذَّالُ ... أَقْصَرُوا فِي مَلاَمِهِمْ أَوْ أَطَالُوا
أَنَا لاَ أَسْمَعُ المَلاَمَ وَلاَ يُو ... جَدُ عِنْدِيْ فِي حُبِّ حِبِّيْ مَلاَلُ
وَمُحَالٌ أَنْ يَسْمَعَ الهَجْرَ فِيْ الهَجْـ ... ـرِ مُحِبٌّ فَلاَ عَلَيْهِ الوِصَالُ
/١١٠ب/ يَا عَذُوْلِيْ نَكِّبْ هُدِيْتَ فَعِنْدِيْ ... قَدْ تَسَاوَىٰ فِيْهِ الهُدَىٰ وَالضَّلاَلُ
غَيْرَ أَنِّيْ أَلْتَذُّ ذِكْرَاهُ شَوْقَاً ... فَلِقَلْبِيْ لِذِكْرِهِ بَلْبَالُ
مُذْ جَفَانِيْ جَفَا الرُّقَادُ جُفُوْنِي ... فَاللَّيَالِي القِصَارُ فِيْهِ طِوَالُ
لَمْ تَدُرْ قَطُّ سَلْوَةٌ فِيْ ضَمِيْرِيْ ... وَلَيْتَ ذَاكَ يُنَالُ
وَقَلاَنِي دَمْعِيْ كَوَجْنَتِهِ الحَمْـ ... ـرَاءِ قَانٍ سَحَابُهُ هَطَّالُ
بِأَبِيْ ثُمَّ بِيْ وَأَهْلِيْ وَصَحْبِيْ ... أَهْيَفٌ لَحْظُ طَرْفِهِ بَتَّالُ
ذُوْ قَوَامٍ لَدْنٍ وَجَفْنٍ سَقِيْمٍ ... ذَا اعْتِدَالٌ بِهِ وَهَذَا اعْتِلاَلُ
مُخْطَفُ الخَصْرِ أَهْيَفٌ حَصْرُ الرِّيْـ ... ـقِ سُلاَلٌ بِذَا وَذَا سَلْسَالُ

ومن مديحها قوله:

فَهْوَ مَالٌ لِمَنْ يَرُوْمُ نَدَاهُ ... وَهْوَ لِلذُّخْرِ وَالطَّرِيْدِ مَآلُ
وَهْوَ رَبُّ العِرْضِ المَصُوْنِ وَلَكِنْ ... عَرَضُ المَالِ مِنْ يَدَيْهِ يُذَالُ

وأنشدني لنفسه من أخرىٰ: [من الكامل]

أَغْرَىٰ مَلاَمُكَ مُسْتَهَاماً مُغْرَماً ... لَمَا ذَكَرْتَ حَدِيْثَ سُكَّانِ الحِمَىٰ

وَقَدَحْتَ مِنْ زَنْدِ المَلَامِ . . . . نَاراً تَزِيْدُ مَدَىٰ الزَّمَانِ تَضَرُّمَا

ومنها قوله :

/ ١١١أ/ يَا شَاكِيَ اللَّحَظَاتِ دُوْنَكَ أَعْزَلاً مَنْ صَبْرِهِ لَمَّا جَفَوْتَ مُتَيَّمَا
يَجِدُ الحَيَاةَ بِغَيْرِ قُرْبِكَ مَغْرَمًا وَالقَتْلَ مِنْكَ لَدَىٰ التَّوَصُّلِ مَغْنَمَا
قَطَّعْتَ بِالهِجْرَانِ حَبَّةَ قَلْبِهِ فَعَسَىٰ يَصِيرُ لِيَ التَّدَانِي مَرْهَمَا

وأنشدني لنفسه، ما كتبه إلىٰ النقيب محيي الدين أبي طاهر حيدر الحُسيني الموصلي ـ أدام الله إقباله ـ: [من السريع]

مَوْلَايَ مُحْيِي الدِّيْنِ يَا مَاجِداً فَاقَ جَمِيْعَ الخَلْقِ إِحْسَانَا
وَمَنْ إِذَا مَا فَاهَ مِنْ نُطْقِهِ يُعْجِزُ بِالتِّبْيَانِ سَحْبَانَا
أَخْلَاقُكَ الغُرُّ الَّتِيْ قَدْ صَفَتْ عَنْ كَدَرِ الشُّبْهَةِ إِيْمَانَا
لَمْ قَبِلَتْ مُذْ قَ كَذُوْبٍ سَعَىٰ زُوْراً وَتَحْرِيْفاً وَبُهْتَانَا
مَوْلَايَ إِنَّ الدَّهْرَ قَدْ حَطَّ مِنْ قَدْرِيْ فَسَاداً لِيْ وَعُدْوَانَا
مَالَ لَجَاجاً كَيْ يَذِلَّ الأُلَىٰ . . . .
وَقَالَ قَوْلاً أَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَأَسْأَلُ الرَّحْمَنَ غُفْرَانَا
وَهْوَ بِضِدِّ العَقْلِ يُغْرِيْ الَّذِيْ يُبْدَىٰ إِلَىٰ الحِلْمِ وَقَدْ مَانَا
فَهَذِهِ حَالُ امْرِىءٍ خَانَهُ زَمَانُهُ سِرّاً وَإِعْلَانَا
/ ١١١ب/ أَفْرَدَهُ بِالرُّغْمِ عَنْ صَحْبِهِ وَعَنْ ذَوِيْهِ الزُّهْرِ طُغْيَانَا
وَالآنَ وَفَّيْتُ [إِلَىٰ] صَاحِبٍ بِصَرْفِ صَرْفِ الدَّهْرِ إِذْ خَانَا
وَقَدْ تَخَيَّلْتُ نَجَاحِيْ بِهِ إِذْ أَنْتَ أَوْلَىٰ عَنْهُ مَنْ صَانَا
فَاسْلَمْ وَدُمْ فِيْ غِبْطَةٍ لَاتَنِيْ مَا غَرَّدَ القُمْرِيُّ أَلْحَانَا

وقال أيضًا : [من الكامل]

أَرَجُ النَّسِيْمِ سَرَىٰ بِعَرْفِ البَانِ فَأَثَارَ وَجْدِيْ نَشْرُهُ وَشَجَانِيْ
أَهْدَىٰ السُّرُورَ شَذَاهُ لَمَّا أَنْ سَرَىٰ وَانِيْ الخُطَىٰ سَحَراً لِقَلْبِيْ العَانِيْ
وَرَوَىٰ حَدِيْثَ الرَّوْضِ يَسْنِدُ رَيَّهُ مُتَوَاتِراً عَنْ مُرْسَلِ الهَتَّانِ
وَافَىٰ مُعَنْبَرُهُ الذَّكِيُّ مُقَدِّمًا جَيْشَ الرَّبِيْعِ مُبَشِّراً بِأَمَانِ

وَتَرَنَّمَتْ عُجْمُ الطُّيُوْرِ فَأَفْصَحَتْ ... بِغَرَائِبِ الأَلْحَانِ فِي الأَغْصَانِ
وَالظِّلُّ يَنْثُرُ دُرَّهُ فِي دَوْحِهَا ... فَبِكُلِّ فَرْعٍ مِنْهُ عَقْدُ جُمَانِ
فَحَدَائِقُ الأَزْهَارِ مِنْ نُوَّارِهَا ... قَدْ أَحْدَقَتْ بِغَرَائِبِ الأَلْوَانِ
مِنْ أَخْضَرٍ خَضِلٍ وَأَصْفَرَ فَاقِعٍ ... فِي أَبْيَضٍ يَقَقٍ وَأَحْمَرَ قَانِي
وَالنَّرْجِسُ الغَضُّ المُضَعَّفُ نَاظِرٌ ... نَحْوَ البَنَفْسَجِ لِطَيْرِهِ الوَلْهَانِ
وَالجَدْوَلُ المَوَّارُ يُرْعَدُ خِيفَةً ... مُذْ سَلَّ فِيهِ البَرْقُ عَضْبَ يَمَانِي
/ ١١٢أ/ حُفَّتْ حَوَاشِيهِ بِوَشْيِ جَوَاهِرِ الـ ... ـمَنْثُوْرِ فِي قِطَعٍ [مِنَ] الرَّيْحَانِ

وله: [من الكامل]

هَلْ لِلْمُتَيَّمِ وَالمَطِيُّ تُسَاقُ ... مِنْ رَاحِمٍ أَمْ لِلِّقَاءِ وِفَاقُ ؟
ظَعَنَ الفَرِيْقُ فَمَا البَقَاءُ بِنَافِعٍ ... مِنْ بَعْدِهِمْ . . . . بَرَاهُ فِرَاقُ
سَفَحَتْ نَجِيْعاً مِنْ جُفُونِيَ إِذْ سَرَوا ... فِي سَفْحِ رَامَةَ دَمْعُهَا الآمَاقُ(١)
لَمَّا اسْتَقَلَّ بِهَا الحُدَاةُ تَنُصُّهَا ... أَوْدَى بِهَا الوَخْدَانُ وَالإِعْنَاقُ(٢)
عَرَقَ الوَجِيفُ لُحُومَهَا بِمَدَى السُّرَى ... فَدِمَاؤُهَا بِيَدِ الذَّمِيلِ تُرَاقُ
فَكَأَنَّمَا الأَرْسَانُ مِنْ جَذْبِ البُرَى ... مَخْبُوءَةٌ فِي مِثْلِهَا الأَعْنَاقُ
فَغَدَتْ تَمِيلُ مِنَ الكَلالِ نَحَافَةً ... إِذْ حُمِّلَتْ مَا لاَ يَكَادُ يُطَاقُ
وَبِأَيْمَنِ العَلَمِ المُطِلِّ عَلَى الحِمَى ... رَشَأٌ لَهُ حَبُّ القُلُوبِ نِطَاقُ
كَالبَدْرِ إِلاَّ أَنَّهُ فِي تَمِّهِ ... لاَ يَعْتَرِيهِ لَدَى الكَمَالِ مُحَاقُ
بَهَرَ الدُّجَى فَرْعاً وَأَزْرَى بِالضُّحَى ... مِنْ نُوْرِ بَهْجَةِ وَجْهِهِ إِشْرَاقُ
حَازَ القُلُوبَ لَهُ الجَمَالُ فَمَا لَهَا ... مِنْ أَسْرِهِ طُوْلَ المَدَى إِطْلاَقُ

وله: [من الطويل]

أَرَاقَ دَمِي بَيْنَ الرُّبَى وَالمَعَالِمِ ... تَذَكُّرُ أَيَّامٍ مَضَتْ كَالمَوَاسِمِ
/ ١١٢ب/ تَقَضَّتْ حَمِيدَاتٍ بِصُحْبَةِ مَعْشَرٍ ... شَذَا ذِكْرِهِمْ بَيْنَ الوَرَى كَاللَّطَائِمِ
أَسُكَّانَ نَجْدٍ إِنَّ مُضْنَاكُمُ غَدَا ... بِكُمْ مُفْرَداً مَا إِنْ لَهُ مِنْ مُسَاهِمِ

---

(١) النجيع: الدم.
(٢) الوخدان والأعناق والوجيف والذميل: ضروب من السير.

تَـوَحَّـدَ فيكُـمْ حُبُّـهُ عَـنْ مُشَـارِكِ .... ومُـزَاحِـمِ
إذَا هَـبَّ مِـنْ تلْقَـائكُـمْ نَشْـرُ نَسْمَـةً جَـرَتْ عَبَـرَاتـي كَـالغُيُـوْث السَّـوَاجِـمِ
وَيَخْفـقُ قَلْبِـيْ إنْ سَـرَىٰ البَـرْقُ خَـافقـاً وَمَـا ذَاكَ إلاَّ أَنَّـهُ كَـالمَيَـاسِـمِ
هَبُـوا الصَّـبَّ رُشْـداً مِـنْ صبَاحِ لقَـاكُـمُ فَقَـدْ ظَـلَّ فِـي لَيْـلِ مِـنَ البُعْـدِ عَـاتِـمِ
وَقَـدْ أَخَـذَتْ منْـهُ التَّنَـائـفُ حَقَّهَـا بـوَخْـدِ المَهَـارَىٰ وَالمَطـيِّ الـرَّوَاسِـمِ(١)
فَعَهْـدُ الصِّبَـا وَلَّـىٰ وَعَهْـدُ وِصَـالِكُـمْ كَـأَنَّمَـا كَـانَـا كَـأَحْـلاَمِ نَـائِـمِ
وَانَّهُمَـا كَـانَـا أَلَـذَّ مِـنَ المُنَـىٰ وَأَحْلَـىٰ مِـنَ التَّهْـوِيْـمِ فِـي جَفْـنِ نَـائِـمِ

وله : [من مجزوء الكامل]

عَـرْفَ النَّسِيْـمِ عَسَـاكَ تَشْـرَحْ خَبَـرِيْ بلُطْـفِ حيْـنَ تَسْـرَحْ
وَتُبَلِّـغُ الأَشْـوَاقَ فِـي ضِمْـنَ السَّـلاَمِ لَهُـمْ وَتَنْضَـحْ
قُـلْ ذَاكَ مُضْنَـاكُـمْ غَـدَا بِـالـوَجْـدِ وَالبُـرَحَـاءِ مُطْـرَحْ
وَإِلَيْكُـمْ إنْسَـانُـهُ مَـازَالَ بِـاللَّحظَـاتِ يَطْمَـحْ
يَـأبَـىٰ خَـلاَئِـقَ حَـالِـهِ فَـإلَـىٰ مَ بِـالهِجْـرَانِ تَسْمَـحْ
/١١٣أ/ وَمَنَحْتَـهُ الصَّـدَّ المُـذِيْـ ـبَ وَمَـنْ سِـوَاهُ الـوَصْـلَ تَمْنَـحْ
وَيَجُـدُّ فِيْـكَ غَـرَامُـهُ وَبِـهِ طَـوَالَ الـدَّهْـرِ تَمْـزَحْ
يَـا عَـاذِلاً فِيْـهِ قُبْحُـ ـتَ وَوَجْـهُ عَـذْلِـكَ منْـهُ أَقْبَـحْ
اللَّـوْمُ يَنْجَـحُ فِـي فَتًـى بَحْـرُ الغَـرَامِ عَلَيْـهِ يَطْفَـحْ
وَلَئِـنْ تَجَنَّـىٰ أَوْ جَنَـىٰ فَـالقَلْـبُ عَنْـهُ لَيْـسَ يَبْـرَحْ
مَـازِلْـتُ أَكْتُـمُ جَمْـرَةَ الـ ـبُـرَحَـاءِ فِـي صَـدْرِي وَتَلْفَـحْ
حَتَّـىٰ تَبَـدَّىٰ فِـي العِـذَا رِ عَلَـىٰ صَفَـا الخَـدِّ المُلَـوَّحْ
فَـأَذَعْـتُ تَبْـرِيْحـيْ وَقَـدْ بَـرِحَ الخَفَـاءُ بِـهِ وَبَـرَّحْ
طَـرْفِـي غَـدَاةَ تَـرَحُّلِـي لاَزَالَ بِـالعَبَـرَاتِ يَسْفَـحْ

---

(١) التنائف : جمع تنوفة وهي المفازة.

[٧٨٧]

مُحَمَّدُ بنُ الحُسين بن أبي بكرِ بنِ الحسنِ بنِ أحمدَ، أبو الحسينِ ألشُروبيُّ النتاجُ المَوصَليُّ.

المعروف بشاعر الصحابة؛ لأنه استفرغ معظم أشعاره في صحابة رسول الله ﷺ.

وكانت ولادتهُ في سنة تسع وسبعين وخمسمائة.

وهو شاعر أميّ لم يعرف الخط /١١٣ب/ ولا القراءة، وله شعر كثير في الصحابة وأهل البيت ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ يقوله بصحة طبعه، وسلامة غريزته، وأنشأ مقامةً سمّاها: «روضة المناظر ورياضة الخاطر»، أودعها نكتًا لطيفة، ومُلحًا طريفة.

أنشدني لنفسه، يمدح صحابة رسول الله ﷺ، ورضي الله عنهم أجمعين ـ:

[من الكامل]

يَا دِمْنَتَيْنِ لِزَيْنَبٍ وَرَبَابِ ... أَسْقَيْتُمَا صَابًا فُؤَادِيْ الصَّابِيْ
كَمْ لِيْ أُبثُّ الوَجْدَ فِيْ ظِلَّيْكُمَا ... فَعَسَاكُمَا أَنْ تَأْذَنَا بِجَوَابِيْ
أَنْكَرْتُمَا حَالِيْ وَقَدْ عَايَنْتُمَا ... مِنِّيْ المَشِيْبَ مُبَرْقِعًا بِخِضَابِ
هَيْهَاتَ بِالتَّعْلِيْلِ تُبْرَأُ عِلَّتِيْ ... وَيَعُوْدُ لِيْ زَمَنُ الصِّبَا بِتَصَابِيْ
نَزَلا بِقَلْبِيْ المُفْجَعَانِ كِلاَهُمَا ... فَقْدُ الشَّبَابِ وَفُرْقَةُ الأَحْبَابِ
يَا صَاحِبِيْ إِنْ لَمْ تَكُنْ عَوْنًا عَلَى ... حُكْمِ الهَوَىٰ مَا أَنْتَ مِنْ أَصْحَابِيْ
ذَرْنِيْ وَمَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحِيْ ... وَتَرَائِبِيْ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَتْرَابِيْ
كَمْ ذَا تُجَرِّعُنِيْ المَلاَمَ أَمَا كَفَىٰ ... مَا احْمَرَّ مِنْ مَاءِ الجُفُوْنِ شَرَابِيْ
طَالَتْ لَيَالِيْ الهَجْرِ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ ... فَكَأَنَّمَا أَضْحَيْنَ كَالأَحْقَابِ
وَتَرَىٰ الخَيَالَ وَقَالَ عِنْدَ رَحِيْلِهِمْ ... قَوْلاً أَنِسْتُ بِهِ الغَدَاةَ عِتَابِيْ
/١١٤أ/ أَسْقِيْكَ مِنْ مَاءِ الجُفُوْنِ لَعَلَّهُ ... تُبْدِيْهِ مِنْ فَرَحٍ لِيَوْمِ إِيَابِ
مِنْ كُلِّ فَاتِنَةٍ بِطَرْفٍ فَاتِرٍ ... قَتَلَتْ بِسَيْفِ اللَّحْظِ فِي الأَعْرَابِ
قَطَعُوا القِفَارَ فَأَقْفَرَتْ مِنْ بَعْدِهِمْ ... وَمِنَ الدِّيَارِ وَقُطِّعَتْ أَنْيَابِيْ

وَتَيَمَّمُوا شَيْحَ العُذَيْبِ وَمَا دَرَوا ... أَنَّ العُذَيْبَ مُوَكَّلٌ بِعَذَابي
وَفَلَى الفَلاةَ بِكُلِّ حَرْفٍ جَسْرَةٍ ... تُطْوَى لَهَا البَيْدَاءُ طَيَّ كِتَابِ
يَبْغُونَ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... مَوْلَى ذَخَرْتُ وَلاءَهُ لِحِسَابي
مَوْلَى إِذَا الجُهَّالُ عَافُوا فَضْلَهُ ... نَطَقَتْ بِسُؤْدُدِه ذَوُو الأَلْبَابِ
لَزِمَ النَّبِيُّ بِكَفِّهِ بَيْنَ المَلا ... وَأَقَامَهُ لِلنَّاسِ فِي المِحْرَابِ
سَمَّاهُ صِدِّيقاً وَأَعْمَلَ رَأْيَهُ ... يَوْمَ التَقَى الجَمْعَانِ بِالأَحْزَابِ
خُلِقَا جَمِيعاً مِنْ تُرَابٍ وَاحِدٍ ... وَتَلَحَّفَا مَوْتاً بِفَرْدِ تُرَابِ
هَذَا الفُرَاتُ العَذْبُ . . . . مِنَ الظَّمَا ... . لِمَعِ سَرَابِ
وَاخْطُبْ غَداً دَارَ النَّعِيمِ مُخَلَّداً ... فِيهَا بِحُبِّ سُلالَةِ الخَطَّابِ
مَوْلَى تَجَلْبَبَ بِالتُّقَى دُونَ الوَرَى ... فَجَعَلْتُ عَقْدَ وَلائِهِ جِلْبَابي
وَلَهُ الفَضِيلَةُ بِالحِجَابِ لِنِسْوَةِ الـ ... ـمُخْتَارِ حَتَّى . . . .
إِنْ كَانَ دَأْبَ المُلْحِدِينَ هِجَاؤُهُ ... فَلَقَدْ جَعَلْتُ لَهُ المَدَائِحَ دَابي
/ ١١٤ب/ وَلأَصْحَبَنَّ الرَّكْبَ حُسْنَ تَحِيَّةٍ ... تَنْجُو بِهَا عِنْدَ الصِّرَاطِ رِكَابي
لِقِبَابِ عُثْمَانَ الشَّهِيدِ لأَنَّهُ ... نُورٌ تَبَرْقَعَ عَنْهُمُ بِقِبَابِ
قَصَدُوهُ بِالسَّهْمِ المُمِيتِ جَهَالَةً ... وَتَأَوَّلُوا عَنْهُ بِغَيْرِ صَوَابِ
جَادَتْ أَنَامِلُهُ بِمَا ضَنُّوا بِهِ ... حَتَّى دُعِي بِالمَاجِدِ الوَهَّابِ
وَلَقَدْ ذَخَرْتُ مَدَائِحاً فِي حَيْدَرٍ ... تُنْفَى الظُّنُونُ بِهَا عَنِ المُرْتَابِ
بَابٌ لِدَارِ العِلْمِ يَا طُوبَى لِمَنْ ... عَلِقَتْ يَدَاهُ بِحُبِّ ذَاكَ البَابِ
أَعْطَاهُ رَبُّ العَرْشِ مِنْهُ فَضِيلَةً ... قَصُرَتْ لِكَتْبَتِهَا يَدُ الكُتَّابِ
خَطْبٌ يَخَافُ المَوْتُ مِنْ سَطَوَاتِهِ ... فِي يَوْمِ مُعْتَرَكٍ وَيَوْمِ خِطَابِ
وَلَهُ اتِّصَالا نِسْبَةٍ وَوِلادَةٍ ... بِأَعَزِّ مُنْتَقَلٍ مِنَ الأَصْلابِ
نَسَبٌ بِمَوْلِدِه العَرِيقِ وَوُلْدِهِ ... نَسَبٌ يَفُوقُ بِهِ عَلَى الأَنْسَابِ
وَبِحُبِّهِمْ يَرْجُو الأَدِيبُ تَخَلُّصاً ... فِي عَصْرِه مِنْ سَيِّىءٍ كَذَّابِ
طَالَتْ بِهِ أَيْدِي الضَّلالِ كَمَا بِهَا ... قَصُرَتْ يَدُ الأَزْلامِ وَالأَنْصَابِ

وأنشدني لنفسه، يمدح الصاحب شرف الدين أبا البركات المستوفي ـ أيده الله :

[من الكامل]

رَبْعٌ كَسَتْهُ يَدُ الغَمَامِ رَبِيْعَا — وَدَعَا فَلَبَّاهُ النَّسِيمُ مُطِيْعَا
/١١٥أ/ وَسَرَتْ إِلَيْهِ مِنَ الجَنُوبِ جَنَائِبٌ — نَشَّرْنَ رَايَاتِ الرِّيَاضِ جَمِيْعَا
وَتَنَفَّسَتْ سَحَرًا رُبَاهُ فَعَلَّمَتْ — نَشْرَ الرَّبِيْعِ وَغَيْرَهُ التَّضْوِيْعَا
وَهَمَتْ عَلَيْهِ مِنَ البِحَارِ سَحَائِبٌ — مِنْ كُلِّ جَوْهَرَةٍ تَسُحُّ دُمُوعَا
وَرَأَى البَنَفْسَجَ ضَوْءَ بَرْقٍ خَالَهُ — عَضْبًا بِأَذْيَالِ السَّحَابِ لَمُوعَا
خَافَ . . . . بِالحُسَامِ فَصَاغَ مِنْ — قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ لِلِّقَاءِ دُرُوعَا

ومنها في المديح:

وَلَقَدْ طَفِقْتُ مُسَائِلاً مِنْ بَعْدِ مَا — جُرِّعْتُ سُمَّ الحَادِثَاتِ نَقِيْعَا
عَنْ زَاخِرٍ عَذْبِ الوُرُوْدِ وَشَامِخٍ — أَضْحَى عَنِ اللاَّجِيْ إِلَيْهِ مَنِيْعَا
أَوْ كَعْبَةٍ لِلقَاصِدِيْنَ فَلَمْ أَجِدْ — إِلاَّ ابنَ مَوْهُوبٍ لِتِلْكَ جَمُوْعَا
وَدَعَاهُ أَهْلُ الرُّشْدِ لَمَّا عَايَنُوا — شَرَفًا بِهِ . . . . مُرِيعًا
مَنْ يَشْتَرِيْ طِيْبَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ — وَسِوَاهُ ظَلَّ بِضِدِّ ذَاكَ مَبِيْعَا
للهِ كَمْ مَيْتٍ ثَوَى مِنْ فَاقَةٍ — دَهْرًا فَأَحْيَاهُ نَدَاهُ سَرِيْعَا

وكتب إليه أيضًا: [من المنسرح]

يَا شَرَفَ الدِّيْنِ إِنَّنِي رَجُلٌ — مَا دَارَ فِي خَاطِرِيْ وَلاَ حِسِّيْ
أَنَّكَ يَا عُدَّتِيْ وَيَا أَمَلِيْ — تَجْعَلُنِيْ كَالمُقِيْمِ فِي الحَبْسِ
/١١٥ب/ أَظَلُّ أَشْكُو إِلَيْكَ مِنْ نَفَرٍ — كُلِّ مَرِيْدٍ فِي صُوْرَةِ الإِنْسِ
إِنَّ عِيَالِيْ أَتَوا عَلَى أَثَرِيْ — وَأَصْبَحُوا فِي طَرِيْقِهِمْ عُرْسِيْ
أَقْسَمْتُ بِالمُصْطَفَى وَعِتْرَتِهِ — أَئِمَّةٌ صُوِّرُوا عَلَى الكُرْسِيْ
عَلَيَّ دَيْنٌ وَلَيْسَ لِيْ ذَهَبٌ — كَلاَّ وَلاَ قُدْرَتِيْ عَلَى فَلْسِ
فَكَانَ هَذَا جَزَاءَ مَدْحِكُمُ — أُصْبِحُ بِالذُّلِّ مِثْلَمَا أُمْسِيْ
أَوْ كَيْفَ . . . فِيْمَنْ فَضَائِلُهُ — أَشْرَفُ شَيْءٍ يَحُلُّ فِي طِرْسِ
حَرَامٌ بِخْتِيْ فَلَوْ ضَرَبْتُ بِهِ — بَحْرًا شَكَا قَعْرُهُ مِنَ اليَبَسِ

وكتب إليه أيضًا: [من الطويل]

أَيَا شَرَفَ الدِّيْنِ المحبب عِزَّ النَّدَى — فَإِنَّ النَّدَى مِنْ جُوْدِ كَفَّيْكَ يَسْتَجْدِي

أَتَيْتُكَ أَشْكُو صَرْفَ دَهْرٍ وَعَيْلَةً وَصَالُهُمُ عِنْدِيْ أَمَرُّ مِنَ الصَّدِّ
كَأَنَّهُم . . . . فِي مِنًى عُرَاةٌ بِلاَ إِحْرَامَ فَضْلاً عَنِ الوَفْدِ
وَقَدْ مَسَّهُمْ بَرْدٌ شَدِيْدٌ وَلَيْسَ لِي يَضُمُّهُمُ إِلاَّ حَصِيْرٌ مِنَ البَرْدِيْ

وقال يمدح عماد الدين أبا القاسم عبد الرحمن بن محمود بن بُلدجي الفقيه الحنفي المدرس /١١٦أ/ الموصلي : [من الكامل]

لَوْ شَامَ بَارِقَ رَامَةٍ حَادِيْ السُّرَىٰ مَا مَالَ بِالعِيْسِ الشَّآمَ وَغَوَّرَا
أَوْ لَوْ تَفَهَّمَتِ السَّحَابُ وَصَوْبُهَا بِنَدَىٰ عِمَادِ الدِّيْنِ مَا مُطِرَ الثَّرَىٰ
يُغْنِيْ عَنِ المُزْنِ البِلاَدَ بِنَيْلِهِ وَعَنِ الصَّبَاحِ بِوَجْهِهِ أَنْ يُسفِرَا
وَتَكَلَّفَ الشُّعَرَاءُ فَاضِلَ جُوْدِهِ شُكْراً يَجِلُّ عَنِ الثَّنَا أَنْ يُحْصَرَا
مُتَعَوِّدٌ بَذْلَ اللُّهَىٰ لِعُفَاتِهِ قَبْلَ السُّؤَالِ مُعَوِّدِيْ لُبْسَ الفِرَا
فَعَلَيْهِ دفْعُ القُرِّ عَنِّي فِي الشِّتَا وَعَلَيَّ بَثُّ صَنِيْعِهِ بَيْنَ الوَرَىٰ

وأنشدني في إنسان، يلقب غرس الدين، أصابه سهم : [من الخفيف]

لاَ تَظُنُّوا . . . . بِمَوْلاَيَ غَرْسِ الـ ـدِّيْنِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ سَهْماً تَعَدَّىٰ
إِنَّمَا السَّهْمُ قَاصِدٌ وَهْوَ قَدْ عَا هَدَ قَدْماً أَنْ لاَ يُخَيِّبَ قَصْدَا

[٧٨٨]

مُحَمَّدُ بنُ سعيد بن هاشم بن عبد الواحد بن أحمدَ بن هاشم؛ أبو المعالي بنُ أبي البركاتِ الأسديُّ، المعروفُ بابنِ الخَطيبِ.

من أبناء الخطباء، وبيت الخطابة /١١٦ب/ بحلب المحروسة.

كانت ولادته فيما أخبرني من لفظه سنة سبع وتسعين وخمسمائة.

وهو شاب ذو رُواء ومنظر لطيف الشكل، جميل الخلقة، يعاني الكتابة الإنشائية ويتزيّا بزيّ الجند.

رأيتُه متعلقًا بخدمة الأمير نصرة الدين أبي منصور مروان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان بحلب، كاتب إنشاء؛ وربما نظم شيئًا من الشعر

علىٰ سبيل الولع.

أنشدني بنفسه، وكتب لي بخط يده، في النقيب أبي الفتوح المرتضىٰ الحسيني، حين رُدّت النقابة إليه، وكان قبل ذلك معزولاً: [من الرجز]

يَا سَيِّداً فِي المَجْدِ يُقْتَدَىٰ بِهِ ... وَيُسْتَفَادُ العِلْمُ مِنْ آدَابِهِ
وَمَنْ هُوَ الظَّاهِرُ فِي إحْسَانِهِ ... إلَيَّ وَالطَّاهِرُ فِي أحْسَابِهِ
هَنَّأَكَ اللهُ بِهَا نِقَابَةً ... تَقْضِي عَلَىٰ الحَاسِدِ بِاكْتِئَابِهِ
سِيَادَةٌ عَادَتْ إلَىٰ مَعْدِنِهَا ... وَسُؤْدُدٌ صَارَ إلَىٰ أرْبَابِهِ
تَبَسَّمَ الدَّهْرُ لَهَا طَلَاقَةً ... وَمَالَ بِالعُجْبِ عَلَىٰ إعْجَابِهِ
وَالدَّهْرُ قَدْ أنْشَدَ مَسْرُوراً بِهَا ... قَوْلَ امْرِىءٍ أحْسَنَ فِي خِطَابِهِ:
قَدْ رَجَعَ الحَقُّ إلَىٰ نِصَابِهِ ... وَأنْتَ مِنْ دُونِ الوَرَىٰ أوْلَىٰ بِهِ

[٧٨٩]

مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ بن حامد بن إبراهيمَ بنِ الحسنِ بنِ عليٍّ، أبو بكرٍ المعروفُ بابنِ المَاشطة الإرْبَليُّ.

كانت ولادته بإربل، سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، كذلك أخبرني من لفظه. له شعر صالح في الغزل، والمعاتبة، والمدح، والهجاء، ومعظمُهُ في الألغاز والأحاجي. وكان يتولىٰ بإربل في عهد الملك المعظم مظفر الدين كوكبُوري بن علي بن بكتكين ـ رضي الله عنه ـ أعمالاً شتىٰ.

أنشدني لنفسه: [من الطويل]

لَحَا اللهُ حَمَاماً أرَتْنِي صُرُوفُهَا ... بِعَيْنَيَّ فِيْهَا ضِدَّ مَا أتَمَنَّاهُ
أرَتْنِيَ مَنْ لَا قُدْرَةٌ لِيْ بِأنْ أرَىٰ ... . مَا بَيْنَ الأنَامِ مُحَيَّاهُ

وأنشدني لنفسه في حكيم يلقب «الشمس خَتَن الرحبي» وكان طبيبًا حاذقًا في صنعته. وكان قد كثر الموت بدمشق: [من الخفيف]

قِيْلَ لِيْ زَادَ فِي فَنَاءِ جِلِّقَ المَوْ ... تُ فَعَيْشٌ بِرَبْعِهَا لَا يَطِيْبُ
قُلْتُ هَذَا الغَلَطُ أيُوْجَدُ مَيْتٌ ... فِي فَنَاهَا وَالشَّمْسُ فِيْهَا طَبِيْبُ

/ ١١٧ب/ وأنشدني لنفسه، يهجو طبيبًا ذميًا اسمه مُعافى كان بدمشق:

[من الكامل]

مَنْ شَاءَ يَنْظُرُ فِي الوَرَىٰ ضِدَّ اسْمِهِ ... فَلْيَنْظُرَنَّ إِلَىٰ مُعَافَىٰ يَكْتَفِي

طَبٌّ إِذَا عَادَ المَرِيْضَ تَزَايَدَتْ ... أَمْرَاضُهُ وَإِذَا تَجَنَّبَهُ شُفِي

[٧٩٠]

مُحَمَّدُ بنُ منير بن البطريق بن منير بن عسكرَ بنِ أحمدَ بنِ يحيىٰ بنِ الحسنِ، أبو بكرِ بنِ أبي النجمِ العجْليُّ(١).

زعم أنه من بني عجْل بن لجيم، وكتب لي نسبه بخط يده. وجدتُ فيه خللاً، يجب إصلاحه، فلذلك لم أرفَع فيه شيئًا أكثر من ذلك من أجداده.

وكانت ولادته ومنشؤه بالجزيرة العُمرية، وخرج عنها حدثًا، وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وقدم الموصل، وجعل نفسه سائقًا لصبيان المكتب. وتولّع بالأدب، وقول الشعر، وتردد إلىٰ الشيخ أبي الحرم؛ فقرأ عليه أدبًا وشعراً.

ثم اشتغل بالتأديب، وصار معلّمًا، ورزقه الله قريحة في القريض؛ فقال منه كثيراً، ثم ترك التعليم، واستأجر دُكانًا في الصفارين، فبقي فيها مُدّة، ثم عاد وفتح حانوتًا / ١١٨أ/ في قيسارية البزّ، وصار بزازاً، ومع ذلك لم يترك صنعة الشعر طلبًا لحُطام الدنيا، وشدّة حرصه عليه، والاستجداء به، والاستماحة والارتزاق؛ فحصل رزقًا صالحًا.

وكان يجمع بين التجارة والاستجداء بالشعر للملوك والأمراء والصدور والوزراء، ونفقت سُوقُه، ومشت أحواله.

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٥/ ٧٩ ـ ٨٠ رقم ٢٠٧٧. ذيل الروضتين ١٦٩ وفيه أنه توفي في المدرسة العادلية بدمشق. تلخيص مجمع الآداب ٤/ رقم ٢٥٨٠. المقفى الكبير ٧/ ٣٠٣ رقم ٣٣٨٣. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠) ص٣٤٨ رقم ٥٠٢ وفيه: «توفي بدمشق في سادس جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وستمائة». التكملة للمنذري ٣/ ٥٣٣ رقم ٢٩٣٤ وفيه: «سمعت منه شيئًا من شعره بالقاهرة».

وهو شاعر يضرب في الأرض ببنات أفكاره، ويركب آماله إلىٰ إدراك أوطاره، أشعر من ذكر في وقته، ذو قدرة علىٰ إنشاء الكلام ونحته؛ حسن الشعر صنعة، تنقاد له القوافي الشرّد وتطيعه. وكان كثيراً ما يصف أشعاره إذا أنشدها، ويطرب لها إذا أوردها، متفنن في أنواع القريض وضروبه، لم يجر أحد معه من الشعراء في أسلوبه، يفوقهم في قوله لفظًا ومعنًى، ويبر عليهم فصاحة وحسنًا.

وكان رجلاً قد طبعت طبيعته علىٰ الأخذ، وجبلت طينته علىٰ الشحذ، من أشرس الناس خُلُقًا، وأدناهم نفسًا، سيىء العشرة، ضيق العَطَن، كثير اللجاج، وكانت طباعه فيها جفاءٌ، وأخلاقه فيها شراسة.

ثم تاب عن قول الشعر، والاستجداء به، وحجّ إلىٰ بيت الله الحرام، سنة ثلاثين وستمائة /١١٨ب/ وقصد زيارة النبي ﷺ ونظم قصيدة في النبي عليه السلام، وتوقف عالم عظيم لسماعها. ثم قال بعد أن فرغ من إنشادها علىٰ قبره ﷺ وذلك في أوائل المحرم من سنة إحدىٰ وثلاثين: يا رسول الله! لكل ضيف قرى، ولكل مادح ثواب، ولكل قاصد حُرمة. وقد قصدتُك، ومدحتك ووصفتك؛ فأسألك أن يكون قراي شفاعتك علىٰ الله الجنة والمغفرة وبعدها لم يسترفد بالشعر.

ثم قدم الموصل فمكث بها قليلاً، وخرج منها في تجارة متوجهًا إلىٰ بلاد الشام، فطلع عليه التتر الملاعين، فاستأصلوا ما كان يملكه، ثم رجع إلىٰ سنجار، فأنعم عليه كمال الدين بن مهاجر بفروة، كانت علىٰ جسمه، ورحل إلىٰ حلب، فنزل في بعض مدارسها مرتزقًا جامكية تصل إليه، وأدّب جماعة من أولاد أمرائها.

ثم عنّ له السفر إلىٰ دمشق، فسكنها، وكتب بها الشروط، ومات بها في أواخر جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وستمائة في المدرسة العادلية.

ولو حلفتُ بالله تعالىٰ، إنني سمعتُ ديوانه من لفظه، إلاّ القليل منه لم أكن حانثًا في يميني، لكثرة ما كان /١١٩أ/ ينشدني فكان قد استعرت منه ديوان شعره، فعلقت منه ما يصلح إثباته في الكتاب من المقطعات. وأنشدنيه ثم طلبه بعد ذلك، فأعطيته إياه، فلما طلبته ماطلني به، وسافر إلىٰ دمشق، ولم يعده إليّ، فبقي عندي الشيء اليسير من شعره، فأثبته ورحل إلىٰ دمشق، فما عُدت رأيته بعد ذلك. وكان إذا أنشد

شعره يتعجب، ويكثر التعجب، لكثرة ما كنت أستنشده من أشعاره ويبالغ في وصف شعره غاية المبالغة، ويمدح.

وكانت ولادته تخمينًا سنة خمس أو ست وسبعين وخمسمائة، فاستوفىٰ إحدىٰ وستين سنة. فمن شعره: [من الوافر]

بِزَاهِرِ آسِ خَدِّكَ بالشَّقِيْقِ ... وَدَائِرِ كَأْسِ ثَغْرِكَ بالرَّحِيْقِ
عَمِيْدُ هَوًى قَضَيْتُ عَلَيْهِ عَمْداً ... يَهُزُّ قَضِيْبَ بَانَتِكَ الرَّشِيْقِ
نَأَيْتَ مَعَ الغَرِيْقِ فَبَانَ شَوْقًا ... يُغَرِّقُ نَفْسَهُ إِثْرَ الغَرِيْقِ
وَرَجَّحَ بالأَغَانِيْ فِي المَغَانِيْ ... وَبَكَّىٰ بالعَقِيْقِ كَالعَقِيْقِ
وَطَافَ عَلَىٰ الرُّقَادِ عَسَاهُ يَحْظَىٰ ... بِزَوْرِ زِيَارَةِ الطَّيْفِ الطَّرُوْقِ
فَصُلْتُ عَلَيْكَ بِظَهْرِ سَرْجِيْ ... وَلَسْتُ لِشَرْطِ ذَلِكَ بالمُطِيْقِ
لأَنَّ جَلِيْلَ مَا بِيْ مِنْكَ يَبْدُو ... بِمَرْأًىٰ ذَلِكَ الفَرْقِ الدَّقِيْقِ

/ ١١٩ب/ وأنشدني لنفسه، يهجو ابن صباح الشاعر[1]: [من المنسرح]

يَا ابْنَ صَبَاحٍ وَتِلْكَ عَنْزٌ ... تَدُوْرُ حَوْلَ القُمُدِّ دَوْرَا[2]
كَانَ قِيَاسًا لَوْ جِئْتَ جَدْيًا ... بَلْ كُنْتَ بَغْلاً فَجِئْتَ ثَوْرَا[3]

وقال أيضًا فيه يهجوه: [من مخلّع البسيط]

قَالُوا: رَأَيْنَا فَتَىٰ صَبَاحٍ ... يَمْشِيْ وَفِيْ رَأْسِهِ قُرُوْنُ!
فَقُلْتُ: كُفُّوا، فَتِلْكَ عَنْزٌ ... وَنَسْلُهَا هَكَذَا يَكُوْنُ

وقال في فخر الدين عثمان ـ مقدّم الدولة السلطانية بمصر[4] ـ: [من الطويل]

أَعُثْمَانُ مُتْ قَتْلاً بِسَيْفِ مُحَمَّدٍ ... وَتَحْقِيْقُ هَذَا أَنَّهُ ابْنُ أَبِي بَكْرِ
مَدَحْنَاكَ لا نَرْجُو نَدَاكَ وَإِنَّمَا ... حجًى لامْرِىءٍ يَرْجُو نَدًىٰ مِنْ صَفَا صَخْرِ
وَلَكِنْ تَصَدَّقْنَا عَلَيْكَ بِشُكْرِنَا ... لأَنَّ بِكَ الفَقْرَ المُكِبَّ إِلَىٰ الشُّكْرِ

---

(١) البيتان في مجمع الآداب ٣/ ٢٥٥.
(٢) القُمُدّ: صلب شديد الإنعاظ.
(٣) الجدي: ولد المعز.
(٤) الأبيات في مجمع الآداب ٣/ ٦٦ نقلها عن القلائد.

وكُنّا سَمِعْنَا المَالُ تُعْطَى زَكَاتُهُ … بِمِصْرَ فَأَعْطَيْنَا الزَّكَاةَ عَلَى الشِّعْرِ

وأنشدني لنفسه، يمدح المولىٰ المالك الرحيم، بدر الدنيا والدين، عضد الإسلام /١٢٠أ/ والمسلمين، تاج الملوك شرف السلاطين، قامع الكفرة والمتمردين، أبا الفضائل غرس أمير المؤمنين ـ أسعد الله جدّه، وقصم عدوه وضدّه، بمحمد وآله الطاهرين ـ: [من الطويل]

قَلِيلٌ عَلَى إِثْرِ الحَبِيبِ المُوَدِّعِ … إِذَا كَانَ مِنْ قَانِي دِمِي سَيْلُ أَدْمُعِي
رَأَىٰ جَزَعِي يَوْمَ الفِرَاقِ فَلامَنِي … خَلِيلِي وَمَنْ يَعْرِضْ لَهُ البَيْنُ يَجْزَعِ
وَلَيْسَ بِصَبٍّ مَنْ نَأَىٰ عَنْهُ حِبُّهُ … إِذَا فَرَّ أَوْ آوَى اللَّبِيبُ لِمَضْجَعِ
وَإِنِّي لَلْمَفْجُوعُ بِالبَيْنِ بَغْتَةً … وَإِنْ لَمْ أَزَلْ أَحْيَا بِقَلْبٍ مُفَجَّعِ
وَلِي فِي حُمُولِ الظَّعْنِ رِيمٌ إِذَا نَأَىٰ … أَقَامَ هَوَاهُ مِنْ فُؤَادِي بِمَرْتَعِ
يُذَادُ الكَرَىٰ عَنْ مُقْلَتِي بَعْدَ بُعْدِهِ … فَيَرْجِعُ قَلْبِي لِلْحَنِينِ المُرَجَّعِ
وَيَلْوِيهِ فَرْطُ الوَجْدِ فِي كُلِّ مَا لَوَىٰ … فَأُجْرِعُ سَيْلَ الدَّمْعِ فِي كُلِّ أَجْرَعِ
وَلائِمَةٍ تَلْحَىٰ وَتَعْلَمُ أَنَّنِي … أَمِينُ النُّهَىٰ لا يَدْخُلُ العَذْلُ مَسْمَعِي
تُرَغِّبُنِي فِي الاغْتِرَابِ لَعَلَّهَا … تَمَتَّعُ مِنْ كَسْبِي بِوَفْرٍ مُجَمَّعِ
فَقُلْتُ لَهَا وَاسْتَعْجَلَتْهَا أَمِينَةٌ … تُخَبِّرُ عَنْ قَلْبٍ مِنَ الدَّهْرِ مُوجَعِ
/١٢٠ب/ إِلَيْكِ فَمَا عَقْلِي لِمِثْلِكِ لُعْبَةٌ … وَغَيْرِ[ي] بِدَمْعِ العَيْنِ وَالشَّجْوِ فَاخْدَعِي
أَرَىٰ بَائِعاً مِنْ مَاءِ وَجْهِي وَشَارِباً … رِضَاكِ بِوَصْفِ السَّائِلِ المُتَضَرِّعِ
قَنَعْتُ فَنِلْتُ العِزَّ مِنْ غَيْرِ مَانِعٍ … وَمَنْ يَطْلُبِ العِزَّ المُمَنَّعَ يَقْنَعِ
وَإِنِّي حَلَبْتُ أَشْطُرَ الدَّهْرِ يَافِعاً … وَأَصْبَحْتُ شَرَّاباً عَلَيْهِ بِأَنْقَعِ
وَلَسْتُ بِسَآلِ النَّوَالِ سِوَىٰ فَتًى … يَفُوتُ سُؤَالِي جُودُهُ وَتَضَرُّعِي
سَأَصْنَعُ خَيْرَ الشِّعْرِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ … لِوَصْفِ صَنِيعٍ مِنْهُ غَيْرِ مُصَنَّعِ
لِبَدْرٍ يُرَىٰ فِي كُلِّ وَقْتٍ مُكَمَّلاً … إِذِ البَدْرُ بَدْرٌ بَعْدَ عَشْرٍ وَأَرْبَعِ
فَتًى سَفَرَتْ بَيْنَ اسْمِهِ غُرَّةُ العُلا … وَأَفْعَالُهُ الحُسْنَىٰ بِتَاجٍ مُرَصَّعِ
طَوِيلُ نِجَادِ السَّيْفِ لِلْخَطْبِ وَالنَّدَىٰ … مَحَلُّ قِرًى مِنْهُ بِبَاعٍ مُوَسَّعِ
فَتًى شَاعَ ذِكْراً فِي السَّمَاحَةِ وَالوَغَىٰ … بِجُودِ يَدٍ تَهْمِي وَقَلْبٍ مُشَيَّعِ
إِذَا أَوْرَدَ الأَمْرَ المَهُولَ لَمْ يَفُتْ … بَدِيهَةَ عَزْمٍ مِنْهُ لَمْ تَتْبَعِ

يُقَضِّي أَقَاصِي لَيْلِهِ غَيْرَ هَاجِعٍ   لِيَنْظُرَ فِي أَحْوَالِ قَاصِينَ هُجَّعِ
عَلِيمٌ بِخَافِي السِّرِّ حَتَّى تَخَالُهُ   تطلعه جَهْراً وَلَمْ يَتَطَلَّعِ
حَلِيمٌ إِذَا مَا الطَّيْشُ زَعْزَعَ يَذْبُلاً   أَطَافَ بِطَوْدٍ مِنْهُ لَمْ يَتَزَعْزَعِ
تَقَاصَرُ أَعْنَاقُ الكِرَامِ إِذَا بَدَا   لَهُمْ عَنْ مَهِيبٍ أَرْيَحِيٍّ سَمَيْدَعِ
/ ١٢١أ/ يُرَاعُونَ فِكْراً فِي النَّدَى سَاعَةَ النَّدَى   لِنَدْبٍ بَدِيهِيِّ السَّمَاحَةِ أَرْوَعِ
لَقَدْ مُنِيَتْ مِنْهُ الخُطُوبُ بِبَاسِلٍ   شُجَاعٍ مَتَى يَبْرُزْ لَهُ الخَطْبُ يُصْرَعِ
يَخُوضُ الوَغَى فَرْداً بِوَجْهٍ كَأَنَّهُ   سَنَى قَمَرٍ فِي رَأْسِ لَيْثٍ مُقَنَّعِ
يُحَاذِرُ يَلْقَى الذَّمَّ إِلاَّ مُدَرَّعاً   وَقَدْ يَرِدُ الهَيْجَاءَ غَيْرَ مُدَرَّعِ
بَصِيرٌ بِصَيْدِ القِرْنِ غَيْرُ مُخَادِعٍ   خَبِيرٌ بِوَضْعِ السَّيْفِ فِي كُلِّ أَخْدَعِ
مَلِيكٌ قَلَى أَحْوَالَ أَمْلاَكِ عَصْرِهِ   فَرَدَّ لَنَا أَيَّامَ كِسْرَى وَتُبَّعِ
مُلُوكٌ تُفَدَّى كَفُّهُمْ بِأَكُفِّهِمْ   وَمَا هَامُهُمْ مِنْهَا فِدَاءٌ لإِصْبَعِ
حَوَى قَصَبَاتِ السَّبْقِ فِي الفَضْلِ دُونَهُمْ   . . . . عَلَى أَعْقَابِ حَسْرَى وَظُلَّعِ
مُلُوكٌ رَأَوا الدِّينَارَ رَبّاً فَأَجْمَعُوا   عَلَى سُجَّدٍ مِنْهُمْ لَدَيْهِ وَرُكَّعِ
أَضَاعُوا حُدُودَ اللهِ فَاعتَصَمُوا الوَرَى   وَوَلُّوا عَلَيْهِمْ كُلَّ . . . . مُجَدَّعِ
حَوَوْا صَدَقَاتِ النَّاسِ قَسْراً وَزَاحَمُوا   عَلَيْهَا وَصَدُّوا دُونَهَا كُلَّ مُدْقَعِ
وَكَفُّوا عَنِ المِيرَاثِ كُلَّ يَتِيمَةٍ   وَعَمُّوا بِظُلْمٍ مِنْهُمُ كُلَّ مُرْضَعِ
لَكَ اللهُ! يَا مُعْطِي الرَّغَائِبِ دُونَهُمْ   وَمَنْ دُونَهُ المَظْلُومُ غَيْرُ مُدَفَّعِ
فَعِشْ أَبَداً وَاسْتَخْدِمِ القَهْرَ مَالِكاً   مَتَى تَدْعُهُ يَسْمَعْ مُجِيباً وَيُسْرِعِ
وَلاَ زَالَتِ الأَعْيَادُ تَتْرَى أَهِلَّةً   بِنُورِ هِلاَلٍ بَيْنَ عَيْنَيْكَ مُطْلَعِ
/ ١٢١ب/ تَمَلَّ العُلا وَاسْتَجْلِ مِنْهَا غَرِيبَةً   تَغُورُ بِصَافِي الوِرْدِ فِي كُلِّ مَشْرَعِ
لَهَا نَسَبٌ مِنِّي عَرِيقٌ نِجَارُهُ   إِذَا الشِّعْرُ أَخْزَى نِسْبَةً كُلَّ مُدَّعِي
وَإِنِّي كَثِيرُ العُجْبِ مِنْ كُلِّ نَاقِصٍ   يُزَاحِمُ أَهْلَ الفَضْلِ فِي كُلِّ مَجْمَعِ
يُرَى بَارِزاً فِيهِمْ بِشِعْرٍ مُبَرْقَعٍ   وَوَجْهٍ بِالاسْتِحْيَاءِ غَيْرِ مُبَرْقَعِ
يُسَابِقُ حَظِّي جَهْلُهُ فَيَفُوتُهُ   فَلَيْسَ يُرَى بَعْدِي بِجَاءٍ وَلاَ مَعِي
إِذَا كُنْتُ فِي فَضْلِي عَلَيْهِ مُقَدَّماً   فَمَا حَزَنِي إِنْ أَخَّرَ الحَظُّ مَوْضِعِي
وَمَا كَانَ مِثْلِي فِي جَنَابِكَ مَاثِلاً   بِهِ الشُّعَرَاءُ فِي المَكَانِ المُرَفَّعِ

وَغَيْرُ جَهُولٍ منْبَرُ الحَمْدِ أَنَّنِي ... أَجَلُّ خَطِيبٍ فِي مَعَالِيكَ مِصقَعِ
وَحَاشَى نَدَاكَ الفَائِضَ الغَمرَ أَنْ يُرَى ... وَفِي قَسْمِهِ مِثْلِي بِحَظٍّ مُضَيَّعِ

وقال أيضًا، يمدحه ـ خلّد الله سلطانه ـ: [من الطويل]

نَفْدِيكَ بِالآبَاءِ يَا مَنْ صِفَاتُهُ ... تُشَابِهُ معنًى لاسْمِهِ وَتُشَاكِلُ
وَنَنْظِمُهَا فِي الشِّعْرِ عِلْمًا بِأَنَّهَا ... عُقُودٌ لأَعْنَاقِ ...... وَمَرَاسِلُ
إِلَيْكَ تَشَكَّى أَنْ تَصِيرَ أَوَاخِراً ... حِسَانِي وَهُنَّ السَّابِقَاتُ الأَوَائِلُ
فَضَائِلُ يَحْبُوهَا أَبُوهَا بِصَدِّهِ ... وَيَصْرِفُهَا عَنْ حَقِّهَا وَهُوَ عَادِلُ
/ ١٢٢أ/ وَلَيْسَ بِعَدْلٍ مُوحِشَاتٌ نَوَافِرٌ ... تُؤَخَّرُ عَنْهَا آنِسَاتٌ أَوَاهِلُ
عَوَاطِلُ يَكْسُوهَا حُلِيًّا بِسَمْعِهِ ... وَأُثْنِي وَمِنْهُ حَالِيَاتِي عَوَاطِلُ
وَهُنَّ الجَوَارِي المُنْشَآتُ وَإِنْ يَكُنْ ... لأَعْلاَمِهَا بَحْرٌ فَإِنَّكَ سَاحِلُ

وقال أيضًا، على طرز ابن الحجاج[1] في الخلاعة والسُّخف: [من المجتث]

قَدْ جَاءَنَا رَمضَانُ ... وَقَدْ مَضَى شعْبَانُ
وَقَدْ عَلَتْ نَارُ قَلْبِي ... وَمَا بِبَيْتِي دُخَانُ
وَقَدْ مَضَى لِمَغِيبِي ... عَنْ غَيْبَتِي إِحْسَانُ
بَانَ الكَرَى عَنْ جُفُونِي ... لَمَّا عَنِ العَيْنِ بَانُوا
كَأَنَّهُ مِنْ عِيَالِي ... إِذْ كَانَ لِي حَيْثُ كَانُوا
عَقْلِي بِأُمِّ عِيَالِي ... مُدَلَّهٌ وَلْهَانُ
وَهْيَ الَّتِي قَتَلَتْنِي ... بِالشَّوْقِ لاَ الوِلْدَانُ
أَيْرِي طَوَالَ اللَّيَالِي ... كَنَاظِرٍ يَقْظَانُ
يُرَاقِبُ الشَّخْصَ مِنْهُ ... كَأَنَّهُ دَيْدَبَانُ
/ ١٢٢ب/ لاَ يَرْتَضِي بِسِوَاهَا ... فَدَهْرُهُ غَضْبَانُ
كَأَنَّمَا عِنْدَهُ مِنْ ... عُهُودِهَا أَيْمَانُ

---

(١) هو الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج النيلي البغدادي، أبو عبد الله، شاعر فحل، من كتّاب العصر البويهي، غلب عليه الهزل والخلاعة والمجون، توفي سنة ٣٩١هـ. نسبته إلى قرية النيل ـ على الفرات بين بغداد والكوفة.

أَرْوَىٰ قُـــدُوداً تَثَنَّـــىٰ ... كَـــأَنَّهَـــا أَغْصَـــانُ
فَتِلْـــكَ جَنَّـــةُ عَـــدْنٍ ... وَهُـــنَّ حُـــوْرٌ حِسَـــانُ
إِذَا حَـــوَاهُـــنَّ يَـــوْمـــاً ... لِنُـــزْهَـــةٍ بُسْتَـــانُ
تَبَسَّمَـــتْ عَـــنْ ثُغُـــور ... كَـــأَنَّهَـــا الأُقْحُـــوَانُ
يَنْفُـــرْنَ مِنِّـــي وَعِنْـــدِيَ ... مِـــنَ الصِّبَـــا عُنْفُـــوَانُ
يَـــرَيْـــنَ شَخْصِـــيَ لِفَقْـــرِيَ ... كَـــأَنَّـــهُ شَيْطَـــانُ
فَـــإِنْ أَشَـــارَتْ إِلَيْهِـ ... ـــنَّ مِـــنْ يَمِيْنِـــي بَنَـــانُ
صَـــدَفْـــنَ عَنْهَـــا كَـــأَنَّ الإِ ... عْـــدَامَ فِيْهَـــا سِنَـــانُ
يَـــا رَبِّ . . . . سُـــؤلِهـــا ... . الخِـــلافَـــةِ شَـــانُ
مَـــازَحْتُهَـــا فَـــأَجَـــابَـــتْ : ... تَنَـــحَّ يَـــا صَفْعَـــانُ
مَـــا نَيْـــكَ مِثْلِـــيْ إِذَا مَـــا ... مَجَنْـــتُ بِـــي مُجَّـــانُ
فَلَيْـــسَ يَنْفُـــقُ عِنْـــدِيْ ... مِـــنْ رَأْسِـــكَ الهَـــذَيَـــانُ
فقلـــــــــــت . . . . عِنْـــدِي مِـــن فِطنَتِـــيْ . . . .
/١٢٣أ/ وَمِـــنْ مُصَـــاغِ القَـــرِيْـــضِ الـــرَّ ... قِيْـــقِ لِـــيْ دِيْـــوَانُ
فَقَـــالَـــتْ : أَقْصِـــدْ بِـــلالاً ... بِـــالشِّعْـــرِ يَـــا غَيْـــلاَنُ
وَأْمَّ أُكْـــرَةَ رَأْسِـــي ... مِـــنْ رِجلِهَـــا الصَّـــوْلَجَـــانُ
فَقُمْـــتُ أَقصِـــدُ رَبْعـــاً ... فِيْـــهِ المُنَـــىٰ وَالأَمَـــانُ
فَصَـــانَنِـــي مِـــنْ أَذَاهَـــا ... فَعِـــرْضُ مِثْلِـــيْ يُصَـــانُ

[٧٩١]

مُحَمَّدُ بنُ محمود بن المبارك بن جبريلَ، المؤدّبُ الإربليُّ .

أنشدني لنفسه، ما كتبه إلىٰ بعض أصدقائه، يشفع له، أن يوصل قصيدةً، نظمها في الصاحب شرف الدين أبي البركات، إليه: [من المنسرح]

يَـــا أَيُّهَـــا السَّيِّـــدُ الكَمَـــالُ وَمَـــنْ ... جُـــوْدُ أَيَـــادِيْـــهِ يُخْجِـــلُ المَطَـــرَا
وَمَـــنْ يَظَـــلُّ اليَـــرَاعُ مُفْتَخِـــراً ... بِـــهِ عَلَـــىٰ غَيْـــرِهِ إِذَا سَطَـــرَا
إِنِّـــي أُرَجِّيْـــكَ أَنْ تُـــوَصِّـــلَ لِـــيْ ... قَصِيْـــدَةً قَـــدْ نَظَمْتُهَـــا دُرَرَا

فــيْ شَــرَف الــدِّيْــن وَالعَــلاَء وَمَــنْ ... نَــــوَالُــــهُ للْعُفَــــاة قَــــدْ غَمَــــرَا
وَأَسْلَــمْ وَدُمْ لاَ بَــرِحْــتَ فِــيْ نِعَــمٍ ... مَــا جَــنَّ جُنْــحُ الظَّــلاَم وَاعْتَكَــرَا

[٧٩٢]

مُحَمَّدُ بنُ عمرَ بن مُحَمَّد بن عليٍّ /١٢٣ب/ بن موهوب بن إسماعيلَ، المعروفُ بابنِ زُبَيْدَةَ أبو بكرٍ الجزريُّ القيسيُّ الوَاعظُ الفقيهُ الشافعيُّ المُدرّسُ.

عالم فاضل، متفنن مناظر أُصوليّ.

أخبرني؛ أنه ولد في ربيع الأوّل سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، بالجزيرة العُمرية، وانتقل إلىٰ الموصل، وهو بها مقيم.

أنشدني لنفسه: [من مخلَّع البسيط]

يَحْسُــدُنــــيْ كُــلُّ مَــنْ رَآنـــيْ ... أَرْكَــبُ فــيْ مَــوْكَــبِ الأَميْــرِ
وَلَيْـــسَ يَـــدْرِيْ بِـــأَنَّ بَغْلـــيْ ... يَبِيْـــتُ شَهْـــراً بِـــلاَ شَعِيْـــرِ

[٧٩٣]

مُحَمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الصّمدِ بنِ بدرانَ بنِ حَامدِ بنِ حمدانَ بنِ عليٍّ الغيداوَيُّ السّلميُّ البَوازيجيُّ، أبو أحَمدَ(١).

شيخ أسمر اللون، ربعة من الرجال، من أهل البوازيج(٢).

لقيتهُ بمدينة إربل، يوم الاثنين العشرين من شعبان من سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، بدار حديثها المظفرية؛ ذكر أنه حفظ كتاب الله تعالىٰ وأقام بنظامية بغداد اثني عشر عامًا، يتفقه علىٰ مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ /١٢٤أ/ ويقول أشعاراً سخيفة، وربّما وقع له فيها أبيات لا بأس بها.

---

(١) ترجمته في: مجمع الآداب ٥/٦٤٦ رقم ٥٩٠١، نقلها عن القلائد، وفيه «الفيداوي» بالفاء.
(٢) البوازيج: بلد فوق ما يقابل تكريت، قريب من مصبّ الزاب الأسفل إلى دجلة. «معجم البلدان/ مادة (البوازيج).

وأخبرني، أنه ولد بالبوازيج ثالث عشر رجب سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة.

أنشدني لنفسه: [من الطويل]

وَزَهَّدَنِي فِي صُحْبَةِ النَّاسِ خَائِنٌ ... قَلِيلُ الحَيَا جَمُّ الخَنَا وَالمَعَائِبِ
يُعَرِّضُ عِرْضِي لِلِّئَامِ سَفَاهَةً ... وَيُوقِعُنِي مِنْ جَهْلِهِ فِي المَعَاطِبِ
وَيُؤْيِسُنِي مِنْ كُلِّ حُرٍّ طَلَبْتُهُ ... وَيُطْمِعُنِي فِي نَيْلِ أَحْمَقَ كَاذِبِ
دَعُونِي أَرُوضُ النَّفْسَ فِي ذَمِّ مَعْشَرٍ ... هُمُ اللُّؤْمُ مَحْضٌ مُذْ غَدَوْ بِالمَثَالِبِ
فَمَا عَلِقَتْ كَفِّي بِخِلٍّ يَسُرُّنِي ... مَبَادِيهِ إِلَّا سَاءَنِي فِي العَوَاقِبِ

وأنشدني أيضًا قوله: [من البسيط]

مَوْلَايَ لَا تُتْعِبَنْ قَلْبِي بِهَجْرِكَ لِي ... فَالْهَجْرُ يُظْهِرُ مَا يَخْفَى عَلَى النَّاسِ
وَالصَّدُّ مُرٌّ وَشَكْوَايَ أَمَرُّ إِلَى ... مَنْ لَا يَرِقُّ لِذُلٍّ قَلْبُهُ القَاسِي

وأنشدني لنفسه، صدر كتاب[1]: [من الكامل]

وَافَى كِتَابُكَ فَابْتَهَجْتُ لَهُ ... وَشَكَرْتُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمِ
وَطَفِقْتُ أَلْثُمُ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ ... شَوْقًا إِلَيْكَ مَوَاقِعَ القَلَمِ

وأنشدني لنفسه، يهجو جماعة / ١٢٤ب/ ببغداد، إذ شرعوا في أذاه، وذكر أنَّهم كانوا يتعاشرون، وصدر منهم أشياء لا تليق في حقّه، منهم: ابن الأبله الشاعر، وابن ورد كاتب السلّة، وابن البيّع، والزُهري المحدّث: [من السريع]

قُلْ لِفَتَى البَيِّعِ مَا هَكَذَا ... أَوْصَاكَ لَمَّا دَرَجَ الوَالِدُ
أَنْ تَعْشَقَ المُرْدَ وَلَا يَنْتَهِي ... عَنِ الخَنَا شَيْطَانُكَ المَارِدُ
إِنْ دُمْتَ يَا ثُكْلَ أَبِيهِ كَذَا ... سَيَذْهَبُ الطَّارِفُ وَالتَّالِدُ
وَلِابْنِ وَرْدٍ خَبَرٌ مُطْرَفٌ ... يَعْلَمُهُ الغَائِبُ وَالشَّارِدُ
فِيهِ مِنَ الوُصْلَةِ مَا إِنَّهُ ... يُطِيعُهُ الشَّارِدُ وَالوَارِدُ
وَنَحْوُهُ كَيْفَ تَأَمَّلْتَهُ ... وَنَجْوُهُ بَيْنَ الوَرَى وَاحِدُ
وَالحُجَّةُ المَغْرُورُ كَنْزُ البِغَا ... فَقَدْ دَهَانَا شِعْرُهُ البَارِدُ

---

(١) البيتان في مجمع الآداب ٥/ ٦٤٦ نقلاً عن القلائد.

ثَـــلاَثَـــةٌ رَابِعُهُـــمْ كَلْبُهُـــمْ ... قَـــدْ لُعِـــنَ السَّـــائِـــقُ وَالقَـــائِـــدُ

[٧٩٤]

مُحَمَّدُ بنُ الحسن بن جامع بنِ عليِّ بنِ أبي كاملِ / ١٢٥أ/ بنِ أبي طالبٍ، أبو عبدِ اللهِ الإربَليُّ.

وقد سبق شعر عمّه أبي الفضل الياس بن جامع ـ في الجزء الأول من الكتاب(١) ـ.

وأبو عبد الله رجل حافظ للقرآن العزيز، ضعيف العينين، نزل في عارضيه البياض.

رأيتُه بمدينة إربل سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، وسألته عن ولادته، فلم يتحققها، غير أنه قال: لي الآن خمسون سنة. وكان سؤالي له في التاريخ الذي مرَّ ذكره.

أنشدني لنفسه، ما كتبه إلىٰ الصاحب شرف الدين أبي البركات المستوفي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: [من الطويل]

شَكَـوْتُ الَّـذيْ لاَقَيْـتُ مِـنْ نُـوَبِ الـدَّهْـرِ ... وَمَـا نَـالَنـيْ بَعْـدَ الثَّـرَاءِ مِـنَ الفَقْـرِ
إلَـىٰ بَعْـضِ إخْـوَانـيْ الَّـذيْـنَ أوَدُّهُـمْ ... كَشَفْـتُ لَـهُ حَـالـيْ وَأظْهَـرْتُـهُ سِـرِّيْ
فَجَـاوَبَنـيْ جَـذْلاَنَ مِـنْ غَيْـرِ غُمَّـةٍ ... لَـكَ الخَيْـرُ بَـادِرْ. . . . الصَّـدْرِ
إلَـىٰ شَـرَفِ الـدِّيْـنِ الـوَزِيْـرِ فَـإنَّـهُ ... قَـدِيْـرٌ عَلَـىٰ إصْـرَافِ عُسْـرِكَ بـاليُسْـرِ
أبـي البَـرَكَـاتِ الأرْيَحِـيِّ الَّـذيْ سَمَـا ... بِمَعْـرُوْفِـهِ قَـدْراً عَلَـىٰ الأنْجُـمِ الـزُّهْـرِ
هُـوَ الصَّـاحِـبُ المُغْـرى بتَفْـرِيْـقِ مَـالِـهِ ... عَلَىٰ الطَّارِقِ المَلْهُوْفِ فِي السِّرِ والجَهْرِ
جَـــوَادٌ إذَا ضَـــنَّ الغَمَـــامُ بِقَطْـــرِهِ ... فَجُـوْدُ نَـدَىٰ كَفَّيْـهِ يُغْنـيْ عَـنِ القَطْـرِ
وَزِيْـرٌ فَـرِيْـدٌ بـالعَفَـافِ وَبـالتُّقَـىٰ ... وَبـالحلْـمِ وَالعلْـمِ الغَـزِيْـرِ وَبـالبِـرِّ
/ ١٢٥ب/ لَـهُ هِمَّـةٌ فَـوْقَ الثُّـرَيَّـا يَحُلُّهَـا ... وَآرَاؤُهُ أمْضَـىٰ مِـنَ البِيْـضِ وَالسُّمْـرِ

---

(١) ترجم له المؤلف برقم ١٧٧.

[٧٩٥]
مُحَمَّدُ بنُ بدر بن الحسينِ بنِ مقبلِ بنِ السمينِ، أبو الفرجِ بنُ أبي النجمِ الليليُّ البَصريُّ.

من أبناء المتصرّفين، ومن بيت رئاسة.

ذكر لي، أنه ولد سنة أربع وثمانين وخمسمائة، بقرية تدعىٰ قرية فاطمة، وهي في مستغرق أجم ومياه، فوق قرية تُسمىٰ الشُّرْطَة[١] من أعمال واسط. ونشأ بالعَقْر[٢]، قرية بنواحي البصرة.

شاهدته بإربل رجلاً قد وخطه الشيب، طويلاً، أزرق العينين، عبل البدن، في رمضان سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، يتولىٰ التصرف في نواحي الخاص. وسألته علىٰ من اشتغل؟ زعم أنه لم يشتغل بشيء من العلوم، وإذا أنشد قلَّ أنْ يلحن في إنشاده؛ ومما أنشدني لنفسه ما كتبه إلىٰ مخدومه وهو إذ ذاك زعيم البصرة: [من البسيط]

لَمْ يُبْقِ شَأْنُكَ فِيْ عَيْنَيْ لِذِيْ خَطَرٍ ... شَأْناً وَلاَ رِفْعَةً تَسْمُوْ لِمُرْتَفِعِ
مِنْ أَيْنَ لِلْنَّجْمِ نُوْرُ البَدْرِ حِيْنَ بَدَا ... وَلِلْوُحُوْشِ جَمِيْعاً هَيْبَةُ السَّبُعِ
/١٢٦أ/ فَكُلُّ مَنْ يَدَّعِيْ العَلْيَاءَ غَيْرَكَ فِي ... لَبْسٍ وَمَنْ يَتَبَنَّىٰ المَجْدَ فَهْوَ دَعِي
فَاسْلَمْ عَلَىٰ رُغْمِ مَنْ يَشْنَاكَ فِيْ دَعَةٍ ... مِنَ الحَوَادِثِ يَا ذَا الحِلْمِ وَالوَرَعِ

وأنشدني لنفسه، ما كتبه إلىٰ بعض الصدور، وقد انقطع عنه، فبلغه عنه عتب: [من البسيط]

إِنْ غِبْتُ عَنْكَ فَإِنِّيْ بِالدُّعَا لَهِجٌ ... وَبِالثَّنَاءِ عَلَىٰ عَلْيَاكَ مَعْكُوْفُ
وَإِنْ حَضَرْتُ فَمَا أَزْدَادُ تَبْصِرَةً ... لأَنَّ قَلْبِيْ إِلَىٰ تِلْقَاكَ مَصْرُوفُ
أَلِفْتُ حُبَّكَ إِذْ أَوْلَيْتَنِيْ نِعَماً ... كُثْراً وَمَنْ وُلِيَ الإِحْسَانَ مَأْلُوْفُ

وأنشدني لنفسه إلىٰ بعض أصدقائه: [من البسيط]

لَئِنْ كَفَرْتُ أَيَادِيْكَ الجِسَامَ وَمَا ... أَوْلَيْتَنِيْهِ مِنَ الإِحْسَانِ وَالنِّعَمِ

---

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (الشرطة).
(٢) وهي عَقر السدن. انظر: معجم البلدان/ مادة (العقر).

فَلاَ جَرَىٰ لِيَ فِي طِرْسِ العُلاَ قَلَمٌ ... وَلاَ سَعَتْ لِيْ إِلَىٰ كَسْبِ الثَّنَا قَدَمِي

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الخفيف]

يَا مَلِيْحَ الصُّدُوْدِ يَا حَسَنَ الإِعْـ ... ـرَاضِ وَالهَجْرِ يَا جَمِيْلَ التَّثَنِّيْ
كَمْ أُعَانِيْ الغَرَامَ فِيْكَ وَكَمْ أَحْـ ... ـمِلُ عِبْءَ الهَوَىٰ بِضَعْفٍ وَوَهْنِ
أَتُرَىٰ السُّقْمَ مَا اشْتَفَىٰ مِنْ نُحُوْلِيْ ... وَالجَفَاءُ المُمِضُّ مَا نَالَ مِنِّيْ

وأنشدني له، وكتب بها إلىٰ بعض الأمراء جوابًا: [من الطويل]

/١٢٦ب/ وَمَنْ أَيْنَ لِيْ عُمْرٌ يَقُوْمُ بِمَدْحِ مَا ... تَعَهَّدْتَنِيْ فِيْهِ مِنَ الطَّوْلِ وَالبِرِّ
وَلَوْ كَانَ عُمْرِيْ عُمْرَ نُوحٍ لَضَاقَ بِيْ ... وَقَصَّرَ عَنْ شُكْرِيْ صَنَائِعَكَ الغُرِّ
فَحَسْبِيَ مِنْ نُعْمَاكَ مَا قَدْ مَنَحْتَنِيْ ... وَحَسْبُكَ مِنِّيْ مَا يَضُوْعُ وَمَا يَسْرِيْ

وأنشدني لنفسه، ما كتبه إلىٰ بعض أقاربه جوابًا عن شيء كاتبه به، وعاتبه عليه:

[من الكامل]

شَرْخُ الشَّبَابِ مَضَىٰ وَرَيْعَانُ الصِّبَا ... وَلَّىٰ وَمَا ظَفِرَتْ يَدَايَ بِطَائِلِ
وَالغَانِيَاتُ صَدَدْنَ حَيْثُ رَأَيْنَنِيْ ... غَرَضَ الحَوَادِثِ وَالزَّمَانِ المَائِلِ
وَالأَقْرَبُوْنَ تَفَرَّقَتْ آرَاؤُهُمْ ... عَنِّيْ وَصَدَّ مُعَاشِرِيْ وَمُوَاصِلِيْ
فَعَلاَمَ أَجْزَعُ لِلْخُطُوْبِ وَصَرْفِهَا ... وَلأَيِّمَا حَالٍ تَهَيَّجُ بَلاَبِلِيْ

وأنشدني أيضًا لنفسه، ما كتبه إلىٰ بعض أودائه، وقد سأله أمرًا في ضمن تَوْلِيَة تقدّمت له في حقّه إلىٰ بعض الصدور: [من الطويل]

صَرَفْتَ هَوَايَ عَنْكَ حَيْثُ قَذَفْتَنِيْ ... إِلَىٰ لُجَّةِ التَّيَّارِ وَالأَسَدِ الوَرْدِ
وَقَابَلْتَ مَدْحِيْ وَالثَّنَاءَ بِضِدِّهِ ... وَجَازَيْتَ وُدِّيْ بِالجَفَاءِ وَبِالصَّدِّ
وَأَلْفَيْتَ عَنِّيْ غَيْرَ مَا أَنَا فَاعِلٌ ... وَلَمْ تَرْعَ لِيْ حَقَّ الوَلاَءِ وَلاَ الوُدِّ
/١٢٧أ/ وَمَا كُنْتُ لَوْلاَ فَرْطُ حُبِّيكَ عَاجِزاً ... عَنِ القَوْلِ وَالعُذْرِ المُبَيَّنِ وَالرَّدِّ

وأنشدني لنفسه ما كتبه إلىٰ بعض أصدقائه: [من المديد]

يَا جَلاَءَ العَيْنِ إِنْ مَرِهَتْ ... وَدَوَاءَ القَلْبِ إِنْ مَرِضَا(١)

(١) مَرِهَت العين: فسدت وابيضّت.

مَا الَّذِي أَثْنَى هَوَاكَ وَمَنْ ... لَوكِيدِ العَهْدِ قَدْ نَقَضَا
أَدَلَالٌ مِنْكَ يَا سَكَنِي ... أَمْ جَفَاءٌ فِيكَ قَدْ عَرَضَا
أَمْ صُدُودٌ قَدْ ثَنَاكَ وَمَا ... خِلْتُ حَبْلَ الوُدِّ مُنْقَرِضَا
لَمْ أَلُمْ دَهْرِي عَلَى مَضَضٍ ... كُلُّهُ مَا زَالَ لِي مَضَضَا
كَمْ سَقَانِي مِنْ حَوَادِثِهِ ... غُصَصًا مَا أُهُولَةً جَرَضَا(١)
فَابْقَ فِي شَهْرِ الصِّيَامِ وَدُمْ ... وَاقْضِهِ .... وَمُفْتَرَضَا
بِسُعُودٍ دَائِمٍ وَعَلَاءِ ... وَمَجْدٍ بِالمُنَى نَهَضَا
ثُمَّ عِشْ لِي مَا بَدَا فَلَقٌ ... بِحَوَاشِي الجَوِّ مُعْتَرِضَا

[٧٩٦]

مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ بنِ سعدِ بنِ العجليِّ الموصليّ .

سألته عن ولادته، فقال: ولدت سنة ثماني وستمائة في ذي القعدة بالموصل .

أنشدنا / ١٢٧ب/ لنفسه: [من الكامل]

وافَى يَهُزّ قَوَامَهُ سُكْرُ الصِّبَا ... كَالغُصْنِ إِذْ مَرَّتْ بِهِ سَحَرًا الصِّبَا
فَالنَّمْلُ عَارِضٌ لِقَلْبِي فَاطِرٌ ... وَالنَّوْرُ مَبْسِمُهُ وَحَاجِبُهُ سَبَا

وأنشدنا أيضًا لنفسه: [من الكامل]

أَفْدِيهِ مِنْ قَمَرٍ فُتِنْتُ بِحُسْنِهِ ... وَلَقَدْ أَبَى أَنْ يَعْرِفَ الإِحْسَانَا
فَجُنِنْتُ حَتَّى صَادَنِي فِي حُبِّهِ ... مِمَّا لَقِيتُ مِنَ الهَوَى سَرَطَانَا

وأنشدنا أيضًا له: [من الرجز]

أَمِيرُ حُسْنٍ رُمْحُهُ قَوَامُهُ ... وَطَرْفُهُ يُغْنِي عَنِ البَوَاتِرِ
وَخَدُّهُ وَصُدْغُهُ وَطَرْفُهُ ... عَنْ عَامِلٍ وَمُشْرِفٍ وَنَاظِرِ(٢)

---

(١) الجرض: الريق يغص به .

(٢) بعد هذا جاءت الترجمة التالية وقد شُطب عليها، ولغرض إتمام الفائدة، وللحفاظ على الأمانة العلمية نوردها هنا:

«/ تابع ١٢٧ب/ مُحَمَّدُ بنُ عليِّ بنِ يوسفَ النحالُ .

فمن شعره قوله: [من الوافر] =

[٧٩٧]

مُحَمَّدُ بنُ هاشم بن أحمدَ بن عبدِ الواحد بن هاشمٍ، أبو عبدِ الرحمنِ بنِ أبي طَاهرٍ الأسديُّ الحلبيُّ الخطيبُ[(١)].

من بيت خطابة وعلم. وكان والده [انتهت] إليه خطابة المسجد الجامع بحلب.

وتولّىٰ أبو عبد الرحمن مكانه في الخطابة، والصلوات الخمس. شاهدت الخطيب هذا بمدينة حلب، بمسجدها الجامع ثامن جمادىٰ الآخرة سنة أربع وثلاثين وستمائة.

وسألته عن مولده، فقال: ولدت في رجب سنة ستين وخمسمائة.

وتوفي بحلب عصر يوم الاثنين السادس من ربيع الأول / ١٢٨ب/ [ودفن] في يوم الثلاثاء بمقبرة الجبيل، شمال البلد ـ رحمه الله تعالىٰ، وتغمده برحمته ورضوانه ـ في سنة إحدىٰ وأربعين وستمائة.

وهو من عدولها المتميزين؛ شيخ حسن فاضل، دمث الأخلاق، حافظ للقرآن الكريم. ذكر لي أنه سمع جملة من الحديث النبوي. روىٰ عن والده وغيره، واستجزته فأجازني جميع مروياته، وله أشعار، أنشدني منها في الملك الظاهر غياث الدين

= وَرَوْض نَاشر فـي الأَرْ ... ض نَوْراً نَبْتُهُ خَضِدُ
فَأخْضَرُهُ كأنْعُمكَ الـ ... ـتي لَمْ يُحْصِهَا العَدَدُ
وَأحْمَرُهُ بسَيْفِكَ وَهْـ ... ـوَ في هَام العِدَا يَرِدُ
/ ١٢٨أ/ وأبيَضُهُ كفعْلِكَ حيْـ ... ـنَ أفْعَالُ الوَرَىٰ رُبَدُ
وأصْفَرُهُ كطلعةِ مَـ ... ـنْ يُؤَرِّقُهُ الحَسَدُ
شَرِبْنَا فيْه صَافيَةً ... كَذِهْنِكَ حيْنَ يَتَّقِدُ
فَأنْتَ المَالكُ السُّلْطَا ... نُ حَقّاً أذْعَنَ البَلَدُ
.... كَ الأَرْضُ قَاطبَةً ... . وَلَيْتَهُمْ سَعِدُوا
فَدُمْ وَاسْعَدْ.... وَعِشْ ... حَمَاكَ الوَاحِدُ الصَّمَدُ»

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٥/ ١٥٠ رقم ٢١٧٠. إعلام النبلاء ٤/ ٤٠٦. التكملة لوفيَات النقلة ٣/ ٦٣٠ رقم ٣١٣٦. صلة التكملة للحسيني/ ورقة ٨. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ ـ ٦٥٠) ص ١٠٠ ـ ١٠١ رقم ٥٩.

غازي بن يوسف، صاحب حلب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: [من البسيط]

حَيَّتْ سُلَيْمَىٰ فَأَحْيَتْ مُغْرَماً دَنِفَا ... ثُمَّ اسْتَقَلَّتْ فَأَفْنَتْ قَلْبَهُ أَسَفَا
وَغَادَرَتْهُ غَرِيماً لِلْغَرَامِ بِهَا ... وَعَوَّضَتْهُ صُدُوداً زَائِداً وَجَفَا
هَا قَدْ وَهَىٰ صَبْرُهُ يَا ظَاعِنِينَ وَقَدْ ... أَمْسَىٰ لَنَا بِكُمُ بِالسُّقْمِ مُلْتَحِفَا
وَانْهَلَّ مِنْ وَابِلِ الأَجْفَانِ زَاخِرُهُ ... شَوْقاً إِلَيْكُمْ خَبَايَا دَمْعِهِ نَزَفَا
أَحْبَابَنَا بَانَ صَبْرِي يَوْمَ بَيْنِكُمُ ... لَهْفاً عَلَىٰ طِيبِ عَيْشٍ لِي بِكُمْ سَلَفَا
للهِ أَيَّامُنَا وَالشَّمْلُ مُشْتَمِلٌ ... وَحَادِثُ الدَّهْرِ عَنَّا صَرْفُهُ صُرِفَا
يَا آمِرِي الصَّبْرَ إِنِّي بَعْدَ بُعْدِهِمُ ... وَاللهِ أَسْتَعْذِبُ التَّعْذِيبَ وَالتَّلَفَا
وَيَا مُكَلِّفِيَ السُّلْوَانَ حَسْبُكَ بِي ... يَكْفِيكَ مَا حَلَّ بِي مِنْ فَقْدِهِمْ وَكَفَىٰ
/١٢٩أ/ وَحَقِّ سَالِفِ عَيْشٍ مَرَّ لِي بِهِمُ ... مَا لَذَّ عَيْشٌ وَلَا وِرْدُ الحَيَاةِ صَفَا
يَا قَاتَلَ اللهُ يَوْمَ البَيْنِ كَمْ كَبِدٍ ... ذَابَتْ وَكَمْ مَدْمَعٍ فِيهِ دَماً ذَرَفَا
دَعْنِي بِوَجْدِي عَلَىٰ فَقْدِ الفَرِيقِ وَإِنْ ... أَعْيَىٰ وَبَرَّحَ بِيَ التَّبْرِيحُ وَاعْتَسَفَا
يَا صَاحِ يَا صَاحِ مِنْ وَجْدِي وَمِنْ حُرَقِي ... وَكُنْهِ حَالٍ عَلَىٰ التَّحْقِيقِ مَا عُرِفَا
هَذِي مَنَازِلُ مَنْ أَهْوَىٰ فَدَعْ عَذَلِي ... لَا عُذْرَ إِنْ لَمْ أَمُتْ فِي رَسْمِهَا شَغَفَا
دَاءٌ لِقَلْبِ المُعَنَّىٰ الصَّبِّ لَيْسَ لَهُ ... سِوَىٰ مَدِيحِ غِيَاثِ الدِّينِ قَطُّ . . . .
يُعْطِي رَغَائِبَ آمَالٍ إِلَيْهِ سَرَتْ ... غَرَائِبَ الجُودِ حَتَّىٰ يُوهِمَ السَّرَفَا

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الهزج]

بِنَفْسِي مُعْرِضٌ عَنَّا ... وَكَمْ مِنْ عَاشِقٍ غَنَّىٰ
وَلَمْ يَعْطِفْ عَلَىٰ صَبٍّ ... صَبَا شَوْقاً وَلَا عَنَّا
أَأَحْبَابِي لَئِنْ غِبْتُمْ ... فَقَلْبِي لَكُمُ مَغْنَىٰ
فَلَا أَبْصَرْتُ أَحْلَىٰ مِنْـ ... ـكُمُ لَفْظاً وَلَا مَعْنَىٰ
فَكَمْ يَبْكِي مُعَنَّاكُمْ ... إِذَا مَا لَيْلُهُ جَنَّا
وَيُبْدِي فَرْطَ وَجْدٍ مَنْ ... رَآهُ قَالَ: قَدْ جُنَّا
يُنَادِيكُمْ بِنَادِيكُمْ ... وَإِنْ وَاشٍ وَشَىٰ كَنَّىٰ
/١٢٩ب/ تُرَىٰ يَجْتَمِعُ الشَّمْلُ ... بِمَنْ يَهْوَىٰ كَمَا كُنَّا

وأنشدني أيضًا لنفسه في غلام اسمه لؤلؤ: [من الرمل]

يَـا لَقَـوْمِـي مِـنْ غَـرِيْـرٍ   جَعَـلَ الإعْـرَاضَ ثُغْـرَهْ

بَـدْرُ تَـمٍّ فَـوْقَ غُصْـنٍ   إسْمُـهُ يُشْبِـهُ ثَغْـرَهْ(١)

---

(١) بعد هذا جاءت الترجمة التالية وقد شُطب عليها، ولغرض إتمام الفائدة، وللحفاظ على الأمانة العلمية نوردها هنا:

«/ تتمة ١٢٩ب/ **مُحَمَّدُ بنُ طلحةَ بن مُحَمَّد بن الحسن بن مُحَمَّد بن عمرَ بن أبي القاسمِ بنِ أبي النمر النصيبيُّ القُرَشيُّ العمريُّ من أولاد عمرَ بن الخطاب ـ رَضي الله عنه ـ.**

القاضي الفقيه المفتي المدَرس الشافعي المتفنن في علوم متعددة منها؛ المذهب والأصول والفرائض والخلاف والتفسير والأحاديث النبوية وينضاف إلىٰ ذلك معرفة النحو واللغة والترسل الحسن، والشعر الرقيق.

لقيته بمدينة حلب يوم الجمعة عاشر جمادىٰ الأولىٰ بظاهرها بمدرسة الهروي سنة أربع وثلاثين وستمائة، وقد وردها من دمشق في رسالة عن السلطان الملك الأشرف مظفر الدين أبي الفتح موسىٰ بن محمد بن أيوب ـ رحمه الله ـ وسألته عن ولادته، فذكر أنَّه ولد عاشر المحرم سنة إثنتين وثمانين وخمسمائة بنصيبين.

[من المتقارب]

/ ١٣٠أ/ وَلَـوْ يَسْتَطِيْـعُ مَحَـا بِـالـدُّمُـوْعِ   مِـنَ اللَّـوحِ مَـا لِلنَّـوَىٰ مِـنْ كِتَـابَـهْ

وَنَـذْرٌ عَلَيْـهِ مَتَـىٰ جَـاءَهُ   بَشِيْـرُ الـوِصَـالِ كَسَـاهُ ثِيَـابَـهْ

وَلَـوْ أنَّـهُ مَـا .... قلبـه   لَجَـارَ بِـإعْطَـابِـهِ فِـي الإنَـابَـهْ

وَلَكِـنْ هَـوَىٰ رِقَّـهُ صَـاحِـبٌ   يُـذَلِّـلُ مِـنْ كُـلِّ خَطْـبٍ صِعَـابَـهْ

وأنشدني أيضًا لنفسه ما كتبه إلىٰ صفي الدين أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن محمود الكاتب المصري المعروف بالأسود: [من الخفيف]

لَـكَ فِـي حَبَّـةِ الفُـؤَادِ وَلاَ أُبْـ   ـدِيْ.... بكـاء العَـدِيْـم

إرْتَجْتَـهُ إذَا الخُصُـومُ تَـدَاعَـتْ   يَـوْمَ فَصْـلِ القَضَـاءِ بَيْـنَ الخُصُـوْمِ

يَـوْمَ تَفْنَـىٰ الـدُّنْيَـا وَيُكْشَـفُ عَـنْ سَـا   قٍ وَيَنْسَـىٰ الحَمِيْـمُ عَهْـدَ الحَمِيْـمِ

يَـوْمَ يَـدْعُـو الـدَّاعِـيْ وَيُنْفَـخُ فِـيْ الصُّـو   رِ وَتَعْنُـو الـوُجُـوْهُ لِلْقَيُّـوْمِ

ذَلِـكَ اليَـوْمُ أسْعَـدَكَ واليـو   مَ وَقَـدْ فَـازَ سَعْـدُ الكَـرِيْـمِ

فَـاسْتَمِعْهَـا بِكْـرًا مُحَبَّـرةَ الألْفَـاظِ   مِـنْ نَظْـمِ خَـاطِـرٍ مُسْتَقِيْـمِ

قِسِّـمِ القَـوْلَ فَـالَّـذِيْ فِيْـكَ حِـلُّ   وَقَضَـىٰ فِـيْ سِـوَاكَ بِـالتَّحْـرِيْـمِ

/ ١٣٠ب/ وقال أيضًا: [من البسيط]

دَعِ المَـلاَمَ فَمَـا يُجْـدِي سِـوَىٰ النَّصَـبِ   وَاعْـذُرْ أخَـاكَ عَلَـىٰ مَـا عِنْـدَهُ تَعَـبِ

وَكَيْـفَ تَطْمَـعُ فِـيْ السُّلْـوَانِ مِـنْ كَلِـفٍ   مُغْـرًى بِتَـذْكَـارِ أيَّـامِ الصِّبَـا وَصَـبِ

يَطْـوِي الضُّلُـوْعَ عَلَـىٰ قَلْـبٍ صَبَـابَتُـهُ   قَضَـتْ بِتَحْـرِيْـمِ طِيْـبِ اللَّهْـوِ وَاللَّعِـبِ»

ترجمته في: مجمع الآداب ٤/ ٢٣٠ رقم ٣٧٣٠. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٩٣ رقم ١٩٩. ذيل الروضتين ١٨٨. صلة التكملة ٢/ الورقة ١١. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٥١ ـ ٦٦٠) ص١٣٤ ـ ١٣٤ رقم ٨٥. عقد الجمان ١/ ٩٤ ـ ٩٥. مرآة الجنان ٤/ ١٢٨ ـ ١٢٩. طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة=

[٧٩٨]
مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّد بن عبد الله بن علوان بن أبي بكر، المعروفُ والدُهُ بالأستاذ، أبو المكارِم الأَسَديُّ الحلبيّ.

هو ابن عم القاضي زين الدين أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأسدي، قاضي حلب.

أبو المكارم فقيه شافعي المذهب، مترسل مدرس، يدرس الفقه بالمدرسة الأسدية، ثم أضيف إليه النظر في التركات الحشرية. وهو رجل فاضل عالم بالعربية والأدب، شاعر مجيد، حسن الشعر، مليح الكلام في نظمه ونثره، جليل القدر.

لقيته بحلب يوم السبت خامس رجب سنة أربع وثلاثين وستمائة، وأخبرني أنَّه ولد يوم السبت خامس عشر من ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة.

وأنشدني لنفسه يمدح القاضي أبا محمد عبد الله بن عبد الرحمن الحلبي، / ١٣١أ/ ويهنّيه بولاية القضاء مدينة حلب. وكتب بالولاية منشور، ولاّه ذلك الملك.... غياث الدين محمد بن غازي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ واتفق يوم ذلك.... ثلج كثير، وأعقبه غيث متدفق، فقال: [من الكامل]

يَـا حَـاكِـمَ الـدُّنْيَـا وَوَاحِـدَ عَصْـرِه ... دُمْ للـزَّمَـان فَـأَنْـتَ مَـالِـكُ أَمْـرِه
أَيَّـامُ مَجْـدِكَ كُلُّهَـا أَعْيَـادُهُ ... وَكَـذَا لَيَـالِيْـه لَيَـالِـيْ قَـدْرِه
لَحَظَـاتُ عَـدْلِـكَ لاَ يَقُـومُ بِشُكْـرِهَـا ... نَظْـمُ الشُّكُـوْرِ وَنَظْمُـهُ فـيْ عُمْـرِه
أُلْبِسْـتَ أَكْـرَمَ مَلْبَـسٍ لكِنَّـهُ ... بِـكَ عَـادَ يَـرْفُـلُ فِـي مَـلاَبِـسِ فَخْـرِه

= ٢/ ٤٥٢ ـ ٤٥٣ رقم ٤٢١. طبقات الإسنوي ٢/ ٥٠٣ رقم ١٢٠٠. المقفى الكبير ٥/ ٧٥٣ ـ ٧٥٤ رقم ٢٣٨٤. العبر ٥/ ٢١٣. الوافي بالوفيات ٣/ ١٧٦ رقم ١١٤٦ وفيه: «توفي سنة اثنتين وخمسين وستمائة وقد جاوز السبعين». عيون التواريخ ٢٠/ ٧٨. طبقات السبكي ٨/ ٦٣ رقم ١٠٧٦. البداية والنهاية ١٣/ ١٨٦. إعلام النبلاء بتأريخ حلب الشهباء لمحمد راغب الطباخ ٤/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧ رقم ٢١٩. شذرات الذهب ٥/ ٢٥٩. النجوم الزاهرة ٧/ ٣٣. الأعلام ٧/ ٤٥. السلوك للمقريزي وفيه: «محمد بن أحمد بن هبة الله بن طلحة». الإعلام بوفيات الأعلام ٢٧٢. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٥٠. كشف الظنون ٣٦٠، ٥٩٢، ٧٣٤، ٩٥٤، ١١٥٢، ١٧٦٠، ١٩١٥، ١٩٦٦. إيضاح المكنون ٢/ ٤٩٩. هدية العارفين ١٠/ ١٠٤ ـ ١٠٥.

ثَـوْبٌ حَكَـىٰ الفَلَـكُ المُسَخَّـرُ لَـوْنَـهُ   وَحَكَـتْ ضِيَـاءَكَ فِيْـهِ طَلْعَـةُ بَـدْرِه

وَأَتَـاكَ تَقْلِيْـدُ القَضَـاءِ . . . .   بعقـود . . . . لاَهِيَـا عَـنْ دُرِّه

وَرَكِبْتَ مَرْكُوبًا تَوَدُّ الرِّيْحُ لَو   كَانَتْ تَنُوبُ بِمَرِّهَا عَنْ مَرِّه

وَطَلَبْتَ لِلتَّدْرِيْسِ فِي مَغْنًى شَكَا   ظُلْمًا عَرَتْهُ فَكُنْتَ غُرَّةَ فَجْرِه

اليَوْمَ عَادَ أَبُو المَحَاسِنِ حَاكِمَ الـ   ـحُكَّامِ غَيْرَ مُرَوَّعٍ فِي قَبْرِه

وَغَدَتْ عُيُوْنُ الحُكْمِ وَهْيَ قَرِيْرَةٌ   وَالدَّسْتُ وَهْوَ مُسَلَّمٌ مِنْ ذُعْرِه

أَكْرِمْ بِذَا اليَوْمِ الَّذِي قَدْ عَمَّنَا   بِرًّا فَحَقَّ لَنَا القِيَامُ بِشُكْرِه

/ ١٣١ب/ كُنَّا نَذَرْنَا صَوْمَهُ لَكِنَّهُ   عِيْدٌ فَلَيْسَ يُصَامُ فِيْهِ بِنَذْرِه

زَيْنَ البَرِيَّةِ يَا أَجَلَّ مُحَكَّمٍ   أَضْحَى العَلاَءُ بِأَسْرِه فِي يُسْرِه

يَا مَنْ إِذَا مَا المُشْكِلاَتُ اسْتَكْلَفَتْ   صَدَرَتْ سَوَانِحُ بِرِّهَا عَنْ صَدْرِه

وَإِذَا المَعَانِي أَظْلَمَتْ أَرْجَاؤُهَا   أَبْدَتْ كَوَاكِبَهَا دَيَاجِي حِبْرِه

طُلْتَ البَرِيَّةَ بِالسَّنَاءِ وَبِالسَّنَى   فَلَكُ الفَخَارِ بِحَدِّهِ وَبِقَصْرِه

يَا ثَالِثَ العُمَرَيْنِ وَالقَمَرَيْنِ فِي   إِنْصَافِهِ بَيْنَ الأَنَامِ وَقَدْرِه

. . . . . مُوَافِقٌ وَمُخَالِفٌ   وَمُوَحِّدٌ وَمُبَالِغٌ فِي كُفْرِه

وَأَفَادَكَ الإِجْمَاعُ مَا قُلِّدْتَهُ   يَا مُعْلِمًا بِالسِّرِّ . . . . جَهْرِه

وَسَخَا الغِيَاثُ عَلَى الوَرَى بِكَ حَاكِمًا   فَسَخَا الغَمَامُ عَلَى الأَنَامِ بِقَطْرِه

وَكَسَا النُّثَارُ الجَوَّ عُرْيَانَ الثَّرَى   حُلَلَ البَيَاضِ وَكَانَ فَاقِدَ طِمْرِه

فَتَسَاوَقَ الغَيْثَانِ فِي شَأْوَيْهِمَا   وَغِيَاثُنَا بِكَ جَلَّ مَوْقِعُ بِرِّه

لله مَنْشُورٌ طَوَى عَنَّا الأَسَى   وَأَطَابَ بُشْرَى الخَافِقَيْنِ بِنَشْرِه

وَأَجَادَ ذِكْرَ مَنَاقِبِ القَاضِي الَّذِي   قَدْ صَغَّرَ الخَبَرَ العَظِيْمَ بِخُبْرِه

أَبْقَى الإِلَهُ لَنَا العَزِيْزَ مُحَمَّدًا   مَلِكَ الزَّمَانِ وَنُورَ نَاظِرِ دَهْرِه

فَلَقَدْ كَسَا الإِنْصَافَ ثَوْبًا مُعْلَمًا   يَبْقَى عَلَى حَدَثِ الزَّمَانِ بِذِكْرِه

/ ١٣٢أ/ وَسَعَى لِنَظْمِ المُلْكِ سَعْيَ جُدُوْدِه   وَأَبِيْهِ وَالمَلِكِ العَزِيْزِ بِمِصْرِه

وَرَعَى رَعِيَّتَهُ وَلَمْ يُنْزِلْهُمُ   هَمَلاً بِمَا بَذَلَ امْرُؤٌ مِنْ تِبْرِه

أَرْضَى الخَلاَئِقَ وَالإِلَهَ بِحُكْمِ مَنْ   يَرْضَى الإِلَهُ بِنَهْيِهِ وَبِأَمْرِه

وَحَبَا القَضَاءَ بِمَنْ غَدَا أَوْلَى بِهِ   فَحَبَاهُ رَبُّ العَالَمِيْنَ بِنَصْرِه

وَأَعَادَ مُلْكَ الأَرْضِ طَوْعَ يَمِينِهِ وَالحَادِثَاتُ قَصِيرَةً عَنْ قَصْرِهِ
وَجَزَاهُ خَيْرَ جَزَائِهِ فَلَقَدْ سَمَتْ نُعْمَاهُ عَنْ نَظْمِ الثَّنَاءِ وَنَثْرِهِ(١)

/ ١٣٢ب/ (٢).

/ ١٣٣أ/ (٣).

[٧٩٩]

مُحَمَّدُ بنُ إِيَاسِ بنِ عبدِ الله، أبو عبدِ الله الحَرَّانيُّ.

كان والده مولىٰ هبة الله بن. . . . .

كان شابًا كيسًا، دمثًا حسن المعاشرة، يميل إلىٰ الفضل والأدب، ويُعاني حفظ الأشعار الرائقة، وربّما نظم منه شيئًا. وكان حافظًا للقرآن العزيز، كثير التلاوة له، خير الطباع، ذا تودد إلىٰ الناس، وله ثروة من الدنيا.

كان سافر البلاد تاجراً، سافر قطعة من بلاد العجم. إلىٰ بلاد العراق إلىٰ الديار المصرية؛ فهجم الخوارزمية علىٰ حرّان، فأخذوا الموجود من ماله، فقلّ ما بيده، ونزل حلب فصار يضارب للناس، وساءت حاله؛ ثم مرض في أثناء ذلك ونقل إلىٰ البيمارستان، فأقام به مُدّيدة. وتوفي به في يوم الجمعة رابع عشر صفر، ودفن ظاهر المدينة، بتربة بني العجمي شمالي البلد في سنة اثنتين وأربعين وستمائة.

أنشدني لنفسه: [من البسيط]

يَا سَاكِنِيْ مِصْرَ فِيْ قَلْبِيْ لِبُعْدِكُمُ نَارُ اشْتِيَاقٍ بِفَيْضِ الدَّمْعِ تَتَّقِدُ
مَا إِنْ ذَكَرْتُ لَيَالِيْنَا الَّتِيْ سَلَفَتْ إِلَّا تَبَادَرَ دَمْعُ العَيْنِ يَطَّرِدُ
وَلَسْتُ أَشْكُوْ فَقْدَ السَّقَامِ بِكُمْ لِأَنَّهُ كَانَ لَمَّا كَانَ لِيْ جَسَدُ

/ ١٣٤أ/ أخذه من قول أبي الطيب المتنبي:

---

(١) بعدها بياض يزيد على نصف صفحة.
(٢) بياض في الأصل.
(٣) بياض في الأصل.

(وَشَكيَّتِـــي فَقْـــدُ السَّقَـــامِ لأنَّــهُ قَــدْ كَــانَ لمَّــا كَــانَ لِــيْ أعْضَــاءُ)(١)

[٨٠٠]

مُحَمَّدُ بنُ عبد الله بنِ عبد الله بنِ مالكٍ، أبو عبد الله الطائيُّ(٢).

من أهل جَيّان، مدينة من مُدن المغرب(٣).

استوطن محروسة حلب؛ شاب فاضل، حافظ للقرآن الكريم، يشدو طرفًا من علم العربية.

أنشدني لنفسه ملغزاً باسم وهو سلمان: [من البسيط]

فَيَطْمَـعُ الضَّـبُّ فِـي المَـأمُـوْلِ مُـرْتَقَبَـا بِغَيْـرِ ذِكْـرِ ٱسْـمِ مَـنْ أهْـوَىٰ بلفـظ سَـلِ

(١) البيت في ديوان المتنبي (صادر) ص١٢٥.

(٢) في هامش الأصل: «توفي في الثاني عشر من شعبان سنة اثنتين وسبعين وستمائة بدمشق، ودفن بسفح جبل قاسيون من الغد؛ ومولده سنة ستمائة أو إحدى وستمائة؛ بجيان من عمل كومة».

ترجمته في: الوافي بالوفيات ٣/ ٣٥٩ ـ ٣٦٤ رقم ١٤٣٩. تاريخ الملك الظاهر ٩٥ ـ ٩٦. المختصر في أخبار البشر ٤/ ٨. نهاية الأرب ٣٠/ ٢١٤. العبر ٥/ ٣٠٠. المشتبه في الرجال ١/ ١٢٩. طبقات السبكي ٥/ ٢٨. مرآة الجنان ٤/ ١٧٢. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٧١ ـ ٦٨٠) ص١٠٨ ـ ١١١ رقم ٨٣. دول الإسلام ٢/ ١٧٤. المعين في طبقات المحدثين ٢١٤ رقم ٢٢٣٥. الوفيات لابن قنفذ ٣٣٢ رقم ٦٧٢. عيون التواريخ ٢١/ ٥٠. ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٣٢. تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣. تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٩١. فوات الوفيات ٢/ ٤٥٢ ـ ٢٤٨. غاية النهاية ٢/ ١٨٠. بروكلمان Br.Snppl 1,521. بغية الوعاة ١/ ١٣٠. شذرات الذهب ٥/ ٢٩٥. عقد الجمان ٢/ ١٢٣ ـ ١٢٤. النجوم الزاهرة ٧/ ٢٤٤. مشيخة ابن جماعة ٢/ ٤٩١ ـ ٤٩٥ رقم ٥٨. البداية والنهاية ٣/ ٢٦٧. السلوك ج١ق٢/ ٦١٣. توضيح المشتبه ٢/ ١٤٩. نفح الطيب ٧/ ٢٥٧ ـ ٢٩٦. مفتاح السعادة ١/ ١١٥ ـ ١١٧. تاريخ ابن الفرات ٧/ ١٩. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٨٠. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٦٦. ذيل معرفة القراء الكبار لابن مكتوم ٦١٠. تاريخ ابن أسباط ١/ ٤٣٥. البلغة للفيروزآبادي ٢٢٩. ديوان الإسلام ٤/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠ رقم ١٩٩١. طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣/ ٥ ـ ٦ رقم ٤٥٠. طبقات النحاة واللغويين، له ١٣٣. الدليل الشافي ٢/ ٦٤٢ رقم ٢٢٠٩. دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٢٧٢. تاريخ آداب اللغة العربية ٣/ ١٤٠. تاريخ الخلفاء ٤٨٣. الأعلام ٧/ ١١١. معجم المؤلفين ١٠/ ٢٣٤. كشف الظنون ٨٢، ١١٩، ١٣٣، ١٤٤، ١٥١، ٢٠٥، ٤١٢، ٥٥٣، ٦٤٩، ٦٩٤، ٩٧٨، ١٠٨٧، ١١٦٦، ١١٧٠، ١٢١٩، ١٣٠١، ١٣٣٨، ١٣٤٤، ١٣٦٩، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٤٦٢، ١٥٣٦، ١٥٨٧، ١٧٧٤، ١٧٩٨، ١٨٠٠، ١٩٦٤. إيضاح المكنون ١/ ٢٦٠، ٢/ ٢٣. هدية العارفين ٢/ ١٣٠.

(٣) جيّان: مدينة واسعة بالأندلس، في شرقي قرطبة، بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخًا. انظر: معجم البلدان/ مادة (جيان).

وَيُعْقِبُ اليَـأْسُ بَـاقِـي اللَّفْـظِ منْـه كَمَـا ... يَقُـوْلُ . . . . حـدثـت النفـس أي كـذبـا

وأنشدني لنفسه ملغزاً في الشكر(١) : [من الكامل]

مَـا اسْـمٌ بِـإجْمَـاعِ البَـرِيَّـةِ وَاجِـبٌ ... وَإِذَا يَخِـفُّ مُصَحَّفـاً فَحَـرَامُ

وَإِذَا تُثَقِّلُـهُ لَـدَىٰ تَصْحِيْفِـه ... فَهْـوَ الحَـلاَلُ الحُلْـوُ كَيْـفَ يُـرَامُ

وأنشدني أيضًا له يلغز بالمال : [من الخفيف]

إِسْـمُ هَـذَا الَّـذِيْ أَلِفْـتُ هَـوَاهُ ... فِعْـلُ قَلْبِـيْ يُسْمَـىٰ إذا هُـوَ فِعْـلُ

/ ١٣٤ب/ كُلُّـهُ فِـيْ آخِـرِ أَحْـرُفِـه بَـادٍ ... وَإِذَا مَـا عَكَسْتَـهُ حِيْـنَ تَتْلُـو

وَإِذَا صَـارَ أَوَّلاً مِنْـهُ ثَـانٍ ... فَهْـوَ مَعْنَـىٰ مَـا آمَـلُ عَنْـهُ يَسْلُـو

وَإِذَا أَوَّلٌ تَـأَخَّـرَ مِنْـهُ ... فَهْـوَ وَصْـفٌ لِكُـلِّ مَـنْ عَنْـهُ ضَلُّـوا

وأنشدني أيضًا لنفسه في امرأة اسمها عين(٢)، يلغز بها : [من الطويل]

عَجِبْـتُ لِلَفْـظٍ فِـيْ اكْتِمَـالِ حُـرُوْفِـه ... يُبَيِّـنُ مَعْنًـى ثُلْثُـهُ عَنْـهُ يُعْـرِبُ

وَفِـيْ الثُّلْـثِ الثَّـانِـيْ دلاَلاَتٌ أَرْبَـعٌ ... وَفِـيْ الثُّلْـثِ البَـاقِـي دَلِيْـلاَنِ فَـاعْجَبُـوا

وأنشدني لنفسه، ما كتبه إلىٰ نجم الدين أبي الفضل الياس بن الياس الإربلي، الفقيه الشافعي : [من المجتث]

وَفِتْيَـةٍ صَـدَقَـتْ فِيْـ ... ـهِمُ الأَمَـانِـيْ ظُنُـوْنَـا

وَنَـاوَلَتْهُـمْ يَـدَاهَـا ... مِـنْ الأَيَـادِيْ فُنُـوْنَـا

وَحَـاوَلُـوْا أَنْ يَنَـالُـوْا ... وَجْـهَ التَّهَـانِـيْ المَصُـوْنَـا

لَكِـنْ لإِدْرَاكِ هَـذَا ... بِـالنَّجْـمِ هُـمْ يَهْتَـدُوْنَـا

فَفَـضَّ خَتْـمَ رِضَـاهُـمْ ... لِكَـيْ يَقِـرُّوا عُيُـوْنَـا

---

(١) البيتان في هامش تأريخ الإسلام ص١١١ .
(٢) البيتان في هامش تأريخ الإسلام ص١١١ .

[٨٠١]

مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ بن مُحَمَّد بن عليٍّ بن يحيىٰ / ١٣٥أ/ بن طاهر بن مُحَمَّد بن عَبد الرحيم بن مُحَمَّد بن إسماعيلَ بنِ نُبَاتَةَ، أبو الفَتحَ بنِ أبيَ الحَسنِ القرشيُّ العَبْسيُّ(١).

وجدّه الخطيب عبد الرحيم بن محمد، هو المشهور بالخطابة، وبيت العلم والفضل بميافارقين.

وأبو الفضل رجل نبيه القدر من ذوي الهيّات الكبراء الأماثل، حفظ القرآن الكريم، ونظر في شيء من الأدب، وله نظم ونثر، لم يقصّر في إنشائهما.

تقدّم في دولة الملك الأشرف شاه أرمن أبي الفتح موسىٰ بن أبي بكر بن أيوب بخلاط، سنة تسع وستمائة، وميّزه علىٰ نظرائه حتىٰ كاد يجري مجرىٰ الوزراء عنده، وسار معه إلىٰ حرّان، ومنها إلىٰ دمشق، وبقي في خدمته إلىٰ أن مات الملك الأشرف.

نزل مدينة حلب في سنة خمس وثلاثين وستمائة قاصداً ديار بكر، فلقيته بها في شهر صفر سنة ستٍّ وثلاثين، فألفيته شيخًا حسنًا كيّسًا، نقي الشيبة. وذكر لي أنّه ولد في ربيع الأول بماردين(٢) سنة إحدىٰ وسبعين وخمسمائة.

أنشدني لنفسه، ما كتبه في ضمن شكايته إلىٰ ولده أبي عبد الله معاذ:

[من الطويل]

وَمَا رَوْضَةٌ فَاحَتْ مَجَامِرُ نَوْرِهَا ... سُحَيْراً وَقَدْ بَاتَ السَّحَابُ يَجُوْدُهَا
/ ٢٧٢/ تَبَسَّمَ في أَقْطَارِهَا الزَّهْرُ بَعْدَ أَنْ ... بَكَتْهَا بُرُوْقٌ سَاعَدَتْهَا رُعُوْدُهَا
بِأَحْسَنَ عِنْدِيْ مِنْ كِتَابٍ سُطُوْرُهُ ... يُضَاهِيْ عُقُوْدَ الغَانِيَاتِ نَضِيْدُهَا
إِذَا مَا قَرَأْنَاهُ يَوُدُّ جَلِيْسُنَا ... لِمَا قَدْ حَوَتْ أَلْفَاظُهُ لَوْ نُعِيْدُهَا
مُعَاذُ لَقَدْ أَقْرَرْتَ عَيْنِيْ بِشِمِهِ ... . السَّبْقِ طُرّاً حَمِيْدُهَا

---

(١) ترجمته في: تاريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ ـ ٦٥٠) ص٣٢٩ رقم ٤٤٥، وفيه: «مات بميافارقين في ثالث عشر رجب سنة ست وأربعين وستمائة».

(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (ماردين).

وَصَدَّقَتْ لِي فِيْكَ المَخِيْلَةَ فَاغْتَدَتْ ... وَقَدْ سَالَ وَادِيْهَا وَأَوْرَقَ عُودُهَا

وأنشدني لنفسه إليه أيضًا: [من الطويل]

أَتَانِيْ كِتَابٌ مِنْكَ لَمَّا فَضَضْتُهُ ... تَضَوَّعَتِ الآفَاقُ مِنْ نَشْرِهِ عَرْفَا
وَأَقْرَأَنِيْ عَنْكَ السَّلاَمَ كَأَنَّمَا ... حَبَانِي بِهِ نُعْمَى وَخَوَّلَنِيْ عُرْفَا
كَأَنَّ بِهِ قُسًّا يَقُصُّ بَلاَغَةً ... غَدَتْ لِبَدِيْعِ القَوْلِ بَيْنَ الوَرَىٰ صُحْفَا[1]
فَمَا الأَمْنُ بَعْدَ الخَوْفِ أَعْقَبَهُ الغِنَىٰ ... لِذِيْ فَاقَةٍ مُذْ كَانَ لَهَا حِلْفَا
وَإِطْلاَقُ مَأْسُوْرٍ وَأَوْبَةُ غَائِبٍ ... وَيُرْشِفَا المَوْصُوبِ مِنْ بَعْدِ مَا أَشْفَىٰ
وَإِسْعَافُ دَهْرٍ بِالسَّعَادَةِ لاِمْرِئٍ ... بَلاَهُ بِصَرْفٍ لاَ يُطِيْقُ لَهُ صَرْفَا
بِأَحْسَنَ عِنْدِيْ . . . . مِنْ وقُوعِهِ ... .
فَأَنْهَلَنِيْ مِنْ دَرِّ مَعْنَاهُ قَرْقَفًا ... وَشَنَّفَنِيْ مِنْ دُرِّ أَلْفَاظِهِ شَنْفَا
فَأَلْصَقْتُهُ بِالقَلْبِ أَنْعِىٰ سُقَاهُ ... وَأَرْشُفُ بِالتَّقْبِيْلِ أَسْطُرَهُ رَشْفَا
/١٣٦أ/ فَأَطْفَأَ نَارًا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّهَا ... بِغَيْرِ التَّلاَقِي لَيْسَ تَخْبُو وَلاَ تُطْفَا

وأنشدني أيضًا لنفسه، في الملك الأشرف: [من الكامل]

مُوْسَىٰ الكَرِيْمُ حَكَىٰ الكَلِيْمَ بِخَلَّةٍ ... هِيَ لِلْمَحَامِدِ وَالْـ. . . . يُؤلِّفُ
فَعَصَا الكَلِيْمِ غَدَتْ تَلَقَّفُ سِحْرَهُمْ ... وَنَدَىٰ الكَرِيْمِ لِفَقْرِنَا يَتَلَقَّفُ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من المنسرح]

المَلِكُ الأَشْرَفُ الَّذِيْ بَهَرَتْ ... صِفَاتُهُ النَّيِّرَيْنِ إِشْرَاقَا
سَمَا سَمَاءَ العُلاَ لِمَحْتِدِهِ ... وَرَاقَ خَلْقًا وَرَاقَ أَخْلاَقَا
أَخْطَأَ مَنْ قَاسَ جُوْدَهُ بِحَيًا ... هَيْهَاتَ قَدْ بَذَّهُ وَقَدْ فَاقَا
ذَاكَ تَسُحُّ المِيَاهَ مُزْنَتُهُ ... وَكُتْبُ هَذَا تَسُحُّ أَرْزَاقَا

وأنشدني ما كتبه إلىٰ ولده المذكور: [من الطويل]

كِتَابُكَ وَافَانِيْ وَدَمْعِيَ مُطْلَقُ ... وَقَلْبِيْ أَسِيْرٌ فِي يَدِ البَيْنِ مُوْثَقُ
وَلِيْ زَفَرَاتٌ مَا تَنِيْ فِي اتِّقَادِهَا ... تَكَادُ لِنِيْرَانِ البَسِيْطَةِ تُحْرِقُ

---

(١) قس بن ساعدة الإيادي: أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية، كان أسقف نجران، توفي نحو سنة ٢٣ق.هـ.

فَـأَطْلَـقَ مِـنْ أَسْـرِي وَأَخْمَـدَ لَـوْعَتـي ... وَعَـادَ بِـهِ صَفْـواً شَـرَابِـي المُـرَنَّـقُ
فَـأُفْـدِيْـهِ مِـنْ طِـرْسٍ كَـأَنَّ سُطُـورَهُ ... جُمَـانٌ وَمَعْنَـاهُ سُـلاَفٌ مُعَتَّـقُ
/ ١٣٦ب/ سَمَا فَوْقَ أَلْفَاظِ البَرِيَّةِ لَفْظُهُ ... فَمِـنْ أُفْقِـهِ شَمْـسُ البَـلاَغَـةِ تُشْـرِقُ
كِتَـابٌ بِـهِ رُعْـتَ الكِتَـابَـةَ وَاغْتَـدَىٰ ... بِـهِ فَـرَقِـي مِـنْ فُـرْقَـةِ الحُـبِّ يَفْـرَقُ
فَـأُقْسِـمُ بِـالقَـوْمِ الأُلَـىٰ بِـوِلاَئِهِـمْ ... غَـداً لِـذَوِي السَّبْـقِ المُخَفِّيْـنَ أَسْبَـقُ
لَذِكْرُكَ أَحْلَىٰ مِنْ جَنَى النَّحْلِ فِيْ فَمِي ... وَنَشْـرُكَ مِـنْ عَـرْفِ اللَّطِيْمَـةِ أَعْبَـقُ

[٨٠٢]

مُحَمَّدُ بنُ عيّاش بن صباوةَ بنِ أبي بكر بن عبد العزيز بن رضوانَ بن عياشَ بنَ رضوان بنَ منصور بنَ دَويد بنَ صالحَ بنَ زيد بن عمرو بنَ الزبّار بن جابرَ بن كعبَ بنَ عُلَيم بَنِ جَنابَ، أبوَ الفَضلِ بَنِ أبَي البقاءَ النحويُّ الأديبُ العَرَّمَانيُّ[(١)].

وعَرَّمانُ قرية كبيرة من أشهر قُرىٰ صرخد من عمل حوران من نواحي دمشق[(٢)].

كان والده يتولّىٰ قضاء الثغور الشامية؛ وولده هذا درس علم النحو والعربية علىٰ الشيخ أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش النحوي، وأتقن معرفة هذا الشأن، وتَمَهَّر فيه علىٰ أبناء زمانه، وتفقه علىٰ مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ. وأخذ منه جملة وافرة، إلاَّ أَنَّهُ غلب عليه علم الأدب والإعتناء به.

لقيتهُ بحلب المحروسة، وهو ساكن / ١٣٧أ/ بالمدرسة النُوريّة المنسوبة إلىٰ بني عصرون. وتأكدت بيننا صحبة؛ وهو شاب فاضل كيّس، بارع في فنّه، حسن الذكاء، جميل المناظرة، واسع الحفظ لأشعار المحدثين، وغيرها من أشعار العرب، كثير الدعابة والهزل، مائل إلىٰ المزاح بكليته، فيه سماحة، وله نفس؛ وهو مع ذلك يجيد قول الشعر، ويُحكم معانيه.

(١) له ترجمة أخرى سترد في هذا الجزء رقم ٨٤٢.
(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (العرمان).

وأنشدني منه كثيراً له، ومما أنشدني لنفسه، يمدح موسىٰ بن محمد بن موسىٰ القمراوي[(١)]: [من البسيط]

أَصْبَحْتَ عَلاَّمَةَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا ... تُشَدُّ نَحْوَكَ مِنْ أَقْطَارِهَا النُّجُبُ
بَانَ عَلَىٰ كَبِدِ الجَوْزَاءِ مَنْزِلَةً ... تَحُفُّهَا مِنْ خِلاَلِ حَوْلَهَا الشُّهُبُ
مَا نَالَ مَا نِلْتَ مِنْ فَضْلٍ وَمِنْ شَرَفٍ ... سَرَاةُ قَوْمٍ وَإِنْ جَدُّوا وَإِنْ طَلَبُوا

وأنشدني لنفسه[(٢)]: [من الطويل]

وَلمَّا اكْتَسَىٰ بِالشَّعْرِ تَوْرِيْدُ خَدِّهِ ... وَمَا خَالُهُ أَلاَّ يَزُوْلُ إِلَىٰ حَالِ
وَقَفْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ قُلْتُ مُسَلِّماً: ... (أَلاَ انْعَمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ البَالِيْ)

وأنشدني لنفسه[(٣)]: [من مجزوء الكامل]

وَجْهٌ صَفَا مَاءُ الجَمَا ... لِ بِهِ وَشَبَّتْ فِيْهِ نَارُهْ
/ ١٣٧ب/ وَكَأَنَّ خَطَّ ابْنِ العَدِيْـ ... ـمِ عَلَىٰ حَوَاشِيْهِ عِذَارُهْ

وأنشدني لنفسه أيضاً[(٤)]: [من مجزوء الكامل]

قَدْ زُخْرِفَتْ فِيْ وَجْهِهِ ... لِلنَّاسِ جَنَّاتُ النَّعِيْمِ
وَكَأَنَّ خَطَّ عِذَارِهِ الْـ ... ـمَنْسُوْبَ خَطُّ ابْنِ العَدِيْمِ

وأنشدني أيضاً من قوله [أتمَّ به] البيت الأول[(٥)]: [من الطويل]

وَسَمْرَاءَ رَوْدٍ حَجَّبُوْهَا بِأَسْمَرٍ ... يُمَاثِلُهَا فِي اللَّوْنِ وَاللِّيْنِ وَالقَدِّ[(٦)]
جَفَتْ فَجَفَا جَفْنِي الكَرَىٰ بِجَفَائِهَا ... كَأَنَّهُمَا كَانَا لِهَجْرِيْ عَلَىٰ وَعْدِ

(١) سترد مكررة في ترجمته الآتية برقم ٨٤٢.
(٢) سيردا في ترجمته الآتية.
(٣) سيردا في ترجمته الآتية.
(٤) سيردا في ترجمته الآتية.
(٥) سيردا في ترجمته الآتية.
(٦) الرَّود: الناعمة.

وأنشدني أيضًا له[(١)]: [من الطويل]

خَمِيسٌ كمثْلِ البَحْرِ عَبَّ عُبَابُهُ ... أوَائِلُهُ لَيْسَتْ لَهُنَّ أوَاخِرُ
لَهُ تَحْتَ أطْبَاقِ الأرَاضِي زَلازِلٌ ... وَمَنْ فَوْقَ أفْلاكِ النُّجُومِ زَمَاجِرُ

وأنشدني أيضًا له[(٢)]: [من مجزوء الرجز]

يَا مَالِكِي أمْسَيْتُ مَنْ ... وَجْدِي بِهِ مُتَيَّمَا
سَقَامُ جَفْنَيْكَ الَّذِي ... أغْرَىٰ بِجِسْمِيَ السَّقَمَا
وَنَارُ خَدَّيْكَ بِهَا ... وَقَعْتُ فِي جَهَنَّمَا
مِنْ مُنْصِفِي مِنْ شَادِنٍ ... مُهَفْهَفٍ عَذْبِ اللَّمَا
[حَكَّمْتُهُ فِي مُهْجَتِي ... فَجَارَ لمَّا حُكِّمَا
كَأنَّ عِقْدَ لُؤْلُؤٍ ... فِي ثَغْرِهِ قَدْ نُظِمَا
قَدْ رَقَمَ الحُسْنُ لَهُ ... فِي عَارِضَيْهِ أرْقَمَا
نَمَّ بِسِرِّ حُسْنِهِ ... حِينَ بَدَا مُنَمْنَمَا
وَسَلَّ مِنْ جُفُونِهِ ... مِنَ اللِّحَاظِ مِخْذَمَا
وَفَوَّقَ الهُدْبَ بِقَوْسَيْ ... حَاجِبَيْهِ أسْهُمَا
وَهَزَّ لَدْنًا ذَابِلاً ... مِنْ قَدِّهِ مُقَوَّمَا
فَاعْتَرَضَتْ مِنْ دُونَهُ ... يَمْنَعُهُ أنْ يُلْثَمَا
تَحْمِيهِ مِمَّنْ رَامَهُ ... وَحُقَّ لِلثَّغْرِ الحِمَى][(٣)]

/ ١٣٨أ/ وأنشدني لنفسه يصف الشمس[(٤)]: [من البسيط]

وَالشَّمْسُ مُصْفَرَّةٌ فِي الغَرْبِ قَدْ نَشَرَتْ ... شُعَاعَهَا فِي تَفَارِيقٍ مِنَ السُّحُبِ
كَأنَّمَا السُّحْبُ أعْلامٌ مُوَرَّدَةٌ ... وَالشَّمْسُ مِنْ تَحْتِهَا تُرْسٌ مِنَ الذَّهَبِ

وأنشدني لنفسه[(٥)]: [من مجزوء الرجز]

---

(١) سيردا في ترجمته الآتية برقم ٨٤٢.
(٢) سيردا في ترجمته الآتية.
(٣) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.
(٤) سيردا في ترجمته الآتية.
(٥) الأبيات في ترجمته الآتية.

وَشَادن شَادٍ هُوَ الشَّـ ... ـمْسُ ضُحًى بَلْ أَحْسَنُ
قَدْ جُمِعَتْ فِي خَلْقِهِ ... لِنَاظِرَيْهِ الفِتَنُ
يَوَدُّ جِسْمِي أَنَّهُ ... حِيْنَ يُغَنِّي أُذُنُ
فِي مَجْلِسٍ فِيْهِ لَنَا ... أَحْسَنُ مَا يُسْتَحْسَنُ
مَا تَشْتَهِيْهِ الأَنْفُسُ ... وَمَا تَلَذُّ الأَعْيُنُ

وقال أيضًا[1]: [من مجزوء الكامل]

يَا صَاحِ دَعْ عَذْلَ العَوَا ... ذل فِي مُعَتَّقَةِ الرَّحِيْقِ
صِرْفًا تَلَهَّبُ فِي الكُؤُوْ ... سِ كَأَنَّهَا لَهَبُ الحَرِيْقِ
مِمَّا تَخَيَّرَهَا المَسِيْـ ... ـحُ ذَخِيْرَةً لِلْجَاثَلِيْقِ
وَكَأَنَّهَا ذَوْبٌ مِنَ الـ ... ـيَاقُوْتِ لاَ ذَوْبُ العَقِيْقِ
يَسْعَى عَلَيْكَ بِهَا غَزَا ... لٌ كَالغَزَالَةِ فِي الشُّرُوْقِ
/ ١٣٨ب/ رَشَأٌ رَشِيْقٌ قَوَامُهُ ... أَحْلَى مِنَ الغُصُنِ الرَّشِيْقِ
جَلَّتْ بَدَائِعُ حُسْنِهِ ... عَنْ وَصْفِ ذِي الذِّهْنِ الدَّقِيْقِ
لَكَ كُلَّمَا نَادَمْتَهُ ... سُكْرَانِ مِنْ خَمْرٍ وَرِيْقِ
أَوَمَا تَرَى وَشْيَ الرُّبَى ... أَرْبَى عَلَى الوَشْيِ الأَنِيْقِ
كَمْ فِيْهِ مِنْ زَهْرٍ يَرُوْ ... قُ الطَّرْفَ فِي غُصُنٍ وَرِيْقِ
لَمَّا تَخَلَّلَهُ النَّسِيْـ ... ـمُ وَمَسَّهُ مَسَّ الشَّفِيْقِ
لَثَمَتْ ثُغُوْرٌ لِلأَقَا ... حِ بِهِ خُدُوداً لِلْشَقِيْقِ
وَكَأَنَّ نَرْجِسَهُ مَدَا ... هِنُ مِنْ لُجَيْنٍ لِلْخَلُوْقِ
وَكَأَنَّ زَهْرَ بَهَاره الـ ... ـعقيَانُ أَوْ خَدُّ المَشُوْقِ
وَالجَوُّ فِي سِلْكٍ مُطَـ ... ـرَّزَةٍ بِمُذْهَبَةِ البُرُوْقِ
فَاشْرَبْ وَصِلْ مِنْهَا صَبُوْ ... حَكَ كُلَّ يَوْمٍ بِالغَبُوْقِ
وَتَسَلَّ عَنْ كُلِّ الأَنَا ... مِ فَلَيْسَ فِيْهِمْ مِنْ صَدِيْقِ

---

(١) سترد القطعة في ترجمته الآتية.

وله أيضًا[١] : [من الخفيف]

إدَّعَى مُفْتِي الأَنَامِ رَئِيسُ الـ ـشَّامِ زَيْنُ الإِسْلاَمِ قَاضِي القُضَاةْ
أَنَّ ذَا الصَّاحِبَ الوَزِيرَ ابْنَ حَرْبٍ ذَا المَعَالِي وَالأَنْعُمِ السَّابِقَاتِ
/١٣٩أ/ نَاشِرُ العَدْلِ فِي الرَّعِيةِ طَاوِي الـ ـظُّلْمِ عَنْهَا مُوَفَّقُ العَزَمَاتِ
ثَابِتُ القَلْبِ وَاثِبٌ فِي لَظَى الحَرْ بِ مَخُوفُ الثَّبَاتِ وَالوَثَبَاتِ
خَاضِبُ الأَبْيَضِ المُهَنَّدِ وَالأَسْـ ـمَرِ فِي الرَّوْعِ مِنْ نَجِيعِ الكُمَاةِ
وَالشُّهُودُ العُدُولُ عَدْلٌ وَفَضْلٌ وَنَوَالٌ كَالأَبْحُرِ الزَّاخِرَاتِ
وَعَجِيبٌ أَنْ أَدَّعِي مَا أَرَى النَّا سَ أَقَرُّوا بِهِ وَبِالبَيِّنَاتِ

وقال أيضًا[٢] : [من السريع]

أَنْشَدَ عِزُّ الدِّينِ أَشْعَارَهُ فَمَا شَكَكْنَا أَنَّهَا دُرُّ
وَمَا عَجِبْنَا أَنَّهَا مَخْرَجٌ لِلْدُّرِّ مِنْهُ وَهْوَ البَحْرُ
وَأَنَّ أَوْصَافَ الوَزِيرِ الَّذِي يَفْرَقُ مِنْ صَوْلَتِهِ الدَّهْرُ
قَدْ أَكْسَبَتْ أَشْعَارَهُ بَهْجَةً يَخْجَلُ مِنْهَا الشَّمْسُ وَالبَدْرُ

وقال أيضًا[٣] : [من الوافر]

وَمَا لِيْ لاَ أُحَيِّي دَارَ لَيْلَى وَأَحْبِسُ فِي مَعَالِمِهَا رِكَابِي
وَأَعْتَنِقُ التُّرَابَ لَعَلَّ قَلْبِي يُسَكِّنُ حَرَّهُ بَرْدُ التُّرَابِ
وَقَدْ سَلَفَتْ لَنَا فِيهَا بِلَيْلَى لَيَالٍ مِثْلُ رَيْعَانِ الشَّبَابِ

[٨٠٣]

مُحَمَّدُ بنُ عليِّ بن مُحَمَّد بن أحمدَ /١٣٩ب/ العربيُّ، أبو عبد الله، الشيخُ العَارفُ الحاتَميُّ الطائيُّ من ذريّة عبد الله بنِ حاتمِ الطَّائيِّ[٤] .

---

(١) سترد القطعة في ترجمته الآتية عدا البيت الرابع.
(٢) سترد الأبيات في ترجمته الآتية.
(٣) سترد الأبيات في ترجمته الآتية.
(٤) في هامش الأصل: «محيي الدين»، وهو العلامة ابن العربي.
=

كانت ولادته بمدينة مُرْسِيَةَ(١)، في أيام الأمير أبي عبد الله محمد بن سعد بن مردنيس، سنة ستين وخمسمائة. وكانت وفاتُهُ يوم الثاني والعشرين من ربيع الآخر

= ترجمته في: الوافي بالوفيات ٤/ ١٧٣ ـ ١٧٨ رقم ١٧١٣. فوات الوفيات ٢/ ٤٧٨ ـ ٤٨٢ رقم ٤٣٩. شذرات الذهب ٥/ ١٩٠. تأريخ الأدب العربي لبروكلمان ١/ ٥٧١. التكملة للمنذري ٣/ ٥٥٥ رقم ٢٩٧٢. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠) ص٣٧٤ ـ ٣٨١ رقم ٥٤٩. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٤٨ ـ ٤٩ رقم ٣٤. البداية والنهاية ١٣/ ١٥٦. غاية النهاية ٢/ ٢٠٨ رقم ٣٢٧٧. العقد الثمين للفاسي ٢/ ١٦٠ ـ ١٩٩ رقم ٣٢٢. نزهة الأنام لابن دقماق، ورقة ٥٠ ـ ٥٣. عقد الجمان للعيني ١٨/ ورقة ٢٤٣ ـ ٢٤٤. العسجد المسبوك ٢/ ٥٠٠ ـ ٥٠١. المقفى الكبير للمقريزي ٦/ ٣٤٨ ـ ٣٥٥ رقم ٢٨٣٠. لسان الميزان ٥/ ٣١١ ـ ٣١٥ رقم ١٠٣٨. مرآة الجنان ٤/ ١٠٠ ـ ١٠١. نفح الطيب ٢/ ١٦١ رقم ١١٣. عنوان الدراية ٩٧ رقم ١٥٦. النجوم الزاهرة ٦/ ٣٣٩. روضات الجنات ١٩٢. طبقات المفسرين للسيوطي ٣٨. ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد ٢/ ١٥٢ ـ ١٥٣ رقم ٣٨٧. مرآة الزمان ج٨ق٢/ ٧٣٦. ذيل الروضتين ١٧٠. تاريخ إربل ٤٠٨١. تكملة الصلة لابن الأبار ٢/ ٦٥٢. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ٦/ ٦٩٣. الأعلاق الخطيرة ج١ق١/ ١٥٤. نهاية الأرب ٢٩/ ٢٨١. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٤١. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٦٥. رقم ٣٤. العبر ٥/ ١٩٨ ـ ١٩٩. ميزان الاعتدال ٣/ ٦٠٩ ـ ٦٦٠ رقم ٧٩٨٤. المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٢٨ رقم ٢١. نثر الجمان للفيومي ٢/ ورقة ١٢٤ ـ ١٢٥. طبقات الأولياء لابن الملقن ٤٦٩ ـ ٤٧٠ رقم ١٥٣. مجمع الآداب ٥/ ٩٦ ـ ٩٧ رقم ٤٧١٣ (محيي الدين). ديوان الإسلام ٣/ ٣٥٦ ـ ٣٥٨ رقم ١٥٤٤. فهرس الفهارس للكتاني ١/ ٢٣٣ ـ ٢٣٥. طبقات المفسرين للداوودي ٢٢٦ ـ ٢٧٢. الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٢٢٠. فهرس المخطوطات المصوّرة ٢/ ٢٢١. فهرست الخديوية ٤/ ٢٣٤ و٥/ ٣٧١. عقود الجواهر لجميل العظم ١٣ ـ ٣٩. المجدّدون في الإسلام للصعيدي ٢٧٥ ـ ٢٨٢. تاريخ فلاسفة الإسلام للطفي جمعة ٣٧٥ ـ ٣٠٣. الأعلام ٦/ ٢٨١. معجم المؤلفين ١١/ ٤٠ ـ ٤١. ملء العيبة للفهري ٢/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣. تاريخ الخلفاء ٤٦٤. آثار البلاد وأخبار العباد ٢٦٩، ٤٩٧. معجم طبقات الحفاظ والمفسرين ٢٨١ رقم ٥٤١. القاموس الإسلامي لأحمد عطية الله ٥/ ٣٣٠ ـ ٣٣٣. سير الأولياء للخزرجي ٤٧. مفتاح السعادة ١/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣. كشف الظنون ١٤، ٥٨، ٨٢، ١٠٧، ١٦٨، ١٨١، ١٨٢، ١٩٦، ٢٥٢، ٣٥٢، ٣٨١، ٣٩٦، ٤٣٨، ٤٩٤، ٥٣٣، ٦٣١، ٦٥٠، ٦٨٨، ٧٢٢، ٧٣٨، ٧٩٥، ٨٤٤، ٨٤٩، ٨٥٢، ٨٦٩، ٨٧٤، ٨٧٩، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٧، ٨٩٤، ٩٠٠، وصفحات كثيرة أخرى. إيضاح المكنون ١/ ٧٣، ٨٤، ١٣٤، ١٥٢، ١٦١، ١٧٧، ٢٠٩، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٦٦، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٦٨، ٤٠١، ٤١٤، ٤٢٣، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٥٩، ٤٦٥، ٥٦٦، ٥٩٨، ٦٠٥، وصفحات كثيرة أخرى. هدية العارفين ٢/ ١١٤ ـ ١٢١.

وانظر: الدر الثمين في مناقب الشيخ محيي الدين الذي قدّم له الدكتور صلاح الدين المنجد ففيه مصادر ومراجع أخرى.

له ديوان شعر طبع عدة مرات، منها ط دار صادر، بيروت ١٩٩٩، بشرح وتقديم نواف الجراح.

(١) مرسية: مدينة بالأندلس، من أعمال تُدْمير. انظر: معجم البلدان/ مادة (مرسية).

بدمشق، ودُفن بجبل قاسيون بتربة القاضي ركن الدين، وذلك في سنة ثمان وثلاثين وستمائة.

سمع الحديث علىٰ أبي عبد الله محمد بن عبيد الله الحجري، وأبي عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون، وأبي الحسين يحيىٰ بن الضائع السَّبتي، ومحمد بن قاسم بن عبد الكريم. . . .، وجماعة سواهم. وكان أهله أجناداً في خدمة المستولين علىٰ البلاد، وبقي مُدّة جنديًا، ثم رجع عن الجُنديّة في سنة ثمانين وخمسمائة.

وحدثني من لفظه، قال: كان سبب انتقالي عن الجندية، ونبذي لها وسلوكي هذه الطريقة، وميلي إليها، أنني خرجت صحبة مخدومي الأمير أبي بكر يوسف بن عبد المؤمن بن عليّ بقرطبة، قاصدين المسجد الجامع، فنظرته في ركوع وسجود وخشوع، كثير الابتهال إلىٰ الله ـ عز وجل ـ فخطر لي خاطر، أن قُلت في نفسي: إذا كان هذا ملك البلاد خاضعًا/ ١٤٠أ/ متذللاً، يضعُ هذا بين يدي الله تعالىٰ ـ عز وجل ـ فما الدنيا بشيء، ففارقته من ذلك اليوم، وما عدت رأيته أبداً؛ ثم لزمت هذه الطريقة.

وهو رجل له قدم في الرياضة والمجاهدة، وكلام علىٰ لسان أهل التصُّوف، موصوف بالتقدّم والمكانة عند جماعة من أهل هذا الشأن، وله أصحاب مريدون وتلامذة، وصنّف تصانيف كثرة، وتواليف جمَّة، سكن بلاد الروم؛ ملطية، وقونية، وطاف البلاد، ودخل بغداد، ثم سكن بأخَرَةٍ دمشق. وله كلام حسن في الحقيقة يأتيه من غير اشتغال بالعلم.

وقد رزقه الله تعالىٰ خاطراً متوقداً، فانثال عليه هذا الكلام إنثيالاً، ووفق في إستنباطه توفيقًا عجيبًا، ما حير العقول عند سماعه، وسلب القلوب في إيراده.

شاهدته بمحروسة حلب، في يوم الأربعاء سادس ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وستمائة؛ شيخًا يخضّب، وقرأت عليه جميع ما تضمنته هذه الأوراق وأنشدنيها؛ فمن شعره علىٰ طريق العارفين[(١)]: [من الطويل]

أَلاَ يَا حَمَامَاتِ الأَرَاكَةِ وَالبَانِ   تَرَفَّقْنَ لاَ تَنْدُبْنَ بِالنَّوْحِ أَشْجَانِي

(١) الأبيات من قصيدة في ترجمان الأشواق ٤٠ ـ ٤٤ قوامها ١٦ بيتًا وقد أخل بها ديوانه.

/ ١٤٠ب/ تَرفَّقْنَ لاَ تَنْدُبنَ بالنَّوحِ وَالبُكَا ... خَفيَّ صَبَابَاتِي وَمُؤلِمَ أَحْزَانِي
وَمنْ عَجَبِ الأَشْيَاءِ ظَبْيٌ مُبَرقَعٌ ... يُشيرُ بعُنَّابٍ وَيُومِي بأجْفَان
وَمَرعَاهُ مَا بَيْنَ التَرائبِ وَفي الحَشَا ... فَيَا عَجَبًا منْ رَوْضَةٍ وَسْطَ نيرَانَ
لَقَدْ صَارَ قَلْبِي قَابلاً كُلَّ صُورَةٍ ... فَمَرْعًى لِغزلاَنٍ وَدَيْرٌ لِرُهْبَانَ
وَبيْتًا لأَصْنَامٍ وكَعْبَةُ طَائِفٍ ... وَأَلْوَاحُ تَوْرَاة وَمصْحَفُ قُرآنَ
أَدِيْنُ بديْنِ الحُبِّ أَنَّى تَوَجَّهتْ ... رَكَائبُهُ فَالحُبُّ دِيْنِي وَإِيْمَانِي(١)

وأنشدني لنفسه(٢): [من البسيط]

قَالَتْ: عَجِبْتُ لصَبٍّ منْ مَحَاسنه ... يَخْتَالُ مَا بَيْنَ أَزْهَارٍ ببُستَانِ
فَقُلْتُ: لاَ تَعْجَبِي ممَّا تَريْنَ فَقَدْ ... أبصَرْتِ نَفْسَك في مرآة إنْسَانِ

ومن نظمه في المقامات من الفتوحات المكية في التوبة، وأنشدنيه(٣):

[من الكامل]

الإعْترَافُ مَتَابُ كُلِّ مُحَقِّقٍ ... وَبه إلَهُ الحَقِّ يَشْرَحُ صَدرَهُ
رَضِيَ الإلَهُ عَنِ المُخَالف مثْلَمَا ... رَضِيَ الإلَهُ عَنِ المُوَافِقِ أَمْرَهُ
مَاذَا. . . . ينالُ مَنَالَه ... لاَسيَّمَا إنْ كُنْتَ تَعْرِفُ سِرَّهُ
منْ عَيْنِ مُنْتَبهٍ يَنَالُ مُخَالِفٌ ... مَا نَالَهُ مَنْ كُنْتَ تَجْهَلُ قَدْرَهُ(٤)

/ ١٤١أ/ وقال أيضًا، وأنشدنيه(٥): [من الطويل]

هُبُوطُ مَكَانٍ لاَ هُبُوطُ مَكَانَةٍ ... لتلقَى بهِ حُوراً وَمُلْكًا مُخَلَّدَا
كَمَا قَالَ مَنْ أَغْوَاهُ صِدْقًا لكَوْنهِ ... رَآهُ كَلاَمًا منْ إلَهٍ مُسَدَّدَا

---

(١) في هامش الأصل: «هذا هو الهذيان الذي لا معنى له، وهذا مثل قوله في الفصوص، إياك أن تقف عند عقيدة واحدة فيفوتك خير كثير، بل كن. . . . لصور المعتقدات نعوذ [بالله] من نقل هذا الكلام».
(٢) البيتان في ترجمان الأشواق ٣٩.
(٣) أخل بها ديوانه.
(٤) في هامش الأصل: «هذا أيضًا من بعض هذيانه، ووساوس شيطانه، وإلاّ فكيف يكون الإله راض عن المخالف، كما أنه راض عن الموافق فيلزمه أن يكون راضيًا عن الفسقة والكفرة، كل يلزمه التوبة. . . . الصالحين والأنبياء، وهذا الكلام لا يقول به. . . »
(٥) أخل بها ديوانه.

/وقال في الخلوة، فأنشدنيه(١): [من الطويل]

خَلَوْتُ بِمَنْ أَهْوَىٰ فَلَمْ يَكُ غَيْرُنَا ... وَلَوْ كَانَ غَيْرِي لَمْ يَصِحَّ وُجُودُهَا
إِذَا أَحْكَمَتْ نَفْسٌ شُرُوطَ انْفِرَادِهَا ... فَإِنَّ نُفُوسَ الخَلْقِ طُرًّا عَبِيدُهَا
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ فِي نَفْسِهَا غَيْرَ نَفْسِهَا ... لَجَادَتْ بِهَا جُوداً عَلَىٰ مَنْ يَجِيدُهَا

وأخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي، قال: كنت أطوف بالبيت، فطار قلبي، وهزَّني حال أعرفه، فخرجت من البلاط من أجل الناس، وطفت علىٰ الرمل، وذلك بالليل، فحضرتني أبيات، فأنشدتها، أُسمع بها نفسي ومن يليني، ولو كان هناك أحد، وهي: [من مشطور المديد]

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ دَرَوا ... أَيَّ قَلْبٍ مَلَكُوا ؟
/١٤١ب/ وَفُؤَادِي لَوْ دَرَىٰ ... أَيَّ شِعْبٍ سَلَكُوا
أَتُرَاهُمْ سَلِمُوا ... أَمْ تُرَاهُمْ هَلَكُوا ؟
حَارَ أَرْبَابُ الهَوَىٰ ... فِي الهَوَىٰ وَارْتَبَكُوا!

فلم أشعر إلاّ بضربة بين كتفيّ بكفٍّ ألين من الخز، فالتفت فإذا بجارية من بنات الروم، لم أرَ أحسنَ وجهًا، ولا أعذب منطقًا، ولا أرقَ حاشية، ولا ألطَف معنًى، ولا أدق إشارة، ولا أظرف محاورة منها، قد فاقت زمانها ظرفًا وأدبًا، وجمالاً ومعرفة، فقالت: يا سَيدي! كيف قلت ؟ فقلت:

ليتَ شِعْرِي هلْ دَرَوا ... أيّ قلبٍ مَلَكوا؟

فقالت: عجبًا منك، وأنت عارف زمانك، تقول مثل هذا!. ليس كل مملوك معروف، وهل يصح الملك إلاّ بعد المعرفة، وتمنّي الشعور يؤذن بعدمها، والطريق لسان صدق، فكيف يتجوز مثلك؟ قُل يا سيدي، فماذا قلت بعده ؟ فقلت:

وفُؤادي لو درى ... أيّ شِعْبٍ سَلَكُوا

فقالت: يا سيّدي! الشعب الذي بين الشعاب والفؤاد، وهو المانع /١٤٢أ/ له من المعرفة به، فكيف يتمنّىٰ مثلك ما لا يمكن الوصول إليه ؟ والطريق لسان صدق،

---

(١) الأبيات في فوات الوفيات ٢/ ٤٨٢.

فكيف يتجوز مثلك يا سيدي ؟ فماذا قلت بعده ؟ فقلت :

أتُراهُمْ سَلِمُوا أمْ تُراهُمْ هَلَكُوا؟

قالت : أما هم فسلموا، ولكن عنك يبقىٰ أن تسأل نفسك، هل سلمت أم هلكت يا سيدي ؟ فما قلت بعده ؟ فقلت :

حارَ أربابُ الهَوَىٰ في الهَوَىٰ وارتَبَكُوا

فصاحت، وقالت : واعجبًا كيف تبقىٰ للمشغوف فضلة، يحار بها والهوىٰ شأنه التعميم، يحذر الحواس، ويذهب العقول، ويدهش الخواطر، ويذهب بصاحبه في الذاهبين، فأين الحيرة هُنا، أو من هُنا باق فيجاور الطريق لسان صدق، والتجوز من مثلك غير لائق، قلت : يا ابنة الخالة ما اسمك ؟ قالت : قرّة العين، فقلت : لي، ثم سلّمت وانصرفت؛ ثم إنّي عرفتها بعد ذلك، وعاشرتها، فرأيت لها من لطائف المعارف، ما لا يصفه واصف .

وحدثني بمدينة حلب في يوم الأربعاء سادس ربيع الأول سنة خمس وثلاثين / ١٤٢ب/ قال : كنت مجاوراً بمكّة سنة تسع وتسعين وخمسمائة، فرأيت في منامي رسول الله ﷺ قاعداً علىٰ الدكة التي تلي باب أجياد الأقرب إلىٰ باب الحزورة، ووجهه مستقبل الركن اليماني، ورجل يقرأ عليه كتاب البخاري، وهو محمد بن خالد الصدفي التلمساني، وأنا قاعد بين يديه ﷺ قد ضربت بذقني علىٰ ركبته ﷺ أتطلع في وجهه، فقلت له : يا رسول الله ! المطلقة ثلاثًا في مجلس واحد، هل يرجع طلاقها إلىٰ واحدة، أو هي ثلاث كما قال ؟ فقال لي رسول الله ﷺ : هي ثلاث كما قال، لا تحلّ حتىٰ تنكح زوجًا غيره، فقلت له : يا رسول الله إنَّ بعض العلماء يردّها إلىٰ واحدة، فقال لي ﷺ : هؤلئك حكموا بما وصل إليهم، وأصابوا. قلت له : يا رسول الله : ما أريد في هذه المسألة إلا ما تدين الله تعالىٰ أنت به، ما لو وقع منك، فعلت به. فقال لي : هي ثلاث كما قال لا تحلّ له، حتىٰ تنكح زوجًا غيره، يرددها ثلاثًا، ثم بسط يديه، ودعا بهذه الكلمات : اللهم أسمعنا خيراً، وأطلعنا خيراً /١٤٣أ/ ورزقنا الله العافية، وأدامها لنا، وجمع الله قلوبنا علىٰ التقوىٰ، ووفّقنا لما يحبّه ويرضاه، . . . . ، واستيقظت .

وحدثني أيضًا أبو عبد الله بن العربي، قال : رأيته ﷺ في هذا التاريخ، فقلت له :

يا رسول الله، الله تعالىٰ يقول: ﴿والمطلقاتُ يَتربَّصْنَ بأنفسهنَّ ثَلاثةَ قُرُوءٍ﴾(١) والقُرء عند العرب من الأضداد، يطلقونه علىٰ الحيض وعلىٰ الطهر، وأَنت أعرف بما أنزل عليك، فما أراد الله بالقُرء هُنا؟ فقال لي ﷺ: إذا فرغ قرؤها فأفرغوا عليها الماء وكلوا مما رزقكم الله قلت: يا رسول الله، فإذاً هو الحيض، فتبسم وقال لي: إذا فرغ قرؤها فأفرغوا عليها الماء، وكلوا مما رزقكم الله فعاودت عليه، فإذاً هو الحيض يا رسول الله؟ فأعاد علي وهو يبتسم: إذا فرغ قرؤها فأفرغوا عليها وكلوا مما رزقكم الله، واستيقظت.

أنشدني أبو عبد الله محمد بن العربي لنفسه(٢): [من الطويل]

خَليلَيَّ عُوجَا بالكَثِيبِ وَعَرِّجَا ... عَلَىٰ لَعْلَعٍ واطْلُبْ مِيَاهَ يَلَمْلَمِ
/١٤٣ب/ فَإنَّ بِهَا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ وَمَنْ لَهُمْ ... صِيَامِي وَحَجِّي وَاعْتِمَارِي وَمَوْسِمِي
مُحَصَّبُهُمْ قَلْبِي لِرَمْيِ جِمَارِهِمْ ... وَمَنْحَرُهُمْ نَفْسِي وَمَشْرَبُهُمْ دَمِي
فَيَا حَادِيَ الأَجْمَالِ إنْ جِئْتَ حَاجِراً ... فَقِفْ بِالمَطَايَا سَاعَةً ثُمَّ سَلِّمِ
وَنَادِ القِبَابَ الحُمْرَ مِنْ جَانِبِ الحِمَىٰ ... تَحِيَّةَ مُشْتَاقٍ إلَيْكُمْ مُتَيَّمِ
فَإنْ سَلَّمُوا فَاهْدِ السَّلامَ مَعَ الصَّبَا ... وَإنْ سَكَتُوا فَارْحَلْ بِهَا وَتَقَدَّمِ
إلَىٰ نَهْرِ عِيسَىٰ حَيْثُ حَلَّتْ رِكَابُهُمْ ... وَحَيْثُ الخِيَامُ البِيضُ مِنْ جَانِبِ الفَمِ
وَكَادَ بِدَعْدٍ وَالرَّبَابِ [وزينب] ... وَهِنْدٍ وَسَلْمَىٰ ثُمَّ لُبْنَىٰ وَزَمْزَمِ(٣)
وَسَلْهُنَّ هَلْ بِالحَلْبَةِ الغَادَةُ الَّتِي ... تُرِيكَ سَنَى البَيْضَاءِ عِنْدَ التَّبَسُّمِ

وأنشدني أبو عبد الله لنفسه(٤): [من الطويل]

سَلامٌ عَلَىٰ سَلْمَىٰ وَمَنْ حَلَّ بِالحِمَىٰ ... وَحُقَّ لِمِثْلِي رِقَّةً أَنْ يُسَلِّمَا
وَمَاذَا عَلَيْهَا أَنْ تَرُدَّ تَحِيَّةً ... عَلَيْنَا وَلَكِنْ لا احْتِكَامَ عَلَىٰ الدُّمَىٰ

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢٨.
(٢) القطعة في ترجمان الأشواق ٢٠ ـ ٢٤ وفيها بعد البيت:
«فلا أنس يوماً بالمحصّب من منى ... وبالمنحر الأعلى أموراً وزمزم»
وقد أخل بها ديوانه.
(٣) ما بين المعقوفتين مطموس في الأصل، وما ثبتناه من ترجمان الأشواق.
(٤) القطعة في ترجمان الأشواق ٢٥ ـ ٢٧، بعض أبياتها في فوات الوفيات ٢/ ٤٨١. وقد أخل بها ديوانه.

سَـرَوا وَظَـلامُ اللَّيْـلِ أَرْخَـى سُـدُولَـهُ ... فَقُلْـتُ لَهَـا صَبّـاً غَـرِيْبـاً مُتَيَّمَـا
أَحَـاطَـتْ بِـهِ الأَشْـوَاقُ شَـوْقـاً وَأُرْصِـدَتْ ... لَـهُ رَاشِقَـاتُ النَّبْـلِ أَيَّـانَ يَمَّمَـا
فَـأَبْـدَتْ ثَنَـايَـاهَـا وَأَوْمَـضَ بَـارِقٌ ... وَلَـمْ أَدْرِ مَـنْ شَـقَّ الحَنَـادِسَ مِنْهُمَـا
وَقَـالَـتْ أَمَـا يَكْفِيْـهِ أَنِّـي بِقَلْبِـهِ ... يُشَـاهِـدُنِـيْ فِـيْ كُـلِّ وَقْـتٍ أَمَـا أَمَـا

/ ١٤٤أ/ وأنشدني أيضًا لنفسه(١): [من الطويل]

وَزَاحَمَنِـي عِنْـدَ اسْتِـلَامِـي أَوَانِـسٌ ... أَتَيْـنَ إِلَـى التَّطْـوَافِ مُعْتَجِـرَاتِ
حَسَـرْنَ عَنِـي أَنْوَارَ الشُّمُـوْسِ وَقُلْـنَ لِـيْ: ... تَـوَرَّعْ فَمَـوْتُ النَّفْـسِ فِـي اللَّحَظَـاتِ
فَكَـمْ قَـدْ قَتَلْنَـا بِـالمُحَصَّـبِ مِـنْ مِنًـى ... نُفُـوْسـاً أَبِيَّـاتٍ لَـدَى الجَمَـرَاتِ
وَفِـي سَـرْحَـةِ الـوَادِيْ وَأَعْـلَامِ رَامَـةٍ ... وَجَمْـعٍ وَعِنْـدَ النَّفْـرِ مِـنْ عَـرَفَـاتِ
أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ الحُسْـنَ يَسْلُـبُ مَـنْ لَـهُ ... عَفَـافٌ فَيُـدعَـى سَـالِـبَ الحَسَنَـاتِ
فَمَـوْعِـدُنَـا بَعْـدَ الطَّـوَافِ بِـزَمْـزَمٍ ... لَـدَى القُبَّـةِ الـوُسطَـى لَـدَى الصَّخَـرَاتِ
هُنَـالِـكَ مَـنْ قَـدْ شَفَّـهُ الـوَجْـدُ يَشْتَفِـي ... بِمَـا شَـاءَهُ مِـنْ نُسْـوَةٍ عَطِـرَاتِ
إِذَا خِفْـنَ أَسْـدَلْـنَ الشُّعُـورَ فَهُـنَّ مِـنْ ... غَـدَائِـرِهَـا فِـي الحُـفِ الظُّلُمَـاتِ

وأخبرني إبن العربي، قال: أنشدني بعض الفقراء، بيتًا مفرداً، لا يعرف أخًا، وهو: [من الكامل]

كُـلُّ الَّـذِيْ يَـرْجُـو نَـوَالَـكَ أُمْطِـرُوا ... مَـا كَـانَ بَـرْقُـكَ خُلَّبـاً إِلَّا مَعِـيْ

فأعجبني مغزاه، وقفوت معناه، فعملت أبياتًا، جعلته واحداً منها(٢):

[من الكامل]

قِـفْ بِـالطُّلُـوْلِ الـدَّارِسَـاتِ بِلَعْلَـعِ ... وَانْـدُبْ أَحِبَّتَنَـا بِـذَاكَ البَلْقَـعِ
/ ١٤٤ب/ قِـفْ بِـالدِّيَـارِ وَنَـادِهَـا مُتَعَجِبـاً ... مِنْهَـا بِحُسْـنِ تَلَطُّـفٍ بِتَفَجُّـعِ
عَهْـدِي بِمِثْلِـي عِنْـدَ بَـانِـكَ قَـاطِفَـاً ... ثَمَـرَ القُـدُوْدِ وَوَرْدَ رَوْضٍ أَيْنَـعِ
كُـلُّ الَّـذِيْ يَـرْجُـو نَـوَالَـكَ أُمْطِـرُوا ... مَـا كَـانَ بَـرْقُـكَ خُلَّبـاً إِلَّا مَعِـيْ
قَـالَـتْ: نَعَـم! قَـدْ كَـانَ ذَاكَ المُلْتَقَـى ... فِـي ظِـلِّ أَفْنَـانِـيْ بِـأَخْصَـبِ مَـوْضِـعِ

---

(١) القطعة في ترجمان الأشواق ٣٢ ـ ٣٤ وقد أخل بها ديوانه.
(٢) القصيدة في ترجمان الأشواق ١٠٢ ـ ١٠٣، وقد أخل بها ديوانه.

إذْ كانَ بَرْقي مِنْ بُرُوقِ مُبَاسِمٍ ... وَاليَوْمَ بَرْقي لَمْعُ هَذَا اليَرْمَعِ
فَاعْتِبْ زَمانًا مَا لَنَا مِنْ حِيلَةٍ ... في دَفْعِهِ مَا ذَنْبُ مَنْزِلِ لَعْلَعِ
فَعَذَرْتُهَا لمَّا سَمِعْتُ جَوَابَهَا ... تَشْكُو كَمَا أَشْكُو بِقَلْبٍ مُوجَعِ
وَسَأَلْتُهَا لمَّا رَأَيْتُ رُبُوعَهَا ... مَسْرَى الرِّيَاحِ الذَّارِيَاتِ الأَرْبَعِ
هَلْ أَخْبَرَتْكِ رِيَاحُهُمْ بِمَقِيلِهِمْ ؟ ... قَالَتْ: نَعَمْ، قَالُوا: بِذَاتِ الأَجْرَعِ
حَيْثُ الخِيَامُ البِيضُ تُشْرِقُ لِلَّذي ... تَحْوِيهِ مِنْ تِلْكَ الشُّمُوسِ الطُّلَّعِ

وأنشدني لنفسه أيضًا(١): [من مجزوء الرجز]

بَيْنَ النَّقَا وَلَعْلَعِ ... ظِبَاءُ ذَاتِ الأَجْرَعِ
تَرْعَى بِهَا في خُمُرٍ ... خَمَائِلاً وَتَرْتَعِي
مَا طَلَعَتْ أَهِلَّةً ... بِأُفُقِ ذَاكَ المَطْلَعِ
إلَّا وَدِدْتُ أَنَّهَا ... مِنْ حَذَرٍ لَمْ تَطْلُعِ
/١٤٥أ/ وَلَا بَدَتْ لَامِعَةً ... مِنْ بَرْقِ ذَاكَ اليَرْمَعِ
إلَّا اشْتَهَيْتُ أَنَّهَا ... لِمَا بِنَا لَمْ تَلْمَعِ
يَا دَمْعَتِي وَانْسَكِبِي ... يَا مُقْلَتِي لَا تُقْلِعِي
وَأَنْتَ يَا حَادِيَ اتَّئِدْ ... فَالنَّارُ بَيْنَ أَضْلُعِي
قَدْ فَنِيَتْ مِمَّا جَرَى ... خَوْفَ الفِرَاقِ أَدْمُعِي
فَارْحَلْ إلَى وَادِي اللِّوَى ... مَرْبَعِهِمْ وَمَصْرَعِي
إنَّ بِهِ أَحِبَّتِي ... عِنْدَ مِيَاهِ الأَجْرَعِ
وَنَادِهِمْ: مَنْ لِفَتًى ... ذِي لَوْعَةٍ مُوَدِّعِ
رَمَتْ بِهِ أَشْجَانُهُ ... بَهْمَاءَ رَسْمًا بَلْقَعِ
يَا قَمَرًا تَحْتَ دُجًى ... خُذْ مِنْهُ شَيْئًا وَدَعِ

---

(١) القصيدة كاملة في ترجمان الأشواق ١١٧ ـ ١٢٢ وفيها بعد البيت السابع:
«يا زفرتي خُذ صُعُداً ... يا كبدي تصدّعي»
وجاء فيها بعد البيت الخامس عشر:
«لأنه يضعف عن ... درك الجمال الأروعِ»
وقد أخل بها ديوانه.

وَزَوِّدِيـــــــه نَظْـــــرَةً   مِـــنْ خَلْـــفِ ذَاكَ البُـــرْقُــعِ
أَوْ عَلِّلِيْـــــه بِـــــالمُنَـــــى   عَسَـــــاهُ يَحْيَـــــى وَيَعِـــــي
مَـــــا هُــــــوَ إِلاَّ مَيِّــــتٌ   بَيْـــنَ النَّقَـــا وَلَعْلَـــعِ
فَمُـــتُّ يَـــأْسًـــا وَأَسًـــى   كَمَـــا أَنَـــا فِـــي مَـــوْضِعِـــي
مَـــا صَـــدَقَـــتْ رِيـــحُ الصَّبَـــا   حِيْـــنَ أَتَـــتْ بِـــالخُـــدَعِ
/ ١٤٥ب/ قَـــدْ تَكْـــذِبُ الـــرِّيْـــحُ إِذَا   تَسمَـــعُ مَـــا لَـــمْ تَسْمَـــعِ

وأنشدني أيضًا(١): [من الوافر]

أُطَـــارِحُ كُـــلَّ هَـــاتِفَـــةٍ بِـــأَيْـــكٍ   عَلَـــى فَنَـــنٍ بِـــأَفْنَـــانِ الشُّجُـــوْنِ
فَتَبْكِـــي إِلْفَهَـــا مِـــنْ غَيْـــرِ دَمْـــعٍ   وَدَمْـــعُ الحُـــزْنِ يَهْمُـــلُ مِـــنْ جُفُـــوْنِـــي
أَقُـــوْلُ لَهَـــا وَقَـــدْ سَمَحَـــتْ جُفُـــوْنِـــي   بِـــأَدْمُعِهَـــا تُخَبِّـــرُ عَـــنْ شُـــؤُوْنِـــي:
أُعِيْـــذُكِ بِـــالَّـــذِي أَهْـــوَاهُ عِلْـــمٌ   وَهَـــلْ قَـــالُـــوا: بِـــأَفْيَـــاءِ الغُصُـــوْنِ

وقال، وأنشدنيه(٢): [من الكامل]

عِنْـــدَ الكُثَيِّـــبِ مِـــنْ جِبَـــالِ زَرُوْدِ   صَيْـــدٌ وَأُسْـــدٌ مِـــنْ لِحَـــاظِ الغِيـــدِ
صَـــرْعَـــى وَهُـــمْ أَبْنَـــاءُ مَلْحَمَـــةِ الـــوَغَـــى   أَيْـــنَ الأُسُـــوْدُ مِـــنَ العُيُـــوْنِ الـــسُّـــوْدِ
قتلـــت بِهِـــمْ لَحَظَـــاتُهُـــنَّ وَحَبَّـــذَا   تِلْـــكَ المَـــلاَحِـــظُ مِـــنْ بَنَـــاتِ الصَّيْـــدِ

وقال وأنشدنيه(٣): [من الطويل]

ثَـــلاَثُ بُـــدُوْرٍ لَـــمْ يُـــزَنَّ بِـــرِيْبَـــةٍ   خَـــرَجْـــنَ إِلَـــى التَّنْعِيْـــمِ مُعْتَجِـــرَاتِ(٤)
حَسَـــرْنَ عَـــنَ أَمْثَـــالِ الشُّمُـــوْسِ إِضَـــاءَةً   وليـــس بِـــالإِهْـــلاَلِ مُعْتَمِـــرَاتِ
وَأَقْبَلْـــنَ يَمْشِيْـــنَ الـــرُّوَيْـــدا كَمَشْـــلِ مَـــا   تَمْشِـــي القَطَـــا فِـــي أَلْحُـــفِ الحَبِـــرَاتِ

وقال، وأنشدنيه(٥): [من البسيط]

---

(١) القطعة في ترجمان الأشواق ١٤٤، وقد أخل بها ديوانه.
(٢) الأبيات في ترجمان الأشواق ١٤٥ وقد أخل بها ديوانه.
(٣) الأبيات في ترجمان الأشواق ١٤٦، وقد أخل بها ديوانه.
(٤) يزن: يتهمن. بعض أبياتها في الوافي ٤/ ١٧٧ ـ ١٧٥. وفوات الوفيات ٢/ ٤٨١. وقد أخل بها ديوانه.
(٥) القطعة في ترجمان الأشواق ١٥٢ ـ ١٥٣.

/ ١٤٦أ/ نَفْسِي الفِدَاءُ لبيْض خُرَّد عُرُب ... لَعِبْنَ بِي عِنْدَ لَثْم الرُّكْن وَالحَجَر
مَا تَسْتَدِلُّ إِذَا مَا تِهْتُ خَلْفَهُمُ ... إِلَّا بِرِيحِهِمُ مِنْ طِيْبِ الأَثَر
وَلَا دَجَى بِي لَيْلٌ مَا بِهِ قَمَرٌ ... إِلَّا ذِكْرُتُهُمُ فَصِرْتُ فِي القَمَر
وَإِنَّمَا حِيْنَ أَمْشِي فِي رِكَابِهِمُ ... فَاللَّيْلُ عِنْدِيَ مِثْلُ الشَّمْسِ فِي البكرِ
غَازَلْتُ مِنْ غَزَلِي مِنْهُنَّ وَاحِدَةً ... حَسْنَاءَ لَيْسَ لَهَا أُخْتٌ مِنَ البَشَر
إِنْ أَسْفَرَتْ عَنْ مُحَيَّاهَا أَرَتْكَ سَنَى ... مِثْلَ الغَزَالَةِ إِشْرَاقاً بِلَا غِيَرِ
الشَّمْسُ غُرَّتُهَا وَاللَّيْلُ طُرَّتُهَا ... شَمْسٌ وَلَيْلٌ مَعاً مِنْ أَعْجَبِ الصُّوَر
فَنَحْنُ فِي اللَّيْلِ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ بِهِ ... وَنَحْنُ فِي الظُّهْرِ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّعَرِ

وقال وأنشدنيه(١) : [من البسيط]

بَيْنَ الحَشَا وَالعُيُوْنِ النُّجْلِ حَرْبُ هَوَىٰ ... وَالقَلْبُ مِنْ أَجْلِ ذَاكَ الحَرْبِ فِي حَرَبِ
لَمْيَاءُ لَعْسَاءُ مَعْسُوْلٌ مُقَبَّلُهَا ... شَهَادَةُ النَّحْلِ مَا تُلْقِي مِنَ الضَّرَبِ
رَيَّا المُخَلْخَلِ دَيْجُوْرٌ عَلَىٰ قَمَرٍ ... فِي خَدِّهَا شَفَقٌ غُصْنٌ عَلَىٰ كُثُبِ
حَسْنَاءُ حَالِيَةٌ لَيْسَتْ بِغَانِيَةٍ ... تَفْتَرُّ عَنْ بَرَدٍ ظَلْمٍ وَعَنْ شَنَبِ
تَصُدُّ جِدّاً وَتَلْهُو بِالهَوَىٰ لَعِباً ... وَالمَوْتُ مَا بَيْنَ ذَاكَ الجِدِّ وَاللَّعِبِ
مَا عَسْعَسَ اللَّيْلُ إِلَّا جَاءَ يُعْقِبُهُ ... تَنَفُّسَ الصُّبْحِ مَعلومٌ مِنَ الحقَبِ
/ ١٤٦ب/ ولا تَمُرُّ عَلَىٰ رَوْضٍ رِيَاحُ صَبَا ... يَحْوِي عَلَىٰ كَاعِبَاتٍ خُرَّدٍ كُعُبِ
إِلَّا أَمَالَتْ وَنَمَّتْ فِي تَنَسُّمِهَا ... بِمَا حَمَلْنَ مِنَ الأَزْهَارِ وَالقُضُبِ
سَأَلْتُ رِيْحَ الصَّبَا عَنْهُمْ لِتُخْبِرَنِي ... قَالَتْ : وَمَا لَكَ فِي الأَخْبَارِ مِنْ أَرَبِ
فِي الأَبْرَقَيْنِ وَفِي بَرْكِ الغِمَادِ وَفِي ... بَرْكِ الغَمِيْمِ نَزَلْتَ الحَيَّ عَنْ كَثَبِ
لَا تَسْتَقِلُّ بِهِمْ أَرْضٌ فَقُلْتُ لَهَا ... أَيْنَ المَفَرُّ وَخَيْلُ الشَّوْقِ فِي الطَّلَبِ
هَيْهَاتَ لَيْسَ لَهُمْ مَغْنًى سِوَىٰ خَلَدِي ... فَحَيْثُ كُنْتُ يَكُوْنُ البَدْرُ فَارْتَقِبِ
أَلَيْسَ مَطْلَعُهَا وَهْمِي وَمَغْرِبُهَا ... قَلْبِي فَقَدْ زَالَ شُؤْمُ البَانِ وَالغَرَبِ
مَا لِلْغُرَابِ نَعِيقٌ فِي مَنَازِلِنَا ... وَمَا لَهُ فِي نِظَامِ الشَّمْلِ مِنْ نَدَبِ

(١) القصيدة في ترجمان الأشواق ١٦٨ ـ ١٧٠، وقد أخل بها ديوانه.

وقال، وأنشدنيه[(١)]: [من السريع]

حَمَامَةَ البَانِ بِذَاتِ الغَضَا ... ضَاقَ لِمَا حَمَّلْتِنِيهِ الفَضَا

مَنْ ذَا الَّذِي يَحْمِلُ شَجْوَ الهَوَىٰ ... مَنْ ذَا الَّذِي يَجْرَعُ مُرَّ القَضَا

أَقُولُ مِنْ وَجْدٍ وَمِنْ لَوْعَةٍ: ... يَا لَيْتَ مَنْ أَمْرَضَنِي مَرَّضَا

مَرَّ بِبَابِ الدَّارِ مُسْتَهْزِئاً ... مُسْتَخْفِياً مُعْتَجِراً مُعْرِضَا

مَا ضَرَّنِي تَعْجِيرُهُ إِنَّمَا ... أَضَرَّ بِي مِنْ كَوْنِهِ أَعْرَضَا

وقال وأنشدنيه[(٢)]: [من الرجز]

/ ١٤٧أ/ يَا حَادِيَ العِيسِ بِسَلْعٍ عَرِّجِ ... وَقِفْ عَلَىٰ البَانَةِ بِالمُدَرَّجِ

وَنَادِهِمْ مُسْتَعْطِفاً مُسْتَلْطِفاً ... يَا سَادَتِي هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ فَرَجِ

بِرَامَةٍ بَيْنَ النَّقَا وَحَاجِرٍ ... جَارِيَةٌ مَقْصُورَةٌ فِي هَوْدَجِ

يَا حُسْنَهَا مِنْ طِفْلَةٍ غُرَّتُهَا ... تُضِيءُ لِلطَّارِقِ مِثْلَ السُّرُجِ

لُؤْلُؤَةٌ مَكْنُونَةٌ فِي صَدَفٍ ... مِنْ شَعَرٍ مِثْلِ سَوَادِ السَّبَجِ

يَحْسَبُهَا نَاظِرُهَا ظَبْيَ نَقاً ... مِنْ جِيدِهَا وَحُسْنِ ذَاكَ الغَنَجِ

كَأَنَّهَا شَمْسُ ضُحًى فِي مَحْمَلٍ ... قَاطِعَةٌ أَقْصَىٰ مَعَالِي الدَّرَجِ

إِنْ حَسَرَتْ بُرْقُعَهَا أَوْ سَفَرَتْ ... أَزْرَتْ بِأَنْوَارِ الصَّبَاحِ الأَبْلَجِ

نَادَيْتُهَا بَيْنَ الحِمَىٰ وَرَامَةٍ ... مَنْ لِفَتًى حَلَّ بِسَلْعٍ يَرْتَجِي

مَنْ لِفَتًى مُتَيَّمٍ فِي مَهْمَهٍ ... مُوَلَّهٍ مُدَلَّهِ العَقْلِ شَجِي

مَنْ لِفَتًى دَمْعَتُهُ مُغْرِقَةٌ ... أَسْكَرَهُ خَمْرٌ بِذَاكَ الفَلَجِ

مَنْ لِفَتًى زَفْرَتُهُ مُحْرِقَةٌ ... تَيَّمَهُ جَمَالُ ذَاكَ البَلَجِ

قَدْ لَعِبَتْ أَيْدِي الهَوَىٰ بِقَلْبِهِ ... فَمَا عَلَيْهِ فِي الَّذِي مِنْ حَرَجِ

وقال وأنشدنيه[(٣)]: [من الطويل]

---

(١) القطعة في ترجمان الأشواق ١٧١ ـ ١٧٢، وقد أخل بها ديوانه.

(٢) القصيدة في ترجمان الأشواق ١٧٣ ـ ١٧٥ وفيه بعد البيت الخامس:

«لؤلؤة غواصها الفكرُ فما ... تنفك في أغوار تلك اللججِ»

وقد أخل بها ديوانه.

(٣) القطعة في ترجمان الأشواق ١٨٩ ـ ١٩٠، وقد أخل بها ديوانه.

أَلاَ يَا نَسِيمَ الرِّيحِ بَلِّغْ مَهَا نَجْدِ ... بِأَنِّي عَلَى مَا يَعْلَمُونَ مِنَ العَهْدِ
/ ١٤٧ب/ وَقُلْ لِفَتَاةِ الحَيِّ مَوْعِدُنَا الحِمَى ... غَدِيَّةَ يَوْمِ السَّبْتِ عِنْدَ رُبَى نَجْدِ
عَلَى الرَّبْوَةِ الحَمْرَاءِ مِنْ جَانِبِ الضَّوَى ... وَعَنْ أَيْمُنِ الأَفْلاَجِ وَالعَلَمِ الفَرْدِ
فَإِنْ كَانَ حَقّاً مَا تَقُولُ وَعِنْدَهَا ... إِلَيَّ مِنَ الشَّوْقِ المُبَرِّحِ مَا عِنْدِي
إِلَيْهَا فَفِي حَرِّ الظَّهِيرَةِ نَلْتَقِي ... بِخَيْمَتِهَا سِرّاً عَلَى أَصْدَقِ الوَعْدِ
فَتُلْقِي وَنُلْقِي مَا نُلاَقِي مِنَ الهَوَى ... وَمِنْ شِدَّةِ البَلْوَى وَمِنْ أَلَمِ الوَجْدِ
أَأَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ أُبُشْرَى مَنَامَةٍ ... أَنُطْقُ زَمَانٍ كَانَ فِي نُطْقِهِ سَعْدِي
لَعَلَّ الَّذِي سَاقَ الأَمَانِي يَسُوقُهَا ... عِيَاناً فَيُهْدِي رَوْضُهَا لِي جَنَى الوَرْدِ

وقال وأنشدنيه(١): [من الطويل]

أَلاَ هَلْ إِلَى الزُّهْرِ الحِسَانِ سَبِيلُ ... وَهَلْ لِي عَلَى آثَارِهِنَّ دَلِيلُ
وَهَلْ لِي بِخَيْمَاتِ اللِّوَى مِنْ مُعَرَّسٍ ... وَهَلْ لِي إِلَى ظِلِّ الأَثِيلِ مَقِيلُ
فَقَالَ لِسَانُ الحَالِ يُخْبِرُ أَنَّهَا ... تَقُولُ تَمَنَّ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
وُدَادِي صَحِيحٌ فِيكَ يَا غَايَةَ المُنَى ... وَقَلْبِي مِنْ ذَاكَ الصَّحِيحِ عَلِيلُ
تَعَالَيْتَ مِنْ بَدْرٍ عَلَى القَلْبِ طَالِعٍ ... وَلَيْسَ لَهُ بَعْدَ الطُّلُوعِ أُفُولُ
فَدَيْتُكَ يَا مَنْ عَزَّ حُسْناً وَنَخْوَةً ... فَلَيْسَ لَهُ بَيْنَ الحِسَانِ عَدِيلُ
فَرَوْضُكَ مَطْلُولٌ وَوَرْدُكَ يَانِعٌ ... وَحُسْنُكَ مَعْشُوقٌ عَلَيْهِ قَبُولُ
/ ١٤٨أ/ وَزَهْرُكَ بَسَّامٌ وَغُصْنُكَ نَاعِمٌ ... تَمِيلُ لَهُ الأَرْوَاحُ حَيْثُ يَمِيلُ
وَظَرْفُكَ فَتَّانٌ وَطَرْفُكَ صَارِمٌ ... بِهِ فَارِسُ البَلْوَى عَلَيَّ يَصُولُ

وقال وأنشدنيه(٢): [من المتقارب]

لِظُبْيَةِ ظُبَى صَارِمٍ ... تُجَرِّدُ مِنْ طَرْفِهَا السَّاحِرِ
وَفِي عَرَفَاتٍ عَرَفْتُ الَّذِي ... تُرِيدُ فَكَمْ أَكُ بِالصَّابِرِ
وَلَيْلَةَ جَمْعٍ جُمِعْنَا بِهَا ... كَمَا جَاءَ فِي المَثَلِ السَّائِرِ
يَمِينُ الفَتَاةِ يَمِينٌ فَلاَ ... تَكُنْ تَطْمَئِنُّ إِلَى غَادِرِ

---

(١) القطعة في ترجمان الأشواق ١٩١ ـ ١٩٢، وقد أخل بها ديوانه.
(٢) القصيدة في ترجمان الأشواق ١٩٣ ـ ١٩٥، وقد أخل بها ديوانه.

مُنًّى بمنًى نلْتُهَا لَيْتَهَا ... تَدُوْمُ إلَىٰ الزَّمَنِ الآخرِ
تَوَلَّعْتَ فِيْ لَعْلَعٍ بالَّتِيْ ... تُرِيْكَ سَنَى القَمَرِ الزَّاهِرِ
رَمَتْ رَامَةً وَصَبَتْ بِالصَّبا ... وَحَجَّرَت الحَجْرَ بِالحَاجِرِ
وَشَامَتْ بَرِيقاً عَلَىٰ بَارِق ... بِأسْرَعَ مِنْ خَطْرَةِ الخَاطِرِ
وَغَاضَتْ مِيَاهُ الغَضَا مِنْ غَضًى ... بِأضْلُعِهِ مِنْ هَوًى سَاحِرِ
وَبَانَتْ بِبَانِ النَّقَا فَانْتَقَتْ ... لآلِيَ مَكْنُوْنِهِ الفَاخِرِ
وَآضَتْ بِذَاتِ الأَضَا القَهْقَرَى ... حَذَاراً مِنَ الأَسَدِ الخَادرِ
بِذِيْ سَلَمٍ أَسْلَمَتْ مُهْجَتِيْ ... إلَىٰ لَحْظِهَا الفَاتِكِ الفَاتِرِ
/١٤٨ب/ حَمَتْ بِالحمَىٰ وَلَوَتْ بِاللِّوَىٰ ... كَعَطْفَةِ جَارِحِهَا الكَاسِرِ
وَفِيْ عَالِجٍ عَالَجَتْ أَمْرَهَا ... لِتُفْلِتَ مِنْ مَخْلَبِ الطَّائِرِ
خَوَرْنَقُهَا خَارِقٌ لِلسَّمَا ... فَيَسْمُو اعْتِلاءً عَلَىٰ النَّاظِرِ

[٨٠٤]

مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ بن [محمد بن] يوسفَ بن قليج بن تكينَ خان بن محمود خان بنِ إيلَ خان، أبو عبدِ الله بنِ أبي الحسنِ الموصليُّ.

من مُولّدي الترك، وقد قدّمت شعر والده[(١)] وعمّه[(٢)] في مكانهما، كان في زمن أبيه ذا نعمة وافرة، وجاه بسيط، متعلقًا بخدمة الملك العادل نور الدين ابي الحارث أرسلان شاه بن مسعود بن مودودٍ بن زنكي، المستولي علىٰ الموصل.

وكان أميراً جليلاً، مذكوراً في زمانه، يخالط أهل الأدب والحديث، ويغشاه جماعة من الفضلاء.

أخبرني، أنه ولد بالموصل، يوم الخميس سادس عشر رجب سنة خمس وسبعين وخمسمائة، فلما توفي والده؛ تناقصت أحواله، وضعف أمره، وترك ما كان عليه،

(١) ترجم له المؤلف في الجزء الرابع برقم ٤٥٠.
(٢) (محمد بن محمد بن يوسف....) ترجم له المؤلف في الجزء السابع برقم ٧٨٤.

وصار فقيراً، يلبس الصوف، وينتقل في البلاد ويخترقها.

شاهدته / ١٤٩أ/ بمدينة حلب؛ وهو شيخ، والفقر مؤثّر عليه، والحاجة قد مسَّتهُ، والدَّهر قد أناخ عليه بكلكله، وله عيال، وهو علىٰ أشدّ ما يكون من الفقر والفاقة؛ وربما استجدىٰ بأشعاره، وارتزق بها كبراء حلب، ويقنع منهم بالنزر الطفيف.

ورأيته من المدعين في معرفة الحديث وسماعه، ويقول المقطعات من الشعر، تلجئه إلىٰ ذلك الحاجة والضرورة.

أنشدني لنفسه، وقد عمل أربعين حديثًا، وأهداها إلىٰ بعض الملوك من بني أيوب: [من الطويل]

وَإِنِّــي فــي حَمْلــيْ كتَــابــاً وَضَعْتُــهُ ... وَأَوْدَعْتُــهُ النَّثْــرَ المُفَصَّــلَ وَالشِّعْــرَا
إِلَــىٰ مَلِــكٍ فِــيْ العِلْــمِ وَاحِــدِ عَصْــرِهِ ... كَمُهْــدٍ إِلَــىٰ شَمْـسِ النَّهَـارِ سَنَى الشِّعْـرَىٰ

وأنشدني لنفسه، وقد اقترح عليه في هذا الرويّ والقافية، فعمل ذلك ارتجالاً:

[من الكامل]

أُفْــدِيْهُــمُ مِــنْ نَــازِحيْــنَ وَحُبُّهُــمْ ... دَانٍ عَلَــىٰ مَــرِّ الــزَّمَــانِ مُخَيِّــمُ
إِنْ لاَحَ بَــرْقٌ هَــاجَ لِــيَ تَــذْكَــارَهُــمْ ... فَكَــأَنَّ نَــاراً فِــيْ فُــؤَادِيْ أَضْــرَمُــوا
أَوْ هَبَّــتِ النَّسَمَــاتُ مِــنْ وَادِيهِــمُ ... وَجَّهْــتُ وَجْهِــي نَحْــوَهُــمْ فَــأُسَلِّــمُ
/ ١٤٩ب/ يَا مُرْسِلِيْنَ عَلَىٰ البِعَادِ تَحِيَّةً ... أَحْيُــوا بِهَــا مَيْــتَ الجَــوَىٰ حُيِّيْتُــمُ
مَــنْ لِــي بِلَيْــلاَتٍ قِصَــارٍ بِــاللِّــوَىٰ ... وَلَّــتْ وَسُمَّــارِيْ الأَعِــزَّةُ أَنْتُــمُ
قَسَمــاً بِعَقْــدِ عُهُــوْدِكُــمْ وَوُدَادِكُــمْ ... وَلَقَــدْ مَحَضْــتُ الصِّــدْقَ فِيْمَــا أُقْسِــمُ
مَــا رَاقَ طَــرْفِــيْ غَيْــرُكُــمْ وَمَسَــامِعِــيْ ... إِلاَّ حَــــدِيْثُكُــــمُ إِذَا مَــــا قُلْتُــــمُ
وَمِــنَ العَجَــائِــبِ أَنَّنِــيْ أَشْتَــاقُكُــمْ ... وَمِــنَ العِيَــانِ إِلَــىٰ الضَّمِيْــرِ نُقِلْتُــمُ
وَعَلَــىٰ دِيَــارِكُــمُ تَحِيَّــةُ ذَاكِــرٍ ... عَصْــرُ الصِّبَــا المَــاضِــي بِهَــا وَعَلَيْكُــمُ

وأنشدني لنفسه يمدح: [من الطويل]

وَلَمَّــا أَتَــىٰ مِــنْ نَحْــوِ أَرْضِكُــمُ الــرَّكْــبُ ... وَلَــمْ يَــأْتِنــيْ مِنْكُــمْ سَــلاَمٌ وَلاَ كُتْــبُ
وَلاَ مُبْلِــغٌ فِــيْ الــوَفْــدِ عَنْكُــمْ رِسَــالَــةً ... يُــدَاوِيْ بِــذِكْــرَاهَــا تَبَــارِيحَــهُ الصَّــبُّ

بَكَيْتُ وَمَا يُجْدِي البُكَاءُ مَعَ النَّوَىٰ ... إِلَىٰ أَنْ جَرَىٰ فِي الشَّرْقِ مِنْ عَبْرَتِي غَرْبُ

وأنشدني لنفسه يمدح: [من الكامل]

مَلِكٌ يَجِلُّ عَنِ المَدِيحِ كَمَا عَلاَ ... قَدَمَاهُ نَسْراً فِي الفَخَارِ وَفَرْقَدَا

عَمَّ البَسِيطَةَ خَيْرُهُ وَنَوَالُهُ ... لِلْمُعْتَفِينَ وَبَأْسُهُ قَهَرَ العِدَا

لَمْ يُبْقِ فِي الدُّنْيَا نَدَاهُ مُعْدِمًا ... يَبْغِي النَّوَالَ وَلاَ سُطَاهُ مُلْحِدَا

وَاللهِ ثُمَّ إِلَيْهِ أَشْهَدُ صَادِقًا ... وَكَفَىٰ عَلَىٰ قَوْلِ امْرِىءٍ أَنْ يَشْهَدَا

/ ١٥٠أ/ مَا أَبْصَرَتْ فِي الحَرْبِ عَيْنٌ مِثْلَهُ ... بَلْ لاَ وَلاَ رُتَبُ المَمَالِكِ سَيِّدَا

تَفْدِيهِ أَرْوَاحُ المُلُوكِ وَحَسْبُهَا ... شَرَفًا بِذَلِكَ أَنْ تَكُونَ لَهُ فِدَا

هَذَا الَّذِي بِالزُّهْرِ مِنْ أَيَّامِهِ ... أَضْحَىٰ الزَّمَانُ مُتَوَّجًا وَمُقَلَّدَا

إِنْزِلْ بِنَادِيهِ وَنَادِ فَلَمْ يَخِبْ ... وَاللهِ مَنْ نَادَىٰ المَلِيكَ مُحَمَّدَا

أَنَا ضَامِنٌ إِنْ زُرْتَهُ لَكَ مِنْحَةً ... تُرْضِي الوَلِيَّ بِهَا وَتُرْدِي الحُسَّدَا

وأنشدني أيضًا من شعره: [من الطويل]

بَكَيْتُ كَمَا يَبْكِي الغَرِيبُ صَبَابَةً ... عَلَىٰ وَطَنٍ أَقْوَىٰ وَغَابَتْ شُمُوسُهُ

وَنَاجَيْتُ نَفْسِي بِالعِتَابِ فَلَمْ تُصِخْ ... وَقَدْ سَئِمَتْ رَبْعًا تَوَلَّىٰ أَنِيسُهُ

وَأنشدني لنفسه: [من الطويل]

وَفِي مِصْرَ لِلآدَابِ سُوقُ تِجَارَةٍ ... لَدَىٰ أَهْلِهَا الغُرِّ الكِرَامِ كِرَامُ

إِذَا اسْتَعْرَضُوا نَظْمَ الكَلاَمِ وَنَثْرَهُ ... يَهُونُ عَلَيْهِمْ لِلْعُقُودِ نِظَامُ

وأنشدني لنفسه، يمدح شرف الدين أبا البركات المستوفي ـ رضي الله عنه ـ بإربل: [من الخفيف]

قَالَ لِي قَائِلٌ وَقَدْ رُمْتُ أَهْجُو ... إِرْبِلاً لاَ زِلْتَ هَجَّاءً سَخِيفَا

كَيْفَ تَهْجُو مِصْراً حَوَىٰ شَرَفَ الدِّيـ ... ـنِ الوَزِيرَ البَرَّ التَّقِيَّ العَفِيفَا

/ ١٥٠ب/ قُلْتُ أَهْجُو غَيْرَ الصَّدِيقِ عِنَاداً ... قَالَ: مَا أَرْتَضِيكَ تَهْجُو الكَنِيفَا

وأنشدني أيضًا لنفسه في غلام أعمىٰ: [من الوافر]

يَقُولُ عَوَاذِلِي أَعَشِقْتَ أَعْمَىٰ؟ ... وَأَغْرَيْتَ اللَّوَائِمَ وَالعَوَاذِلْ

فَقُلْتُ: عَشِقْتُ مِنْهُ كُلَّ مَعْنًى ... يُخَبِّرُ إِذْ وَعَاهُ كُلُّ عَاقِلْ

رَأَىٰ جَفْنَيْـهِ قَـدْ فُتِـنَ البَـرَايَـا ... بِسِحْـرِهِمَـا وَأَعْيَـتْ سِحْـرَ بَـابِـلْ
فَـأَرْسَـلَ مُـرْسَـلَ الصُّـدْغَيْـنِ مِنْـهُ ... فَـأَبْطَـلَ سِحْـرَهَـا وَالسِّحْـرُ بَـاطِـلْ

وأنشدني لنفسه، وكان محبوسًا بقلعة إربل: [من الطويل]

كَـأَنِّـي فِـي سِجْنِـيْ وَضِيْـقِ فِنَـائِـهِ ... وَقَـدْ تَـرَكُـونِـي فِيْـهِ مُـرْتَهَنًـا وَحْـدِي
دَفِيْـنٌ جَفَـاهُ أَهْلُـهُ وَحَمِيْمُـهُ ... وَغَـادَرَهُ الحُفَّـارُ فِـي ظُلْمَـةِ اللَّحْـدِ

وأنشدني لنفسه في حمام: [من السريع]

ضِـدَّانِ فِـي حَمَّـامِكُـمْ هَـذِهِ ... سُكَّـانُهَـا بَيْنَهُمَـا قَـدْ شُقُـوا
كَـأَنَّهَـا قَلْبِـي فِـي حَـرِّهِ ... وَمَـاءُهَـا قَلْـبُ الَّـذِي أَعْشَـقُ

وأنشدني أيضًا لنفسه في أوائل شهر ربيع الأوّل، بمحروسة حلب سنة خمس وثلاثين وستمائة: [من الكامل]

/ ١٥١أ/ عُـدْ عَـنْ مَـلَامِ المُسْتَهَامِ وَزَجْرِهِ ... فَمَتَـىٰ يُفِيْـقُ مِـنَ الغَـرَامِ وَسُكْـرِهِ
أَوَمَـا تَـرَىٰ الحَـدَقَ المِـرَاضَ وَسِحْـرَهَـا ... جَـاءَتْ تُقِيْـمُ لَـدَيْـكَ وَاضِـحَ عُـذْرِهِ
إِنْ شِئْـتَ لَـمْ أَوَلاً . . . . بِقَلْبِـهِ ... أَوْدَىٰ الفَـرِيْـقُ مَـعَ الفِـرَاقِ وَصَبْـرِهِ
وَإِذَا بَـدَا بَـرْقٌ فَلَيْـسَ وَمِيْضُـهُ ... إِلَّا زِنَـادٌ قَـادِحٌ فِـي صَـدْرِهِ
أَوْ هَـبَّ مِـنْ نَجْـدٍ نَسِيْـمٌ بَـارِدٌ ... أَذْكَـىٰ بِـذَاكَ البَـرْدِ خَـامِـدَ جَمْـرِهِ
صَـاحٍ يَمِيْـلُ مِـنَ الـدَّلَالِ كَـأَنَّـهُ ... ثَمِـلٌ بِـرِقَّـةِ رِيْقِـهِ وَبِخَمْـرِهِ
وعَلَـىٰ العَقِيْـقِ مُمَنَّـعٌ يَـوْمَ النَّـوَىٰ ... فَضَحَـتْ مَـدَامِعُـهُ قَـلَائِـدَ نَحْـرِهِ
لَـوْ لَـمْ يَكُـنْ مِـنْ رِيْقِـهِ ثَمِـلاً لَمَـا ... بِـالصَّـدِّ عَـرْبَـدَ ظَـالِمًـا وَبِهَجْـرِهِ
كَـمْ أَطْلَـقَ الـدَّمْـعَ المَصُـوْنَ وَقَـدْ غَـدَا ... قَلْـبُ المُحِـبِّ مُقَيَّـداً فِـي أَسْـرِهِ
أَفْـدِيْـكَ مِـنْ مُـذْكٍ سَعِيْـراً بِـالحَشَـا ... عِنْـدَ الـوَدَاعِ بِبَـارِدٍ مِـنْ ثَغْـرِهِ
آهـاً لِسَـاعَـاتِ التَّـوَاصُـلِ بِـالنَّقَـا ... وَلِطِيْـبِ أَيَّـامِ الشَّبَـابِ وَعَصْـرِهِ
أَيَّـامَ أَسْحَـبُ فِـي مَـرَاتِـعِ رَامَـةَ ... ذَيْلَ المُـذِلِّ بِنَهْيِـهِ وَبِـأَمْـرِهِ
كَـمْ مُـتُّ مِـنْ شَـوْقِـي إِلَـىٰ رَوْضِ الحِمَـىٰ ... فَيُعِـوْدُ يَنْشُـرُنِـي النَّسِيْـمُ بِنَشْـرِهِ
يَـا سَعْـدُ حَـدِّثْ عَـنْ مِنَـىٰ أَوْ رَكْبِـهِ ... فَـالنَّـوْمُ نَفَّـرَهُ بِصَـارِخِ نَفْـرِهِ
وَإِذَا وَصَلْـتَ الشِّعْـبَ نَـادِ بِـأَهْلِـهِ ... . رَاسِـخُ صَخْـرِهِ

مَـنْ ذَا يُحَـرِّمُ وَصْـلَ مُضْطَـرِّ الهَـوَىٰ ..... محـــرم هَجْــره
/ ١٥١ب/ الـذي يجـازي كـل حـافـظ عهـده أمْ شيمَـةُ الحُـبِّ الجَـزَاءُ لِعُـذْره
يَـا صَـاحِ قبـلَ الحُـبِّ حُلْـواً كُنْـتُ لَـمْ أحْفَـلْ بِمَـنْ غَمْـرَتُـهُ لُجَّـةُ بَحْـره
مَـازِلْـتُ أُوْلَـعُ بِـالهَـوَىٰ مُتَعَـرِّضـاً حَتَّـى بُلِيْـتُ بِحُلْـوِه وبِمُـرِّه

وأنشدني أيضًا من شعره قوله: [من الطويل]

أَمَـا مُخْبِـرٌ أَيْـنَ اسْتَقَلُّـوا وَيَمَّمُـوا وَفِـي أَيِّ دَارٍ بَعْـدَ نَعْمَـانَ خَيَّمُـوا
وَكَـمْ حَلَّلُـوا قَتْلِـي عَلَـىٰ الخَيْـفِ وَانْثَنَـوا عَـنِ العَهْـدِ وَالـوَصْـلَ المُحَلَّـلَ حَـرَّمُـوا
وَقَـدْ ذَبَحُـوا فِـي عَيْنِـيَ النَّـوْمَ بَعْـدَهُـمْ فَمِـنْ ذَاكَ فِـي أَجْفَـانِهَـا يَسْفَـحُ الـدَّمُ
أَيَـا جِيْـرَةَ الـوَادِي إِلَـى مَ أُعَـاتِـبُ الطُّـلُـوْلَ وَصُـمُّ الصَّخْـرِ لاَ يَتَكَلَّـمُ
نَقَضْتُـمْ عَلَـىٰ الـرَّمْـلِ العُهُـوْدَ وَمَـنْ بَنَـا عَلَـىٰ الـرَّمْـلِ أَمْسَـى كَيْـفَ لاَ يَتَهَـدَّمُ
وَأَرْضَيْتُـمُ الـوَاشِـي وَأَسْخَطْـتُ عُـذَّلِـي وَخَـــالَفْـــتُ .....
وَحَـقِّ لَيَـالِيْنَـا القِصَـارِ بِـوَصْلِكُـمْ وَعَهْـدٍ حَفِظْنَـاهُ لَكُـمْ وَأَضَعْتُـمُ
إِذَا بَـارِقٌ مِـنْ أَرْضِكُـمْ لاَحَ خِلْتُـهُ لَهِيْـبَ سَعِيْـرٍ بَيْـنَ جَنْبَـيَّ يُضْـرَمُ
وَإِنْ نَسْمَـةٌ هَبَّـتْ مِـنَ الشِّعْـبِ سُحْـرَةً تَـوَحَّمْـتُ طَـوْعًـا نَحْـوَهَـا فَـأُسَلِّـمُ
وَيُطْـرِبُنِـي عَـذْلُ العَـذُوْلِ وَمَـنْ نَـأَىٰ مُحِبًّـا لِـذِكْـرَىٰ حِبِّـهِ يَتَـأَلَّـمُ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من البسيط]

/ ١٥٢أ/ لاَ أَوْحَشَ اللهُ مِـنْ كُتْـبٍ إِذَا وَرَدَتْ كَـأَنَّمَـا نَشَـرَتْ مِـنْ طَيِّهَـا الفَـرَجَـا
أُكْـرِمْ بِهَـا وَبِمُهْـدِيْهَـا وَحَـامِلِهَـا فَقُـرَّةُ العَيْـنِ لِـيْ فِيْهَـا وَأَلْـفُ رَجَـا

وأنشدني لنفسه، ما كتبه إلىٰ القاضي الإمام بهاء الدين أبي محمد الحسن بن إبراهيم بن الخشاب ـ أيده الله تعالىٰ ـ: [من المنسرح]

يَـا سَيِّـداً لَـمْ تَـزَلْ مَـرَاكِبُـهُ رَاكِبَـةً فَـوْقَ مَنْكِـبِ الشِّعْـرَىٰ
عَلَـوْتَ قَـدْراً عَلَـىٰ المَـدَائِـحِ بَـلْ ..... بِـوَصْفِـكَ الشِّعْـرَا

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من البسيط]

لَـوْ كُنْـتَ شَـاهَـدْتَ يَـوْمَ البَيْـنِ مَـوْقِفَنَـا أَبْصَـرْتَ مِنِّـيَ مَـا أَبْـدَى لَـكَ العَجَبَـا
رُوْحِـي مَضَـتْ وَبَقِـي الجُثْمَـانُ بَعْـدَهُـمْ لَقًـى يُقَلِّبُـهُ بَيْـنَ الثِّيَـابِ هَبَـا

وَكُلَّمَا صَعِدَتْ . . . . الضلوع ... . صغْتَهُ ذَهَبَا

وأنشدني لنفسه، ما كتبه إلىٰ أخيه، بعد تهاجر كان بينهما: [من الكامل]

قُدِّمْتُ قَبْلَكَ وَافْتُدِيْتَ بِمُهْجَتِي ... يَا ذَا الَّذِي مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ يَعْتِبُ
أَوَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ عَتْبَكَ ظَالِمًا ... مِمَّا جَنَاهُ النَّحْلُ عِنْدِي أَعْذَبُ

/ ١٥٢ب/ وأنشدني لنفسه، يلغز باسم: [من السريع]

لَوْ صَحَّ لِي مِنْ مُنْيَتِي زَوْرَةٌ ... تَسْخُنُ مِنْهَا عَيْنُ وَاشِيْهِ
كُنْتُ اسْمَهُ مِنْ بَعْدِ عَكْسٍ إِذَا ... صَارَ أَخِيْرُ الإِسْمِ ثَانِيْهِ
هَذَا اسْمُ مَنْ أَهْوَاهُ لَكِنَّنِي ... خَوْفًا عَلَيْهِ لَا أُسَمِّيْهِ

وأنشدني لنفسه: [من البسيط]

كَأَنَّمَا الرَّاحُ فِي الإِبْرِيْقِ كَامِنَةٌ ... وَقَدْ بَدَا نُوْرُهَا لِلْكَأْسِ فَانْصَدَعَا[1]

وأنشـ . . . . [من المجتث]

إِنْ سُرَّ بِالعِيْدِ قَوْمٌ ... فَمَا سُرِرْتُ بِعِيْدِي
وَكَيْفَ يَفْرَحُ عَانٍ ... مُهَدَّدٌ بِوَعِيْدِ
يَوَدُّ أَنْ يَنْظُرَ الأَهْـ ... ـلَ نَظْرَةً مِنْ بَعِيْدِ
وَلَيْسَ يُعْطَى مُنَاهُ ... مَنْ كَانَ غَيْرَ سَعِيْدِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الطويل]

إِذَا نَسْمَةٌ هَبَّتْ لَنَا مِنْ دِيَارِكُمْ ... بَكَيْتُ وَإِنْ بَرْقٌ مِنَ الغَوْرِ أَوْمَضَا
وَمَنَّيْتُ نَفْسِي رَجْعَةً لِوِصَالِكُمْ ... وَهَيْهَاتَ أَنْ يُدْنِي مِنَ العَيْشِ مَا مَضَىٰ
/ ١٥٣أ/ وَكَانَ دَمًا دَمْعِي وَلَكِنَّ عَبْرَتِي ... يُصَعِّدُهَا حُزْنِي فَيَنْهَلُّ أَبْيَضَا

---

(١) بعده في الأصل شطب بمقدار بيت آخر.

[٨٠٥]

مُحَمَّدُ بنُ أحمدَ بن مُحَمَّد بن عبد الله بن سُجْمانَ البكريُّ ـ من بكر بن وائل ـ الشرَيشيُّ الأندلَسيُّ[(١)].

كان مولده تقديراً في سنة ستمائة؛ سمع الحديث الكثير بالأندلس، وديار مصر، والحجاز، والشام، وبغداد. واستظهر القرآن الكريم، وقرأ علم الأدب والعربية علىٰ جماعة. تربَّىٰ بالأندلس، وقرأ فقه الإمام مالك ـ رضي الله عنه ـ.

أنشدني لنفسه، يلتمس من إنسان كتاب «التلقين» علىٰ مذهب الإمام مالك بن أنس ـ رضي الله عنه ـ فمنعه، وكان قبل ذلك قد أعاره إياه، ثم كتب له رقعة يعتذر إليه في المنع: [من البسيط]

مَا إنْ وَجَدْتُ أطَالَ اللهُ عُمْرَكَ لِي ... وَلِلْمَكَارِمِ تُولِيْهَا وَتَنْشُرُهَا
مِنْ مَنْعِكُمْ مِنِّيَ التَّلْقِيْنَ مَوْجِدَةً ... عَلَيْكَ فِي النَّفْسِ أطْوِيْهَا وَأسْطُرُهَا
قَدْ طَالَ مَا كَانَ عِنْدِيْ وَانْتَفَعْتُ بِهِ ... وَكَمْ لَكُمْ مِنْ أيَادٍ لَسْتُ أحْصِرُهَا
وَفِي الضَّمِيْرِ لَكُمْ وُدٌّ وَمَنْزِلَةٌ ... مَنْعُ الحَوَائِجِ مِمَّا لا يُغَيِّرُهَا
/ ١٥٣ب/ إذَا الصَّدَاقَةُ صَحَّتْ مِنْ أخِي ثِقَةٍ ... عَلَىٰ صَفَاءٍ فَمَا شَيءٌ يُكَدِّرُهَا

وأنشدني أيضًا لنفسه من قصيدة: [من الطويل]

لَقَدْ سَارَ فِيْنَا سِيْرَةً عُمَرِيَّةً ... وَأذْهَبَ عَنَّا الجَوْرَ فَالعَدْلُ قَائِمُ

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢/ ١٣١ ـ ١٣٢ رقم ٤٨٠ وفيه: «ولد بشريش سنة إحدى وستمائة، توفي سنة خمس وثمانين وستمائة». بغية الوعاة ١/ ٤٤ ـ ٤٥ رقم ٧٢ وفيه: «سَحْمان». العبر ٥/ ٣٦٠ وفيه: «سحمان». دول الإسلام ٢/ ١٨٧. مرآة الجنان ١/ ٢٠١ ـ ٢٠٢. نفح الطيب ٢/ ١٣١ رقم ٧٣ و٢١٧ رقم ١٣٤. البداية والنهاية ١٣/ ٣٠٨ وفيه: «بحمان». المقفى الكبير ٥/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩ رقم ١٨٣١. شذرات الذهب ٥/ ٣٩٢. ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٩٢ ـ ٣٠٠ وفيه: «سمحان». معجم شيوخ الذهبي ٤٦٨ ـ ٤٦٩ رقم ٦٨٧. تاريخ الخلفاء ٥٠٥. تاريخ ابن الفرات ٨/ ٤٦. الديباج المذهب ٣٢٦. تذكرة النبيه ١/ ١٠٧. عيون التواريخ ٢١/ ٣٧٤، وفيه: «بجمان». المعين في طبقات المحدثين ٢١٩ رقم ٢٢٦٩. المعجم المختص ٢١٩ ـ ٢٢٠ رقم ٢٦٢. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٨١ ـ ٦٩٠) ص٢٣٠ ـ ٢٣٤ رقم ٢٣٨. السلوك ج١ق٣/ ٧٣٣. عقد الجمان ٢/ ٣٥٥. تاريخ ابن الوردي ٤/ ٢٣٣. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٧٤ ـ ٣٧٥.

إذَا مَا انْتَضَى للْخَطْبِ يَقْظَانَ عَزْمِهِ ... غَدَتْ عَزَمَاتُ الدَّهْرِ وَهْيَ نَوَائِمُ
فَفِي الحَرْبِ للأعْدَاءِ بالقَهْرِ قَاصِمٌ ... وَفِي السِّلْمِ للأمْوَالِ بالرِّفْقِ قَاسِمُ
لِكُلِّ بُيُوْتَ اللهِ بالعَلْمِ عَامِرٌ ... وَكُلِّ بُيُوْتَ الشِّرْكَ والجَهْلَ هَادِمُ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الكامل]

هَلاَّ عَلَيْكَ كَمَا كلفتَ جَمِيْلا ... إنْ تُولِيَ الصَّبَّ المَشُوْقَ جَمِيْلاَ
يَا وَاصلِي بالهَجْرِ إنَّكَ قَاتلِي ... هَلاَّ بِوَصْلِكَ أَنْ يكُوْنَ وَصُوْلاَ
أيَحِلُّ قَتْلُ الصَّبِّ فِي شَرْعِ الهَوَىٰ ... لاَ والَّذِيْ قَدْ أَنْزَلَ التَّنْزِيْلاَ
حُزْنِيْ مِنَ الجَفْنِ العَلِيْلِ فَإنَّهُ ... قَدْ صَيَّرَ الجِسْمَ الصَّحِيْحَ عَلِيْلاَ
يَا مَالكًا رقَّ الأنَامِ بحُسْنِهِ ... مَا بَالُ طَرْفِكَ للْعَبِيْدِ قَتُوْلاَ
أوَمَا تَرقُّ لمُذْنِفٍ وَمُتَيَّمٍ ... أضْحَىٰ بحُبِّكَ هَائمًا مَخْبُولاَ
أَضْنَاهُ طُوْلُ الشَّوْقِ حَتَّىٰ إنَّهُ ... مَا إنْ يَبِيْنُ لمُبْصِرِيْهِ نُحُوْلاَ
أَلِفَ السُّهَادَ مَعَ الضَّنَىٰ فَجُفُوْنُهُ ... مَا إنْ تَذُوْقُ مِنَ المَنَامِ قَلِيْلاَ
/١٥٤أ/ يَرْعَىٰ النُّجُومَ إلَىٰ الصَّبَاحِ وَيَنْثَنِيْ ... حَتَّىٰ المَسَاءِ بِذِكْرِكُمْ مَشْغُوْلاَ
فَوَحَقِّ حُسْنِكَ وَالصَّبَابَةِ إنَّنِي ... مَا خِفْتُ مَوْتِي بالهَوَىٰ مَقْتُوْلاَ
لكِنْ أخَافُ عَلَيْكَ إنْ أتْلَفْتَنِي ... إذْ كَانَ شَخْصُكَ فِي الفُؤَادِ نَزِيْلاَ
هَذَا دَمِي لَكَ يَا ظَلُوْمُ أبَحْتَهُ ... أوَمَا تَخَافُ لَدَىٰ الحِسَابِ جَلِيْلاَ
أقْسَمْتُ أنَّكَ فِي جَمَالِكَ وَاحِدٌ ... مَا إنْ أرَىٰ لَكَ فِي المِلاَحِ مَثِيْلاَ

[٨٠٦]

مُحَمَّدُ بنُ عبد القاهر بن هبة الله بن عبد القاهر بن عبد الواحد(١) بن يوسفَ ابنُ النَصيبيِّ، العَدلُ الأمينُ، أبو عَبد الله بنَ أبي المَعالي.

أخبرني أنه ولد ليلة الجمعة الثالث والعشرين من شوال سنة إحدىٰ وثمانين وخمسمائة(٢).

(١) في هامش الأصل: «هو... أبي طاهر بن».
(٢) في هامش الأصل: «توفي ثامن ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وستمائة، وكان يُنعت بزين الدين وكان من =

سمع الحديث النبوي كثيراً؛ بحلب، ودمشق، ومصر، وبغداد. وهو من بيت مذكور بحلب معروف، وهو عدل من عدولها وقبره بها، وتولىٰ عدّة أعمال منها؛ خزن مال الأيتام والنظر فيه، وغير ذلك، وأفادني كثيراً من رواياته.

رأيته شيخًا حسنًا صحيح الرواية، جيّد المعرفة، أنشدني لنفسه يوم الجمعة ثالث جمادى الآخرة /١٥٤ب/ بحلب المحروسة، بجامعها سنة خمس وثلاثين وستمائة، قال: أنشدنا قاضي القضاة أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن شداد ـ رضي الله عنه ـ قال: أنشدني القاضي الفاضل لبعضهم علىٰ صعد: [من مجزوء الرمل]

قُلْتُ للزلمة جُودِيْ ... لاَ تَمُرِّيْ بلَهَاتِيْ
وبخفي خَلِّ حَلْقِيْ ... فَهْوَ دِهْلِيزُ حَيَاتِيْ

وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

نَظَرْتُ إِلَىٰ الدُّنْيَا الغَرُوْرِ بعِزَّةٍ ... وَغَفلَةِ مَشْغُوْلٍ بهَا يَتَجَاهَلُ
وَكَيْفَ أَرَىٰ دَاراً لَذِيْذٌ نَعِيْمُهَا ... وَأَطمَعُ أَنْ أَحْظَىٰ بِهِ غَيْرَ زَائلِ
وَضَيَّعْتُ دَاراً لِلْخُلُوْدِ مُعَدَّةً ... بلَذَّاتِ دَارٍ أُكملَتْ لِلْرَذَائِلِ
ولَمَّا رَأَيْتُ الأَقْدَمِيْنَ تَقَدَّمُوا ... وَلَمْ يَحْصَلُوا إِلاَّ عَلَىٰ غَيْرِ طَائِلِ
رَجَعْتُ إِلَىٰ النَّفْسِ اللَّجُوجِ أَلُومُهَا ... وَقُلْتُ لَقَدْ ضَيَّعْتِ حَقّاً بِبَاطِلِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الرمل]

كَمْ عَدُوٍّ لِيَ مِنْ ظَهْرِيْ وَكَمْ ... مِنْ حَمِيْمٍ لَمْ تَلِدْهُ لِيَ أُمِّيْ
وَكَذَا الخَالُ وَبَالُ قَالَهُ ... قَبْلَ هَذَا كُلُّ ذِيْ فَهْمٍ وَعِلْمِ
فَاحْذَرِ الأُخْوَةَ وَالإِبْنَ وكُنْ ... مِنْ بَنِي الأَعْمَامِ فِي هَمٍّ وَغَمِ

/١٥٥أ/ وأنشدني لنفسه: [من الخفيف]

إِنَّ حَمَّامَنَا الحمَامُ لِمَنْ رَا ... مَ نَعِيْمًا مِنْ غَيْرِ ضُرٍّ وَبُؤْسِ
هِيَ مِثْلُ المَوْتِ المُنَغِّصِ لِلَّذَا ... تِ بَيْنَ بَرْدٍ وَيُبْسِ

= أهل....».

[٨٠٧]

مُحَمَّدُ بنُ يحيىٰ بن مُحَمَّد بنِ هبة الله بنِ أبي جرادةَ أبو المفاخرِ بنِ أبي الفتحِ العقيليُّ[(١)].

من أهل حلب وأبناء أجلتها وقضاتها وأكابرها، فضلاً وعلمًا.

سمع الكثير من الحديث النبوي، وتفقه علىٰ مذهب الإمام أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ وأتقن صدراً جيداً منه، وناظر وتكلم مع الفقهاء، وقرأ أنموذجًا صالحًا من علم العربية، علىٰ الشيخ الفاضل موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش النحوي، وأتقنه معرفة.

وهو شاب كيس دمث الأخلاق، جميل الخطاب، حلو المحاضرة، وربما جادت قريحته بشيء من الشعر علىٰ سبيل الرياضة فيجيد فيما يأتي به.

أنشدني لنفسه، كتبها إلىٰ يونس بن المرتضى الشاعر: [من الطويل]

/ ١٥٥ب/ وَلأُبدَّ أنْ يَعْلُوْ بكَ الفَضْلُ رُتْبَةً ... يَجِلُّ عَنِ التَّحْدِيْدِ فِيْ الطُّوْلِ وَالعَرْضِ
وَأَتْلُو عَلَىٰ رُغْمِ الزَّمَانِ وَكَيْدِهِ ... ﴿كَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوْسُفَ فِيْ الأَرْضِ﴾[(٢)]

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الطويل]

وَرَدْتُ خِبَاهَا وَالرَّقِيْبُ مَهَوِّمٌ ... فَهَبَّتْ سَرِيْعًا قَبَّحَ اللهُ نَعْلَهُ
تَعَرَّفَ حَالِيْ فَانْصَرَفْتُ . . . . وَلِيْ مَصْدرٌ . . . أضمر الفعل قَبْلَهُ

وأنشدني أيضًا من شعره: [من البسيط]

قَالَتْ: طَرَقْتَ بُيُوْتَ الحَيِّ فِيْ غَسَقٍ ... ثُمَّ اهْتَدَيْتَ إِلَيْنَا، قُلْتُ: بالقَمَرِ
تَبَسَّمَتْ فَأَضَاءَ الخِدْرَ فَاسْتَتَرَتْ ... عَنِ النَّوَاظِرِ فِيْ سُحْبٍ مِنَ الشَّعَرِ

وأنشدني أيضًا قوله: [من الكامل]

سَرَّحْتُ طَرْفِيْ فِيْ رِيَاضِ مَحَاسِنٍ ... عَرْفُ النَّسِيْمِ بِنَشْرِهَا مُتَأَرِّجُ

---

(١) في هامش الأصل: «قتل المذكور في العشر الأوسط من شهر صفر في وقعة حلب، رحمه الله».
(٢) تضمين الآيتين ٢١ و٢٦ من سورة يوسف.

فَـالقَـدُّ غُصْـنٌ، وَاللَّـوَاحِـظُ نَـرْجِـسٌ ... وَالخَـــدُّ وَرْدٌ، وَالعِـــذَارُ بَنَفْسَـــجُ

[٨٠٨]

مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّد بن حنين بن عمرَ بنِ أبي سعيدٍ العربيُّ، البصريُّ المولدِ، الواسطيُّ المنشأ، النحويُّ.

أخبرني أنَّه ولد في سنة إثنتين وستمائة.

شاب ألْحَىٰ(١)، ربع القامة، ذو فنون من العلم والأدب، حفظ القرآن المجيد، / ١٥٦أ/ وتفقه علىٰ مذهب الشافعي، وأخذ علم النحو عن أبي الفتح محمد بن أبي الفتح الواسطي، وأبي الحسن علي بن عدلان بن علي النحوي الموصلي، بمدينة السلام، وغيرها وعلىٰ خاطره من النكت الأدبية، وعنده كيس ولطافة، ودماثة أخلاق.

ولمّا انحدرت صحبة الأمير الكبير العادل ركن الدين، إلىٰ بلد البطائح(٢)، واستقر بها المقام، أُبلغ أنَّ بواسط رجلاً فاضلاً، وأنَّه قد انحدر إلىٰ قريةَ تُدعىٰ: «بأم عبيدة»؛ فأرسل في استدعائه، فأقبل إليه، فرآه كاملاً في كل فضل، فندبه إلىٰ تأديب ولده الأمير شهاب الدين أبي الفضل عيسىٰ ـ بلّغه الله تعالىٰ فيه ما يتمناه ـ وقرّر له جامكية، ورتب له جاريًا يكفيه ويفضل عنه، في رأس كل شهر، وأصعد صحبته إلىٰ مدينة السلام، وقربه وأدناه، وأنعم عليه.

أنشدني لنفسه، ليلة الجمعة الثانية عشر[ة] من شعبان، ببلد البطائح من الأعمال الواسطية، سنة تسع وثلاثين وستمائة، من قصيدة منها: [من الخفيف]

دُمْــتَ مَــادَامَــتِ الفَــوَاعِــلُ أَسْمــا ... ءً صُــرَاحــًا وَاشْتَــدَّ جَــرْسُ الطَّــاءِ

وَتَمكَّنْـــــتَ مَـــا تَمكَّنَـــــتِ الأَلْـ ... ـفَــاظُ حَــالَ الإعْــرَابِ لاَ فِــيْ البِنَــاءِ

. . . . مَـــا ٱرْتَفَـــعَ الفَـــا ... عِـــلُ أَوْ ضُـــمَّ خَـــالِـــدٌ فِـــيْ النِّـــدَاءِ

/ ١٥٦ب/ ثُمَّ لاَزِلْتَ فِيْ دُسُوْتِكَ مَنْصُو ... بــًا كَــزَيْــدٍ فِــي حَــالَــةِ الإِغْــرَاءِ

(١) ألحى: طويل اللحية.

(٢) البطائح: وهو جمع البَطيحة، أرض واسعة بين واسط والبصرة، كلها قرى متصلة، وأرضًا عامرة. انظر: معجم البلدان/ مادة (البطَيحة).

وَأُمِيلَتْ رِقَابُ شَانِيكَ بِالفعْـ ـلِ خَلاَ مِنْ حُرُوفِ الاسْتِعْلاَءِ
لأَمُدَّنَّ فِي مَدِيحِكَ صَوْتِي مِثْلَ مَدِّ الْكُوفِيِّ فِي هَؤُلاَءِ

وأنشدني أيضًا لنفسه من قصيدة: [من الكامل]

مَا ضرّ مِنْ بِرٍ. . . . عَلَيْهَا هتنٌ لَوْ أَنَّهَا جَادَتْ لِصَبٍّ. . . .
عَلِقَتْ شَرَارُ الحُبِّ فِي أَحْشَائِهَا وَتَضَرَّمَتْ مِثْلَ اضْطِرَامِ جَهَنَّمِ
وَأَقْلَتْهُ المَأْسُورُ وَازْفِرَاتِهِ مَا فِي الرِّفَاقِ مُسَاعِدٌ لِمُتَيَّمِ

وأنشدني أيضًا لنفسه، يخاطب بها بعض من كان يتردد إليه، ويستفيد عليه بشيء من الأدب: [من الطويل]

أَبَا القَاسِمِ اذْكُرْ عَهْدَنَا وَاسْتَعِنْ بِنَا تَجِدْنَا وَلاَ تَحْلُلْ عُهُودَ المَوَاثِقِ
وَكُنْ عَالِمًا أَنَّ اللَّذَاذَةَ تَنْقَضِي وَرَبُّكَ بِالمِرْصَادِ مِنْ كُلِّ نَاطِقِ

[٨٠٩]

مُحَمَّدُ بنُ عمرَ بنِ الحسينِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ منصورٍ البغداديُّ الفارقيُّ.

من أهلِ مَيَّافارقينَ ولادةً/ ١٥٧أ/ ومنشأً.

أخبرني أنه ولد سنة إحدىٰ وستمائة.

وهو شاب له طبع مُوات في نظم الشعر، وقريحة جيدة في استنباط المعاني.

أنشدني لنفسه في سنة ثمان وثلاثين وستمائة، وذلك حين افتتح المسلمون قلعة بالروم، وليلة فتحها احترقت بأجمعها، فتطيّر رب الدولة من ذلك، فقال: «والقلعة هي زينجا ببلد دايت»: [من البسيط]

لاَ تَحْسَبِ القَلْعَةَ المَيْمُونَ طَائِرُهَا خَرَّبْتَهَا يَا أَبَا الهَيْجَاءِ مِنْ عَارِ
لَكِنَّهَا أَشْرَكَتْ بِاللهِ مُذْ. . . فَطَهَّرَ اللهُ ذَاكَ الشِّرْكَ بِالنَّارِ

وله: [من الطويل]

فَوَاعَجَبًا إِنِّي ظَلَلْتُ بِصُدْغِهِ عَلَىٰ قَرَّةٍ مِنْ جَفْنِهِ وَهْوَ مُرْسَلُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنَّ بِي مِنْهُ عَارِضًا أُصِبْتُ بِهِ وَالصُّدْغُ مِنْهُ مُسَلْسَلُ

وقال أيضًا: [من مجزوء الكامل]

بَيْنَ المُثَقَّفَةِ الطِّوَا … لِ السُّمْرِ وَالبِيْضِ القِصَارِ
رَشَأٌ أَطَعْتُ صَبَابَتِي … فِيهِ وَعَاصَيْتُ اصْطِبَارِي
وَسِنَانُ يَجْلُو طَرْفُهُ … كَأْسَ الصَّبَابَةِ وَالعُقَارِ
لَا غَرْوَ أَنْ لَبِسَ العِذَا … رَ بِأَنْ خَلَعْتُ لَهُ عِذَارِي
/ ١٥٧ب/ لله لَيْلَةُ زَارَنِي … وَاللَّيْلُ مَسْدُولُ الأَزَارِ
فَحَبَا يَدِي بِعُقَارِهِ … وَأَعَضْتُهُ عَنْهَا وَقَارِي
وَلَثَمْتُهُ فَوَرَدْتُ فِي … مَاءِ النَّعِيمِ لَهِيبَ نَارِ
وَلَرُبَّ لَيْلٍ كَالغُدَا … فِ هِلَالُهُ تَحْتَ السِّرَارِ
أَطْلَعْتُ شَمْسَ رَجَايَ فِيـ … ـهِ فَعَادَ لِي مِثْلَ النَّهَارِ

ومن مديحها:

فَشِعَارُهُ النُّعْمَى عَلَـ … ـيَّ وَشُكْرُهُ أَبَدًا شِعَارِي
يُهْنِي بِيُمْنَى رَاحَتَيْـ … ـهِ حَيْثُ بِاليُسْرَى يَسَارِي
وَلْتَصْنَعِ الأَيَّامُ مَا … شَاءَتْ فَإِنَّ بِهِ انْتِصَارِي
إِنِّي أَخَافُ الحَادِثَا … تِ وَجَوْرَهَا وَنَدَاهُ جَارِي

وله: [من الطويل]

وَأَسْمَرَ مِنْهُ القَدُّ أَسْمَرُ ذَابِلُ … فُؤَادِي عَلَيْهِ نَاصِرٌ لِي وَخَاذِلِي
إِذَا مَا أَتَى أَثْنَتْ عَلَيْهِ عَوَاذِلِي … أَيَا حُسْنَ مَنْ تُثْنِي عَلَيْهِ العَوَاذِلُ
مِنَ السُّمْرِ أَوْدَى بِالنُّفُوسِ قَوَامُهُ … سَجِيَّةُ نَفْسِ كُلِّ أَسْمَرَ قَاتِلِ
لَهُ رَامِحٌ مِنْ قَدِّهِ غَيْرُ رَاحِمِ … وَغَيْرُ شَفِيقٍ فِي المَحَاجِرِ بَابِلِي
/ ١٥٨أ/ رَمَانِي فَمَا أَخْطَتْ فُؤَادِي سِهَامُهُ … وَهَبْ أَخْطَأَتْ قَلْبِي فَكُلِّي مَقَاتِلُ
وَزَارَ وَقَدْ مَالَتْ بِهِ نَشْوَةُ الصِّبَا … وَعُنْقُ الثُّرَيَّا فِي المَجَرَّةِ مَائِلُ
فَقَبَّلْتُ مَا أَبْدَاهُ لِي بَرْقُ ثَغْرِهِ … وَعَانَقْتُ مَا أَخْفَتْهُ عَنِّي الغَلَائِلُ
بِنَفْسِي وَمَا لِي تِلْكَ لَيْلَةُ وَصْلِهِ … لَقَدْ كَانَ فِيهَا لِلصَّبَاحِ شَمَائِلُ
نَعِمْتُ بِهِ فَلْيَصْنَعِ الدَّهْرُ بَعْدَهَا … مَشِيئَتَهُ بِي وَلْتَغُلْنِي الغَوَائِلُ

وقال يمدح رشيد الدين عمر بن القصّار الفارقي ـ أسعدهُ الله ـ : [من البسيط]

إنْ كَانَ عَنِّي رَشِيْدُ الدِّيْنِ مُسْتَتِراً ... مَا جُوْدُ كَفَّيْهِ عَنِّي الدَّهْرَ مَسْتُوْرُ
فَهْوَ الرَّشِيْدُ بِهِ أمْسَيْتُ مُعْتَصِمًا ... مِنَ الخُطُوبِ وَرَأْيِي فِيْهِ مَنْصُوْرُ

وقال وكتبها إلىٰ صديق : [من البسيط]

يُقَبِّلُ الأَرْضَ عَبْدٌ مِنْ عَبِيْدِكَ لَوْ ... يَسْطِيْعُ شَوْقًا إلَىٰ تِلْكَ العُلاَ طَارَا
لٰكِنْ كَمَا تَعْلَمُ الأَيَّامُ مَقْعَدُهُ ... فَقَدْ أقَامَتْ لَهُ الأَيَّامُ أمْدارا

وقال أيضًا : [من الكامل]

مَا نَامَ لِي حَتَّىٰ بَدَا ... فِي خَدِّهِ لَيْلُ العِذَار
وَالْيَوْمَ سَهْلٌ فِي الدُّجَىٰ ... مِنْ حَيْثُ يَعْسُرُ فِي النَّهَار

/ ١٥٨ب/ وقال أيضًا : [من مجزوء الرمل]

زَارَ وَاللَّيْلُ بَهِيْمُ ... أبْلَجُ الوَجْهِ رَخِيْمُ
مِنْ بَنِي الرُّوْمِ رَشِيْقٌ ... فَاتِرُ المُقْلَةِ رِيْمُ
وَعَلَىٰ كَفَّيْهِ شَمْسٌ ... طَلَعَتْ فِيْهَا النُّجُوْمُ
مِنْ بَنَاتِ الكَرْمِ بِكْرٌ ... كُفْؤُهَا النَّدْبُ الكَرِيْمُ

وقال أيضًا : [من الطويل]

سَلاَمٌ كَأيَّامِ الشَّبِيْبَةِ وَالصِّبَا ... عَلَيْكَ وَمِثْلُ الرَّوْضِ هَبَّتْ بِهِ الصَّبَا
سَلاَمُ امْرِىءٍ إنْ جَازَ فِي لَيْلِ فِكْرِهِ ... أرَتْهُ بِهِ آرَاؤُهُ فِيْكَ كَوْكَبَا
تَغَرَّبَ عَنْكُمْ غَيْرَ أنَّ فُؤَادَهُ ... لَدَيْكُمْ فَيَا للهِ مَا إنْ تَغَرَّبَا
تَذَكَّرَ لَوْ أجْدَىٰ عَلَيْهِ ادِّكَارُهُ ... زَمَانًا بِكُمْ كَانَ الرَّبِيْعَ وَأطْيَبَا
سَأرْكَبُ فِي إدْرَاكِهِ اللَّيْلَ أدْهَمًا ... وَأجْنَبُ فِي تَلْقَائِهِ الصُّبْحَ أشْهَبَا[(١)]
عَسَايَ وَعَلِّي مَا اجْتَلَيْتُ . . . . مِنَ العَيْشِ أجْنِيْهِ بِقُرْبِكَ مَذْهَبَا

وله : [من مجزوء الكامل]

جُمِعَتْ مَسَرَّاتُ الزَّمَا ... نِ لَنَا كَمَا جُمِعَ الكَمَالُ

---

(١) جَنَبَ البعير : قاده إلى جانبه .

تَـــــارِيْخُـــــهُ يَـــــأْتــــيْ إلَيْـــــهِ يُسَـــرُّ فِـــي الصِّـدْقِ الـــرِّجَـــالُ
/ ١٥٩أ/ . . . . أَخَّـــرْنَـــهُ فَكَـــأَنَّـــهُ فِـــيْ وَجْنَـــةِ الأَيَّـــامِ خَـــالُ(١)

[٨١٠]

مُحَمَّدُ بنُ عبد الوهاب بن مُحَمَّد بن ظاهر بن حمزةَ، أبو بكرِ بنِ أبي مُحَمَّد القرَشيُّ، المعروفُ بابنِ البراذعيِّ.

نجم الكتّابِ، من أهل دمشق، وأبناء أماثلها في الفضل والكتابة.

رأيته بحلب، في سنة إحدىٰ وأربعين وستمائة، أخبرني أنه ولد بدمشق في سنة ستٍّ وسبعين وخمسمائة؛ شيخ أزرق العينين، نقي الشيبة، قد أصابه داء الفالج، فتلجلج لسانه، وثقل. يتعاطىٰ مذهب الحريري ـ صاحب المقامات ـ في أقواله، يكتب خطًا حسنًا، وينشىء نظمًا ونثراً، لم يكن علىٰ ذلك طلاوة، ويظهر عليه تكلّف.

لازم الشيخ أبا اليمن زيد بن الحسن الكندي، مدة طويلة، وقرأ عليه شيئًا من الأدب، وصحب أبا المحاسن محمد بن نصر بن عنين الشاعر، وروىٰ عنه معظم أشعاره.

أنشدني لنفسه بحلب المحروسة يوم الخميس السادس من شهر شوال سنة إحدىٰ وأربعين وستمائة يقتضي وعداً: [من الكامل]

سُـــرَّ الحَسُـــوْدُ بِمَـــا جَـــرَىٰ وَبِمَـــا بَـــدَا مِـــنْ وَعْـــدِ مَـــوْلاَنَـــا الـــوَزِيْـــرِ بِنَفْعِـــهِ
/ ١٥٩ب/ قَدْ نَالَ هَذَا بِالسَّمَاعِ فَهَلْ أَرَىٰ فِـــيْ عَيْنِـــهِ مَـــا قَـــدْ جَـــرَىٰ فِـــيْ سَمْعِـــهِ

وأنشدني أيضًا، وقد رأىٰ في منامه، وهو ينشد بيتًا، فعمل أبياتًا، والبيت المذكور آخر الأبيات: [من البسيط]

لَـــمْ يَنْتَفِـــعْ عَـــالِـــمٌ يَـــومـــاً بِحِكْمَتِـــهِ إِنْ لَـــمْ يُقَـــدِّمْ عَلَيْهَـــا حُسْـــنَ نِيَّتِـــهِ
وَيَتْـــرُكُ العَـــرَضَ الفَـــانِـــيْ وَيَـــرْفُضُـــهُ وَيَطْلُـــبُ الجَـــوْهَـــرَ البَـــاقِـــيْ بِـــأَوْبَتِـــهِ
وَمَـــا انْتِفَـــاعُ أَخِـــيْ الـــدُّنْيَـــا بِـــزُخْـــرُفِهَـــا إِذَا ثَـــوَىٰ فِـــي الثَّـــرَىٰ يَـــوْمـــاً بِـــوَحْـــدَتِـــهِ
إِنِّـي امْـرُؤٌ لَسْـتُ أَبْغِـيْ فِـي الـزَّمَـانِ سِـوَىٰ عَفْـــوِ الإلَـــهِ وأَنْ يَجِـــرِي . . . .

(١) موضع النقاط بياض في الأصل.

وَقَـدْ لَهِجْـتُ بقَـوْلٍ لا أُغَيِّـرُهُ ... عُمْـرِي وَلاَ حُلْـتُ دَهْـرِيْ عَـنْ مَـوَدَّتِـهِ
إنَّ الَّـذِيْ مَـنَّ فِـيْ الـدُّنْيَـا بنعْمَتِـهِ ... إِنِّـيْ لأَرْجُـوْهُ فِـيْ الأُخْـرَىٰ لِـرَحْمَتِـهِ

وأنشدني أيضًا لنفسه يقتضي وعداً: [من الطويل]

ألاَ أَيُّهَـا المَـوْلَـىٰ الَّـذِيْ عَـمَّ رِفْـدُهُ ... وَكُـلُّ وَزِيْـرٍ فِـي البَـرِيَّـةِ عَبْـدُهُ
أَيَجْمُـلُ أَنِّـي تَحْـتَ ظِلِّـكَ ضَـائِـعٌ ... وَأَنْـتَ الَّـذِيْ فِـي الـدَّهْرِ قَدْ قَلَّ مَجْدُهُ
وَقَـدْ مَسَّنِـيْ ضُـرٌّ وَدَيْـنٌ وَفَـاقَـةٌ ... وَيَـزْدَادُ هَـذَا مَـا تَـأَخَّـرَ وَعْـدُهُ

وأنشدني لنفسه، يمدح الشيخ العلاّمة / ١٦٠أ/ علم الدين السخاوي:

[من الكامل]

يَـا خَـابِـطَ الظَّلْمَـاءِ فِـيْ بَيْـدَائِـهِ ... أَوَمَـا سَلِمْـتَ مِـنَ السُّـرَىٰ وَعَنَـائِـهِ
عَـرِّجْ عَلَـىٰ الشَّـامِ الشَّـرِيْـفِ وَلُـذْ بِـهِ ... تَلْتَـذُّ مِنْـهُ بِظِلِّـهِ وَبِمَـائِـهِ
لاَ تَنْـزِلَـنَّ إِلَـىٰ الغُـوَيْـرِ وَلاَ تَـزُرْ ... جِيْـرَانَـهُ فَـالجَـوْرُ فِـيْ أَرْجَـائِـهِ
وَارْجِـعْ إِلَـىٰ الـرَّأْيِ السَّـدِيْـدِ وَعَـدِّ عَـنْ ... ذِكْـرِ الهَـوَىٰ وَنَعِيْمِـهِ وَشَقَـائِـهِ
وَانْـزِلْ عَلَـىٰ الجَبَـلِ المُنِيْـفِ بِجِلِّـقٍ ... فَـالصَّـالِحُـوْنَ بِسَفْحِـهِ وَفِنَـائِـهِ
وَاقْبَـلْ إِلَـىٰ العَلَـمِ الكَبِيْـرِ المُجْتَبَـىٰ ... تَلْـقَ المُنَـىٰ وَاليُمْـنَ عِنْـدَ لِقَـائِـهِ
العَـالِـمِ الصَّـدْرِ الإِمَـامِ المُـرْتَضَـىٰ ... مُهْـدِي الهُـدَىٰ مِـنْ نُـوْرِهِ وَبَهَـائِـهِ
مَـا زَالَ أَوْحَـدَ دَهْـرِهِ عِلْمـاً وَقَـدْ ... رَضِـيَ الـزَّمَـانُ بِـهِ عَلَـىٰ أَبْنَـائِـهِ
هَـذَا السَّخَـاوِيُّ الَّـذِيْ مَـا مِثْلُـهُ ... بَيْـنَ الـوَرَىٰ فِـيْ عِلْمِـهِ وَسَخَـائِـهِ
يُتْلَـىٰ كِتَـابُ اللهِ حَـوْلَ يَمِيْنِـهِ ... وَشِمَـالِـهِ وَأَمَـامِـهِ وَوَرَائِـهِ
مُتَـوَاضِعـاً للهِ جَـلَّ عَـلاَؤُهُ ... مُتَـوَرِّعـاً خَـوْفـاً عَلَـىٰ عَلْيَـائِـهِ
شَـادَ المَعَـالِـيْ بِـالتَّـوَاضُـعِ فَـارْتَقَـتْ ... وَتَنَـزَّهَـتْ فَـاعْجَـبْ بِحُسْـنِ بِنَـائِـهِ
وَهْـوَ الَّـذِيْ غَمَـرَ الـوُجُـوْدَ جَمِيْعَـهُ ... مِـنْ فَضْـلِ أَنْعُمِـهِ وَفَيْـضِ عَطَـائِـهِ
وَلَطَـالَمَـا نَفَـعَ الأَنَـامَ بِعِلْمِـهِ ... وَصَـوَابِ مَنْطِقِـهِ وَصَـائِـبِ رَأْيِـهِ
/ ١٦٠ب/ دَامَـتْ لَنَـا أَيَّـامُـهُ وَبَقَـاؤُهُ ... وَاللهُ يَنْفَعُنَـا بِطُـوْلِ بَقَـائِـهِ

وأنشدني لنفسه، في غلام يرقص: [من الطويل]

وَظَبْـيٍ حَكَـىٰ نُـوْرَ الغَـزَالَـةِ وَجْهُـهُ ... وَقَـدْ شَـدَّ بَنْـداً عِنْـدَمَـا قَـامَ يَـرْقُـصُ

مِنَ الرِّيْمِ لكِنْ فيْه حُسْنُ ٱلْتِفَاتِه ... وَفيْ الرِّيْم لَفْتَاتُ مَنْ يقْنِصُ
فَهذَا بمَا فيْه مِنَ الحُسْنِ قَانِصٌ ... وَتلْكَ بمَا فيْهَا مِنَ الحُسْنِ تَقْنِصُ
وَقَدْ صَادَ قَلبًا عَزَّ مِنْهُ خَلاَصُهُ ... وَمَنْ ذَا الَّذِيْ مِنْ أَسْرِهِ اليَوْمَ يَخْلصُ

وأنشدني لنفسه، في غلام معه خدّام يحفظونه: [من الكامل]

نَفْسِيْ الفِدَاءُ لمَنْ أَقَامَ قِيَامَتِيْ ... بقَوامِهِ وَنَحَافَةٍ فِيْ خَصْرِهِ
حَرَسُوْهُ بالخُدَّامِ خِيْفَةَ عَاشِقٍ ... قَدْ حَارَ مِنْ حَرِّ الهَوَىٰ فِيْ أَمْرِهِ
كَمْ خَادمٍ مِنْ حُسْنِهِ فيْ وَجْهِهِ ... يُغْنَىٰ بِهِ عَنْ خَادِمٍ فِيْ عُمْرِهِ
رَيْحَانُ سَالِفِهِ وَعَنْبَرُ خَالِهِ ... يَتَغَايَرَانِ وَجَوْهَرٌ فِيْ ثَغْرِهِ

وأنشدني لنفسه في المعكوس: [من مجزوء الرجز]

أَسْمَرُ رَاحٍ نكْبَةً ... تبكن جار رُمسًا
أَسَرَّنَا لقاؤه ... وَهْوَ أَقَلُّ إِنْ رَسَا

/ ١٦١أ/ وأنشد لنفسه، حرف سقط، وحرف مهمل: [من الوافر]

بِرَبِّكَ قُلْتَ: أنا يا جميلاً ... فَإِنَّكَ تَسْتَلِذُّ وَتَسْتَمِيْحُ
وَقُلْ يَا جَابِرِيْ هَذَا بَلاَءٌ ... فَلاَ تَهْجُرْ فَإِنَّكَ تَسْتَرِيْحُ

وأنشدني لنفسه، يلغز وعملها علىٰ لسان شخص يلتمس من السلطان قباء وعده به: [من السريع]

يَا مَالِكًا فَاقَ جَمِيْعَ الوَرَىٰ ... وَعَمَّ فِيْ العَالَمِ تَشْرِيْفُهُ
ابق متىٰ ألبس متىٰ ألبس ... معكوسها كل بأعدائك تصحيفه

وأنشدني لنفسه، وهي أبيات خالية من الإعجام: [من الكامل]

إِسْمَعْ كَلاَمَ مُسَلِّمٍ وَمُسَالِمِ ... وَمُوَادِعٍ وَمُوَدِّدٍ وَمُوَاصِلِ
وله وداد لامرًا ولا ادعا ... ما ود صرام لود الواصل
حمد الإله مُحَمَّدًا ولآله ... آل المروة والسماح الكامل
أَهْلَ الإِمَامَةِ وَالعَدَالَةِ وَالعُلاَ ... وَهُمُ المُرَادُ لعَالمٍ وَلعَامِلِ
وَهُمُ عِمَادُ مُؤَمِّلٍ وَمُعَوِّلٍ ... وَمَدَاهُ كُلِّ مُرَدَّدٍ وَمُطَاوِلِ
/ ١٦١ب/ هُمْ عُمْدَةُ الإِسْلاَمِ مَادَامَ الوَلاَ ... وَسِلاَحُ كُلِّ مُحَاوِرٍ وَمُحَاوِلِ

وَهُـــمُ مهَــادٌ للكــرَام وَعــدَّةٌ   وَلصَــادر وَلــوَارد وَلآمــل
مَــا للْــرُوَاة ســوَاهُــمُ وَهُــمُ كَمَــا   مَــاءُ السَّمَــاءِ لكُــلِّ عَــامٍ مَــاحِــلِ
لاَ أُحْمــدُ الهَــمَّ المُلــمَّ وَمَــا لَهُــمْ   . . . . أو الملــح الهــاطــل
لاَ حَــرَّمَ اللهُ الــوُرُوْدَ وَلا هــم   وَهْــوَ الــدَّوَاءُ لكُــلِّ صَــدْرٍ آهــلِ

[٨١١]

مُحَمَّدُ بنُ عليِّ بن أبي الحسن عليِّ بن أبي القاسم هبة الله بن أبي العساكر سعد بن مُحَمَّد بن الحسَن بن أحمَدَ بن عَليِّ بنِ الفضلِ بنِ بشرَويه، أبو عبدِ الله بنِ أبي القاسِمِ الهُمّاميُّ.

هكذا أملىٰ عليّ نسبه لما سألته عنه، وذكر لي أن أصله يرجع إلىٰ قوم من الفرس.

كان مولده في سلخ جمادى الآخرة سنة ستٍّ وتسعين وخمسمائة، بالهُمّامية قرية كبيرة تحت واسط[١]، من أعمالها وأشهر قراياها، نسبت إلىٰ رجل، كان ينعت بهُمَام الدين من بني أسد، وكانت من جملة أقطاعه. وكان أجداد ابن بشرويه. . . . ومقدميها، ولهم بها. . . . يتوارثونها بها/ ١٦٢أ/ وهي بأيديهم إلىٰ يومنا هذا.

وهو رجل أسمر، خالطه الشيب قليلاً، يتولّىٰ التّصرف في الأعمال الديوانية، من قبل الديوان الخليفيّ المستنصري. يعاني صناعتي النظم والنثر، وهو ذو طبع سليم في إنشائهما، ويكتب خطًّا حسنًا، ولم يكن ممن يبغي أجراً علىٰ المدح، فإنَّ نفسه ترفعه أنْ يَمدح أحداً مُستميحًا، يفد إلىٰ مدينة السلام في كل وقت، ويمدح أربابَ الحضرة الشريفة بها، وربما امتدح أمير المؤمنين المستنصر بالله ـ خلّد الله ملكه ـ ثم يعود إلىٰ قريته.

ولما توجَّه انحدر في جُمادىٰ الآخرة من سنة تسع وثلاثين وستمائة، صحبة الأمير الكبير العادل ركن الدين أبي شجاع أحمد بن قرطايا ـ أسبغ الله ظلاله ـ إلىٰ أملاكه التي أقطعه إياها أمير المؤمنين من أعمال واسط، لاستيفاء أنفاعها، وقبض

---

(١) انظر معجم البلدان/ مادة (الهمامية).

المغل الذي يحصل له من الخراج، اجتزنا بالهمامية، وكان ابن بشرويه غائبًا عنها، لأشغال عرضت له من قبل الديوان العزيز، ولم يتفق للأمير الاجتماع به؛ فلما قدم ابن بشرويه من غيبته، أشعر بمقدم الأمير، فشق ذلك عليه، كيف لم يحظ بخدمته!، فعند ذلك صنع رسالة وأعقبها أبياتًا، وأنفذها / ١٦٢ب/ إلىٰ مخيّمه المحروس مديحًا، يعتذر فيها من تأخره عن خدمته المولويّة؛ وبعد ذلك انحدر إلىٰ خدمته قاصداً زيارته، وقاضيًا حقّه، وذلك في أوائل شعبان من السنة المذكورة، فاجتمعتُ به بالمخيم المحروس، وأنشدنا صدراً متوفراً من أشعاره، وعلقت عنه القصيدة التي امتدح بها الأمير ـ حرس الله مدّته، وبلغه أمنيته ـ فأنعم عليه بجائزة سنية كعادته علىٰ الذين يردون عليه من أهل العلم والفضل.

أنشدنا إبن بشرويه، يمدح الأمير الكبير العالم العادل الفاضل ركن الدين أبا شجاع أحمد بن قرطايا ـ أدام الله إقباله وحرس جلاله بمحمد وآله أجمعين ـ:

[من الرجز]

أَهْـلاً عَـدِيْـدَ الـرَّمْـلِ مِـنْ جُـلاَجِـلِ ... وَمِـنْ زَرُوْدٍ وَأَكَـامِ عَـاقِـلِ
وَالمَـرْوِ مِـنْ سَلْمَـىٰ وَمِـنْ مُتَـالِـعٍ ... وَمِـنْ شَمَـامٍ وَهِضَـابِ حَـائِـلِ
بِـأَحْمَـدَ مِـنْ قَـادِمٍ أَمْسَـتْ بِـهِ ... بَشَـائِـرِيْ شَـافِيَـةً بَـلاَبِلِـي
وَمَـرْحبـاً مِـنْ بَعْـدِ مَـا سَهْـلٍ بِـهِ ... مِـنْ مَلِـكٍ نَـدْبٍ نَـدٍ حُـلاَحِـلِ
مُهَـذَّبِ الأَخْـلاَقِ ذِيْ فَضَـائِـلِ ... مَصُـوْنَـةِ الأَطْـرَافِ بِـالفَـوَاضِـلِ
أَغَـرَّ كَـالشَّمْـسِ سَنَـى جَبِيْنِـهِ ... يَجْلُـو دُجَـىٰ الحَـوَادِثِ النَّـوَازِلِ
/ ١٦٣أ/ مَـا انْفَـكَّ حُصْنـًا مَـانِعـًا لِخَـائِـفٍ ... وَنُجْعَـةً لِسَـائِـلٍ وَآمِـلِ
وَافَـىٰ كَسَـارِيْ المُـزْنِ أَضْحَـىٰ نَـاشِـراً ... . كُـلِّ مَـاحِـلِ
تَحفُّـهُ صِيْـدٌ وَغُـىٰ مِـنْ يَـافِـثٍ ... كَـأَنْجُـمٍ حَفَّـتْ بِبَـدْرٍ كَـامِـلِ
فَـاهْتَـزَّتِ الأَرْضُ بِـهِ مَسَـرَّةً ... سُـرُوْرَهَـا بِـالسُّحُـبِ الهَـوَاطِـلِ
وَأَنْبَتَـتْ مِـنْ كُـلِّ زَوْجٍ نَـاضِـرٍ ... أَضْحَـتْ بِـهِ بَهْجَـةَ الخَمَـائِـلِ
وَفَـاحَ طِيْبـًا كَـالخُـزَامَـىٰ تُـرْبُهَـا ... جَـاءَتْ .... صَبَـا الأَصَـائِـلِ
وَرَاحَ لِلْبِشْـرِ يُنَـادِيْ أَهْلُهَـا ... أَهْـلاً بِهَـذَا الأَرْيَحِـيِّ الفَـاضِـلِ
أَهْـلاً بِـهِ مِـنْ مُسْتَفِيْـدٍ خَـالِـدٍ ... مِـنْ خَـالِـصِ الجَهْـدِ بِبَـذْلٍ زَائِـلِ

أَهْلاً بِهِ مِنْ غَيْثِ خِصْبٍ قَاتِلٍ ... لِلْجَدْبِ وَالْلأْوَاءِ أَيِّ قَاتِلِ
أَهْلاً بِهِ مِنْ لَيْثِ حَرْبٍ خِيسُهُ ... مِنَ الرِّمَاحِ الشُّرَّعِ الذَّوَابِلِ
صُيُودُهُ أُسْدُ الشَّرَى يَوْمَ يُرَى ... فِيْهِ الضُّحَى لَيْلاً مِنَ القَسَاطِلِ
يَخَالُهُ الجحفل مِنْ إِقْدَامِهِ ... عَلَى زُؤَامِ المَوْتِ فَي جَحَافِلِ
فَلَسْتُ أَدْرِي لِلَّذِيْ قَدْ حَازَهُ ... مِنْ كَرَمِ الأَخْلاَقِ والشَّمَائِلِ
ومن . . . . تهفو وبأس في الهِيَاجِ صَائِلِ
أطرقه بِالبَحْرِ أَمْ بِيَذْبُلِ ... . أم بِلَيْثِ غَابٍ بَاسِلِ
/ ١٦٣ب/ أَعْزِزْ عَلَيَّ غَيْبَتِي عَنْ بَلَدٍ ... مَرَّ بِهِ رَهْواً عَلَى مَنَازِلِي
تِلْكَ لَعَمْرِيْ حَسْرَةٌ رُحْتُ لَهَا ... أَخَا حَشاً مِنَ الهُمُومِ آهِلِ
ضَاهَتْ سُرُوْرِي بِتَدَانِي خُطَّتِيْ ... مِنْ ظِلِّ عَلْيَاهُ الظَّلْيِلِ الشَّامِلِ
إِسْمَعْ أَبَا شُجَاعَ خَيْرَ مِدْحَةٍ ... لَهَا أَرِيْجُ المِسْكِ فَي مَحَافِلِ
هَدِيَةً مِنْ خَادِمٍ بِحَمْدِهِ ... لِمْجدِهِ السَّامِيْ الذُّرَى مُوَاصِلِ
سَمْحٍ لِعَلْيَاكَ بِهَا ذِيْ ضِنَّةٍ ... بِمِثْلَهَا عَلَى سِوَاكَ بَاخِلِ
مَا جِيْدُ مَنْ أَضْحَتْ لَهُ قَلاَدَةٌ ... مِنْ حِلْيَةِ المَجْدِ بِجِيْدٍ عَاطِلِ
تَهُزُّ أَعْطَافَ الرُّوَاةِ نَشْوَةً ... كَأَنَّهَا شِيْبَتْ بِخَمْرِ بَابِلِ
يَا أَحْمَدُ المَحْمُوْدُ يَا خَيْرَ فَتًى ... يُرْجَى لِيَوْمَيْ شِدَّةٍ وَنَائِلِ
أَنَا الَّذِيْ أَصْبَحَ مِنْهُ جَارِياً ... هَوَاكَ مَجْرَى الدَّمِ فَيْ المَفَاصِلِ
فَلَوْ يحُوْلُ يَذْبُلُ لَمْ أُلْفَ عَنْ ... وُدِّكَ يَا رُكْنَ العُلاَ بِحَائِلِ
لاَ تنْقِمَنْ مِنِّي تَعَدَّاكَ الرَّدَى ... سُوْءَ ثَنَائِي عَنْكَ أَوْ رَسَائِلِي
فَذَاكَ عَنْ غَيْرِ قِلًّى لَكِنَّهُ ... عَنْ شُغُلٍ لِيْ فِيْ الخُطُوبِ شَاغِلِ
قَدْ جَشَّمَتْنِيْ حَمْلَ مَا أَحْقَرُهُ ... يُوْهِي قُوَى رَضْوَى فَكَيْفَ كَاهِلِيْ
وَغَادَرَتْنِيْ رَاضِياً أَحْدَاثُهَا ... بِالضَّيْمِ عَنْ رُغْمٍ مِنَ الأَرْذَالِ
/ ١٦٤أ/ ثُمَّ أَرَتْنِي كَيْفَ يَسْطُو سَفَهاً ... بُغَاثُ ذَا الدَّهْرِ عَلَى الأَجَادِلِ
وَكُنْتُ قُسَّ الحِلْمِ أُدْعَى قَبْلَهَا ... فَصِرْتَ أُدْعَى حَصِراً بِبَاقِلِ
وَآضَ سَهْلُ الشِّعْرِ عِنْدَ نَظْمِهِ ... أَصْعَبَ مِنْ عَضِّيْ عَلَى الجَنَادِلِ
وَلَوْ جَرَى المِقْدَارُ لِيْ بِنَيْلِ مَا ... عَنْ نَيلِهِ أَصْبَحَ ظُلْماً خَاذِلِيْ

لَمْ تَلْقَنِي يَوْمًا لِنَادِيكَ وَلاَ ... لِوَجْهِكَ المَيْمُونِ بِالمُزَايِلِ
أَلُوذُ فِي القَلْبِ وَكَمْ مُوَاصِلٌ ... يَكْتُبُهُ لِلْوُدِّ شَرٌّ فَاصِلِ
وَكَمْ فَتًى مُقَاطِعٍ يَكْتُبُهُ ... وَهْوَ بِصَفْوِ الوُدِّ خَيْرُ وَاصِلِ
وَمَا لأشْوَاقِي إِلَيْكَ غَايَةٌ ... لكنَّهَا بَحْرٌ بِغَيْرِ سَاحِلِ
وَلَوْ أَرُوْمُ وَصْفَهَا كُنْتُ كَمَنْ ... حَاوَلَ عَدَّ الشُّهْبِ وَالجَرَاوِلِ
وَلَوْ تَمَكَّنْتُ لَقَدْ أَلْفَيْتَنِي ... مَكَانَ مَا خَطَّتْ إِذاً أَنَامِلِي
وَزُرْتُ سَعْيًا رَبْعَكَ الرَّحْبَ وَمَا ... لِلْزَائِرِ الرَّاكِبِ فَضْلُ الرَّاجِلِ

وأنشدني لنفسه يوم الأربعاء، ثالث شعبان سنة تسع وثلاثين وستمائة، ما كتبه إلىٰ علاء الدين هاشم بن علي بن الأمير السيد العلوي، وكان قد أسدىٰ إلىٰ والده / ١٦٤ب/ حُسنىٰ حين كان ناظراً بواسط: [من الطويل]

عَلَىٰ بَابِكَ المَيْمُونِ مَنْ كُنْتَ مَوئِلاً ... لِوَالِدِهِ مِمَّنْ يَخَافُ وَيَحْذَرُ
أَتَاكَ بِمَا أَوْلَيْتَهُ مِنْ صَنِيعَةٍ ... وَعَارِفَةٍ يُثْنِي عَلَيْكَ وَيَشْكُرُ
لأَنَّ الثَّنَاءَ يَا ابْنَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ ... أَجَلُّ جَزَاءِ المُنْعِمِيْنَ وَأَكْبَرُ
فَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ لِيْ إِلَيْكَ فَإِنَّنِي ... إِلَىٰ نَظْرَةٍ مِنْ نُوْرِ وَجْهِكَ مُقْتِرُ
وَتَقْبِيلِ يُمْنَاكَ الَّتِي مِنْ بَنَانِهَا ... عُيُوْنُ يَنَابِيْعِ النَّدَىٰ تَتَفَجَّرُ
فَأَنْتَ الجَوَادُ ابْنُ الجَوادِ الَّذِيْ بِهِ ... تُغَاثُ الوَرَىٰ فِيْ المُمْحِلاَتِ وَتُعْصَرُ
أَرَىٰ أَكْرَمَ الأَشْيَاءِ عِنْدَكَ سَاعَةً ... بِأَنَّكَ فِيهَا مُسْتَجِيْزٌ وَمُعْسِرُ
وَيُصْبِحُ هَذَا فِيْ جِوَارِكَ آمِنًا ... وَيَصْدُرُ مِنْ مَغْنَاكَ ذَا وَهْوَ مُوسِرُ
وَللهِ بَيْتٌ قَالَهُ ذُوْ فَصَاحَةٍ ... بِهِ أَنْتَ يَا ابْنَ الهَاشِمِيِّيْنَ أَجْدَرُ:
«كَرِيْمٌ لَهُ عَيْنَانِ عَيْنٌ عَنِ الخَنَا ... تَغَضُّ وَأُخْرَىٰ فِيْ العَوَاقِبِ تَنْظُرُ»

وأنشدني لنفسه، ما كتبه إلىٰ مجد الدين يوسف بن البُوقي(١). كان وزيراً بخوزستان. [من الكامل]

يَا أَيُّهَا المَلِكُ المَنِيعُ حِجَابُهُ ... إِلاَّ عَنِ العَافِيْنَ وَالسُّؤَالِ
/ ١٦٥أ/ يَا كَاشِفَ الكُرُبَاتِ وَهْيَ قَوَادِحٌ ... وَمُفَرِّجَ الغَمَّاءِ وَالأَهْوَالِ

---

(١) انظر ترجمته في: معجم الألقاب ٢/ ٣٧٦. الأعلام ٨/ ٢٤٨.

يَا مَنْ نُؤَمِّلُهُ لإدْرَاكِ المُنَىٰ وَبُلُوغِ أَقْصَىٰ غَايَةِ الآمَالِ
أَإِلَيْكَ مِنْ نَهْجٍ لِعَبْدٍ مُخْلِصٍ بِوَلائِهِ جَمِّ الثَّنَاءِ مُوَالِي
غَرَضٌ إِلَىٰ تَقْبِيلِ رَاحَتِكَ الَّتِي هِيَ لِلْعُفَاةِ أَبٌ وَأُمٌّ عِيَالِ
وَالابْتِهَاجُ بِنُورِ طَلْعَتِكَ الَّتِي نُسْقَىٰ الغَمَامَ بِهَا لَدَىٰ الإمحالِ
جَابَ الحُزُونَ إِلَيْكَ عِلْماً أَنَّهُ سَيَنَالُ عِنْدَكَ رَاحَةَ الإسْهَالِ
وَلَكَمْ غَدَا إِخْلاَصُهُ مُسْتَشْهِداً لَمَّا إِلَيْهِ شَكَا وَجَا الإرْقَالِ
أَحَوَامِلَ الأَثْقَالِ إِنَّكَ فِي غَدٍ بِفَنَاءِ أَحْمَلَ مِنْكَ بِالأَثْقَالِ
فَاسْلَمْ لَنَا يَا يُوسُفَ ابْنَ مُحَمَّدٍ وَزَراً نَلُوذُ بِهِ مِنَ الأَوْجَالِ
فَلأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ بِوَافِرِ سَيْبِهِ لَقِحَتْ لَنَا الآمَالُ بَعْدَ حِيَالِ

وأنشدني لنفسه، يَرثي علي بن أحمد بن هزدي. وكان صديقًا له: [من الطويل]

سَقَىٰ جَدَثاً وَارَىٰ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدٍ هَزِيمٌ حَياً أَحْوَىٰ الرَّبَابِ دَفُوقُ
مُلِثٌّ إِذَا يَوْماً أَرَبَّ لِمَاحِلٍ غَدَا وَهْوَ بِالرَّوْضِ الأَنِيقِ أَنِيقُ
فَتًى حَازَ مِنْهُ التُّرْبُ تِرْبَ فَوَاضِلٍ بِأَيْسَرِهَا كَانَ الفَضَاءُ يَضِيقُ
/ ١٦٥ب/ مَضَىٰ فَمَضَىٰ المَعْرُوفُ وَالبَأْسُ وَاغْتَدَىٰ قَشِيبُ رِدَاءِ الحِلْمِ وَهْوَ سَحِيقُ
فَمَا سَاءَنِي مِنْ بَعْدِهِ فَقْدُ صَاحِبٍ وَلاَ سَرَّنِي فِي الأَصْدِقَاءِ صَدِيقُ
وَلَمْ أَرَ شَيْئاً مُذْ تَضَمَّنَهُ الثَّرَىٰ يَلَذُّ لِعَيْنِي شَخْصُهُ وَيَرُوقُ
فَيَا كَبِدِي أَنْتِ الأَسِيرَةُ لِلأَسَىٰ عَلَيْهِ وَدَمْعِي الدَّهْرَ أَنْتَ طَلِيقُ

وأنشدني لنفسه في بعض أغراضه: [من الطويل]

هَجَرْتُكِ يَا دَارَ الأَحِبَّةِ رَاغِماً وَوُدُّكِ مَا حَالَتْ لَدَيَّ بِهِ الحَالُ
وَلَوْلاَ وُشَاةُ الحَيِّ يَا دَارُ لَمْ يَكُنْ يَحِلُّ رِكَابِي فِيكِ مَا عِشْتُ تَرْحَالُ

وأنشدني لنفسه، ما كتبه إلىٰ الصاحب فخر الدين أبي سعيد المبارك بن يحيىٰ ـ صاحب ديوان الزمام، وكان قد أنفذ له شيئًا من المال، فلم يمكن ردّه عليه ـ بقصيدة منها هذه الأبيات: [من الطويل]

أَمَوْلاَيَ فَخْرَ الدِّينِ دَعْوَةَ نَاظِمٍ مَدَائِحَهُ عِقْداً لِسُؤْدُدِكَ النَّهْدِ
لَكَ الخَيْرُ رِفْقاً بَعْضَ سَيْبِكَ إِنَّهُ جَسِيمٌ فَكَيْفَ الجَمُّ مِنْ طَوْلِكَ العِدِّ

لَقَدْ جُدْتَ لِي مِنْهُ بِمَا رُحْتَ مَالِكًا ... بِهِ رِقَّ شُكْرِي فِي دُنُوٍّ وَفِي بُعْدِ
/ ١٦٦أ/ فَوَاللهِ مَا أَحْرَزْتُهُ عَنْ ضَرُورَةٍ ... إِلَيْكَ وَلَا عَنْ فَاقَةٍ لِيَ إِلَىٰ الرِّفْدِ
وَلَسْتُ بِنِكْسٍ آنَسَتْ عَيْنُ دَهْرِهِ ... لَهُ قَطُّ فِي خَوْضِ الْمَطَامِعِ مِنْ رَدِّ
وَلَا شَاعِرٍ يُهْدِي مَدِيحًا فَيَجْتَنِي ... لَهُ ثَمَرًا عِنْدَ الْكِرَامِ سِوَىٰ الْوُدِّ
وَلَكِنَّنِي أَجْلَلْتُ بِرَّكَ لَيْتَنِي ... أُكَدِّرُ مَا أَصْفَيْتَ لِي مِنْهُ بِالرَّدِّ
وَحَاوَلْتُ أَنْ تَضْحَىٰ بِحُسْنِ قَبُولِهِ ... لَدَيْكَ لِيَ الْآمَالُ مُحْكَمَةَ الْعَقْدِ
فَأَحْرَزْتُهُ إِحْرَازَ حُرٍّ ثَنَاؤُهُ ... عَلَيْكَ جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا ثَنَا عَبْدِ
وَلَوْ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِكَ جَاءَنِي ... وَكَانَ عَدِيدَ الرَّمْلِ وَالْمَرْوِ مِنْ لَحْدِ
لَمَا وَأَبِيكَ الْخَيْرَ هَمَّتْ بِأَخْذِهِ ... يَمِينِي وَلَوْ هَمَّتْ لَفَارَقَهَا زَنْدِي
وَكُنْتُ أَرَىٰ ذَيَّاكَ لُؤْمَ سَجِيَّةٍ ... تَأَنَّقَهَا مِنِّي أَخُو خُلُقٍ وَغْدِ
وَأَيْسَرُ مِنْ حَمْلِي لِغَيْرِكَ مِنَّةً ... وَإِنْ سَهُلَتْ حَمْلِي لِثَهْلَانَ أَوْ أُحْدِ
وَأَحْسَنُ مَا قَدْ قِيلَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الصْـ ... ـصَنِيعَةِ مِنْ نَثْرٍ يَرُوقُ وَمِنْ نَضْدِ
ثَلَاثَةُ أَبْيَاتٍ بِخَفْصٍ نُحُورُهَا ... عَفَتْ أَرْبَعُ الْحَلَّاتِ لِلْأَرْبَعِ الْمُلْدِ
(وَمَا كُنْتُ ذَا فَقْرٍ إِلَىٰ صُلْبِ مَالِهِ ... وَمَا كَانَ حَفْصٌ بِالْفَقِيرِ إِلَىٰ حَمْدِي)
(وَلَكِنْ رَأَىٰ شُكْرِي قِلَادَةَ سُؤْدَدٍ ... فَصَاغَ لَهَا سِلْكًا بَهِيًّا مِنَ الرِّفْدِ)
(فَمَا فَاتَنِي مَا عِنْدَهُ مِنْ حِبَائِهِ ... وَلَا فَاتَهُ مِنْ فَاخِرِ الشِّعْرِ مَا عِنْدِي)

/ ١٦٦ب/ الثلاثة الأبيات الأخيرة لأبي تمام[١].

وأنشدني لنفسه، وكان قد تصاحب هو ورجل علوي في بلاد خوزستان، فرأىٰ منه ما يكره. وكانا من جانب مجد الدين ابن البُوقي ـ رحمه الله ـ ثم انفصل مجد الدين، وتولّىٰ بعده ظهير الدين الحسن بن عبد الله، فانفصل هو والعلوي عن العمل الذي كانا به، وطلب دستوراً ليعود إلىٰ أهله، فلم يمكنه ظهير الدين، وكثر مقامه عنده، ثم أشار إليه أن يخدمه في موضع يعرف بمعاملة القروج، وكان عاملها قاضي الحُويزة، وهو جعفر بن الحسن العلوي، فأبىٰ أنْ يخدم بالعمل المذكور كرهاً له؛ لأنه

(١) أبو تمام حبيب بن أوس الطائي من شعراء العصر الأول العباسي مات سنة ٢٣١هـ. والأبيات في ديوانه ص١٧ من قصيدة يمدح بها حفص بن عمر الأزدي.

استقله فلم يقبل ظهير الدين عذره، وألزمه الخدمة؛ فكتب إليه هذه الأبيات، وعرضها عليه سعد الدين الحسن بن محمد الحاجب، وهي: [من البسيط]

/ ١٦٧أ/ أَعُوذُ بِاللهِ رَبِّ النَّاسِ كُلِّهِمُ ... وَبِالفَتَى حَسَنٍ ذِي المَنْظَرِ الحَسَنِ
بِأَنْ يَرَانِي إِنْسَانٌ لَهُ بَصَرٌ ... مُصَاحِبًا عَلَوِيًّا آخِرَ الزَّمَنِ
فَقَدْ لَقِيتُ مِنَ الكُوفِيِّ مُعْضِلَةً ... لَوْ لاَبَسَتْ . . . .
حَتَّى لَقَدْ كِدْتُ لَوْ لَمْ تُقْضَ فُرْقَتُنَا ... وَشْكًا أُحِبُّ ٱبْنَ هِنْدٍ مُظْهِرَ الفِتَنِ
فَلاَ تُعِدْنِي ظَهِيرَ الدِّينِ ثَانِيَةً ... إِلَى مُكَابَدَةِ الأَهْوَالِ وَالمِحَنِ
فَلَيْسَ يُلْسَعُ مِنْ جُحْرٍ حَوَى رَقَمًا ... طَورِينِ إِلاَّ ٱمْرُؤٌ خَالٍ مِنَ الفِطَنِ
وَإِنْ يَكُنْ ضَاقَ عَنْ مِثْلِي جَنَابُكَ أَوْ ... أَنِّي لِمَا مِنْكَ أَرْجُو لَسْتُ بِالقَمِنِ
فَمَا أَذُمُّ سِوَى حَظِّي لَدَيْكَ وَمَنْ ... بِغَيْرِ حَظٍّ يَرِدْ نَيْلَ المَرَامِ يَنِي

وله: [من البسيط]

[تَجَمَّعَتْ خَمْسَةٌ مِنْ . . . . مَكْرُمَةٍ ... فِي أَحْمَدَ بنِ قَرَاطَايَا هِيَ الشِّيَمُ
وَجْهٌ مَلِيحٌ وَأَخْلاَقٌ مُهَذَّبَةٌ ... وَمَنْطِقٌ ذَرِبٌ . . . .](١)

[٨١٢]

مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عمروك بن أبي سعيد عبد الله بن الحسَن بن القَاسم بن علْقمةَ بن النضر بن مُعاذ بنِ عبدِ الرحمَن بن القَاسم بن مُحَمَّد بنِ أبي بكرٍ الصِّديق صاحب رسول الله ﷺ البكريُّ التيميُّ القرشيُّ الدمشقيُّ، أبو الفضل بنُ أبي عبد الله(٢).

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) في هامش الأصل: «وفاته [في] الرابع من المحرم سنة خمسين وستين وستمائة بالقاهرة».

ترجمته في: الوافي بالوفيات ١/ ٢٨٣ رقم ١٨٦، وفيه: «توفي [في] الرابع من المحرم سنة خمس وستين وستمائة بالقاهرة ودفن من الغد بسفح المقطم». ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٧٢. ذيل الروضتين ٢٣٨. المقفى الكبير ٧/ ٨٦ ـ ٨٧ رقم ٣١٦٢. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٦١ ـ ٦٧٠) ص ٢٠٥ رقم ١٧٩. العقد الثمين ٢/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٢٩ رقم ٢٢٧. ذيل التقييد ١/ ٢٦١ رقم ٥١١. تكملة ابن الصابوني ٢٩١ ـ ٢٩٢. التكملة للمنذري ٢/ ٤٣١ رقم=

أخو الشيخ الحافظ صدر الدين أبي عليٍّ الحسنِ بن مُحَمَّد البكريِّ.

وأبو الفضل هذا، رأيته شيخًا بدمشق /١٦٧ب/ وأخبرني أنه ولد سنة تسعين وخمسمائة، وكان يتصرف في الأعمال والولايات وتحت يده أوقاف الصدقات. يشدو شيئًا من فقه الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ ويقول الشعر طبعًا، ويزنه ويذوقه ويفهم مواضع الخطأ منه، وقد نظمه في الأغراض التي يقصدها، وذكر لي أنه لم يشتغل قطّ بشيء من العربية، ولا قرأ منها لفظة، وينظم نظمًا مُتزنًا صحيحًا، وربما جاء في شعره لحن قريب، لكونه لم يتعلم شيئًا من الأدب.

أنشدني لنفسه، يمدح النبيّ ﷺ وذلك في أواخر سنة تسع وثلاثين وستمائة:

[من الكامل]

لِـيْ فِـيْ مَـدِيْحِـيْ لِلْـرَسُـوْلِ غَـرَامُ ... فَعَلَـىٰ الـرَّسُـوْلِ تَحِيَّـةٌ وَسَـلَامُ

اَلْمُصْطَفَـىٰ الْمُخْتَـارُ مَـنْ دُوْنِ الْـوَرَىٰ الـ ... ـمُـدَّثِـرُ الْمُطَّهَـرُ الصَّـوامُ

اَلْهَـاشِمِـيُّ الأَبْطَحِـيُّ وَمَـنْ بِـهِ ... تَتَفَـاخَـرُ الأَيَّـامُ وَالأَعْـوَامُ

كَـالبَـدْرِ وَضَّـاحُ الْجَبِيْـنِ مُهَـذَّبُ الأَ ... خْـلَاقِ حَـازَ الْمَجْـدَ وَهْـوَ غُـلَامُ

حَسْبِـيْ بِمَـدْحِيْـهِ افْتِخَـاراً أَنَّـهُ ... فِـيْ الْحَشْـرِ مِمَّـا أَتَّقِيْـهِ ذِمَـامُ

فَمَـدِيْحُـهُ يَشْفِـيْ السَّقَـامَ وَذِكْـرُهُ ... يَنْفِـيْ الأُوَامَ وَحُبُّـهُ مِعْصَـامُ

كَـمْ غُصْـتُ فِـيْ بَحْـرِ الْمَعَـانِـي مُخْـرِجًـا ... دُرَرَ الْمَـدَائِـحِ زَانَهُـنَّ نِظَـامُ

/١٦٨أ/ فِيْ خَاتَمِ الرُّسُلِ الْكِرَامِ وَمَنْ بِهِ ... لِـلأَنْبِيَـاءِ الْمُـرْسَلِيْـنَ خِتَـامُ

سُبْحَـانَ مَـنْ أَسْـرَىٰ بِـهِ فِـيْ لَيْلَـةٍ ... فَـانْجَـابَ عَنْهَـا غَيْهَـبُ وَظَـلَامُ

وَعَـلَا عَلَـىٰ ظَهْـرِ الْبُـرَاقِ وَجَـاوَزَ السَّـ ... ـبْـعَ الطِّبَـاقَ فَعَمَّـهُ الإِنْعَـامُ

حَفَّـتْ بِـهِ الأَمْـلَاكُ تَعْظِيمًـا لَـهُ ... فَهُـمُ لِحَضْـرَةِ قُـدْسِـهِ خُـدَّامُ

وَدَنَـا فَكَـانَ كَقَـابِ قَـوْسَيْـنِ كَمَـا ... قَـدْ جَـاءَتْ الآيَـاتُ وَالأَحْكَـامُ

وَرَأَىٰ فَمَـا كَـذَبَ الْفُـؤَادُ لِمَـا رَأَىٰ ... مِـنْ رَبِّـهِ فَتَبَـارَكَ الْعَـلَّامُ

يَـا خَيْـرَةَ اللهِ الَّـذِيْ بِـكَ قَـدْ سَمَـا ... التَّـوْحِيْـدُ وَالإِيْمَـانُ وَالإِسْـلَامُ

= ١٥٩٧. المختصر المحتاج إليه ١/ ١٢٩ ـ ١٣٠. النجوم الزاهرة ٦/ ٢٢٦.

بَلَّغْتَ يَا خَيْرَ الأَنَامِ رِسَالَةً — تُهْدَىٰ بِهَا الأَعْرَابُ وَالأَعْجَامُ
لَوْلَا رِسَالَتُكَ الَّتِي بَلَّغْتَهَا — ضَلَّتْ قُرَيْشُ وَدِينُهَا الأَصْنَامُ(١)
أُرْسِلْتَ فِينَا شَاهِداً وَمُبَشِّراً — يَا قُدْوَةً لِلْمُتَّقِينَ إِمَامُ
يَا مَنْ إِذَا مَا قَطَّبَتْ أَعْدَاؤُهُ — فِي الرَّوْعِ صَالَ وَثَغْرُهُ بَسَّامُ
يَا مَنْ بِحَضْرَتِهِ الغَزَالَةُ سَلَّمَتْ — وَلِبَدْرِ طَلْعَتِهِ أَظَلَّ غَمَامُ
وَإِلَيْهِ حَنَّ الجِذْعُ مِنْ شَوْقٍ كَمَا — حَنَّ البَعِيرُ. . . . أَقْدَامُ
وَلَهُ الأَيَادِي البِيضُ وَالمِنَنُ الَّتِي — تَحْيَا بِهَا الفُقَرَاءُ وَالأَيْتَامُ
تَاللهِ إِنِّي فِي مَدِيحِكَ صَادِقٌ — وَلَئِنْ أَطَلْتُ المَدْحَ لَسْتُ أُلَامُ
/ ١٦٨ب/ لَوْ قُلْتُ مَهْمَا قُلْتُ إِنِّي عَاجِزٌ — عَنْ كُنْهِهِ حَصْرِ صِفَاتِهِ تَمْتَامُ
مَاذَا يَقُولُ المَادِحُونَ بِمَدْحِهِ — وَلِرَبِّهِ فِي مَدْحِهِ أَحْكَامُ
أَثْنَىٰ عَلَيْهِ اللهُ ـ جَلَّ جَلَالُهُ — مَدْحاً يُقَصِّرُ دُونَهَا الأَفْهَامُ
يَكْفِيهِ مُعْجِزَةُ الكِتَابِ وَلَمْ تَكُنْ — بِيَمِينِهِ قَدْ خَطَّتِ الأَقْلَامُ
أَوَلَيْسَ أَقْسَمَ رَبُّهُ بِحَيَاتِهِ — قَسَماً بِهِ تَتَجَمَّلُ الأَقْسَامُ
وَتَزَعْزَعَ الإِيوَانُ فِي مِيلَادِهِ — وَخُمُودُ نَارِ الفُرْسِ وَهْيَ ضِرَامُ
وَتَضَاعَفَ الزَّادُ القَلِيلُ لِصَحْبِهِ — مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ مَسَّهُمْ إِعْدَامُ
مِنْ إِصْبَعَيْكَ المَاءُ فَاضَ يَنَابِعاً — سَحّاً فَرَوَّىٰ الجَيْشَ وَهْوَ لُهَامُ
يَا مَنْ تَعَاظَمَ فِي النُّفُوسِ مَهَابَةً — وَالرُّعْبُ يَقْدُمُهُ فَلَيْسَ يُرَامُ
وَرَمَىٰ بِكَفٍّ مِنْ تُرَابٍ أَعْيُنَ الْـ — ـكُفَّارِ فَاغْشَوْشَتْ بِذَاكَ وَهَامُوا
نَكَصُوا عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ إِذْ قُوبِلُوا — فَكَأَنَّمَا إِقْدَامُهُمْ إِحْجَامُ
نَاجَاكَ رَبُّكَ صَلِّ وَاسْعَدْ وَاقْتَرِبْ — فَلِشَانِئِيكَ الذُّلُّ وَالإِرْغَامُ
أَعْطَاكَ رَبُّكَ كَوْثَراً الكَرَامَةَ — لَكَ عِنْدَهُ فَلْيَهْنِكَ الإِكْرَامُ
وَلَكَ الشَّفَاعَةُ إِذْ غَدَوْتَ مُشَفَّعاً — دُونَ الوَرَىٰ وَالنَّقْضُ وَالإِبْرَامُ
يَا سَيِّدَ السَّادَاتِ يَا خَيْرَ الوَرَىٰ — وَالمَاجِدُ الطَّعَّانُ وَالمِطْعَامُ
/ ١٦٩أ/ لَوْلَا المَسِيرُ إِلَىٰ زِيَارَتِكَ الَّتِي — خَفَقَتْ بِهَا الأَرْوَاحُ وَالأَجْسَامُ

---

(١) في الأصل: «الإسلام» وهو خطأ الناسخ.

مَـا طَـابَ ذِكْـرُ الجَـزْعِ أوْ ذَاتِ النَّقَـا ... أبـداً ولا ضُـرِبَـتْ بهـنَّ خيَـامُ
كَـمْ بَـتَّ بـالحَـرَمِ الشَّـرِيْـفِ مُجَـاوِرُ الـ ... ـقَبْـرِ المُنِيْـفِ فَمَـا ألَـمَّ سَنـامُ
مَــرَّتْ لُيَيْــلاَتٌ وَأيَّــامٌ بِــه ... نِعْـمَ اللَّيَـالِـي كُـنَّ وَالأيَّـامُ
يَـا كَنْـزَ كُـلِّ مُـؤَمِّـلٍ ذِي فَـاقَـةٍ ... قَـدْ مَسَّـهُ الإقْـلاَلُ وَالإعْـدَامُ
نَسَخَـتْ شَـرِيْعَتُـكَ الشَّـرَائِـعَ فَـاغْتَـدَىٰ ... لِكَـلاَمِهَـا فِـيْ المُشْـرِكِيْـنَ كَـلاَمُ

[٨١٣]

مُحَمَّدُ بنُ عبد السلامِ بن المُطهّر بن عبد الله بن مُحَمَّد بن هبة الله بن عليِّ بنِ المطهرِ ابنِ أبي عصرونَ، أبو عبدِ اللهِ بنُ أبي العَباسِ التميميُّ(١).

كانت ولادته بحلب، في أوائل المحرم سنة عشر وستمائة.

من أبناء القضاة المعتبرين، والعلماء المدرسين، ومن بيت علم مشهور، وفضل مذكور.

وهو شاب جميل، حصّل من الفقه صدراً صالحًا؛ يرجع إلىٰ ورعٍ وتقىٰ، وخير وسداد، وحسن طريقة، واستقامة سيرة، ويحفظ جملة من الأشعار النادرة، ويقول شعراً لطيفًا / ١٦٩ب/ أنشدني لنفسه يتغزّل: [من الوافر]

وَظَبْــيٍ تَسْتَــرِقُّ لَــهُ ... قُلُــوْبَ النَّــاسِ ألْحَــاظُــهْ
كَــأنَّ العِقْــدَ مَبْسِمُــهُ ... وَنَثْــرَ الــدُّرِّ ألْفَــاظُــهْ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الخفيف]

حَلَــبٌ جَنَّــةُ النَّعِيْــمِ فَــزُرْهَــا ... تَلْــقَ فِيْهَــا مَــا تَشْتَهِيْــهِ النُّفُــوْسُ
مِــنْ هِــلاَلٍ يَــرْنُــو بِعَيْنَــيْ غَــزَالٍ ... وَقَضِيْــبٍ عَلَــىٰ كَثِيْــبٍ يَمِيْــسُ
وَرِيَــاضٍ كَــأنَّهَــا بِنَظِيْــمِ الـ ... ـنَّــوْرِ مِــنْ حُسْــنِ نَبْتِهــا طَــاوُوْسُ

(١) ترجم المؤلف لوالده (عبد السلام بن المطهر) في الجزء الثالث برقم ٣١٠.
ترجمته في: الوافي بالوفيات ٣/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧ وفيه: «توفي سنة خمس وثمانين وستمائة». أعلام النبلاء ٤/ ٥٢٧.

[٨١٤]

مُحَمَّدُ بنُ عبدِ المُنعمِ بنِ نصرِ الله، أبو عبدِ الله، [المعروفُ بابنِ شقيرٍ الدمشقيُّ التنوخيُّ](١).

أنشدني لنفسه: [من الطويل]

أَشَاقَكَ بَرْقٌ بالحِمَىٰ يَتَأَلَّقُ ... لَهُ بالنَّقَا عَهْدٌ عَلَيْكَ وَمَوْثِقُ ؟
أَمِ البَانُ هَزَّتْهُ الصَّبَا فَتَأَرَّجَتْ ... سُحَيْراً فَمِنْ أَنْفَاسِهَا المِسْكُ يَعْبَقُ
أَمِ اقْتَنَصَتْ آرامُ رَامَةَ قَلْبَكَ الـ ... ـمَشُوقَ فَأَضْحَىٰ وَهْوَ لَهْفَانُ يَخْفِقُ
بعَيْشِكَ حَدِّثْني عَنِ البَانِ وَالحِمَىٰ ... فَإِنِّي إِلَىٰ أَهْلِ الحِمَىٰ أَتَشَوَّقُ
أَمَا وَلَيَالِينَا بِمُنْعَرَجِ اللِّوَىٰ ... وَغُصْنُ الصِّبَا وَاللَّهْوِ رَيَّانُ مُورِقُ
/١٧٠أ/ لَقَدْ أُغْرِيَ الجَفْنُ المُسَهَّدُ بالبُكَا ... فَكَادَ أَسًى فِي لُجَّةِ الدَّمْعِ يَغْرَقُ
إِذَا أَنَا لَمْ أَبْكِ العَقِيقَ بِمِثْلِهِ ... فَمَا أَنَا صَبٌّ لَا وَلَا أَنَا شَيِّقُ

ومنها:

عَلَيَّ عُيُونُ المُزْنِ تَبْكِي تَأَسُّفاً ... وَمِنْ حَزَنِي نَاحَ الحَمَامُ المُطَوَّقُ
عَدِمْتُ الكَرَىٰ وَالطَّيْفَ طَيْفَ خَيَالِكُمْ ... فَلَا النَّوْمُ يَغْشَانِي وَلَا الطَّيْفُ يَطْرُقُ
وَقَدْ وَعَدَ الصَّبْرُ الجَمِيلُ تَجَلُّداً ... وَمَنْ لِي بِأَنَّ الصَّبْرَ فِي الوَعْدِ يَصْدُقُ
عَقَرْتُ لِضَيْفِ الطَّيْفِ إِنْسَانَ مُقْلَتِي ... فَدَمْعِيَ دَمٌ فِي سَفْحِ خَدِّيَ يُهْرَقُ
وَأَنْفَقْتُ كَنْزَ الدَّمْعِ فِي سُوقِ بَيْنِكُمْ ... وَفِي مِثْلِهِ كَنْزُ المَدَامِعِ يُنْفَقُ
وَبِي رَبُّ حُسْنٍ بَاتَ قَلْبِي كَلِيمَهُ ... إِذَا مَا تَجَلَّىٰ كِدْتُ بِالشَّوْقِ أُصْعَقُ
وَإِنْ هُوَ نَاجَانِيَ عَلَىٰ طُورِ حُسْنِهِ ... تَرَانِي مِنَ الإِجْلَالِ أُغْضِي وَأُطْرِقُ

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل. وفي هامش الأصل أيضاً: «توفي سنة ثمان وستين وستمائة». ترجمته في: الوافي بالوفيات ٤/ ٤٧ ـ ٥٠ رقم ١٥٠٦، وفيه: «توفي سنة تسع وستين وستمائة». فوات الوفيات ٢/ ٤٢٥ ـ ٤٥٨. الجواهر المضيّة ٢/ ٨٥. عقود الجمان للزركشي/ الورقة ٢٩٠. عيون التواريخ ٢٠/ ٤٠٨ ـ ٤١٦. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٦١ ـ ٦٧٠) ص٢٩٥ ـ ٢٩٦ رقم ٣٢٥ وفيه: «محمد بن عبد المنعم بن نصر الله بن جعفر بن أحمد بن حواري، الشيخ تاج الدين، أبو المكارم التنوخي». ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥. النجوم الزاهرة ٧/ ٢٣٣. السلوك ج١ق٢/ ٢٩٧.

ضَلَلْتُ بِلَيْلٍ مِنْ ذَوَائِبِ شَعْرِهِ كَمَا ضَلَّ سَارٍ فِي الدُّجُنَّةِ مُعْنِقُ(١)
فَآنَسْتُ نَاراً أُضْرِمَتْ بَيْنَ أَضْلُعِي لَهَا قَبَسٌ يَهْدِي لِمَنْ ضَلَّ يُشْرِقُ
خَدَمْتُ بِدِيْوَانِ المَحَبَّةِ نَاظِراً وَلِي فِي الهَوَى جَارٍ مِنَ العَيْنِ مُطْلَقُ
وَجِسْمِي ضَنَاهُ عَاجِلٌ وَهْوَ مُشْرِفٌ عَلَى تَلَفٍ أَضْحَى لِحَيْنِي يُحَقِّقُ
وَقَدْ حَاسَبَ التَّبْرِيحُ جِسْمِي فَلَمْ تَكُنْ بِوَاقِيهِ إِلاَّ أَضْلُعٌ تَتَحَرَّقُ
/ ١٧٠ب/ وَلَوْلاَ انْكِسَارُ الصَّبْرِ فِي جِهَةِ الهَوَى لَمَا كَانَ قَلْبِي بِالحَبِيبِ يُعَلَّقُ
رَفَعْتُ لَهُ مَعْ حَاجِبِ الغُمْضِ قِصَّتِي بِأَنِّي عَانٍ فِي هَوَاهُ وَمُوثَقُ
فَوَقَّعَ لِي سُلْطَانُ خَطِّ عِذَارِهِ: أَسِيرُ الأَسَى مِنْ حُبِّنَا لَيْسَ يُطْلَقُ
وَإِنْ يَكُ بِالهَجْرِ انْقَضَتْ مُدَّةُ الجَفَا فَبَاقِي الهَوَى بِالرُّوحِ مِنْهُ يُعَلَّقُ
لِيَ اللهُ مِنْ غُصْنٍ وَرِيقٍ وَمَبْسِمٍ وَرِيقٍ بِهِ جَفْنِي قَرِيحٌ مُؤَرَّقُ
بَهَاءُ مُحَيَّاهُ وَأَمْلُودُ قَدِّهِ مِنَ البَدْرِ أَبْهَى أَوْ مِنَ الغُصْنِ أَرْشَقُ
يَصُولُ عَلَى عُشَّاقِهِ بِجَمَالِهِ دَلاَلاً وَلاَ يَحْنُو وَلاَ يَتَرَفَّقُ
وَقَدْ تَمَّ مَا فَوْقَ النِّصَابِ مَلاَحَةً فَهَلاَّ عَلَى مِسْكِينِهِ يَتَصَدَّقُ

ومنها:

فَلِلَّهِ لَيْلاَتٌ تَقَضَّتْ حَمِيدَةً بِجِلِّقَ الفَيْحَاءِ وَالعَيْشُ مُونِقُ
وَأَيَّامُنَا بِالنَّيْرَبَيْنِ وَنَوْرُهَا مُنِيرٌ وَأَحْدَاقُ الزُّهُورِ تُحَدِّقُ
يَنُمُّ بِهَا النَّمَّامُ مِنْ حَسَدٍ لَهَا وَمِنْ طَرَبٍ حَيْثُ الشَّقِيقُ يُشَقِّقُ

ومنها:

لَقَدْ أَصْبَحَتْ ذَاتُ العِمَادِ بِمُلْكِهَا الـ ـعِمَادِ يَمِيناً مِثْلُهَا لَيْسَ يُخْلَقُ

ومنها:

/ ١٧١أ/ وَمَا أَسَدٌ مِنْ أُسْدِ خَفَّانَ بَاسِلٌ شَدِيدُ السُّطَا عَبْلُ الذِّرَاعَيْنِ أَشْدَقُ
طَوَاهُ الطَّوَى حَتَّى اسْتَمَرَّ مَرِيرُهُ وَسَيْفُ المَنَايَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ يَبْرُقُ
بِوَادٍ تَحَامَاهُ الأُسُودُ مَخَافَةً إِذَا مَرَّ فِي أَرْجَائِهِ المَوْتُ يَفْرَقُ

---

(١) المعنق: المسرع.

بِأعْظَمَ مِنْهُ سَطْوَةً وَمَهَابَةً ... وَأثْبَتَ جَأْشًا وَالكَتَائِبُ تَقْلَقُ
أمَدَّ عَلَيْهَا صَافِيًا مِنْ ظِلالِهِ ... فَأضْحَتْ بِهِ مِنْ نَهْجَةٍ تَتَألَّقُ
رَأيْنَا بِهَا الوِلْدَانَ وَالحُورَ رُتَّعًا ... فَقُلْنَا يَقِينًا: جَنَّةُ الخُلْدِ جِلَّقُ
تُزَوَّجُ مِنْهَا بِالسُّرُورِ نُفُوسُنَا ... عَلَى أنَّنَا مِنْهَا الهُمُومَ نُطَلِّقُ
فَكَمْ رَاقَنَا مُسْتَنْزَهٌ فِي ظِلالِهَا ... وَكَمْ شَاقَنَا قَصْرٌ مَشِيدٌ وَجَوْسَقُ
فَلَمْ أنْسَ أُنْسِي فِي مَيَادِينِهَا الَّتِي ... لَهَا نَضْرَةٌ تُحْيِي النُّفُوسَ وَرَوْنَقُ
يَخِيطُ بِخَيْطِ المُزْنِ ثَوْبَ رَبِيعِهَا الـ ... ـنَّسِيمُ وَأكْمَامُ النَّبَاتِ تُفَتَّقُ
تَرَاكَضَ فِي أرْجَائِهَا اللَّهْوُ وَالصِّبَا ... فَجَالَتْ بِهَا خَيْلٌ إلَى الأُنْسِ سُبَّقُ
فَكَمْ مِنْ غَزَالٍ سَانِحٍ فِي رِيَاضِهَا ... حَكَى أُخْتَهُ فِي حُسْنِهَا حِينَ يَبْرُقُ
وَكَمْ لاحَ بَدْرٌ فَوْقَ غُصْنِ أرَاكَةٍ ... رَشِيقِ قَوَامٍ بِالعُيُونِ مُمَنْطَقُ
وَكَمْ كَوْثَرٍ يَجْرِي إلَى جَنْبِ كَوْثَرٍ ... وَكَمْ أعْيُنٍ نَضَّاخَةٍ تَتَرَقْرَقُ
لَقَدْ صُبَّتِ الغُدْرَانُ عِنْدَ مُدِيرِهَا ... فَسُلْسِلَ فِيهَا مَاؤهَا وَهْوَ مُطْلَقُ
/١٧١ب/ جِنَانُ نَعِيمٍ لَيْسَ يَشْقَى نَزِيلُهَا ... يُحَلَّى بِهَا جِيدُ المُنَى وَيُطَوَّقُ
كِلاهَا كَمَالُ الدِّينِ مِنْهُ بِعَيْنِهِ ... فَمِنْ جُودِهِ أمْوَاهُهَا تَتَدَفَّقُ
فَلا غَرْوَ إنْ رَقَّتْ وَرَاقَتْ لأنَّهَا ... بِأخْلاقِهِ الحُسْنَى غَدَتْ تَتَخَلَّقُ

ومنها:

يَكَادُ ذَكَاءً عِنْدَ إعْمَالِ فِكْرِهِ ... مَتَى شَاءَ عَمَّا فِي المُغَيَّبِ يَنْطِقُ
لَهُ قَلَمٌ فِيهِ المَنِيَّةُ وَالمُنَى ... يُجَاوِرُ بَحْرًا مَا لَهُ لَيْسَ يُورِقُ
وَأعْجَبُ مِنْهُ أنَّنِي جَارُ ظِلِّهِ الـ ... ـرَّحِيبِ لِرَاجِيهِ وَرِزْقِي ضَيِّقُ

ومنها:

أُبثُّكَ حَالِي حَالَ عَمَّا عَهِدْتَهُ ... وَشَكْوَى لَهَا صُمُّ الصَّفَا يَتَرَقَّقُ
فَقَدْ مَسَّنِي فَقْرٌ وَحَاشَا امْرَءًا غَدَا ... لِجُودِكَ جَارًا أنْ يُرَى وَهْوَ مُمْلِقُ
فَعَطْفًا وَإشْفَاقًا عَلَى ذِي فَضِيلَةٍ ... ألَسْتَ عَلَى أهْلِ الفَضَائِلِ تُشْفِقُ
أُعِيذُكَ أنْ أُنْسَى بِظِلِّكَ ظَامِيًا ... وَغَيْثُ نَدَى كَفَّيْكَ بِالجُودِ مُغْدِقُ
وَهَذَا قَرِيضِي يُخْجِلُ الدُّرَّ نَظْمُهُ ... إلَى حُسْنِهِ الجَوْزَاءُ تَرْنُو وَتَرْمُقُ
فَخُذْ مِدْحَةً فَاقَتْ عَلَى كُلِّ مِدْحَةٍ ... غَدَتْ وَعَلَيْهَا مِنْ ضِيَائِكَ رَوْنَقُ

فَـدُوْنَـكَ مَعْـنٌ فِـي السَّمَـاحِ وَحَـاتِـمٌ وَمِـنْ دُوْنِ شِعْـرِيْ جَـرْوَلٌ وَالفَـرَزْدَقُ

/ ١٧٢أ/ صورة ما كتب الشيخ علم الدين السخاوي، يمدح هذه القصيدة:

[من الطويل]

وَقَفْـتُ عَلَـىٰ هَـذَا القَـرِيْـضِ الَّـذِي لَـه ضِيَـاءٌ وَأَنْـوَارٌ وَحُسْـنٌ وَرَوْنَـقُ
تَضَمَّـنَ أَوْصَـافـًا بِهَـا كُـلُّ سَـامِـعٍ إِذَا مَـا تَـلاَهَـا شَـاهِـدٌ وَمُصَـدِّقُ
وَأَبْـرَزَ أَنْـوَاعـًا مِـنَ الـدُّرِّ بَحْـرُهَـا أَنْ لا يجيـد النظـم مـن در مغـرق
وَلاَ عَجَـبٌ مِمَّـا جَـرَىٰ مِـنْ جَـوَاهِـرٍ فَفِـي التَّـاجِ أَنْـوَارُ الفَـرَائِـدِ تُشْـرِقُ
لَـهُ قَصَبَـاتُ السَّبْـقِ فِـيْ كُـلِّ وِجْهَـةٍ فَمَـنْ ذَا يُجَـارِيْ سَـابِقـًا لَيْـسَ يُلْحَـقُ

يقول علي بن محمد السخاوي: «إنَّني تدبرت هذا النظم البديع، والبحر الوسيع، فرأيته مالكًا لعنان البلاغة والإحسان، وافيًا بصناعة الشعر في الإجادة والإتقان، مع عذوبة ألفاظه، وسهولة مسالكه. . . . والرقة لمن يهجن المعاني بأغلاطه، فكم فيه من دُرّة حسنها مع جسمها، وضعها في موضعها، ومن مُطربة تثني علىٰ منشدها ومسمعها، وما هي إلاّ سعادة من نظم فيه، نسأل الله حفظه فيما / ١٧٢ب/ يأتيه». وكتب علي بن محمد السخاوي؛ متشرفًا بهذه الفوائد، ومبتهجًا برؤية هذه الفرائد، إن شاء الله تعالىٰ، وذلك في ثالث عشر شهر الله الأصمّ سنة تسع وثلاثين وستمائة.

وله في قاضي القضاة رفيع الدين حامد بن عبد العزيز بن عبد الواحد بن [عبد] الحميد: [من الطويل]

أَمِثْلِـيَ فِـيْ أَرْضِ الشَّـامِ يَضِيْـعُ وَلِـيْ فِيْـكَ مَـدْحٌ كَـالعَبِيْـرِ يَضُـوْعُ
وَحُسْـنُ مَعَـانٍ رَاقَ لِلنَّـاسِ حُسْنُهَـا وَلَفْـظٌ هُـوَ السِّحْـرُ الحَـلاَلُ بَـدِيْـعُ
لِمَـنْ أَتَصَـدَّىٰ غَيْـرَ مَجْـدِكَ مَـادِحـًا وَأَنْـتَ فَمُغْـرًى بِـالسَّمَـاحِ وَلُـوْعُ
وَمَـنْ ذَا الَّـذِي أَدْعُـو سِـوَاكَ مِـنَ الـوَرَىٰ وَأَنْـتَ مُجِيْـبٌ لِلْـدُّعَـاءِ سَمِيْـعُ
أَمَـا وَأَحَـادِيْـثُ السَّمَـاحِ الَّتِـيْ غَـدَتْ غَـرَائِبُهَـا عَـنْ رَاحَتَيْـكَ تَشِيْـعُ
لأَنْـتَ الَّـذِي مَـازِلْـتَ تُـوْلِـيْ عَـوَارِفـًا بِهَـا عُمِـرَتْ لِلْمَكْـرُمَـاتِ رُبُـوْعُ
وَصِلْـتَ بِكَـفِّ ظِـلّ. . . . إِلَـىٰ النَّـدَىٰ وَصُلْـتَ لِلْضَّـلاَلِ يَـرِيْـعُ

تَـرَىٰ مِنْـكَ يَـا خَيْـرَ العَطَـايَـا مُحَـرَّمـًا ... لأَنَّ بِهَــا كُــلَّ الشُّهُــوْرِ رَبِيْــعُ

ومنها:

طَـوِيْـلُ وَعِيْـدٍ بَـلْ قَصِيْـرُ مَـوَاعِـدٍ ... مَـدِيْـدُ نَـوَالٍ لِلْعَطَـاءِ سَـرِيْـعُ
/١٧٣أ/ (تَوَاضَعَ كَالنَّجْمِ اسْتَبَانَ لِنَاظِرٍ ... عَلَـىٰ صَفَحَـاتِ المَـاءِ وَهْـوَ رَفِيْـعُ)
(وَمَـنْ دُوْنَـهُ يَسْمُـو إِلَـىٰ الجَـوِّ صَـاعِـداً ... سُمُـوَّ دُخَـانِ النَّـارِ وَهْـوَ مَنِيْـعُ)(١)

البيتان مُضمنان لابن التلميذ(٢).

وكتب إليه بهذه الأبيات أيضًا: [من الخفيف]

أَيُّهَـا الحَـاكِـمُ الَّـذِيْ غَمَـرَ النَّـا ... سَ جَمِيْعـًا بِفَضْلِـهِ الفَيَّـاضِ
أَفْتِنَـا فِـيْ قَضِيَّـةٍ أَنْـتَ فِيْهَـا الـ ... ـخَصْـمُ لِـيْ فِـيْ العُـلاَ وَأَنْـتَ القَـاضِـيْ
بِعْـتُ لِلْفَضْـلِ مِنْـكَ خَـالِـدَ حَمْـدِيْ ... وَافْتَـرَقْنَـا عَـنْ غِبْطَـةٍ وَتَـرَاضِـيْ
لَـمْ تَـدحَـى نَصْـبَ لِتَمْيِيـزِ حَـالٍ ... حَـلَّ مِـنْ بَعْـدِ رِفْعَـةٍ فِـيْ انْخِفَـاضِ
وَغُـلامـًا نَـدَاكَ خَـالٍ وَوَعْـدِيْ ... مِنْـكَ . . . وَأَمْـرُكَ مَـاضِـيْ
إِنْ تَقُـلْ عَـافَ ذَاكَ تَـرْكَ التَّقَـاضِـيْ ... لَسْـتُ يَـا ابْـنَ الكِـرَامِ بِـالقَـوْلِ رَاضِـيْ
وَإِذَا الجُـوْدُ كَـانَ عَـوْنِـيْ عَلَـىٰ المَـرْ ... ءِ تَقَـاضَيْتُـهُ بِتَـرْكِ التَّقَـاضِـيْ

وله إليه: [من الطويل]

بَـدِيْـعُ مَـدِيْحِـيْ فِيْـكَ شَـرْقـًا وَمَغْـرِبـًا ... سَـرَىٰ كَنَـدَىٰ كَفَّيْـكَ فِـيْ البَـرِّ وَالبَحْـرِ
وَمَعْـرُوْفُـكَ المَعْـرُوْفُ مُـوْجِـبُ أَنَّنَـا ... لَـكَ اللهَ نَـدْعُـو بِـالـزِّيَـادَةِ فِـيْ العُمْـرِ
فَـإِنَّـا رَأَيْنَـا مِـنْ أَيَـادِيْـكَ فَـوقَ مَـا ... سَمِعْنَـاهُ عَـنْ مَعْـنِ السَّمَـاحِ وَعَـنْ عَمْـرِو
/١٧٣ب/ نَسَخْتَ بِمَا أَوْلَيْتَهُ ذِكْرَ حَاتِمٍ ... فَـأَصْبَـحَ فِـيْ سُـوْقِ الثَّنَـا كَـاسِـدَ الـذِّكْـرِ
أُعِيْـذُكَ أَنْ أُمْسِـيْ بِظِلِّـكَ خَـامِـلاً ... وَحَـالِـيَ بَعْـدَ اليُسْـرِ حَـالَـتْ إِلَـىٰ العُسْـرِ
وَلَـمْ يُبْـقِ مِنِّـيْ الـدَّهْـرُ إِلاَّ صُبَـابَـةً ... وَإِلاَّ كَمَـا أَبْقَـىٰ نَـدَاكَ مِـنَ الفَقْـرِ

---

(١) في الدر الفريد أنهما لشاعر مجهول، وفي «أنوار العقول ـ ديوان الإمام علي عليه السلام» منسوبان للإمام، انظر: الأنوار ٢٨٤.

(٢) ابن التلميذ: هبة الله بن صاعد بن (هبة الله بن) إبراهيم، أبو الحسن، أمين الدولة، موفق الملك، المعروف بابن التلميذ، حكيم عالم بالطب والأدب، ولد سنة ٤٦٥ وتوفي سنة ٥٦٩هـ.

فَهَلْ تَشْتَرِي مِنِّي بِمَا هُوَ ذَاهِبٌ ثَنَاءً وَمَدْحًا فِيكَ يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ
فَيَقْبُحُ بِي أَنْ أَرْتَجِي مِنْ سِوَاكُمُ نَوَالاً وَأَنْ يُعْزَى إِلَى غَيْرِكُمْ شُكْرِي

وله: [من الطويل]

لِسَانُ غَرَامِي فِي هَوَاكَ المُهَذَّبُ وَتَنْبِيهُ وَجْدِي مَالَهُ عَنْكَ مَذْهَبُ
وَجُلَّابُ أَشْوَاقِي إِلَيْكَ صَبَابَتِي وَنَافِعُ صَبْرِي لَيسَ لِي عَنْهُ مَذْهَبُ
أَمَالِكَ رِقِّي مَا لأَحْمَدَ سَلْوَتِي عَلَى زُهْدِهِ فِي مِثْلِ حُسْنِكَ يَرْغَبُ
أَبَى خَدُّهُ أَنْ لا يُرَى وَهْوَ شَافِعِي وَقَالَ إِلَى النُّعْمَى أُعَزَّى وَأُنْسَبُ
وَنَاظَرَنِي فِي صِيْغَةِ الحُبِّ وَالهَوَى وَكَمْ مَرَّةً نَازَعْتُ فِيهَا وَأُغْلَبُ
أُسَائِلُهُ يَا مُقْتَفِي نَصَّ هَجْرِهِ فَيُسْهِبُ مِنْ ذِكْرِ القِيَاسِ وَيُطْنِبُ
وَيُوضِحُ وَجْهَ الصَّدِّ مِنْهُ بِفُرْقَةٍ فَيَعْطِفُنِي إِعْرَاضُهُ وَالتَّجَنُّبُ
.... حُبِّي لَهُ وَصَبَابَتِي هُمَا نَتَجَا أن لَيْسَ لِي عَنْهُ مَهْرَبُ(١)
وَحَاوِي فُضُولِ الشَّوْقِ لَيْسَ بِحَاذِقٍ وَإِلاَّ فَمِنْهَا كَيْفَ لا يَتَطَيَّبُ
/ ١٧٤أ/ أُعَلِّلُ قَلْبِي فِي هَوَاهُ بِعَلَّمَا وَلَيْتَ وَقَلْبِي فِي هَوَاهُ المُعَذَّبُ
أَلَمْ يَكُ مَبْنِيًّا عَلَى الكَسْرِ جَفْنُهُ فَمَا بَالُ أَمْسِي وَهْوَ بِالسِّحْرِ مُعْرَبُ
وَقَائِلَةٍ لَمَّا رَأَتْنِي خَامِلاً وَرَوْضُ رَبِيعِ الحَظِّ مِنِّي مُجْدِبُ
تَنَبَّهْ تَفُزْ مِنْ فَضْلِكَ الجَمِّ بِالغِنَى فَأَنْتَ لإِدْرَاكِ الغِنَى تَتَطَلَّبُ
وَإِنْ قُلْتَ كَنْزُ الجُودِ عَزَّ فَبَاطِلٌ وَكَنْزُ رَفِيعِ الدِّينِ لِلنَّاسِ....

[٨١٥]

مُحَمَّدُ بنُ أبِي الحسن بن هبة الله بن عمرَ بن أبي بكر، الشيخُ أبو عبد الله الركبدارُ الواسطيُّ وَلَداً وأصلاً، البغداديُّ داراً ومنشأً.

كانت ولادته ببغداد في المحرم سنة إحدى وسبعين وخمسمائة. كذا ذكر لي لما سألته عنه.

(١) في الأصل «مذهب» وصوبت في الهامش «مهرب» كما أثبتنا.

حافظ للقرآن العظيم، عُنِيَ بسماع الحديث، فأكثر منه، وصاحب أهل الدين، وخالط الصالحين.

ثم تعلّم صنعة الركبدارية، فصار طبقة منها، مشهوراً بها، واتصل بالإمام الظاهر ـ رضي الله عنه ـ وهو ولي عهد، وخدم معه ركبدار؛ ولمّا أفضت الخلافة إليه، قَرّبه وأدناه، وحظي عنده حيث رآه ماهراً في صنعته، مشكوراً في طريقته /١٧٤ب/ ولما انقضت مدّة إمامته، ونقله الله تعالىٰ إلىٰ مستقرّ رحمته، وما أعدّ له من فضله وكرامته، ومنَّ علىٰ العالم بَقيام من شملهم بعدله ورأفته، وعمرهم بعميم عطاياه ووافر صدقته؛ وهو الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين، أقرَّ محمداً هذا علىٰ ما كان عليه، وأجراهُ علىٰ ما أهل له، وفوّض إليه، وعمّه بالأنعام، وغمره بالعطاء الوافر الأقسام.

وهو رجل آدم، شديد سمرة اللون، شيخ نقي الشيبة، كبير النفس، عالي الهمة، قد أخذ بأطراف الفضائل علىٰ إختلافها؛ قرآنًا، وحديثًا، وفقهًا، وأدبًا، وشعراً، وجوداً، وسماحة، وإيثاراً.

وشعره رائق سهل الألفاظ، وهو القائل يمدح المستنصر بالله ـ رحمه الله ـ وأنشدنيه بمدينة السلام، بجانبها الشرقي يوم الأربعاء ثاني عشر رمضان سنة تسع وثلاثين وستمائة:

[من الوافر]

أَدِرْهَا بِاليَمِيْنِ أَوِ الشِّمَالِ ... فَلَوْ كَانَتْ حَلاَلاً مَا حَلاَ لِيْ
وَلاَ تُطْفِي تَوَقُّدَهَا بِمَاءٍ ... فَفِيْ يَاقُوتِهَا نُوْرُ اللآلِي
وَصَرِّفْ صِرْفَهَا بِغِنَاءِ شَادٍ ... مَلِيْحِ الوَجْهِ مَعْشُوْقِ الدَّلاَلِ
. . . . يَزِيْدُ هَوًىٰ وَيَطْمَعُ فِيْ الوِصَالِ
وَلاَ تَخْشَ الهُمُوْمَ عَلَىٰ سُرُوْرٍ ... وَلاَ تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِيْ
/١٧٥أ/ إِذَا المُسْتَنْصِرُ المَنْصُوْرُ دَامَتْ ... لَهُ النَّعْمَاءُ لَمْ تَضْرَعْ لِحَالِ
وَصُلْنَا صَوْلَةَ الأُسْدِ الضَّوَارِيْ ... عَلَىٰ رَيْبِ الزَّمَانِ وَلَمْ نُبَالِ
وَبَاهَيْنَا مُلُوْكَ الأَرْضِ جُوْداً ... وَعَدْلاً جَلَّ عَدْلُكَ عَنْ مِثَالِ
وَقُلْنَا ذَا إِمَامٌ أَوْ نَبِيٌّ ... كَفَاهُ ذَا العُلاَ عَيْنَ الكَمَالِ
يُبَخِّلُ بِالعَطَاءِ السُّحْبَ كَفّاً ... أَفَاضَ عَلَىٰ الوَرَىٰ سُحُبَ النَّوَالِ

وَيَعْفُو عَنْ عظيمِ الذَّنْبِ حلْماً ... وَيَصْفَحُ صَفْحَ . . . . الموالي
أَيَا مَوْلَى الأَنَامِ فَدَتْكَ نَفْسِي ... وَزَادَكَ ذُوْ الجَلاَلِ مِنَ الجَلاَلِ
وَلاَزَالَتْ جُيُوْشُ النَّصْرِ تَسْرِي ... أَمَامَكَ فِيْ حُلُوْلٍ وَارْتِحَالِ
وَلاَ بَرِحَتْ صِلاَتُكَ كَافِلاَتٍ ... بِأَرْزَاقِ العِبَادِ بِلاَ زَوَالِ
وأنتَ الغيثُ إنْ جدبٍ عزلها ... وَأَنْتَ اللَّيْثُ فِيْ يَوْمِ النِّزَالِ
فَعِشْ مَاشِئْتَ أَنْ تَبْقَى سَعِيْداً ... تَعُمُّ بِفَضْلِ عَدْلِكَ وَالنَّوَالِ
وَتُفْنِي المَارِقِيْنَ بِحَدِّ عَزْمٍ ... وَتُغْنِي المُعْتَفِيْنَ عَنِ السُّؤَالِ

[٨١٦]

مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّد بن عبد الخالق بن المبارك بن عيسىٰ بن الحسين، أبو عبدَ الله بن أبي الفضلِ /١٧٥ب/ المَعروفُ بابنِ الأبريِّ البغداديُّ الحنَفيُّ مذهباً.

فقيه فاضل، صحيح الذهن، جيد الإيراد، حاضر الخاطر، حسن الكلام في المناظرة، تولّىٰ القضاء بواسط، وسار سيرة حسنة مرضية، واعتمد أموراً موافقةً للشريعة المحمديّة، وهو أحد المعيدين بالمدرسة المستنصرية علىٰ الطائفة الحنفية.

سألته عن مولده فذكر أنّه ولد في خامس ذي الحجة سنة خمس وثمانين وخمسمائة.

له فضل، وأدب، وحسن خلق، ودماثة.

أنشدني لنفسه يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من رمضان بالمدرسة المستنصرية، سنة تسع وثلاثين وستمائة، من قصيدة يمدح الخدمة الشريفة المقدّسة النبوية الإمامية المستنصرية، ويذكر فيها الدراهم المنعم بها علىٰ العالم حفظًا لأديانهم، وصيانة لأموالهم، وتنزيهًا لهم عن الشبهات، بترك تلك المحظورات: [من الكامل]

أَبْدَتْ لَنَا قَمَراً مِنَ السِّجْفِ ... وَتَكَلَّمَتْ بِإِشَارَةِ الطَّرْفِ
وَتَسَتَّرَتْ بِمَحَاسِنٍ كَشَفَتْ ... عَنْهَا فَكَانَ السِّتْرُ فِي الكَشْفِ

ومنها:

يَا مَنْ عَرَفْنَا فِي عَوَارِفِهِمْ ... عَلَمِيَّةً مَعْلُومَةَ الوَصْفِ
/١٧٦أ/ لَكُمُ التَّمَكُّنُ فِي سُمُوِّكُمُ ... وَلَنَا عَلَيْكُمْ عَادَةُ العَطْفِ
أَعْلَامُكُمْ مَرْفُوعَةٌ أَبَداً ... وَعَدُوُّكُمْ يَنْجَرُّ بِالحَرْفِ
أَبَداً تُفَرِّقُ كُلَّ مَا جَمَعُوا ... وتُصَغِّرُ الآلَافَ فِي الأَلْفِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

تَعَرَّضَ لِلأَعْرَاضِ عَنْ عَاشِقٍ صَبِّ ... وَجَارَ بِحُكْمِ الحُسْنِ عَنْ سَنَنِ الحُبِّ
فَصَارَتْ ضُرُوبُ الصَّدِّ تَحْظَىٰ بِوَصْلِهِ ... إِذَا مَلَّ ضَرْباً مِنْهُ مَالَ إِلَىٰ ضَرْبِ
فَأَذْكَرْتُهُ عَهْدَ الهَوَىٰ وَحُقُوقَهُ ... وَمَا كُنْتُ أَلْقَىٰ فِيهِ بِالعَذْلِ مِنْ صَحْبِي
وَأَنِّي لَمَّا كُنْتُ قَانِصَ سِرْبِهِ ... تَعَلَّقْتُ مِنْهُ قَانِصاً قَانِصَ السِّرْبِ
وَإِنْ فَاقَ أَيَّامَ الصِّبَا فِي وِصَالِهِ ... عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْهُ وَأَصْبَاهُ مَا يُصْبِي
فَعَادَ بِعَطْفٍ ثُمَّ قَالَ مُعَاتِباً ... فَقُلْتُ لَهُ: لَا تُفْسِدِ العَطْفَ بِالحُبِّ
وَدَعْنِي مِنْ عَتْبٍ يُكَدِّرُ مَشْرَبِي ... عَلَيَّ فَحَسْبِي بِالرِّضَا عَاتِباً حَسْبِي

[٨١٧]

مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ بنِ غَازي القَاضِي، أبو عبدِ الله الحمويُّ الفقيهُ الحنفيُّ.

شاب ذو فضائل جمّة، كثير المحفوظ. وكان من جملة محفوظة صحيح مسلم بأسانيده ومتونه، /١٧٦ب/ وكتاب المفصّل للزمخشري، مع مواظبة علىٰ تلاوة القرآن المجيد؛ وهو أحد المعيدين بالمدرسة الشريفة المستنصرية، وتولّىٰ قضاء واسط، ثم عُزل عنها.

وله في المستنصر بالله يمدحه: [من البسيط]

دَارُ السَّلَامِ لَهَا مِنْ يُمْنِ طَلْعَتِهِ ... سَلَامَةٌ عَطِبَتْ مِنْ دُونِهَا الغِيَرُ
ذُو سِيرَةٍ كَسَرَتْ كِسْرَىٰ وَذَا يَزَنَ ... وَعَنْ مَدَىٰ طُولِهَا فِي قَيْصَرٍ قِصَرُ
وَيْلٌ لأَعْدَائِهِ مِنْ بَأْسِهِ أَبَداً ... لَا مَلْجَأٌ مِنْهُ يُنْجِيهِمْ وَلَا وَزَرُ
عَلَيْهِ أَنْوَارُ وَحْيِ اللهِ شَاهِدُهَا الإِ ... جْمَاعُ وَالنَّصُّ وَالمَعْقُولُ وَالأَثَرُ
يَسْتَعْظِمُ النَّاسُ أَخْبَاراً لِهَيْبَتِهِ ... وَعِنْدَ رُؤْيَتِهِ يُسْتَصْغَرُ الخَبَرُ

سَطَا وَأعطَى فَشَمْلُ الشُّكْرِ مُنْتَظِمٌ لَهُ وَشَمْلُ العِدَا وَالمَالِ مُنْتَشِرُ
مَاذَا عَسَى يَسْتَطِيعُ الشِّعْرُ يَمْدَحُهُ وَفِي مَدَائِحِهِ الآيَاتُ وَالسُّوَرُ
يَا ثَالِثَ العُمَرَيْنِ الرَّاشِدَيْنِ وَمَنْ عَلَى أيَادِيهِ يُثْنِي البَدْوُ وَالحَضَرُ
أنْتَ الحَقِيقَةُ لِلإسْلامِ حَقّ هُدًى وَمَا سِوَاكَ مَجَازٌ لَيْسَ يُعْتَبَرُ
حَنَّتْ إلَيْكَ أقَالِيمُ البِلادِ وَقَدْ أطَاعَكَ القَادِرَان: السَّعْدُ وَالقَدَرُ
فَرَوِّ مِنْ عَلَقِ الأعْدَاءِ لاَعِجَهَا فَأنْتَ هَادِيْ الوَرَى لِلْفَتْحِ مُنْتَظَرُ
لاَزِلْتَ مُسْتَنْصِراً بِاللهِ مُنْتَصِراً لِلدِّيْنِ يَا خَيْرَ مَنْ لِلدِّيْنِ يَنْتَصِرُ

/ ١٧٧أ/ وقوله وقد أوردها بالمدرسة المستنصرية عقيب مرض عرض له:

[من الكامل]

مَنْ كَانَ مُفْتَتِحاً بِحَمْدِ إمَامِهِ فَلَقَدْ أجَادَ وَجَادَ عَقْدُ نِظَامِهِ
وَمَنِ اقتَدَى بِهُدَى الفَتَى المُسْتَنْصِرِ الـ ـمَنْصُورِ فَلْيَبْشِرْ بِنُجْحِ مَرَامِهِ
فَالصِّدْقُ فِيْ أقْوالِهِ وَالحَقُّ فِيْ أفْعالِهِ وَالرِّزْقُ مِنْ أقْلامِهِ
وَالبَأسُ جَدُّ البَأسِ مِنْ عَزَمَاتِهِ وَالنَّاسُ كُلُّ النَّاسِ مِنْ أقْوَامِهِ
وَالفَضْلُ مِنْ أحْسَابِهِ وَالفَضْلُ مِنْ أنْسَابِهِ وَالرُّشْدُ مِنْ إلْهَامِهِ
وَالصِّيْدُ وَالآسَادُ مِنْ أجْنَادِهِ وَأفَاضِلُ الأمْلاكِ مِنْ خُدَّامِهِ
مَا مُلْكُ ذِيْ يَزَنٍ وَمَنْ ذَا قَيْصَرٌ مَا عَدْلُ كِسْرَى العَدْلَ فِيْ أحْكَامِهِ
مَنْ قَيْسُ آرَاءٍ وَقُسُّ فَصَاحَةٍ مَنْ حَاتِمُ الإنْعَامِ فِي إنْعَامِهِ
حُرُّ المُلُوْكِ رَقِيْقُ حَدِّ رَقِيْقِهِ وَبُرُوْقُ سَطْوَتِهِ بَرِيْقُ حُسَامِهِ
يَا سَيِّدَ الخُلَفَاءِ دَعْوَةَ شَاكِرٍ شَاكَ إلَيْكُمْ مِنْ ألِيْمِ سَقَامِهِ
لَوْلاَ تَدَاوِيْهِ بِيُمْنِ وِلائِكُمْ مَا طَالَ عَنْهُ حِمَامُ يَوْمِ حِمَامِهِ
وَافَى مِنَ الوَطَنِ البَعِيْدِ مُهَاجِراً قَسَماً وَوَفَّى اللَّيْلُ فِيْ إكْرَامِهِ
مِنْ فَضْلِكُمْ حَازَ الفَوَائِدَ وَالعُلا وَبِفَضْلِكُمْ يَرْجُو بُلُوْغَ مَرَامِهِ

/ ١٧٧ب/ ومنها:

إنْ كَانَ عَاصِيْهِ يَشُوْقُ فُؤَادَهُ فَمُطِيْعُ دِجْلَةَ آخِذٌ بِزِمَامِهِ
لاَزَالَ يَخْفِضُ بِالسُّيُوفِ عُدَاتَهُ وَيُدِيْمُ رَفْعَ الدِّيْنِ فِيْ أعْلاَمِهِ

وقال أيضًا يمدحه: [من الكامل]

كَمْ مَهْمَهٍ قَفْرٍ وَمَرْتٍ فَدْفَدِ ... جُبْنَاهُ بِالنُّوقِ الكِرَامِ الوُخَّدِ(١)
مَعْ رُفْقَةٍ هَجَرُوا لإِدْرَاكِ العُلاَ ... شَامًا بِمُعْرِقِ سَيْرِهِمْ وَالمُنْجِدِ
وَتَيَمَّمُوا دَارَ السَّلاَمِ وَسَلَّمُوا ... وَتَبَاشَرُوا بِهُدَىٰ ابْنِ عَمِّ مُحَمَّدِ
المُقْتَدِي بِالمُصْطَفَىٰ خَيْرِ الوَرَىٰ ... فِي الهَدْيِ نِعْمَ المُقْتَدَىٰ وَالمُقْتَدِي
إِنَّ الإِمَامَ الظَّاهِرَ بْنَ النَّاصِرِ بْـ ... ـنَ المُسْتَضِيءِ المَاجِدَ المُسْتَنْجِدِ
التَّائِبِينَ العَابِدِينَ الحَامِدِيْـ ... ـنَ السَّائِحِينَ الرَّاكِعِينَ السُّجَّدِ
مِنْ دَوْحَةٍ نَبَوِيَّةٍ قُرَشِيَّةٍ ... أَكْرِمْ بِهِ فَرْعًا لأَكْرَمِ مَحْتِدِ
لَمَّا غَدَوا إِنْسَانَ إِنْسَانِ العُلاَ ... لَبِسُوا سَوَادَ عُيُونِ كُلِّ مُوَحِّدِ
فَهُمُ الغُصُونُ المُثْمِرَاتُ لِمُجْتَدٍ ... وَهُمُ البُحُورُ الزَّاخِرَاتُ لِمُجْتَدِي

ومنها:

يَلْقَىٰ الحُرُوبَ بِلاَحِقِيٍّ سَابِقٍ ... لَمَعَ البُرُوقِ وَأَعْوَجِيٍّ أَجْرَدِ
/ ١٧٨أ/ فَتَرَاهُ لَيْثًا فِي الوَقَائِعِ بَاسِلاً ... بَلْ طَوْدَ حِلْمٍ فَوْقَ بَحْرٍ مُزْبِدِ
حَكَمَتْ مَوَاضِيهِ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ ... بِهَلاَكِهِمْ وَدَمَارِهِمْ وَكَأَنْ قَدِ

ومنها:

يَا سَيِّدَ الخُلَفَاءِ دَعْوَةَ شَاكِرٍ ... دَاعٍ مُوَالٍ مُخْلِصٍ مُتَوَدِّدِ
هَجَرَ العَشِيرَةَ وَالعَشِيرَ مُهَاجِرًا ... لأَدَاءِ فَرْضٍ فِي الجِنَانِ مُخَلَّدِ
وَافَيْتُ مِنْ وَطَنِي حَمَاةَ بِتُحْفَةٍ ... وَمُفَصَّلٍ مِنْ مَدْحِكُمْ وَمُنَضَّدِ
وَوَسِيلَتِي إِحْسَانُكُمْ وَوَلاَؤُكُمْ ... وَبِضَاعَتِي حِفْظُ الصَّحِيحِ المُسْنَدِ
إِنْ كَانَ يَمْنَعُنِي الشَّبَابُ مَطَالِبِي ... يَا لَيْتَهُ يَبْقَىٰ وَإِنْ صَفِرَتْ يَدِي(٢)

---

(١) المرت: المفازة بلا نبات.

(٢) بعد هذا جاءت الترجمة التالية وقد شُطب عليها، ولغرض إتمام الفائدة، وللحفاظ على الأمانة العلمية نوردها هنا:

/ تتمة ١٧٨أ/ مُحَمَّدُ بنُ أحمدَ بن مُحَمَّد بن عليٍّ العلقميُّ، الصاحبُ أبو طالب.

أستاذُ الدار العزيزة شيّد اللهُ قواعدَها.

وولادته في سنة إحدىٰ وتسعين وخمسمائة. =

[٨١٨]

مُحَمَّدُ بنُ يحيىٰ بنِ أبي دُلفِ بنِ خُشرمٍ، أبو عبدِ الله الواعظُ البغداديُّ(١).

= ذو الفضل الشائع، والأدب البارع والفصاحة والبيان والمنصب الرفيع، وعلو الشأن.

أنشدت له أبياتًا نظمها لتكتب علىٰ بعض الأبنية الشريفة. . . . ـ عمرها الله. . . . مالكها ومنشئها ـ:

[من البسيط]

/ ١٧٨ب/ يَا مَالكِي اُسْكُنْ هَنِيئًا فِي بُلَهْنِيَة ... فَأَنْتَ مِنْ جَدِّكَ المَحْرُوسِ فِي حَرَمِ

عِشْ فِي أَمَانَ رَغِيدَ العَيْشِ مُبْتَهِجًا ... فِي غِبْطَةٍ. . . . عَيْنُ الله لَمْ تَنَمِ

مُسْتَمْسِكًا بِيَدِ الإِقْبَالِ مُعْتَصِمًا ... مِنَ الإلٰهِ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ

يُطِيعُكَ الفَلَكُ الدَّوَّارُ وَالقَدَرُ الـ ... ـقَهَّارُ وَالمَلِكُ الجَبَّارُ ذُو الحِكَمِ

لَكَ الزَّمَانُ غُلَامٌ وَالوَرَىٰ خَدَمٌ ... وَتَحْتَ أَمْرِكَ رَبُّ السَّيْفِ وَالقَلَمِ

لَا يَسْكُنُ الهَمُّ أَرْضًا أَنْتَ سَاكِنُهَا ... وَلَا تَطُولُ بِهَا إِلَّا يَدُ النِّعَمِ

أَنْتَ الإِمَامُ الَّذِي قَامَتْ لِهَيْبَتِهِ ... وَبَأْسِهِ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَىٰ قَدَمِ

وله في المَعنىٰ وقد كتبَ في موضع آخر: [مِنَ الوَافر]

أَلَا يَا بَيْتُ دَامَ لَكَ الحُبُورُ ... وَخَيَّمَ فِي مُخَيَّمِكَ السُّرُورُ

وَلَا بَرِحَتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ الـ ... ـكِرَامُ عَلَيْكَ وَافِدَةً تَزُورُ

تَزُورُ إِمَامَ حَقٍّ فِيهِ هَدْيُ الـ ... ـنَّبِيِّ إِذَا تَشَابَهَتِ الأُمُورُ

لَكَ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ وَفِيكَ بَحْرٌ ... عَلَمْ الله عِلْم لَا يَحُورُ

إِمَامُ هُدَىً لَهُ رَبُّ البَرَايَا ... عَلَىٰ إِهْدَائِهِ أَبَدًا ظَهِيرُ

أَعَادَ ظَلَامَ دُنْيَانَا ضِيَاءً ... بِعَدْلٍ مِنْهُ تَنْشَرِحُ الصُّدُورُ

وَفِيهِ سَكِينَةُ الرَّحْمَانِ حَقًّا ... إِذَا مَا مَادَتِ الأَرْضُ الوُقُورُ

/ ١٧٩أ/ وَرَبْعُكَ بِالنَّدَىٰ خَضِلٌ مَرِيعٌ ... وَعِزُّكَ لِلْوَرَىٰ أَبَدًا مُجِيرُ

فَدَامَ لَكَ العَلَاءُ بِلَا زَوَالٍ ... مُقِيمٌ فِيكَ مَا أَرْسَىٰ ثَبِيرُ»

يقول المحقق: انتهى ما ورد في الأصل مشطوبًا.

والمترجم له وهو: مؤيد الدين الأسدي البغدادي المعروف بابن العلقمي: وزير المستعصم العباسي، اشتغل في صباه بالأدب، وارتقى إلى رتبة الوزارة سنة ٦٤٢هـ فوليها أربعة عشر عامًا، ووثق به المستعصم فألقى إليه زمام اموره، وكان حازمًا خبيراً بسياسة الملك، كاتبًا فصيح الإنشاء، اشتملت خزانته على عشرة آلاف مجلد، وصنّف له الصغاني «العباب الزاخر»، وابن أبي الحديد «شرح نهج البلاغة». مات في بغداد سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م ودفن فيها بمشهد موسى بن جعفر بالكاظمية.

ترجمته في: الحوادث الجامعة ٢٠٨، ٣٣٦. البداية والنهاية ١٣/ ٢١٢. الوافي بالوفيات ١/ ١٨٥. فوات الوفيات ٢/ ١٥٢. شذرات الذهب ٥/ ٢٧٢. الأعلام ٥/ ٣٢١.

(١) توفي بعد سنة ٦٢١هـ. مرّت ترجمته في الجزء السادس برقم ٧١٤.

ترجمته في: تأريخ إربل ١/ ٦٦٣. وفيه جدّه: «خُسْرُم» بالسين المهملة، مضمومة الخاء المعجمة =

صحب الفقراء، وخالط الصالحين، وتشاغل بالوعظ، وفتح عليه قبة؛ فكان يجلسُ في كل جمعة بجامع ابن المطلب، وتحضره الخلق الكثير، وحصل له قبول تام، واستمرّ بذلك، وصار معروفًا به، وحظيّ عند الإمام الظاهر بأمر الله ـ رضي الله عنه ـ وأمره بالجلوس بباب بدر وأنعم عليه بشيء وافر، وتحمل ظاهر، ورتَّبه شيخًا بالرباط المجاور لعين ومعين بمشرعة الكرخ، ومقدمًا علىٰ من مرّ به.

ولمّا مرض المرضة التي توفي فيها ـ رضي الله عنه ـ وَصَّىٰ أنْ يغسله، فأُحضر وشرف بمباشرة غسله؛ ثم أُقرَّ في الأيام المستنصرية علىٰ الجلوس في باب بدر، وأُجري عليه من البرّ المتقبل في رجب قدر وافر، يصل إليه في كل رجب.

وهو رجل خيِّر جيد الكلام، حسن العبارة، عذب الإيراد، حاضر الاستشهاد.

/ ١٧٩ب/ وهو القائلُ في الإمام المستنصر بالله، يمدحه ـ رحمه الله ـ:

[من الوافر]

سَبَىٰ عَقْلِي سَنَى البَرْقِ التِّهَامِيْ ... وَأَوْجَبَ عِنْدَ عُذَّالِيْ التهامي
أَضَاءَ عَلَىٰ فَضَاءِ الجَزْعِ وَهْنًا ... فَخَرَّقَ جَيْبَ جِلْبَابِ الظَّلاَمِ
وَأَسْهَرَنِيْ وَأَسْعَرَ نَارَ شَوْقِيْ ... وَأَجْرَىٰ دَمْعَ عَيْنِيْ بِابْتِسَامِ
أَيَا حَادِيْ الرِّفَاقِ دَعِ المَطَايَا ... تَسِيْرُ إِلَىٰ العِرَاقِ بِلاَ زِمَامِ
فَحَادِيْ الشَّوْقِ قَبْلَكَ قَدْ حَدَاهَا ... وَهَدَّاهَا إِلَىٰ دَارِ السَّلاَمِ
إِلَىٰ حَرَمِ الخِلاَفَةِ زَادَ عِزًّا ... فَلِلاَّجِيْ بِهِ كُلُّ المُقَامِ
مُنَادِيْ جُوْدِهِ فِيْ كُلِّ نَادِ ... يُنَادِيْ أَمُّوا ظِلَّ الإِمَامِ
بَنُو العَبَّاسِ فِيْ الدُّنْيَا شُمُوْسٌ ... مَطَالِعُهَا مِنَ البَيْتِ الحَرَامِ
بِجَدِّهِمُ نُغَاثُ كَمَا سُقِيْنَا ... بِجَدِّهِمُ شَآبِيْبَ الغَمَامِ
وَلِلْمُسْتَنْصِرِ المَنْصُوْرِ مَجْدٌ ... عَرِيْقٌ ثَابِتُ الآسَاسِ سَامِيْ
تَلَفَّعَ بُرْدَةَ المُخْتَارِ فَخْرًا ... وَأُيِّدَ بِالقَضِيْبِ وَبِالحُسَامِ
وَيَسْبِقُ رَأْيُهُ الرَّايَاتِ عَزْمًا ... وَيَقْتُلُ رَوْعُهُ قَبْلَ السِّهَامِ

= والراء المهملة. =

فَلِلْدُّنْيَا وَلِلْدِّيْنِ أبتهَاجٌ ... بِدَوْلَتِهِ المَنُوْطَةِ بِالدَّوَامْ
وَجُوْدُكَ يَا إِمَامَ العَصْرِ عِزٌّ ... وَجُوْدُكَ كَالخضَمِّ العَذْبِ طَامِيْ
/ ١٨٠أ/ أَمِيْنَ اللهِ قَدْ فَرَضَتْ عَلَيْنَا ... مَدِيْحَكَ مِنَّةُ النِّعَمِ الجِسَامِ
ومَا أَنَا شَاعِرٌ يَقْفُو القَوَافِيْ ... وَلَكِنِّي بحبِّكَ يَا إِمَامِيْ
أَصَابَ صَوَابَ وَصفِكَ صَفْوُ فِكْرِيْ ... فكَانَتْ رَمْيَةً مِنْ غَيْرِ رَامِيْ

[٨١٩]

مُحَمَّدُ بنُ هبةِ اللهِ بنِ حَيْدَرِ البغداديُّ، أبو عبدِ اللهِ، يُعرف بابن المُليحة.

أحد شعراء الديوان العزيز المستنصري ـ مجّده الله تعالىٰ ـ، شاعر جيد حسن المقاصد، متصرف، خدم عن خدم سواداً وحضرة؛ وهو وكيل أحد السادة الأمراء، أولاد الظاهر بأمر الله ـ رضي الله عنه ـ.

وهو القائل في مدح الخدمة المستنصرية، زادها الله عزاً وشرفًا، وأوردها بالقُرب الشريفة، بالرصافة في موسم رجب: [من الكامل]

مَا زَارَهُ الطَّيْفُ المُلِمُّ مُسلِّمًا ... إلاَّ وَوَدَّعَهُ كَرَاهُ وَسَلَّمَا
وَلَطَالَمَا هَجَرَ الكَرَىٰ لَكِنَّهُ ... جَعَلَ الرُّقَادَ إِلَىٰ الزِّيَارَةِ سُلَّمَا
صَبٌّ بَرَاهُ الشَّوْقُ حَتَّىٰ لَمْ يَدَعْ ... فِي جِسْمِهِ لَحْمًا يَبِيْنُ وَلاَ دَمَا
لَوْ تَسْتَطِيْعُ دُمُوْعُهُ كَانَتْ لَهُ ... مِنْ طُوْلِ مَا يَبْكِي المَنَازِلَ لُوَّمَا
/ ١٨٠ب/ يَصْبُو إِلَىٰ الوَطَنِ القَدِيْمِ بِرَامَةٍ ... مُتَأَسِّفًا وَيَشُوْقُهُ ذِكْرُ الحِمَىٰ
لَمْ يُبْقِ فِيْهِ مَعْلَمًا إلاَّ وَقَدْ ... وَشَّاهُ ثَوْبًا بِالمَدَامِعِ مُعْلَمَا
حَتَّىٰ غَدَا قَدْ عَاوَدَتْهُ يَدُ النَّوَىٰ ... عَيْنًا مُسَهَّدَةً وَقَلْبًا مُغْرَمَا
كَمْ عَاذِلٍ ظَنَّ المَلاَمَ يُفِيْدُهُ ... عَتْبًا فَأَقْسَمَ لاَ يُفِيْقُ مُتَيَّمَا
أَتُرَاهُ رَامَ بِهِ سُلُوًّا بَعْدَ مَا ... أَخَذَ الهَوَىٰ بعِنَانِهِ فَاسْتَسْلَمَا
كَلاَّ وَزَمْزَمَ وَالحَطِيْمِ وَمَنْ سَعَىٰ ... بِالبَيْتِ مُسْتَلِمًا وَلَبَّىٰ مُحْرِمَا
وَنَدَىٰ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ فَإِنَّهُ ... قَسَمٌ يَرَاهُ فَرِيْضَةً مَنْ أَقْسَمَا
خَيْرُ الخَلاَئِفِ مِنْ سُلاَلَةِ هَاشِمٍ ... يَتْتَابُهُ خلفُ الغُيُوْمِ السُّجَّمَا

مُسْتَنْصِرٌ بِاللهِ نُورُ جَبِينِهِ   يَجْلُو ظَلاَمَ الخَطْبِ أَنَّى أَظْلَمَا!
كَمْ فَكَّ مَأْسُوراً وَآمَنَ خَائِفاً   وَأَجَابَ مُضْطَرّاً وَأَغْنَى مُعْدِمَا
وَأَجَارَ مِنْ جَوْرِ اللَّيَالِي عَدْلُهُ   مَنْ آدَهُ صَرْفُ الزَّمَانِ وَحَطَّمَا
يَدْنُو حَبَاهُ لِلْعُفَاةِ وَلَمْ يَزَلْ   يَعْفُو عَنِ الجَانِي المُقِرِّ تَكَرُّمَا
جُودٌ يَقِلُّ لَهُ السَّحَابُ يَزِينُهُ   حِلْمٌ يُصَغِّرُ يَذْبُلاً وَيَلَمْلَمَا
ويومي يَوم نَدًى فَلَو أَنَّ الحَيَا يَحْكِيهِ عَمَّ العَالَمِيْنَ إِذَا هَمَا
مِنْ مَعْشَرٍ وَرِثُوا المَشَاعِرَ وَالصَّفَا   وَالرُّكْنَ وَالبَيْتَ الحَرَامَ وَزَمْزَمَا
/ ١٨١أ/ وَعَلَيْهِمُ نَزَلَ الكِتَابُ وَمِنْهُمُ   عُرِفَ الصَّوَابُ وَكَانَ قِدْماً مُبْهَمَا
وَبِهِمْ يُرَجِّي فِي المَعَادِ شَفَاعَةً   مَنْ جَاءَ مِنْ زَلاَّتِهِ مُتَنَدِّمَا
وَالحَوْضُ حَوْضُهُمُ الَّذِي اسْتَسْقَى بِهِ   مَنْ خَافَ يَوْمَ الحَشْرِ مِنْ حَرِّ الظَّمَا
فَلَهُمْ عَلَى الدَّارَيْنِ حُكْمٌ نَافِذٌ   أَمْضَى الإِلَهُ نُفُوذَهُ فَاسْتَحْكَمَا
حَتَّى لَقَدْ أَحْيَا الخَلِيفَةُ ذِكْرَهُمْ   جُوداً وَعَدْلاً فِي البَرِيَّةِ قَدْ نَمَا
أَيَّامُهُ الغُرُّ الحِسَانُ مَوَاسِمٌ   فَلِذَاكَ مَا خَصَّ التَّهَانِي مَوْسِمَا
وَالدَّهْرُ يَشْكُرُ فِعْلَهُ فَلَوْ أَنَّهُ   يَسْطِيعُ نُطْقاً هَمَّ أَنْ يَتَكَلَّمَا
فَاسْلَمْ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ مُعَمَّراً   أَبَداً كَمَا تَهْوَى البَقَاءَ مُسَلَّمَا
وَتَهَنَّ بِالشَّهْرِ الأَصَمِّ مُؤَيَّداً   فَاللهَ نَسْأَلُ أَنْ تَعِيشَ وَتَسْلَمَا
. . . . المَوَاسِمَ وَالشُّهُورَ مُمَتَّعاً   مَلِكاً عَلَى هَامِ النُّجُومِ مُخَيِّمَا
لاَزِلْتَ مَنْصُورَ الجُيُوشِ مُظَفَّراً   يَجْرِي بِمَا تَهْوَى القَضَاءُ المُبْرَمَا

وقال أيضًا يمدحه، ويُهنّيه بشهر رمضان: [من الكامل]

مَا لاَمَنِي فِيكَ العَذُولُ مُفَنِّداً   إِلاَّ وَأَتْهَمَ فِي هَوَاكَ وَأَنْجَدَا
وَأَثَارَ بَيْنَ جَوَانِحِي بِمَلاَمِهِ   نَاراً يَبِيتُ لَهِيبُهَا مُتَوَقِّدَا
/ ١٨١ب/ يَا مُفْرَداً فِي حُسْنِهِ وَجَمَالِهِ   أَصْبَحْتُ مِنْ وَلَهِي بِحُبِّكَ مُفْرَدَا
تِهْ كَيْفَ شِئْتَ وَنَمْ هَنِيئاً إِنَّنِي   أَمْسَيْتُ ذَا وَجْدٍ عَلَيْكَ مُسَهَّدَا
لِي فِيكَ قَلْبٌ لاَ يَزَالُ مُتَيَّماً   أَبَداً وَنَوْمٌ لاَ يَزَالُ مُشَرَّدَا
حَتَّى مَ تُولِينِي جَفَاكَ فَكُلَّمَا   أَبْدَيْتَ لِي هَجْراً بَذَلْتُ تَوَدُّدَا
وَإِلَى مَ أَظْمَأُ فِي هَوَاكَ وَقَدْ غَدَتْ   مِنْ فَرْطِ شَوْقِي أَدْمُعِي لَكَ مَوْرِدَا

مَـا بَـالُ قَلْبِـكَ كُلَّمَـا رَقَّـتْ لَـهُ فِـي حُسْنِهَـا خَـدَّاكَ أُضْحَـى جَلْمَـدَا
وَعَلَـى مَ لَحْظُـكَ قَـاتِـلٌ بِفُتُـورِه فِـي جَفْنِـهِ وَالسَّيْـفُ يَنْبُـو مُغْمَـدَا
وَجُفُـونُ عَيْنِـي مَـا تَحَـدَّرَ دَمْعُهَـا إِلَّا تَلَقَّـاهُ الأَسَـى مُسْتَصْعِـدَا
فَـاضَـتْ شَـآبِيـبُ السَّحَـابِ كَـأَنَّمَـا مَـدَّ الخَلِيفَـةُ مِـنْ نَـدَاهُ لَهَـا مَـدَى
خَيْـرُ الخَـلَائِـفِ مِـنْ سُـلَالَـةِ هَـاشِـمٍ وَأَجَلُّهُـمْ قَـدْراً وَأَعْلَـى مَحْتِـدَا
مُسْتَنْصِـرٌ بِـاللهِ مَنْصُـورٌ بِـهِ عَـذْبُ الـرِّضَـا حُلْـوُ الجَنَـى دَانِـي النَّـدَى
أَعْطَـى فَبَخَّـلَ جُـودُهُ صَـوْبَ الحَيَـا وَسَطَـا فَـأَرْدَى بَـأْسُـهُ صَـرْفَ الـرَّدَى
وَأَجَـارَ مِـنْ جَـوْرِ اللَّيَـالِـي عَـدْلُـهُ فَـالشَّـاةُ لَا تَخْشَـى الهِـزَبْـرَ المُلْبَـدَا
خِيفَـتْ مَهَـابَتُـهُ وَآمَـنَ جُـودُهُ مَـنْ خَـافَ مِـنْ جَـوْرِ الـزَّمَـانِ إِذَا ٱعْتَـدَى
مَـا شَـامَ بَـارِقَ بِشْـرِهِ بَـاغِـي نَـدًى إِلَّا تَهَلَّـلَ لِلنَّـدَى نُـورُ الهُـدَى
/ ١٨٢أ/ وَبَـدَتْ لَـهُ سِيمَـا النَّبِـيِّ مُحَمَّـدٍ فَكَـأَنَّمَـا أَلْقَـى النَّبِـيَّ مُحَمَّـدَا
هَـذَا الخَلِيفَـةُ فِـي البَـرِيَّـةِ رَحْمَـةٌ تُـرِكَـتْ فَسَـوَّتْ بِـالقَـرِيـبِ الأَبْعَـدَا
فَـاللهُ يَحْـرُسُـهُ وَيَحْـرُسُ مُلْكَـهُ أَبَـداً عَلَـى مَـرِّ الـزَّمَـانِ مُخَلَّـدَا
حَتَّـى تَمَتَّـعَ بِـالبَقَـاءِ فَـدَهْـرُنَـا نَـدْعُـو الإِلَـهَ بِـأَنْ يَعِيـشَ مُـؤَبَّـدَا
واللهُ يُسْعِـدُهُ بِشَهْـرِ الصَّـوْمِ فَـالـدُّ نْيَـا وَأَهْلُهَـا بِـهِ قَـدْ أُسْعِـدَا
وَإِذَا حَـوَى أَجْـرَ الصِّيَـامِ مُضَـاعَفـاً بِـاليُمْـنِ فَـالإِكْمَـالُ فِيـهِ عَبَّـدَا
أَبَـداً عَلَـى مَـرِّ اللَّيَـالِـي لَابِسـاً ثَـوْبَ البَقَـاءِ مَـدَى الـدُّهُـورِ مُجَـدَّدَا

[٨٢٠]

مُحَمَّدُ بنُ فاخرِ بنِ شجيرٍ البَغْدَادِيُّ، أبو عبد الله(١).

شاب فاضل، نشأ مشتغلاً بالنحو، حصل منه طرفًا جيداً، ويقول شعراً حسنًا. ومن شعره في مدح المستنصر بالله ـ صلوات الله [عليه] ـ ويعرض بذكر زلزلة عرضت ببغداد، عند زيارة الركاب الشريف بعض الأماكن المحترمة، فقال وأنشدنيه في أواخر

(١) تقدمت له ترجمة أخرى في هذا الجزء برقم ٧٧٥.

شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وستمائة، بمدينة السلام، بجانبها الشرقي: [من الكامل]

/ ١٨٢ب/ حَتَّى مَ فِي سَفَهٍ وَفِي إِغْفَاء ... وَالوَرْدُ يَدْعُونَا إِلَى الصَّهْبَاء
وَالجَوُّ مِنْ عَبَقِ النَّسِيمِ مُمَسَّكٌ ... وَالأُفْقُ مِنْهُ مُعَنْبَرُ الأَرْجَاء
أَفَمَا تَرَى الأَغْصَانَ مِسْنَ نَضَارَةً ... فِي حُلَّةٍ مِنْ سُنْدُسٍ خَضْرَاءَ
مِنْ صَنْعَةِ القُطْنِ الَّذِي لَمْ يَنْتَسِبْ ... تَفْوِيفُ صَنْعَتِهَا إِلَى صَنْعَاء
فَاشْرَبْ عَلَى زَهْرِ الرَّبِيعِ سُلَافَةً ... لَطُفَتْ عَنِ الإِدْرَاكِ وَالإِيمَاء
رَاقَتْ ورَقَّ نَسِيمُهَا فَلِلُطْفِهَا ... تَسْرِي مَسِيرَ الرُّوحِ فِي الأَعْضَاء
بِكْراً عَلَى فَرْعِ المِزَاجِ مُسِنَّةً ... عَجَباً لَهَا مِنْ ثَيِّبٍ عَذْرَاءَ
لَمْ يُغْنِهَا دِرْعُ الحَبَابِ وَقَدْ غَدَتْ ... مَقْتُولَةً عَمْداً بِسَيْفِ المَاءِ
مَا العَيْشُ إِلاَّ شُرْبُهَا فِي رَوْضَةٍ ... قَدْ كُلِّلَتْ بِلآلِئِ الأَنْدَاءَ
مَذْعُورَةَ الأَنْهَارِ نَامَ ظِلُّهَا ... أَزْهَارُهَا تَحْكِي نُجُومَ سَمَاءَ
نَشْوَانَةً أَغْصَانُهَا قَبْلَ الصَّبَا ... أَهْدَتْ لَهَا كَأْساً مِنَ الصَّهْبَاء
أَوْ أَنَّهَا غَارَتْ فَمَالَتْ نَشْوَةً ... لِمَدَائِحِي فِي سَيِّدِ الخُلَفَاءَ
مَوْلًى يَذِلُّ لَهُ الزَّمَانُ المُعْتَدِي ... ذُلَّ العَبِيدِ لِعِزَّةِ الأُمَرَاءَ
أَغْنَى العِبَادَ عَنِ الجِهَادِ بِنَائِلٍ ... وَمَوَاهِبٍ غَمَرَتْهُمُ وَعَطَاءَ
وَلَقَدْ أَقُولُ وَمَا نَطَقْتُ بِبَاطِلٍ ... وَالحَقُّ مُتَّضِحٌ بِغَيْرِ خَفَاءَ
/ ١٨٣أ/ مَا زُلْزِلَتْ بَغْدَادُ بَلْ مِنْ عَدْلِه ... طَرِبَتْ فَقَدْ رَقَصَتْ مِنَ السَّرَّاءَ
إِذْ كَانَ مَا زَعَمُوا فَغَيْرُ مَلُومَةٍ ... شَوْقاً إِلَى ذِي العِزَّةِ القَعْسَاءَ
هَذَا الجَمَالُ فَكَيْفَ بِالمُهَجِ الَّتِي ... أَحْيَيْتَهَا بِالأَمْنِ وَالنَّعْمَاءَ
فَاسْلَمْ عَلَى الإِسْلَامِ وَابْقَ مُخَلَّداً ... مَا كَرَّ إِصْبَاحٌ وَرَاءَ مَسَاءَ

[٨٢١]

مُحَمَّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ أميّةَ بنِ عليِّ بنِ خلفٍ، أبو عبدِ الله العبدريُّ.

من أهل مَيُورْقة من بلاد الأندلس(١).

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (ميورقة).

شاب أشقر قصير، من حفّاظ القرآن العزيز، زعم أنَّه درس صدراً من علم العربية وأتقنه. نزل حلب واستوطنها يسترزق من الوراقة والنسخ؛ وذكر أنَّه ولد سنة عشر وستمائة، ويقول الشعر.

أنشدني لنفسه بحلب، وكتبه لي بخطه في سنة أربعين وستمائة: [من الكامل]

عُجْ بالكَثِيبِ المُسْتَهَامِ وَسِرْبِهِ ... مُتَيَمِّمًا نَحْوَ العَقِيقِ وَسِرْبِهِ
وَأنْشُدْ فُؤَاداً ضَلَّ فِيهِ وَقُلْ لَهُمْ ... لَيْسَ المُتَيَّمُ آمِنًا فِي سِرْبِهِ
وَاسْفَحْ بِسَفْحِ الأبْرَقَيْنِ وَتُرْبِهِ ... سُحُبَ الدُّمُوعِ عَلَى تَشَتُّتِ تُرْبِهِ
/١٨٣ب/ فَلَعَلَّهُ يَقْضِي لُبَانَةَ نَفْسِهِ ... مِنْ قَبْلِ أنْ يَقْضِي بِلَوْعَةِ حُبِّهِ
يَا مُدْنَفًا عَبِثَ السَّقَامُ بِجِسْمِهِ ... وَمُتَيَّمًا لَعِبَ الغَرَامُ بِلُبِّهِ
وَطَوَى السُّرُورَ لِبَيْنِهِمْ يَوْمَ النَّوَى ... طَيَّ الأدِيبِ اللَّوْذَعِيِّ لِكُتْبِهِ
خَفِّضْ فَدَيْتُكَ زَفْرَةً أبْدَيْتَهَا ... وَتَلافَ جَفْنَكَ مِنْ إسَالَةِ غَرْبِهِ
كَيْ لا يُقَالُ مِنَ الصَّبَابَةِ قَدْ صَبَا ... وَتَضَرَّمَتْ حُرَقُ الجَوَى فِي خِلْبِهِ[1]
وَمُهَفْهَفٍ مَلَكَ القُلُوبَ بِحُسْنِهِ ... وَسَبَى العُقُولَ بِغُنْجِهِ وَبِعُجْبِهِ
لُدْنُ المَعَاطِفِ كَالقَضِيبِ إذَا انْثَنَى ... حُلْوُ المَرَاشِفِ وَالمُقَبَّلِ عَذْبُهُ
سَلِسُ المَقَالِ مِنَ اللَّطَافَةِ سَهْلُهُ ... عَسِرُ الوِصَالِ مِنَ القَطِيعَةِ صَعْبُهُ
يَقْرِي المُعَنَّى سَلْوَةً وَتَجَهُّمًا ... وَيَظَلُّ يُعْمِلُ فِكْرَهُ فِي خَلْبِهِ[2]
أهْدَى السَّقَامَ لِجِسْمِهِ وَلِطَرْفِهِ ... فَرْطُ السُّهَادِ وَصَدَّهُ عَنْ قُرْبِهِ
يَا لائِمَ الصَّبِّ الشَّجِيِّ بِحُبِّهِ ... أقْصِرْ بُلِيتَ بِدَائِهِ مِنْ عَتْبِهِ
شَتَّانَ بَيْنَكُمَا تَبِيتُ مُنَعَّمًا ... وَيَبِيتُ مُلْتَهِبَ الحَشَا مِنْ كَرْبِهِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

سَلامٌ يُبَارِي المِسْكَ وَالمَنْدَلَ الرَّطْبَا ... وَنَشْرُ نَسِيمِ الرَّوْضِ عَنْ . . . . هَبَّا
عَلَيْكُمْ يَبُثُّ الشَّوْقَ مِنِّي إلَيْكُمُ ... وَيَمْنَحُكُمْ مَحْضَ المَوَدَّةِ وَالقُرْبَا
/١٨٤أ/ تَحِيَّةَ نَائِي الدَّارِ فَالأهْلِ مَا قَضَى ... لَهُ وَطَرًا لَكِنْ قَضَى نَحْبَهُ نَحْبَا

---

(١) الخلْب: غشاء القلب والكبد.
(٢) الخَلْب: الخداع بلطف الكلام.

يَحِـنُّ إِذَا هَـبَّ النَّسِيـمُ صَبَـابَـةً ... إِلَيْكُـمْ وَسَـلَّ البَـرْقُ مِـنْ وَمْضِهِ عَضْبَـا
وَيَسْتَنْجِـدُ الصَّبْـرَ الجَمِيْـلَ إِذَا جَـرَىٰ ... حَـدِيْثُكُـمُ يَـوْمـاً فَهَـاجَ لَـهُ كَـرْبَـا
لَعَمْـرِيَ مَـا تَـأْخِيـرُ كُتْبِـيَ عَـنْ قِلًـى ... وَلاَ مَلَـلٍ مِنِّـي فَـأَسْتَـوْجِـبُ العَتْبَـا
وَلَكِـنَّ رَيْـبَ الـدَّهْـرِ يَـا صَاحِ مُـوْلَـعٌ ... بِتَشْتِيـتِ شَمْـلِ المَـرْءِ تَبّـاً لَـهُ تَبّـا
تُطَـوِّحُـهُ أَيْـدِي النَّـوَىٰ عَـنْ .... فَتَـرْمِـي بِـهِ شَـرْقـاً وَطَـوْراً بِـهِ غَـرْبـا
لَحَـا اللهُ مَـنْ لاَ يَقْبَـلُ العُـذْرَ مِـنْ أَخٍ ... وَيُـوْسِعُـهُ عَفْـواً وَإِنْ قَـارَفَ الـذَّنْبَـا
عَلَيْكُـمْ سَـلاَمُ اللهِ مَـا جَـنَّ غَـاسِـقٌ ... وَمَـا حَـنَّ شَـوْقـاً عَـاشِـقٌ أَوْ رَعَـىٰ الشُّهْبَـا
وَمَـا شَـرَّقَـتْ شَمْـسُ النَّهَـارِ وَأَشْـرَقَـتْ ... وَمَا صَدَّ أَحْوَىٰ الطَّرْفِ عَنْ مُدْنَفٍ عُجْبَا

وله أيضًا: [من الطويل]

أَتَـمَّ مُحَيّـاً نَجْتَلِـي وَجْـهَ أَغْيَـدٍ ... وَأَحْلَـىٰ حَـدِيْـثٍ لاَ يُمَـلُّ عِتَـابُـهُ
وَأَحْسَـنَ زَهْـرٍ يُجْتَنَـى وَرْدُ خَـدِّهِ ... وَأَعْـذَبَ وِرْدٍ يُسْتَلَـذُّ رُضَـابُـهُ

وله أيضًا: [من الطويل]

خَلِيْلَـيَّ لُـوْمَـا فِـي الهَـوَىٰ الصَّـبَّ أَوْ دَعَـا ... فَلَيْـسَ وَإِنْ عَنَّفْتُمَـا عَنْـهُ مُقْلِعَـا
وَهَـلْ يَـرْعَـوِيْ فِـيْ الحُـبِّ حَـرَّانُ قَـدْ غَـدَا ... مِـنَ الـوَجْـدِ لاَ يُصْغِـيْ إِلَـىٰ العَـذْلِ مَسْمَعَـا
/ ١٨٤ب/ وَهَـلْ يَسْتَطِيْـعُ الـوَالِـهُ الصَّـبُّ سَلْـوَةً ... وَقَـدْ بَـانَ مَـنْ يَهْـوَاهُ عَنْـهُ وَوَدَّعَـا
وَأَوْدَعَ مَـا بَيْـنَ الجَـوَانِـحِ جَـذْوَةً ... فَصَـرَّمَهَـا دَاعِـيْ التَّفَـرُّقِ إِذْ دَعَـا
وَقَلْقَـلَ أَحْشَـاءَ المُتَيَّـمِ لَـوْعَـةً ... فَـأَصْبَـحَ مَـذْعُـوْراً الفُـؤَادِ مُفَجَّعَـا
يَهِيْـمُ.... العُـذَيْـبِ إِذَا سَـرَىٰ ... نَسِيْـمٌ عَلَيْـكَ مِنْهُـمُ فَتَضَـوَّعَـا
تُمَـازِجُـهُ أَنْفَـاسُهُـمْ فَكَـأَنَّمَـا ... تَحَمَّـلَ مِسْكـاً أَذْفَـراً فِيْـهِ مُـوْدَعَـا

[٨٢٢]

مُحَمَّدُ بنُ سالم بن مطر بن حمّود بن سالم بن مطر بن مسلم، أبو عبد الله القُبَيْصِيُّ الموصليُّ.

من أهل القُبَيصَة، وهي قريةٌ من قرايا الموصل شرقيَّها(١).

---

(١) انظر معجم البلدان/ مادة (القبيصة).

نزل حلب، وسكن بعض مدارسها، متفقهًا وجاد خاطره بالشعر، وقال منه كثيراً، وسلك فيه مذهبًا حسنًا في صناعته.

أنشدني منه جملة وافرة، ومما أنشدني قوله بحلب سنة أربعين وستمائة:

[من الكامل]

لَوْ كَانَ لِي جَفْنٌ يُلِمُّ بِهِ الكَرَىٰ	لَرَجَوْتُ أَنْ أَلْقَىٰ الخَيَالَ إِذَا سَرَىٰ
لَكِنْ قَضَىٰ مَنْ لاَ أُعَرِّضُ خِيفَةَ الـ	ـوَاشِي بِذِكْرِ جَمَالِهِ أَنْ أَسْهَرَا
رَشَأٌ يَصُولُ مِنَ الجُفُونِ بِأَبْيَضٍ	وَيَهُزُّ مِنْ لَدْنِ المَعَاطِفِ أَسْمَرَا
/ ١٨٥أ/ نَزَلَتْ بِآيَةِ حُسْنِهِ سُوَرُ الجَوَىٰ	تُتْلَىٰ بِأَلْفَاظِ الغَرَامِ عَلَىٰ الوَرَىٰ
لِي فِيهِ جَفْنٌ مَا تَأَلَّقَ بَارِقٌ	لِلبَيْنِ مِنْ مَغْنَاهُ إِلاَّ أَمْطَرَا
أَضْحَىٰ لِمَنْصُورِ الجَمَالِ يَدٌ عَلَىٰ	سَفَّاحِهِ فَلِذَاكَ يُغْدِقُ جَعْفَرَا[١]
لَولا	يَا عَاذِلِي مِنِّي الطُّلُولُ كَمَا تَرَىٰ
وَلَمَا أَبَاحَ لِيَ الوُلُوعُ مِنَ الأَسَىٰ	فِي مَذْهَبِ الوَجْدِ النَّصِيبَ الأَوْفَرَا
وَسَفَحْتُ فِي سَفْحِ اللِّوَىٰ دَمْعًا مَتَىٰ	حُرَقًا جَرَىٰ ذِكْرُ العَقِيقِ لَهُ جَرَىٰ
وَإِذَا شَكَكْتَ فَخُذْ حَدِيثَ كَآبَتِي	مِنْ عَبْرَتِي فَحَدِيثُهَا لاَ يُفْتَرَىٰ
أَغَرِيبَ ذَاكَ الحَيِّ بَرْحُ صَبَابَتِي	بِكُمُ أُنَزِّهُ سِرَّهُ أَنْ يُنْشَرَا
أَيُضَامُ قَلْبُ الصَّبِّ وَهْوَ نَزِيلُكُمْ	وَيُصَدُّ عَنْهُ وَشِيمَةُ العَرَبِ القِرَىٰ
أَحْبَابَنَا حَاشَىٰ حِفَاظَ مَوَدَّتِي	لَكُمُ بِطُولِ البُعْدِ أَنْ يَتَغَيَّرَا
أَحْسَنْتُ ظَنِّي فِي الهَوَىٰ بِجَمَالِكُمْ	فَسَوَاءٌ جُرْتُمْ أَوْ عَدَلْتُمْ لاَ أَرَىٰ
وَإِلَىٰ سِوَاكُمْ لاَ شَكَوْتُ صَبَابَتِي	فِي الدَّهْرِ طُولَ عَاذِلِي أَو قَصَّرَا

وأنشدني أيضًا لنفسه، من قصيدة يمدح بها الملك الصالح أحمد بن الملك الظاهر / ١٨٥ب/ غيّاث الدين غازي بن يوسف: [من الرجز]

لَوْ صَدَقَتْ بِوَعْدِهِ وُعُودُهُ	لَمَا وَفَىٰ بِهَجْرِهِ وَعِيدُهُ
بَدْرُ دُجًى فَتَّرَ عَنْ مُؤَشَّرٍ	شِفَاءُ دَاءِ صَبِّهِ بَرُودُهُ[٢]

---

(١) الجعفر: النهر.

(٢) التأشير: تحزز الأسنان خلقة.

لِلْغُصْنِ مِنْ أَعْطَافِهِ شَمَائِلُ ... وَلِلْغَزَالِ طَرْفُهُ وَجِيدُهُ
يُشْرِقُ صُبْحُ الحُسْنِ مِنْ جَبِينِهِ ... إِذَا بَدَا وَيُجْتَلَى عَمُودُهُ
لَهُ بَدِيعُ مُهْجَتِي خَمِيلَةٌ ... وَفِي فُؤَادِي لَوْعَتِي زَرُودُهُ
لَوْلاَ فُتُورُ لَحْظِهِ مَا خَضَعَتْ ... يَوْمًا لآرَامِ النَّقَا أُسُودُهُ
بَرَّحَ بِي فِي حُبِّهِ رَقِيبُهُ ... وَصَدَّ عَنْ جَفْنِيَ الكَرَى عَتِيدُهُ
أَضْحَى لِطَرْفِي بُرُوقُ هَجْرِهِ ... سحائب يُحْسِنُها رُعُودُهُ
وَكَيْفَ يُرْجَى قُرْبُهُ وَلِلنَّوَى ... حَوَادِثٌ عَنْ قُرْبِهِ تَذُودُهُ
عَلَيَّ مِنْ عُرُوضِ بَحْرِ حُبِّهِ ... دَائِرَةٌ أَسْبَابُهَا صُدُودُهُ
فَوَافِرُ الصَّبْرِ الَّذِي ادَّخَرْتُهُ ... لِهَجْرِهِ قَطَّعَهُ مَدِيدُهُ
يَا كَعْبَةَ الحُسْنِ الَّذِي لِلَحْظِهِ ... مُهَنَّدٌ شَاهِدُهُ شَهِيدُهُ
وَحَدَّكَ القَلْبُ فَدَارَ لَوْعَةً ... بِغَيْرِ مَعْنَاكَ وَلاَ سجوده
وَقَلْبُ صَبٍّ كُلَّمَا نَازَعَهُ ... العَاذِلُ فِي سُلُوِّهِ يَزِيدُهُ(١)
/ ١٨٦أ/ كَالمَلِكِ الصَّالِحِ مَا عَذَلْتُهُ ... عَلَى النَّدَى إِلاَّ وَزَادَ جُودُهُ
مَلْكٌ سَجَايَاهُ عَلَى مَكَانَةٍ ... إِذَا ادَّعَى فَضِيلَةً شُهُودُهُ
يَحْمِي حِمَى مَجْلِسِهِ طَارِفُهُ ... وَيَتَّقِي عَنْهُ الرَّدَى تَلِيدُهُ
فَالنَّصْرُ حَيْثُ تُبْتَلَى جُيُوشُهُ ... وَالعِزُّ حَيْثُ تُجْتَلَى بُنُودُهُ
إِكْسِيرُهُ لِلْكِيمِيَاءِ ذِكْرُهُ ... وَالجُودُ مِنْ رَاحَتِهِ تَصْعِيدُهُ

وأنشدني لنفسه، يمدح المولىٰ الصاحب الوزير العالم مؤيد الدين أبا نصر إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم الشيباني ـ أدام الله توفيقه وتسديده ـ : [من الخفيف]

أَيُّهَا الصَّاحِبُ الَّذِي فَضْلُهُ البَا ... هِرُ بَيْنَ الأَنَامِ لاَ يُسْتَطَاعُ
وَالَّذِي لَمْ يَزَلْ بِذِكْرِ مَسَاعِيـ ... ـهِ جَلاَلاً تُشَنَّفُ الأَسْمَاعُ
لتباطيك المنيع نَوَالٌ ... لَيْسَ فِيهِ عَنِ العُفَاةِ امْتِنَاعُ
جَمَعَ المَجْدَ بِشْرُهُ بِالعَطَايَا ... فَعَلَى سَعْدِ نَشْرِهِ الإِجْمَاعُ
أَرْوَعٌ يَنْثُرُ . . . . بِنَظْمِ الجَزْمِ ... إِذْ لَدُنْهُ القَوِيمُ اليَرَاعُ

(١) بعد هذا تبدأ الأوراق المكتوبة بخط المؤلف ـ في أغلب الظن ـ.

وَلَكِـــــمْ .... القـراع الـرقـاع
/ ١٨٦ب/ فَمَسَاعِيهِ لَيْسَ فِيْهَا إِذَا نُوْ زِعَ فِـيْ المَكْـرُمَـاتِ قَـوْمٌ نِـزَاع
وَلَعَمْرِيْ لَـوْلاَ نَـدَاكَ لَمَا قَـا مَ لِشَرْعِ السَّمَاحِ يَوْماً شِرَاعُ
أَيُّهَا الصَّاحِبُ الوَزِيْرُ وَمَنْ يَصْـ ـرِفُ بِالعَدْلِ كُلَّ خَطْبٍ يُطَاعُ
وَالَّذِيْ لَمْ يَزَلْ بِهِ لِجَنَابِ الـ ـمُلْكِ عِزٌّ مُذْ سَاسَهُ وَارْتِفَاعُ
بِيْ إِلَى لَثْمِ ثَغْرِ ظِلِّكَ شَوْقٌ أَبَداً تَسْتَفِزُّهُ الأَطْمَاعُ
حَرَمٌ حَجُّهُ عَلَى أَرَبِيْ فَرْ ضٌ وَسَعْيِيْ إِلَيْهِ فِيْهِ انْتِفَاعُ
وَمَدِيْحِيْ إِنْ صُغْتُ عِقْدَ ثَنَائِيْ لِسِوَى جِيْدِهِ الأَثِيْلِ الضَّيَاعُ

وأنشدني لنفسه فيه أيضًا يمدحه : [من مجزوء الكامل]

يَا غَائِباً وَخَيَالُهُ فِيْ القَلْبِ مِنِّيْ حَاضِرُ
وَمُهَفْهَفاً أُنْسِيْ بِهِ وَهُوَ الغَزَالُ النَّافِرُ
أَشْكُوْ إِلَيْكَ هَوًى بِهِ رَبْعُ التَّجَلُّدِ دَاثِرُ
وَجَوًى أَقَامَ بِمُهْجَتِيْ وَلَهُ فُؤَادِيْ طَائِرُ
وَأَمَا وَخَدٍّ وَرْدُهُ يَحْمِيْهِ طَرْفٌ سَاحِرُ
وَبِنَظْمِ ثَغْرٍ دُرُّهُ لِعَقِيْقِ دَمْعِيْ نَاثِرُ
إِنَّ الغَرَامَ كَمَا عَهِدْ تَ وَفَوْقَ مَا أَنَا ذَاكِرُ
/ ١٨٧أ/ وَعَلَيَّ عَامِلُ قَدِّكَ الـ ـلَّدْنُ المُثَقَّفُ نَاظِرُ
يَا هَاجِرِيْ رِفْقاً بِمَنْ هُوَ فِيْ حِمَاكَ مُهَاجِرُ
لِجَمَالِ وَجْهِكَ فِيْ النَّوَى سُلْطَانُ حُسْنٍ قَاهِرُ
مَا لِلْصَبَابَةِ أَوَّلٌ أَلْيَوْمَ هَجْرُكَ آخِرُ
وَنَهَى العَذُوْلُ وَكَيْفَ وَالـ ـوَجْدُ المُبَرِّحُ آمِرُ
يَا رَاقِداً لِيْ نَاظِرٌ سَاهٍ لِبُعْدِكَ سَاهِرُ
صَبٌّ جَوَاهُ وَصَبْرُهُ وَافٍ عَلَيْكَ وَغَادِرُ
يَا مَنْ شَمَائِلُهُ عَلَى قَتْلِ المُحِبِّ تُظَافِرُ
لَيْلِيْ مَدِيْدٌ مُذْ هَجَرْ تَ وَفَرْطُ شَوْقِيْ وَافِرُ
أَنَا لاَ أَخَافُ إِذَا أَلَمَّ بِحَادِثٍ وَأُحَاذِرُ

وَمُؤَيَّدُ الدِّيْنِ الوَزِيـ ـرُ لِكَسْرِ قَلْبِيَ جَابِرُ
مَوْلَى سَحَابُ نَوَالِهِ هَامِي المَآثِرِ هَامِرُ
مَنْ بِشْرُهُ فِيْ كُلِّ وَجْـ ـهٍ لِلْمَقَاصِدِ ظَاهِرُ
وَبِهِ أُطَارِحُ فِيْ السَّمَا حِ ذَوِيْ العُلاَ وَأُنَاظِرُ
وَلِمَجْدِهِ فِيْ كُلِّ نَا حِيَةٍ حَدِيْثٌ سَائِرُ

/١٨٧ب/ وأنشدني لنفسه، في رجل شيعي المذهب، غال في التشيع، من أهل الحلة المزيدية، وردَ حلب، وأقبلوا عليه الشيعة، وتعصبوا له، فظهر يومًا منه في حقّ الصحابة كلام قبيح، فأخذه صاحب الأمر يومئذ، فشهره وأركبه حماراً، وصفعه وطيف به في المدينة، فقال في ذلك أبو عبد الله محمد بن سالم: [من السريع]

قُلْ لِذَوِيْ الرَّفْضِ وَأَشْيَاعِهِمْ يَا ذَا العُلاَ قَوْلَ فَتًى مِثْلِيْ
لاَ تُظْهِرُوا فِيْ حَلَبٍ فِتْنَةً وَيْحَكُمُ عُوْدُوا عَنِ الجَهْلِ
وَمَيِّزُوا الأَمْرَ بِطَرْفِ النُّهَى فَفَرْعُ ذَا الأَمْرِ بِلاَ أَصْلِ
وَإِنْ أَبَوْا مِنْ بَعْدِ ذَا نُصْحَهُمْ قَدْ سَمِعُوا مَا حَلَّ بِالحِلِّيْ

وأنشدني لنفسه أيضًا من غزل قصيدة أولها: [من الرمل]

خُذْ أَحَادِيْثَ الهَوَى العُذْرِيِّ عَنِّي فَلِوَجْدِيْ فِيْهِ يُرْوَى كُلُّ فَنِّ
وَإِذَا كَرَّرَ أَنَّاتِ الأَسَى بِلِسَانِ الدَّمْعِ جَفْنِيْ لاَ تَلُمْنِيْ
/١٨٨أ/ إِنْ ثَنَاكَ العَذْلُ عَنْ بُرْحِ الجَوَى يَا فُؤَادِيْ سَلْوَةً مَا أَنْتَ مِنِّيْ
أَيُّهَا اللاَّئِمِيْ نُصْحًا فِيْ الهَوَى أَنَا لاَ أَقْبَلُ نُصْحَ اللَّوْمِ دَعْنِيْ
وَإِذَا كُنْتَ مُعِيْنِيْ رَحْمَةً فَعَلَى الأَطْلاَلِ بِالدَّمْعِ أَعِنِّي
بِيْ جَوًى يَا حَبَّذَا فِيْهِ الضَّنَى وَالهَوَى أَعْذَبُهُ مَا كَانَ يُضْنِيْ
أَوَمَا هَاتِيْكَ أَعْلاَمُ النَّقَا فَإِذَا لَمْ أَبْكِهَا مَا عُذْرُ جَفْنِيْ
يَا غَزَالَ الجِزْعِ مِنْ سَفْحِ اللِّوَى هَاتِ حَدِّثْنَا عَنِ الظَّبْيِ الأَغَنِّ
وَاحْكِهِ لَحْظًا وَإِنْ فَاتَكَ مِنْ قَدِّهِ مُعْتَدِلاً ذَاكَ التَّثَنِّيْ
أَيُّهَا الشَّاكِيْ تَجَنِّيْ إِلْفِهِ فِيْ الهَوَى أَهْوَنُ مَا عِنْدِيْ التَّجَنِّيْ
كُلَّمَا زَادَ جَمَالاً قَاتِلِيْ قُلْتُ: يَا بَاعِثَ فَرْطِ الشَّوْقِ زِدْنِيْ!
وَعَلَى البَانِ حَمَامٌ كُلَّمَا بَاتَ يَدْعُو إِلْفَهُ، جَدَّدَ حُزْنِيْ

يَـدعـي مَـا أدَّعـي وَاعَجَبـا ... منْـهُ إذْ أبكـي غـرامـاً وَيُغَنّـي!

وأنشدني أيضًا لنفسه، في صبيّ يُعرف بالماءورد؛ فحضر عند صديق، وأنفذ خلفه، وقال: قُم إلىٰ الماءورد فهو يستدعيك؛ فعمل أبو عبد الله بديهة مع الرسول هذه الأبيات: [من المديد]

/ ١٨٨أ/ أيُّهـا المَـولَـىٰ الشِّهَـابُ وَمَـنْ ... ذكـرُهُ بيْـنَ الـوَرَىٰ سَـارِيْ
وَالّـذِيْ لَـوْلا مكَـارمُـهُ مَـا ... حَلَـتْ فـيْ الـدَّهْـر أشْعـارِيْ
أخْـرِجِ المَـاوِرْدَ عَنْـكَ فَمَـا ... تَصْطلـيْ يَـا ذَا العُـلاَ نَـارِيْ
وَاغْتَنِـمْ شُكْـرِيْ عُـلاَكَ فَفِـيْ ... تَـرْكِ شُكْـرِيْ غَـايَـةُ العَـارِ
لاَ يُـرَىٰ المَـاوَرْدُ فِـيْ بَلَـدٍ ... قَـطُّ إلاَّ عِنْـدَ عَطَّـارِ

وأنشدني أيضًا لنفسه، في غلام خيّاط، كان يعشقه شخص، وكان أبو عبد الله يطبّب العاشق: [من مجزوء الرمل]

أيُّهَـا الغَـائِـبُ عَنِّـيْ ... وَهْـوَ فِـيْ دَارَة قَلْبِـيْ
وَالّـذِيْ لاَ أتَمَنَّـىٰ ... غَيْـرَ أنْ يُحْيِيْـهِ رَبِّـيْ
لَـكَ مِنِّـيْ خَيْـرُ خِـلٍّ ... رَاحَ فِـيْ بُعْـدٍ وَقُـرْبِ
وَاقِفـاً فِـيْ كُـلِّ حَـالِ ... كَيْـفَ مَـا تَـدْعُـو يُلَبِّـيْ
وَالّـذِيْ أنْصَـحُ مَـوْلاَيَ بِـهِ ... مِـنْ دُوْنِ صَحْبِـيْ
إنَّ عِنْـدِيْ لَـكَ مَـا ... يُغْنِيْـكَ عَـنْ أكْـلٍ وَشُـرْبِ
غُصْـنُ بَـانٍ بَـدْرُ تَـمٍّ ... طَـالِـعٌ مِـنْ تَحْـتِ شَـرْبِ
/ ١٨٩أ/ أنْـتَ ذُو جِسْـمٍ عَلِيْـلٍ ... وَفُـؤَادٍ فِيْـهِ صَـبِّ
وَأنَـا يَـا غَـايَتِـيْ القُصْـ ... ـوَىٰ كَمَـا تَعْـرِفُ طِبِّـيْ
وَسِـوَىٰ ذَا أنَّ مَـنْ تَهْـ ... ـوَاهُ عِنْـدِيْ وَبِجَنْبِـيْ

وأنشدني من شعره، يمدح القاضي كمال الدين أبا بكر أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الأسدي، قاضي حلب: [من مخلّع البسيط]

مَـوْلاَيَ قَـاضِـيْ القُضَـاةِ يَـا مَـنْ ... خِـدْمَتُـهُ أشْـرَفُ المَعَـالِـيْ
وَمَـنْ نَـدَاهُ بِكُـلِّ حَـالِ ... وَجَـاهُـهُ دَائِمـاً مَعَـا لِـيْ

أُنْظُــرْ فــدَاكَ الأَنَــامُ طُــرّاً … مِــنْ جَـوْرِ دَهْـرِيْ فِـيْ أَمْـرِ حَـالـيْ
عَسَــاهُ يُمْسِــيْ يَــا ذَا المَعَــالـيْ … بِعقْــدِ [هــذا] السَّمَــاحِ حَــالـيْ
يَــا مَــاجِــداً لَــمْ يَــدُرْ يَمِيْنــاً … بِمَــدْحَــةٍ غَيْــرُهُ بِبَــالـيْ
أَرِفْ بِنُعْمَــاكَ ثَــوْبَ صَبْــرٍ … مِنِّــيْ عَلَــىٰ النَّــائِبَــاتِ بَــالـيْ
[وَفُــزْ بِحَمْــدٍ كَــالمِسْــكِ عَــرْفــاً … مِــنْ عَبْــدِكَ الشَّــاكِــرِ المُــوَالـيْ][1]
وَهَكَــذَا لَــمْ تَــزَلْ لِعلْمِــيْ … تَقْصِــدُ سَــادَاتُهَــا المَــوَالـيْ
يَــا مَــنْ نَــدَاهُ فِــيْ كُــلِّ يَــوْمٍ … يُشَيِّــرُ نَحْــوِيْ عَلَــىٰ التَّــوَالـيْ
لَــوْ شِئْــتُ أَلْــوِيَ الــزَّمَــانَ عَنِّــيْ … بِكَــفِّ نُعْمَــاكَ لا لِتَــوَى لِـي
/ ١٨٩ب/ أَصْبَحَ مِنْ عَدْلِكَ البَرَايَا … دَامَ لَــكَ العِــزُّ فِــيْ ظِــلَالِ
وَلَيْــسَ يَخْشَــىٰ مَــنْ رَاحَ يُهْــدَى … بِــأَحْمَــدٍ وقْفَــةَ الضَّــلَالِ
حَسْبِــيْ أَنِّــيْ أَتَيْــتُ أَرْجُــو … كَمَــالَ حَظِّــيْ مِــنَ الكَمَــالِ
وَرَاجِيــاً أَنْ يَمُــوْتَ غَيْظــاً … حَــاسِــدُ فَضْلِــيْ أَسَــىٰ كَمَــالـيْ

وأنعمَ علي بهذه الأبيات، قالها حين سمع إنني قد أنزلته في كتابي هذا، وأثنيت عليه، فسيرها إليّ: [من الخفيف]

يَــا فُــلَانَ الــدِّيْــنِ الَّــذِيْ سَــادَ إِذْ شَــا … دَ لأَهْــلِ القَــرِيْــضِ رُكْــنَ المَعَــالـيْ
وَالَّــذِيْ شَــاعَ ذِكْــرُهُ العَــذْبُ إِذْ صَــا … غَ لَهُــمْ مَــا غَــدَا بِــهِ الفَضْــلُ حَــالـيْ
أَيُّ نَحْــرٍ خَــلَا لِغَــادَةِ بَحْــرٍ … مِــنْ مَعَــانٍ قَلَّــدْتَــهُ كَــاللآلـيْ
بِمَسَــاعٍ قَــدْ أَعْجَــزَتْ كُــلَّ سَــاعٍ … وَمَعَــالٍ مِــنْ دُوْنِهَــا كُــلُّ عَــالـيْ
غَبَّــرَتْ حِيْــنَ حُبِّــرَتْ حُلَــلَ الآ … دَابِ فِــيْ أَوْجُــهِ العُصُــوْرِ الخَــوَالـيْ
يَــا أَجَــلَّ الأَنَــامِ طُــرّاً مَحَــلاً … وَأَجَــلَّ الأَنَــامِ فِــيْ الإِجْــلَالِ
كَــانَ ثَغْــرُ القَــرِيْــضِ لَــولاكَ تنغــور … المَبَــانِــيْ وَبَــالُ بَــانِيْــهِ بَــالـيْ
وَلَعَمْــرِيْ مَــا الــرَّوْضُ رَاضَتْــهُ أَيْــدِيْ الـ … ـمُــزْنِ جُــوْداً بِــالــوَابِــلِ الهَطَّــالِ
/ ١٩٠أ/ بَيْــنَ دَوْحٍ عَلَيْــهِ لِلْــوُرْقِ نَــوْحٌ … وَظِــلَالٍ مَشْفُــوْعَــةٍ بِظِــلَالِ
وَنَسِيْــمُ الصَّبَــا يَهُــزُّ قُــدُوْدَ الـ … ـبَــانِ تِيْــهَ الصِّبَــا بِكَــفِّ الــدَّلَالِ

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

يَــرْقُــصُ الــدَّوْحُ كُلَّمــا صَفَّــقَ الـ ـمَــاءُ بِهَــا فــي الغُــدُوِّ وَالآصَــال
كَطُــــرُوس رَقَّمْتَهـــا بسُطُـــوْر الـ ـحَمْــد فــيْ وَجْنَــة العُــلاَ للجَمَــالَ
مِـــنْ كتَـــاب جَمَعْـــتَ فيْـــه مـــنَ الآ داب رُوْحَ الألْبَـــاب لُـــبَّ المَقَـــال
نَصَبتُـــهُ نعمَـــاكَ كَعْبَـــةَ ذكْـــر للْمَعَـــالـــي عَلَـــى مَمَـــرِّ اللَّيَـــالـــيْ
فَعلَيْـــه صَـــلاَةُ كُـــلِّ صَـــلاَةٍ وَإلَيْـــه تَـــوَجُّـــهُ الآمَـــال
ولَـــهُ تَسْجُـــدُ التَّصَـــانيْـــفُ مـــنْ مَـــذْ هَـــب أهْـــل القَـــرِيْـــض فـــيْ كُـــلِّ حَـــالَ
سيَّمَـــا كُلَّمـــا تَـــلاَ النَّـــاسُ آيَـــا ت مَعَـــانيْـــه فـــيْ مَجَـــال جـــدَال
وَلَعَمْـــريْ . . . . لـــلأرْوَع الأبـ ـــرَع يَـــوْمـــاً إلَيـــه شَـــدُّ الـــرِّحَـــال
وَقَـــرِيْـــبٌ كَمَـــالُـــهُ فِـــيْ مَعَـــانيْـ ـــه إذا كَـــانَ نَشْـــوَ ذكْـــر الكَمَـــال

[٨٢٣]

مُحَمَّدُ بنُ عبد الكافي بنِ الياسِ بن محمودِ بنِ عبدِ الملك، أبو عبد الله البغَداديُّ(١).

قال الوزير الصاحب أبو البركات المستوفي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: كان أبوه خازن دار الكتب ببغداد، وعزل عنها. ورد إربل في صفر سنة ثمان وعشرين وستمائة؛ / ١٩٠ب/ شاب ربعة يعظ. سألته عن مولده، فقال: ولدتُ في يومِ الخميس ثامن صفر سنة ثلاث وستمائة.

ثم قال أنشدني لنفسه يتغزل: [من الخفيف]

صَـــادَ قَلْبِـــيْ وَزَادَ فِـــيْ بَلْـــوَاهُ وَجَفَـــانِـــيْ مُهَفْهَـــفٌ أهْـــوَاهُ
خَنِـــثُ الـــدَّلِّ أهْيَـــفُ القَـــدِّ مَيَّـــا سُ بَـــديْـــعُ الجَمَـــال عَـــذْبٌ لُمَـــاهُ
سَـــاحِـــرُ الطَّـــرْف لاَ يَـــرِقُّ لصَـــبٍّ فَتَنَتْـــهُ بحُسْنهَـــا عَيْنَـــاهُ
وَمَـــرِيْـــض يُحبُّـــهُ كُـــلُّ آسيْـــه وَفـــيْ آس عَـــارضَيْـــه شفَـــاهُ
قَـــدُّهُ الـــذَّابِـــلُ الـــرَّشيْـــقُ وَعَيْنَـــا هُ سهَـــامٌ تُصْمـــيْ الَّـــذيْ يَهْـــوَاهُ
يَتَثَنَّـــىٰ، فَيَثْنِـــيْ عَـــزْمَ سُلَـــوا نـــيْ وَيَـــأبَـــىٰ إلاّ لَـــهُ وَرِضَـــاهُ

---

(١) توفي بعد سنة ٦٢٨هـ. ترجمته في: تأريخ إربل ١/ ٤٣٤ وعنه نقلها ابن الشعّار.

عَقْدُ سِحْرِ الجُفُونِ حَلَّ اْصْطِبَارِيْ عَنْ سُلُوِّيْ فَلَمْ أُحُلْ عَنْ هَوَاهُ
خَانَ عَهْدِيْ فَوَاصَلَتْ عَبَرَاتِيْ آه مِنْ هَجْرِه وَطُوْلِ جَفَاهُ
فَدَوَائِي لَثْمُ المَرَاشِفِ مِنْهُ وَشِفَائِي فِيْمَا حَوَتْ شَفَتَاهُ(١)

[٨٢٤]

مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللطيفِ بنِ أبي الفتحِ بنِ أبي نصرٍ، أبو عبدِ اللهِ التبريزيُّ(٢).

ويكتب في نسبته: «النثري ذو البيانين» لتعاطيه نوع المنثور دون المنظوم.

أخبرني أنه ولد بتبريز /١٩١أ/ سنة أربع وسبعين وخمسمائة. وشدا طرفًا من العلم في صباه، واعتنىٰ بصناعة النثر، وتعاطي الكلام المسجوع والقرائن. وكان يتبع الكلمة بما وازنها ويلحقها بأُختها، تشبهًا بطريقة وطواط الكاتب، فيما كان يُنْشئه؛ غير أنه يبين فيما يعمله تكلُّفٌ وركاكة؛ للزومه الأسلوب الذي يتوخاه، وله شعر بارد، وكان ذا هوس شديد في الطلسمات والنجوم.

نزل الموصل وسكنها مُدة طويلة، وانضاف إلىٰ خدمة بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله، وأجرىٰ عليه رزقًا، وصار أحد ندمائه وجلسائه؛ ثم فارَق خدمته وسافر إلىٰ بلاد الشام، ونزل حلب، وأقام بها مُديدة، وعاد إلىٰ الموصل، فمكث بها شهوراً، وتوفي في ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وستمائة.

وكان رجلاً مفوَّهًا بالكلام، ذا فصاحة في لسانه، هذّاراً لسنًا، حسن المنطق، عذب الإيراد، يتشدق في إنشاده. وكان مليح الشكل، نظيف البِزَّة، جميل الهيأة.

ومن شعره ما أنشدني لنفسه بالموصل، يمدح بدر الدين أبا الفضائل لؤلؤ بن عبد الله ـ صاحب الموصل ـ: [من الطويل]

نَسِيْمَ الصَّبَا عُجْ بِالخِيَامِ رَسُوْلَا تَجِدْ عِنْدَهَا بَرْدَ الحَيَاةِ وَسُوْلَا

---

(١) القطعة من تأريخ إربل ١/ ٤٣٤ قوامها ١٠ أبيات، حذف منها صاحب القلائد البيت التاسع وهو:
«آه مِنْ خَصْرِ ومِنْ خَصْرِ فِيَّ فِيهِ صَادا قلبي وزادا عَنَاهُ»

(٢) تقدّم جزء من هذه الترجمة مكرراً في هذا الجزء برقم ٧٤٥.

/١٩١ب/ وَحَيِّي مَلِيكَ الأَرْضِ تَحْظَ بِقُرْبِهِ تَنَلْ غُرَراً مِنْ جُودِهِ وَحُجُولاَ
تَأَنَّ إِذَا بَادَرْتَ نَحْوَ جَنَابِهِ وَعَرِّجْ بِرِفْقٍ لاَ يَرَاكَ عَجُولاَ
وَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَعْتَضِدْ بِجَلاَلِهِ أَفَادَكَ شَوْبُ الحَادِثَاتِ ذُبُولاَ
وَجَانِبْ مُلُوكَ الأَرْضِ عِنْدَ لِقَائِهِ فَأَخْلاَقُهُ لِلْمَكْرُمَاتِ هَيُولَى
تَرَ العَدْلَ وَالإِحْسَانَ وَالعِزَّ وَالعُلاَ جَنَائِبَهُ فِي سَيْرِهِ وَخُيُولاَ
مَلِيكٌ إِذَا مَا جِئْتَ تَطْلُبُ رِفْدَهُ أَفَاضَ مِنَ النُّعْمَى عَلَيْكَ سُيُولاَ
مِنَ النَّفَرِ البِيْضِ الَّذِيْنَ بِرَأْيِهِمْ يَجُرُّوْنَ فَوْقَ الكَائِنَاتِ ذُيُوْلاَ
هُوَ البَدْرُ وَالعَلْيَاءُ تَحْوِيْ مَنَازِلاً وَحِشْمَتُهُ فِيهَا تَحُلُّ حُلُولاَ
أَرَى الدَّهْرَ لَمَّا أَنْ أَرَانَا بِعَادَهُ أَحَلَّ بِنَا رَيْبَ الزَّمَانِ غُلُوْلاَ
فَصِرْنَا فُرُوْعاً لاَ بَقَاءَ لِذَاتِنَا كَقُضْبَانٍ بَانٍ قَدْ فَقَدْنَ أُصُوْلاَ
أَلاَ بُحْ بِأَشْوَاقِي وَكَرِّرْ مَدَائِحِي وَبَلِّغْ دُعَائِي دَائِماً وَفُضُولا
فَلَوْ سَامَحَ الدَّهْرُ [الخَؤُوْنُ] بِنَظْرَةٍ وَصَلْتُ إِلَى ذَاكَ الجَنَابِ وُصُوْلاَ
وَهَنَّأْتُ مَوْلَى العَالَمِيْنَ مُبَشِّراً بِفَتْحٍ جَدِيْدٍ أَوْ لَكُنْتُ أُصُوْلاَ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من السريع]

مَالَكَ لاَ تَبْكِي بِدَمْعٍ هَتُوْنْ قَدْ كَسَّرَ المَوْتُ مُتُوْنَ المُتُوْنْ
/١٩٢أ/ إِذْ قَالَ جِبْرِيْلُ وَهُمْ صَامِتُوْنْ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَهُمْ مَيِّتُوْنْ

وأنشدني كثيراً من أشعاره، وعلقت منها جملة، إلاّ أنني استبردتها، وهذه نُبَذ من نثره الذي كان يستعمله، ما كتبه إلىٰ شهاب الدين طغكين بحلَب:

«عبد ولائه، عند بلائه، وهجير لأْوائه، يستجير بلوائه، وينتمي إلىٰ كرمه الغامر، ويحتمي بحرمه العامر، شاكراً سُنَنَه، ذاكراً سَنَنه. ويشتهي أن ينتهي بالصعود إلىٰ السُّعود، بالإرتقاء إلىٰ اللقاء، وبالحركة إلىٰ البركة، ويفوه بما ألفُوه من الثناء في الأثناء، علىٰ عُلَا خلاله وجلاله ـ صانه الله كما زانه الإله ـ، مُعرّضًا عن التثقيل، متعرّضًا بما قيل:

[من الطويل]

خُذُوْنِي رَخِيصاً بِاحْتِيَاجِي إِلَيْكُمُ وَيُرْخَصُ عِنْدَ الإِحْتِيَاجِ مَبِيْعُ
وَمَا أَنَا إِلاَّ المِسْكُ ضَاعَ فَعِنْدَكُمْ يَضُوْعُ وَعِنْدَ الأَرْذَلِيْنَ يَضِيْعُ

لازال لهُزال الآمال بالمال مسمّنًا، وفي النزال للرجال عن الآجال مُؤمنًا، والسلام».

وله إلىٰ المهذّب نائب المستوفي بالرّوم:

/ ١٩٢ب/ «الخادم القادم، يُنادم الولاء، ويُصادم البلاء، بقدومه علىٰ عُلا مخدومه، مع أنه جمع أنه، لائذٌ بحرمه، عائذٌ بكرمه، متكفلٌ لولائه، متطفلٌ علىٰ عليائه، ناشرٌ سناه، ناثرٌ ثناه، ذاكرٌ نجده، شاكرٌ مجده، حافظٌ على الدعاء، لاقطٌ للإدعاء، جائلٌ في الأرجاء، قائلٌ بالرجاء:

[من المتقارب]

إذَا أُمَّنِـــي حَـــادثٌ كَـــارِثٌ ... فَلَيْـــسَ مَـــلاَذِيْ ســـوَىٰ بَـــابِـــه
وَذَاكَ لأَنَّ المَعَـــالِـــيْ إذَا ... أُتِيْحَـــتْ حَلَلْـــنَ بِـــأَلْبَـــابِـــه

لا زال لهُزال الآمال، كعبة الأعمال، علىٰ الإجمال، بمحمد وآله خير الآل».

وله يرثي بعض الجهات:

«أما ترىٰ إلىٰ هذه الرزيَّة المكدّرة، وما جرىٰ لهذه الرضيَّة المخدَّرة، رجعت القهقرى، وأضجعت في الثرىٰ، . . . . واحتجبت بالتُّراب عن الأتراب».

وله من فصل طويل يقول منه:

«يا ثمال الفصحاء، ويا جمال النصحاء، حيّاكم الله، وبيّاكم الإله! . قد تقرّر في الأذهان، وتحرّر بالبرهان؛ أن الطول والعُلا، والحولَ والاستيلاء، للعلي. . . . الأزلي، يفيدُ ويبيدُ ويعيدُ، ويفعل / ١٩٣أ/ الله ما يشاء ويحكم ما يريد».

يقول منه:

«الملك المعظم، والأتابك الأعظم، الملك القاهر، والفلك الزاهر؛ عز الدين، وكنز الخدين، الليث الحامي، والغيث الهامي، والنور اللامع، والسور الجامع، كورة الفطنة، وباكورة السلطنة، سليل السيادة، وأكليل السعادة، نور حدقة الوجود، حُشاشة البرية، وبشاشة الرعيّة. بدر سماء دين المعالي، قدر سيمـا جبيـن الـلآلـي، مهَّـدَ الله قـواعـد دولتـه، وتعهـد الإلـه

سواعد صولته، ما نُثر مقول، وبُعثر معقول، وعسعس الديجورُ، وتنفس المهجور».

وله كثيرٌ من هذا الجنس.

[٨٢٥]

مُحَمَّدُ بنُ عبدِ المحسنِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ القُرشيُّ، أبو عبدِ الله.

من أهلِ مصر.

كانت ولادته بها، في سنة ثلاث وستمائة تقريبًا.

قرأ القُرآن العزيز علىٰ جماعة من المشايخ بالقدس، وجوّد القراءات بدمشق، ويلزم نفسه بالرياضة والمجاهدة، ويسلك مسلك أولي المعارف، وذوي الأحوال، ويسافر علىٰ قدم التجريد، ويؤثر العُزلة عن الناس، /١٩٣ب/ والإنفراد بنفسه والخلوة، لا يختار مخالطتهم ومُعاشرتهم، وفي معظم أوقاته يُرىٰ منقبضًا منهم، متجنبًا عن لقائهم، يبقىٰ الخمسة والستة الأيام، لا يتناول فيها طعامًا ولا شرابًا البتة؛ وهو قائم بذات نفسه، ويروِّضُها بالجوع، ومنع الشهوات، وخشونة الملبس. ولم يزل تلك الأيام في صلاة وفي تسبيح، وذكر لله تعالىٰ، فاكتسب بهذه الرياضة؛ ضيق العطن، وإساءة الخُلُق، وجفاءً الطبع، وفراغ الرأس.

ويخطرُ له خاطر في الشعر؛ فينظم منه عدّة مقطعات، ثم يتراءىٰ له في تلك الحال، فيأخذه فيمزقه ويغسله، ولم يظهر منه شيئًا أصلاً؛ لكوهنة تعتريه، وسوداء تغلب عليه.

شاهدته بحلب في محرم سنة خمس وخمسمائة، وسألته أنْ يملي عليّ شيئًا من أشعاره، فامتنع ساعةً، وأملىٰ علي منها، وكتبته عنه، فمن ذلك ما أنشدني لنفسه:

[من الكامل]

نَحْوِيْ سَرَتْ كُلُّ المَسَرَّةِ فَاعْلَمُوا ... مَنْ وَاصَلَ المَحْبُوْبَ فَهْوَ مُنَعَّمُ
عِنْدِيْ أَقَامَ الحُبُّ أَجْمَعُ كُلُّهُ ... فَلَهُ بِصَدْرِيْ مَنْزِلٌ وَمُخَيَّمُ
وَمُنَازَلَاتٌ عِنْدَهُنَّ مَظَاهِرٌ ... فِيْهَا مَقَامَاتٌ تُجَلُّ وَتُكْرَمُ
/١٩٤أ/ أَصْبَحْتُ مَا بَيْنَ الأَنَامِ مُنَكَّراً ... مُتَخَفِّيًا مُتجلببًا لا أُفْهَمُ

وَاصَلْتُهُمْ فَقَطَعْتُهُمْ وَعَرَفْتُهُمْ فَحَجَبْتُهُمْ عَنِّي وَمِثْلِي يَكْتُمُ
مَا الزُّهْدُ وَالتَّسْبِيحُ فَقْرٌ خَالِصٌ كَلاَّ وَلاَ عُرْيٌ كَأَنَّكَ مُحرِمُ
مَا الفَقْرُ قَوْلٌ لاَ وَلاَ هُوَ صُورَةٌ بَلْ ذَاكَ أَعْلَى أَنْ يُحَدَّ وَأَعْظَمُ
سِرٌّ أَرَقُّ مِنَ النَّسِيمِ لَطَافَةً حَرْفٌ عَلَى كُلِّ البَرِيَّةِ يُعْجَمُ
كَمْ عَابِدٍ مُتَقَشِّفٍ وَمُسَهَّدٍ وَهُمُ الأَجَانِبُ مَا إِلَيْهِ تَقَدَّمُوا

وأنشدني لنفسه في ذم الهوى: [من الطويل]

أَرَى الحُبَّ لاَ يَحْلُو مَذَاقًا وَلاَ يُجْدِي وَغَيْرَ العَنَا لِلْوَالِهِ الصَّبِّ لاَ يُبْدِي
أَلاَ لاَ رَعَى اللهُ الهَوَى وَلَكَمْ هَوًى بِصَبٍّ صَحِيحِ الوُدِّ مُتَّصِلِ العَهْدِ
وَنَاصِرُ دِينِ الحُبِّ بِالمَدْحِ إِنَّهُ لَيَهْذِي وَلاَ يَهْدِي إِلَى سُبُلِ الرُّشْدِ
أَمِنْ بَاتَ مَفْتُونًا وَأَصْبَحَ وَالِهًا وَعَاشَ حَزِينًا فِي الرَّخَاءِ عَنِ الجُهْدِ
فَيَا مَادِحًا عَيْشَ المُحِبِّينَ إِنَّمَا تُغَرُّ وَإِلاَّ ذُقْهُ تَظْفَرْ بِمَا يُرْدِي
فَلَيْتَ الهَوَى لَمْ تجرِ فِي فِيهِ سُنَّةٌ فَلَمْ أَجْنِ غَيْرَ الضُّرِّ وَالصَّدِّ وَالكَدِّ
أَبِيتُ عَلَى جَمْرِ الغَضَا مُتَقَلْقِلاً وَأُصْبِحُ مِنْ نَارِ الصَّبَابَةِ فِي وَقْدِ
فَمِنْ نَوْحِيَ الوَرْقَاءُ أَبْدَتْ نِيَاحَةً وَمِنْ زَفَرَاتِي أُودِعَ النَّارُ فِي الزَّنْدِ
/ ١٩٤ب/ وَلَكِنَّ ذَا مَعْنًى وَذَلِكَ صُورَةٌ فَمِنْ أَجْلِ ذَا يَخْفَى وَشَاهِدُهُ عِنْدِي
حَنِينٌ أَنِينٌ حُرْقَةٌ زَفْرَةٌ جَوًى غَرَامٌ شُجُونٌ زَادَ عَنْ غَايَةِ الحَدِّ
فَأَخْبَارُ وَصْلِ الحُبِّ لاَ عِلْمَ لِي بِهَا وَإِقْرَاءُ صُحْفِ الهَجْرِ بِالشَّدِّ وَالمَدِّ
وَلاَ ذَنْبَ لِلْمَحْبُوبِ فِي ذَاكَ كُلِّهِ بَلِ الحُكْمُ لِلأَقْدَارِ تَجْرِي عَلَى عَمْدِ
تُذِلُّ عَزِيزًا تَأْنَفُ الذُّلَّ نَفْسُهُ وَتَتْرُكُ حُرَّ القَوْمِ يَخْضَعُ كَالعَبْدِ
أَلاَ فَرَجٌ يُرْجَى، أَلاَ سَلْوَةٌ تُرَى إِلَى كَمْ كَذَا مَالِي وَلِلْهَجْرِ وَالصَّدِّ

ومما قاله أيضًا: [من الخفيف]

عَفِّرِ الخَدَّ بِالتُّرَابِ ذَلِيلاً إِنْ تُرِدْ لِلْوِصَالِ حَقًّا وُصُولاَ
وَالْهُ بِاللَّهْوِ عَنْ مَلاَهِي أُنَاسٍ نَبَذُوا العَهْدَ وَاسْتَحَبُّوا البَدِيلاَ
وَتَجَافَ الجَفَا لِخِلِّ التَّخَلِّي عَنْ سِوَى سَاحَةِ الغَرَامِ مَقِيلاَ
وَاشْرَبِ الكَأْسَ مِنْ يَدَيْ مَنْ يُعَاطِيـ ـكَ سُلاَفًا ـ تنزهان تَحَوُّلاَ
ثُمَّ خُذْهَا صِرْفًا بِغَيْرِ مِزَاجٍ وَاقْبَلِ النُّصْحَ قَدْ وَجَدْتَ الدَّلِيلاَ

وَاغْتَبِقْهَا ثُمَّ اصْطَبِحْهَا وَبَاكِرْ ... قَبْلَ دَاعِي الفَلَاحِ رَاحًا شَمُولَا

ثُمَّ جُلْ فِي فُنُونِ حُبِّكَ فَرْداً ... لَا تُصَافِي مُفَنِّداً أَوْ عَذُولَا

وَأَقْرَ عَمَّا تَرَاهُ مِمَّا سَيَفْنَى ... وَتَأَمَّلْ تَرَ الوَرَى مُسْتَحِيلَا

/ ١٩٥أ/ هَوِّنِ الهُوْنَ وَاطَّرِحْ طَمَحَ النَّفْـ ... ـسِ إِلَى عِزِّهَا لِتُدْعَى خَلِيلَا

لَا تَخَفْ إِنْ ذَلَلْتَ فِي الحُبِّ وَاصْبِرْ ... إِنَّمَا العِزُّ أَنْ تُرَاكَ ذَلِيلَا

وَتَهَتَّكْ بِحُبِّ مَنْ أَنْتَ مُغْرًى ... بِهَوَاهُ عَسَاهُ يشفِي الغَلِيلَا

دَعْ دَوَاعِي السُّلُوِّ إِنْ طَالَ هَجْرٌ ... لَسْتَ بِالصَّبِّ إِنْ أَردتَ بَدِيلَا

مُتْ مُعَنًّى وَعِشْ فَقِيراً حَقِيراً ... مِنْ سِوَى عَثْرَةِ الهَوَى مُسْتَقِيلَا

وقال أيضًا: [من الرمل]

قَالَتِ النَّفْسُ: أَنَا عَاشِقَةٌ ... قُلْتُ: مَنْ؟ قَالَتْ: لِمَنْ أَسْقَمَنِي

قُلْتُ: فَالمُسْقِمُ مَنْ يَعْشَقُهُ؟ ... لَيْسَ بِالمَحْبُوبِ مَنْ آلَمَنِي

قَالَتْ: السُّقْمُ رِضَائِي لَذَّ لِي ... أَرْتَضِيهِ حَبَّذَا مَنْ سَكَنِ

قُلْتُ: تَخْتَارِي البَلَى طَالِعَةً؟ ... لَيْسَ ذَا مِنْ فِعْلِ أَهْلِ الفِطَنِ

فَأَجَابَتْ: يَا مُعَنَّى إِنَّنِي ... أَنَا أَدْرَى بِالَّذِي تَيَّمَنِي

لَا أُطِيقُ الصَّبْرَ دَعْنِي وَالهَوَى ... يَشْتَفِي مِنِّي وَيُضْنِي بَدَنِي

كَمْ إِلَى كَمْ نَتَمَنَّى رَاحَةً ... مِنْ عَنَاءِ الحُبِّ وَالعُمْرُ فَنِي

مُسْتَحِيلٌ أَنْ تُرَى فِي رَاحَةٍ ... مُسْتَرِيحَ البَالِ مِنْ ذَا الشَّجَنِ

وَاسْأَلْ عَنْ سَلْوَةِ قَلْبٍ مُغْرَمٍ ... صَادِقٍ فِي حُبِّهِ مُؤْتَمَنِ

/ ١٩٥ب/ أَنَا لَا أَسْلُوهُ مُذْ نَادَمَنِي ... وَسَقَانِي مَا بِهِ أَسْكَرَنِي

خَلِّنِي مِنْ ذِكْرِ أَخْبَارِ الأُلَى ... وَاتْلُ آيَاتِ الهَوَى فِي أُذُنِي

وَإِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تُطْرِبَنِي ... رَدِّدِ اللَّحْنَ بِيَاجَانَ مَنِي(١)

فَهْوَ جَانِي وَجَنَانِي وَالمُنَى ... جَانَ يَا رُسْتَ مِنْ يَارَمَنِي

---

(١) بياجان من: كلمة فارسية معناها: تعال يا روحي.

[٨٢٦]
مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ عيسى بنِ دِرْباسٍ، أبو حامدٍ المارانيُّ(١).

كان والدُهُ يتولّى القضاء بالديار المصرية، وقاضي قضاتها، يُكنى أبا القاسم. وكانت ولادته بالمروج من إربل.

وابنه هذا أبو حامد مصري المولد والمنشأ؛ فقيه عالم أديب شاعر. وكان شابًا ضريراً، مليح الشعر، حسن الغزل، ومنه قوله: [من الطويل]

أَقَدُّكَ أَمْ غُصْنٌ مِنَ البَانِ يَخْتَالُ ... وَرِدْفُكَ أَمْ دِعْصٌ مِنَ الرَّمْلِ يَنْهَالُ
وَثَغْرُكَ أَمْ دُرٌّ تَنَظَّمَ سِلْكُهُ ... يَجُولُ عَلَيْهِ مِنْ رُضَابِكَ سَلْسَالُ
وَلَيْلُ دُجًى أَمْ فَاحِمُ الشَّعْرِ مُسْبَلُ ... وَوَجْهُكَ أَمْ بَدْرٌ لَهُ الدَّهْرَ إِكْمَالُ
وَطَابَعُ مِسْكٍ فِي تَوَقُّدِ وَجْنَةٍ ... يَلُوحُ لِعَيْنِي مِنْكَ فِي الخَدِّ أَمْ خَالُ
شُغِلْتَ بِتَعْذِيبِ القُلُوبِ صَبَابَةً ... فَأَشْغَلَهَا مِنْ فَرْطِ حُبِّكَ أَشْغَالُ
/١٩٦أ/ تَدُلُّكَ أَنْفَاسِي عَلَى أَنَّ فِي الحَشَا ... لِنَارِ غَرَامِي وَالصَّبَابَةِ إِشْعَالُ
فَلَا تَحْسَبُوا أَنَّ العِذَارَ بِخَدِّهِ ... وَلَكِنَّهُ مِنْ حَاكِمِ الحُسْنِ أَشْغَالُ
يُعَنِّفُنِي مَنْ لَيْسَ يُجْدِي مَلَامُهُ ... وَيَعْذُلُنِي فِي مُؤْلِمِ الوَجْدِ عُذَّالُ
لَقَدْ كَثَّرُوا لِي فِي المَلَامِ وَطَوَّلُوا ... وَقَالُوا وَلَكِنْ لَسْتُ أَقْبَلُ مَا قَالُوا
وَكَيْفَ اسْتِمَاعُ العَذْلِ فِي قَمَرِ الدُّجَى ... وَمَنْ يَرْتَضِي مِنْهُ . . . .
فَلَا يَطْمَعِ العُذَّالُ إِذْ مَرِضَى الهَوَى ... بِبُرْءٍ، فَمَا يُرْجَى مِنَ الحُبِّ إِبْلَالُ

[٨٢٧]
مُحَمَّدُ بنُ عبدِ المنعمِ بنِ مُحَمَّدٍ، أبو عبدِ الله الخيميُّ(٢).

---

(١) في هامش الأصل: «توفي في خامس شوال سنة تسع وخمسين وستمائة بالقاهرة، ومولده شهر ربيع الأول سنة سبعين وخمسمائة».
ترجمته في: الوافي بالوفيات ٤/ ٤٣.

(٢) محمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف بن أحمد الأنصاري، أبو عبد الله، شهاب الدين، ابن الخيمي، شاعر، أديب، يماني الأصل، ولد بمصر سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م، وتوفي فيها سنة=

من أهل مصر.

أنشدني الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الفقيه الحنفي المدرس ـ أسعده الله تعالىٰ ـ قال: أنشدني أبو عبد الله بن عبد المنعم الخيمي لنفسه:

[من الكامل]

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي كَرِيْمَ تَحِيَّتِي ... قَوْمِي بِجَرْعَاءِ العُذَيْبِ وَجِيْرَتِي
الذَّاهِبِيْنَ وَلَا اعْتِرَاضَ عَلَيْهِمُ ... بِحُشَاشَتِي وَالمُذْهِبِيْنَ بَقِيَّتِي
قَوْمٌ طَوَالَ الدَّهْرِ أَشْهَدُهُمْ مَعِي ... وَهُمُ بِأَعْلَىٰ حَاجِرٍ وَاحَيْرَتِي
أَصْبُو لِعِزِّ جَمَالِهِمْ وَإِلَىٰ لَذِيْـ ... ـذِ وِصَالِهِمْ يَا بُعْدَ مَرْمَىٰ صَبْوَتِي
وَأَصُدُّ عَنْهُمْ حَيْثُ كَانَ مُرَادُهُمْ ... بُعْدِي وَكُلِّي نَظْرَةُ المُتَلَفِّتِ
/١٩٦ب/ قَالُوا دَلَالًا حِيْنَ قُلْتُ مِنَ الجَفَا: ... قَدْ مُتُّ: مُتْ فَحَيِيْتُ إِذْ قَالُوا: مُتِ
مَنْ لِي بِهِمْ وَالدَّارُ غَيْرُ بَعِيْدَةَ ... مِنْ دَارِهِمْ وَالشَّمْلُ غَيْرُ مُشَتَّتِ
أَمُطَالِبِيَّ بِالصَّبْرِ وَالسُّلْوَانِ مَا ... تَ لَكَ البَقَا صَبْرِيْ الجَمِيْلُ وَسَلْوَتِي
إِنِّي مَلِيٌّ بِالغَرَامِ وَلَيْسَ لِيْ ... بِالصَّبْرِ عَنْ أَحْبَابِنَا مِنْ ذِمَّةِ
إِعْلَمْ بِأَنِّيْ فِيْ مَحَبَّتِهِمْ فَتًىٰ ... مَا حَالَ عَنْ عَهْدِ الغَرَامِ وَمَا فَتِيْ
وَبِأَنَّ وَجْدِيْ ذَلِكَ الوَجْدُ الَّذِيْ ... تَدْرُوْنَهُ وَصَبَابَتِيْ تِلْكَ الَّتِيْ

= ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م، له ديوان شعر نسخته في مكتبة فلورانس برقم ١٨٦، ونسخة أخرى في مكتبة الشيخ عباس بن حسن البلاغي النجفي. نشر قسماً منها الدكتور حسين علي محفوظ بعنوان «مختار ديوان ابن الخيمي» في مجلة كلية الآداب ـ جامعة بغداد ع١٣/ ١٩٧٠م، ص١٥٥ ـ ١٨٣.

ترجمته في: الوافي بالوفيات ٤/ ٥٠ ـ ٦١ رقم ١٥٠٨. وفيه: «توفي بالقاهرة سنة خمس وثمانين وستمائة». بدائع الزهور ج١/ ١/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦، وفيه: «شهاب الدين أحمد بن الخيمي». فوات الوفيات ٢/ ٤٥٨ ـ ٤٦٩. بروكلمان ـ التكملة ١/ ٤٦٦. شذرات الذهب ٥/ ٣٩٣. تاريخ ابن الفرات ٨/ ٤٢ ـ ٤٦. العبر ٥/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥. عيون التواريخ ٢١/ ٣٧٥ ـ ٣٨٦. تذكرة النبيه ١/ ١٠٦. نفح الطيب ٢/ ٦١٩. ذيل مرآة الزمان ٤/ ٣٠٠ ـ ٣٠٦. المختار من تأريخ ابن الجزري ٣١٩ ـ ٣٢٠. النجوم الزاهرة ٧/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٨١ ـ ٦٩٠) ص٢٣٦ ـ ٢٤٥ رقم ٣٤٤. البداية والنهاية ١٣/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩. السلوك ج/ ق٣/ ٧٣٣. حسن المحاضرة ١/ ٥٦٩ رقم ٦٨. نهاية الأرب ٣١/ ١٣٥ ـ ١٤٣. الدليل الشافي ٢/ ٦٤٩ رقم ٢٢٣٣. المقفى الكبير للمقريزي ٦/ ١٤٣ ـ ١٤٤ رقم ٢٦٠٢. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٧٥. ذيل التقييد ١/ ١٦٧ ـ ١٦٨ رقم ٢٩٤. مسالك الأبصار ـ خ ـ ١٨/ ورقة ١٩٥. عقد الجمان ٢/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧.

مَا خَانَهُمْ كَلَفِي القَدِيْمُ وَلاَ وَفَى ... صَبْرِي وَلَمْ تَتَعَدَّهُمْ أُمْنِيَتِي
إنْ شِئْتَ تَعْرِفُ صَنْعَةَ الحُبِّ الَّتِي ... صَحَّتْ بِهِ حَالِي وَحَالَتْ صِحَّتِي
فَانْظُرْ لأحْمَرِ أدْمُعِي وَلأصْفَرِ ... مِنْ وَجْنَتِي وَلأبيَضٍ فِي لِمَّتِي
وَاعْلَمْ عُلُوْمَ الوَجْدِ مِنْ حَالِي وَخُذْ ... خَبَرَ الغَرَامِ وَأهْلِهِ مِنْ سِيْرَتِي
فَيَقِلُّ إنْ نَسَبُوا إلَيَّ كُثَيِّرٌ[١] ... وَتَذِلُّ عَزَّةُ أنْ تُقَاسَ بِعِزَّتِي

[٨٢٨]

مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الوهّابِ بنِ أحمدَ بنِ عربيٍّ، أبو عبدِ الله الأديبُ النحويُّ.

من أهل دمشق.

كان عارفًا بالعربية والآداب، شاعراً له أشعار مستجادة في الحكم والمواعظ وغيرها من هذه الفنون.

أنشدني أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد / ١٩٧أ/ البرزالي الأشبيلي بحلب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ من لفظه، قال: أنشدني الأديب أبو عبد الله محمد بن عبد الوهّاب لنفسه: [من الكامل]

اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْزَمَانِ إذَا سَطَا ... وَاْقْعُدْ لَهُ فِي البُؤْسِ عِنْدَ قِيَامِهِ
وَإذَا سَقَاكَ الدَّهْرُ كَأْسًا مُرَّةً ... فَاصْبِرْ عَلَىٰ الضَّرَّاءِ مِنْ أحْكَامِهِ
بَيْنَا يَكُوْنُ المَرْءُ فِيْهِ مُحَيَّراً ... يَشْكُو الَّذِي يَلْقَاهُ مِنْ آلامِهِ
إذْ جَاءَهُ فَرَجُ الإلَهِ مُعَجَّلاً ... فَأرَاهُ مَا يَرْجُوْهُ مِنْ أيَّامِهِ

وأنشدني، قال: أنشدني محمد بن عبد الوهاب الدمشقي قوله: [من البسيط]

لاَ تَنْدَمَنَّ عَلَىٰ أمْرٍ أرَدْتَ بِهِ ... نَجَاحَ مَسْعَاكَ إنَّ الأمْرَ مَقْدُوْرُ
وَلاَ تَلُومَنَّ فِي تَأخِيْرِهِ بَشَراً ... فَالأمْرُ للهِ وَالإنْسَانُ مَأمُوْرُ

وأنشدني، قال: أنشدني أبو عبد الله من شعره: [من البسيط]

عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ أنْ يَسْعَىٰ لِرَاحَتِهِ ... وَمَا عَلَيْهِ بِأنْ يَجْرِي بِهِ القَدَرُ
كَمْ مِنْ فَتًى لَمْ يَنَمْ مَا نَالَ مَطْلَبَهُ ... وَنَائِمٍ نَالَ مَا يَرْجُو وَيَنْتَظِرُ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من الطويل]

/ ١٩٧ب/ عَلَيَّ بأنْ أسْعَىٰ لكَيْ أُدْرِكَ العُلاَ ... وَمَا عَلَيَّ إِذَا لَمْ يَنْجَحِ الطَّلَبُ

كَمْ مِنْ فَتًى نَائِمٍ تُقْضَىٰ مَآرِبُهُ ... وَسَاهِرٍ بَاتَ لاَ يُقْضَى لَهُ أَرَبُ

[٨٢٩]

مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ أبو عبدِ الله النحويُّ المَزدَغِيُّ الفَاسِيُّ.

يُنْسَبُ إلىٰ مزدغة، وهي قبيلةٌ من البربر.

كان أديبًا نحويًا فاضلاً، عارفًا بالأدب والعربية. قرأ علىٰ أبي ذرّ مصعب بن محمد الجيّاني، وأخذ علم الأصول عن أبي عبد الله بن الكتّاني الفاسي، وقرأ علم النحو علىٰ أبي القاسم بن زانيف، وتميّز في العلوم، وتصدّر لإفادتها، وكانت له يد طولىٰ في علم التفسير والقراءات والآداب وغير ذلك.

وله شعر حسن، ومنه ما أنشدني الصاحب الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الفقيه الحنفي ـ أيده الله تعالىٰ ـ قال: أنشدين عبيد الله بن يوسف المراكشي بسيواش، قال: انشدني أبو عبد الله بن علي المزدغي لنفسه، في أخوين؛ أحدهما جميل الصورة، والآخر أحدب طويل الساقين، كانا يحضران معنا الحلقة عنده: [من الكامل].

فِي أبنَيْ عَلِيٍّ إنْ نَظَرْتَ عَجَائِبٌ ... أَخَوَانِ ظَبْيٌ أَحْوَرٌ وَحَوَارُ

فَمِنَ الجَمَالِ بِوَجْهِ ذَاكَ مَحَاسِنٌ ... وَمِنَ الجَمَالِ بِظَهْرِ ذَا آثَارُ

[٨٣٠]

/ ١٩٨أ/ مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ بنِ عبدِ الله بنِ عمرَ، أبو عبدِ الله الأنصاريُّ[1].

من أهل الإسكندرية.

ذكره الصاحب الوزير أبو البركات المستوفي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في تاريخه،

(١) توفي بعد سنة ٦٢١هـ. ترجمته في: تأريخ إربل ١/ ٣٦٥.

وقال: شاب أسمر، قدم إِربل في شوال سنة إحدىٰ وعشرين وستمائة؛ وذكر لي أنَّه سمع الحديث بأُخَرة.

وأنشدني لنفسه في المُعمّىٰ: [من المقتضب]

تَيَّمَ القَلْبَ شَادِنٌ مِحْنَتي فيهِ زائِدَهْ
قُلْتُ: صِلْني، فَقَالَ لي: ضِدُّ عَكْسِ ابْنِ زَائِدَهْ[(١)]

قال: وأنشدني أيضًا لنفسه: ما كتبه إلي: [من الوافر]

عَسَىٰ عِيسَىٰ عَلَيَّ وَمَالَ عَنِّي وَمَا طَلَني بِتَرْكٍ وهْوَ يَسْنِي
وَمَالِي بَعْدَ هَذَا اليَوْمِ مُكْثٌ بِإرْبِلَ وَالسَّلامُ عَلَيْكَ مِنِّي[(٢)]

[٨٣١]

مُحَمَّدُ بنُ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ مُحَمَّدٍ أبو عبدِ اللهِ التميميُّ الشَّقَّانيُّ[(٣)].

من أهل حلب.

حدثني الصاحبُ الوزير أبو البركات المستوفي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ وقال: إمام عالم مشهور، يغشىٰ الأكابر، ويميلُ إلىٰ القول بعلوم الأوائل، أُغري بالكيمياء، /١٩٨ب/ وأنفق عليه جميع ما حصل له، ولم يصل منه إلىٰ طائل، عنده فضل وأدب وشعر. اجتمع بعلماء الموصل، وطلب أن يناظر من بها من أهل النحو، فاجتمعوا في حضرة الأتابك أبي الحارث أرسلان شاه بن مسعود صاحبها ـ رحمه الله ـ فلم يكن عنده ما يثبت دعواه. رأيتُه ولم آخذ عنه لكونه منسوبًا إلىٰ قلّة الدين.. هذا آخر كلامه.

وأخبرني الصاحب الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله الفقيه الحنفي المدرس بحلب ـ أيده الله تعالىٰ ـ قالَ: القاضي أبو عبد الله الشاقاني كان فاضلاً عارفًا بالفقه واللغة والنحو، وغير ذلك من العلوم، وسمع الحديث. وكانت ولادته بحلب

---

(١) البيتان في تأريخ إربل ١/ ٣٦٥.
(٢) البيتان في تأريخ إربل ١/ ٣٦٥.
(٣) ورد بنفس الترجمة تحت اسم «الشاقاني».

سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، وتوفي بسيواش في صفر سنة إحدى وعشرين وستمائة. وكان وجيهًا عند السلطان ملك الروم، وولي قضاء أقشهر، ثم قضاء سيواش.

ثم أنشدني، قال: أنبأني أبو عمرو عثمان بن الشاقاني، قال: أنشدني خالي أبو عبد الله الشاقاني لنفسه: [من الخفيف]

لَا تَلِنْ لِلْخُطُوبِ وَٱصْلُبْ فَمَنْ لَا نَ تَوَالَى عَلَيْهِ قَرْعُ الْخُطُوبْ

/ ١٩٩أ/ إِنَّ ضَرْبَ الْحَدِيدِ مَا كَانَ إِلَّا حَيْثُ أَبْدَى لِينًا بِحَرِّ اللَّهِيبْ

وقال أبو البركات المستوفي: نقلتُ من خطّ أبي عبد الله، وأجازني روايته أبياتًا، مدح بها الفقير إلى الله أبا سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين ـ رحمه الله تعالى ـ:

[من البسيط]

يَقُولُ صَحْبِي وَجَاءَ الزَّمْهَرِيرُ لَهُمْ فِي لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى حِلَّةَ الْحَضَرِ

قَدْ كَانَ يَبْلُغُنَا عَنْ سِيرَةِ الْمَلِكِ الْـ ـمُعَظَّمِ الشَّرَفُ الْأَعْلَى مِنَ السِّيَرِ

فَمَا وَعَيْنَا حَدِيثًا مِنْ مَكَارِمِهِ بِالسَّمْعِ إِلَّا وَعَايَنَّاهُ بِالْبَصَرِ

قال: وهي أبيات أكثر من ذلك.

ثم قال: ومن شعره، ما كتبه إلى أبي الحسين مُوسى بن الحسين بن موسى الكاتب الإربلي، يستشفع به، إلى الفقير إلى الله تعالى، مظفر الدين أبي سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين ـ رحمه الله تعالى ـ: [من الخفيف]

/ ١٩٩ب/ أَنْتَ مُوسَى الْكَلِيمُ رَبُّ الْيَدِ الْبَيْـ ـضَاءِ فِي الْإِصْطِنَاعِ لِلنَّاسِ جَمْعَا

فَإِذَا مَا حَصَلْتَ فِي طُورِ سِينَا فَاتَّخِذْ لِي عِنْدَ الْمُنَاجَاةِ صُنْعَا

فَالْفَتَى إِنْ أَرَادَ نَفْعَ صَدِيقٍ فَهْوَ يَدْرِي فِي شَأْنِهِ كَيْفَ يَسْعَى

قال: ثم أعقبها بكلام منثور، تركته خوفَ الإطالة.

[٨٣٢]

مُحَمَّدُ بنُ عليِّ بنِ أبي بكرٍ، أبو عبدِ اللهِ الجَمَّالُ القارئُ البغداديُّ المعروفُ بالنطوعيِّ.

أخبرني الصاحب الوزير أبو البركات المستوفي الإربلي بها ـ رضي الله عنه ـ

قال: ورد إربل في شوال سنة عشرين وستمائة، استظهر كتاب الله الكريم، وكان يقرأه صحيحًا قراءة مرضية، ثم تخبَّط عليه كما ذكر. وأخبر أنَّ جدّه كان جمّالاً في طريق مكّة وعُرفوا به، وكان لحانًا.

ثم أنشدني من شعره هذه القصيدة: [من مجزوء الكامل]

أفَلِلصَّبَابَةِ وَالشُّجُون ... نَوْحُ الحَمَامِ عَلَىٰ الغُصُون
أمْ لِلصَّبَاحِ وَلِلصِّبَا ... طَرَبًا يُغَرِّدُ بالفُنُوْنَ
وَالدِّيْكُ يَهْتِفُ لِلصَّبُوْح ... مُصَفِّقًا بَعْدَ السُّكُوْنَ
/٢٠٠أ/ وَيَقُولُ: حَيَّ عَلَىٰ السُّرُوْ ... رِ بغُرَّةِ الصُّبْحِ المُبِيْنِ

ومنها يقول:

فَأَعِنْ أخَاكَ عَلَىٰ المُدَا ... مَةِ وَالخَلاعَةِ وَالمُجُوْن
وَتَنَاوَلِ الأقْدَاحَ مِنْـ ... ـهُ بالشِّمَالِ وَبِاليَمِيْنِ
وَاشْرَبْ عَلَىٰ ضَوءِ الصَّبَا ... حِ المُسْتَنِيرِ المُسْتَبِيْنِ
حَمْرَاءَ كالمِصْبَاحِ يَمْـ ... ـحُو نُورُهَا ظُلَمَ الدُّجُوْنَ
تَسْبِي العُقُولَ بِشُرْبِهَا ... وَالسُّكْرُ أشْبَهُ بالجُنُوْنَ
أوَمَا تَرَىٰ الرَّاوُوْقَ يَبْـ ... ـكِيْهَا بِمَدْمَعِهِ الهَتُوْنَ
سَهْرَانَ كَالصَّبِّ الكَئِيـ ... ـبِ بعَيْدَ مَا بَيْنَ الجُفُوْنَ
قَدْ ألْجَأتُهُ إلَىٰ الصَّلِيْـ ... ـبِ فَدِيْنُهُ أبَدًا كَدِيْنِي

ومنها قوله:

ظَبْيٌ أرَاقَ دَمِي بِسَهْـ ... ـمِ لَوَاحِظٍ كَاللَّيْلِ جُوْن
عَذَرَ العَوَاذِلُ فِيْهِ حَتَّىٰ ... لَوْ سَلَوْتُ لَعَنَّفُوْنِي
بِتْنَا يُعَاطِيْنِي المُدَا ... مَ فَأشْتَكِيْهِ وَيَشْتَكِيْنِي
/٢٠٠ب/ فَكَأنَّهُ بِرُضَابِهِ ... مُزِجَتْ بِكَأسٍ مِنْ مَعِين
وَتَبَسَّمَتْ عَنْ ثَغْرِهِ ... حَبَبًا وَعَنْ دُرٍّ ثَمِيْن
وَحَكَتْهُ خَدًّا كَالشَّقِيـ ... ـقِ الغَضِّ فِي تَرَفٍ وَلِيْن
قُلْ لِلمُدَامِ الصِّرْفِ: دِيْـ ... ـنِي لِلْخَلاعَةِ وَاسْتَكِيْنِي

مَا السُّكْرُ إلاَّ للثُّغُوْ   رِ وَلِلْخُدُوْدِ وَلِلْعُيُوْنِ

[٨٣٣]

مُحَمَّدُ بنُ عليِّ بنِ بختيارَ الأميرُ، أبو الفضلِ الشربدارُ الموصليُّ.

كان قريبًا من أتابك نور الدين أبي الحارث أرسلان شاه بن مسعود بن مودود، صاحب الموصل، وولاّه الدزداريّة بقلعتها.

وكان رجلاً كافيًا جلداً ماهراً مُتيقظًا صارمًا علىٰ الفُسّاق والمفسدين، يظفر بالمفسد فيبطش به في الحال، ولا يُبقّيه. وكان ذا شهامة ونظر في الولاية وبعضٌ ما كان يرضىٰ سيرتَه، وينسبُهُ إلىٰ الظلم الفاحش، ومات في ذيّ الحجّة سنة خمس وستمائة بالموصل، ودُفن بها تجاه باب الميدان غربي المدينة ظاهرها.

صار إليَّ /٢٠١أ/ من شعره، يمدح الأتابك نور الدين أرسلان شاه بن مسعود، ويُهنيّه بالنيروز وذلك في سنة خمس وتسعين وخمسمائة: [من الخفيف]

قَصُرَ اللَّيْلُ حِيْنَ طَالَ النَّهَارُ   وَأَتَانَا بِجَيْشِهِ آذَارُ
وَبَكَتْ مُقْلَةُ السَّحَابِ عَلَيْهِ   فَتَغَنَّتْ عُجْبًا بِهَا الأَطْيَارُ
وَكَأَنَّ الزَّمَانَ مَدَّ عَلَىٰ الرَّوْ   ضَةِ ثَوْبًا طِرَازُهُ الأَنْهَارُ
نَسَجَتْهُ الأَنْوَاءُ فَاتَّضَحَتْ فِيْـ   ـهِ مَعَان أَطْمَارُهَا الأَمْطَارُ
فَهْوَ مِثْلُ العَرُوْسِ بِالزَّهْرِ لِلْدَهْـ   ـرِ عَلَيْهِ تَفْتَضُّهَا الأَبْصَارُ
لاَزَوَرْدِيَّةُ الثِّيَابِ وَشَتَّىٰ فِـ   ـيْهَا إِصْفِرَارٌ مُدَنَّرٌ وَاحْمِرَارُ
كُلَّمَا هَيْنَمَ النَّسِيْمُ عَلَيْهَا   نَمَّ بِالطِّيْبِ شِيْحُهَا وَالعَرَارُ
وَكَأَنِّيْ بِالجَوِّ إِذْ هَلَّ بِالطَّـ   ـلِّ إِلَيْهَا يَقُوْلُ: هَذَا نِثَارُ
وَكَأَنَّ الحَوْذَانَ قَالَ لِعُوْدِ الرَّ   نْدِ فِيْ كُلِّ نَفْحَة عَطَّارُ
فَتَبَاكَىٰ الأَنْوَاءُ فِيْهَا وَمَا تَضْـ   ـحَكُ إِلاَّ لأَنَّهَا أَبْكَارُ
وَكَأَنَّ القُمْرِيَّ قَطَّبَ إِذْ طَرَّ   بَ شَوْقًا عَلَىٰ الغُصُوْنِ الهَزَارُ
/٢٠١ب/ يَا لَيَالِيْ الوِصَالِ جَادَكِ مِنْ صَيِّبِ جَدْوَاكَ وَاكِفٌ مِدْرَارُ
هَلْ لِمَا فَاتَ عَوْدَةٌ خَبِّرِيْنَا   أَمْ رِدَاءُ الشَّبَابِ ثَوْبٌ مُعَارُ

وَحَبِيبٍ مُضَرَّجِ الخَدِّ سَاجِي الـ … طَرْفِ جَارَتْ مِنْهُ عَلَيْهِ العُقَارُ
رِيقُهُ خَمْرَةٌ، وَصُدْغَاه رَيْحَا … نٌ وَوَرْدُ الخُدُوْدِ مَاءٌ وَنَارُ
قَامَ يَسْعَىٰ فَعَلَّمَ الغُصْنَ حُسْنًا … بِمَحَلٍّ وَكَيْفَ تُجْنَىٰ الثِّمَارُ
عَلَّمَتْهُ أَجْفَانُهُ سِحْرَ هَارُوْ … تَ وَإِنِّي عَلَيْهِ مِنْهَا أُغَارُ
قِيلَ لِي: كَيْفَ نِمْتَ بَعْدَ تَجَافِيْـ … ـهِ وَنَوْمُ العُشَّاقِ فِي الحُبِّ عَارُ
قُلْتُ: لَا وَالوَفَاءِ لَكِنْ تَنَاعَسْـ … ـتُ لَطِيفٍ إِذْ عَزَّ مِنْهُ المَزَارُ

[٨٣٤]

مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ بنِ أبي شجاعٍ، أبو عبد الله الجامديُّ.

ينسب إلىٰ الجامدة من أعمال واسط(١). كان شيخها.

أنشدني أبو الحسن علي بن أبي منصور بن علي بن جرير الرُّصافي الواسطي بالموصل، قال: أنشدني أبو عبد الله الجامدي لنفسه: [من المتدارك]

دِمَنٌ مِنْ رَامَةَ فَالقُلُبِ … فَجُدَيْلَةَ فَلِخَةَ فَالكُثُبِ
فَالنَّعْفِ فَكَاظِمَةٍ فَالجَزْعِ … فَوَادِي الفَتَّةِ فَالهُضُبِ(٢)
/٢٠٢أ/ يَعْتَضْنَ بِرِيمِ البِيْدِ.... … عَنْ رِيمٍ كُنَّسٍ فِي الطُّنُبِ
غِيْدٍ هِيْفٍ خُمُصٍ نُزُفٍ … بِيْضٍ تُرُفٍ عُرُبٍ تُرُبِ
دُعُجٍ الأَحْدَاقِ سُوْدٍ الآمَاقِ … بِيْضٍ الأَعْنَاقِ حُمْرٍ الأُهُبِ
إِنْ مِسْنَ فَضَحْنَ غُصُوْنَ البَانِ … أَوْ مِلْنَ ضَحِكْنَ عَنِ الشَّنَبِ
فَكَأَنَّ مَبَاسِمَهُنَّ نَظَمْنَ … قَلَائِدَهُنَّ مِنَ الشُّهُبِ
وَكَأَنَّ مَرَاشِفَهُنَّ مُدَامٌ … شِيبَ وَأُمْزِجَ بِالضَّرَبِ

---

(١) انظر معجم البلدان/ مادة (الجامدة).

(٢) النعف: موضع ما بين الدوداء والمدينة.
كاظمة: موضع في طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان.
الجزع: عدة مواضع في نجد تسمى بهذا الاسم.
الهضب: عدة مواضع تسمى بهذا الاسم.
انظر: معجم البلدان/ المواد (النعف، كاظمة، الجزع، هضب).

[٨٣٥]
مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ بنِ أبي الفتوحِ بنِ عمرَ، أبو الفتحِ الحكيمُ القُرشيُّ(١).

من أهل دمشق.

أخبرني الصاحب الوزير أبو البركات المستوفي ـ رضي الله عنه ـ في تاريخه من لفظه ـ قال: أثنىٰ عليه المواصلةُ فيما كتبوا إليّ، وقالوا: إنَّه من السادة الأكابر الفضلاء الرؤساء العلماء، مشهور بالفضائل والفنون، قَريب عند السلاطين والملوك، محترم لديهم، مسموع الكلمة.

ورد الموصل، فمدح بها الملك القاهر عزّ الدين مسعود بن أرسلان شاه ـ رحمه الله ـ فأحسن جائزته وشرّفه، ثم قال: هذا لفظ ما كُتب إليّ من الموصل علىٰ يديه، ولم /٢٠٢ب/ يقدّر لي الإجتماع به، إلاّ أنّي رأيتُه مُجتازاً، فعرفته بما سبق عندي من صفته. وهو شاب حسنُ الصُورة والشمائل.

ورد إربل في العشر الوُسطىٰ من شهر رمضان من سنة ثمان وستمائة، ولم يقيِّض له المثول بخدمة الملك المُعظَّم أبي سعيد كوكبُوري بن علي بن بكتكين ـ رحمه الله تعالىٰ ـ وسافر في رابع عشريه، إلىٰ بلد العقر إلىٰ الملك المنصور زنكي بن أرسلان شاه أتابك ـ صاحب الموصل ـ ولم يقع إلي من شعره سوىٰ أبيات، سأله عملها إنسان موصلي فكتبها إليّ بخطّه علىٰ لسان الموصلي ـ وهو خطّ حسن ـ وهي: [من الطويل]

أَيَا شَرَفَ الدِّيْنِ الَّذيْ شَرُفَتْ بِهِ الـ ـمَنَاقِبُ فَانْقَادَتْ إلَيْهِ المَدَائِحُ
وَمَنْ ظَهَرتْ أَعْرَاقُهُ فَتَأَرَّجَتْ لِقُصَّادِهِ أَخْلاَقُهُ وَالمَنَائِحُ
شَرِبْتُ كُؤُوسًا مِنْ هَوَاكَ لَذيْذَةً فَقَلْبِي سَكْرَانٌ بِحُبِّكَ طَافِحُ
فَأَصْبَحْتُ لاَ أُثْنِي ثَنَائِي إلَى إمْرِىءٍ سِوَاكَ يَقِيْنًا إنَّ زَنْدِي قَادِحُ
وَأُقْسِمُ لَوْ حَاوَلْتُ أَكْتُمُ بَعْضَ مَا تَجُوْدُ بِهِ نَمَّتْ عَلَيَّ الجَوَانِحُ
وَإِنِّي غَادٍ عَنْ جَنَابِكَ شَاكِرٌ أَيَادِيْكَ يَا خَيْرَ الأَنَامِ وَرَائِحُ

---

(١) ترجمته في: تأريخ دنيسر ص١٩٩.

/٢٠٣أ/ أُبثُّ الَّذيْ أَوْلَيْتني مِنْ فَواضِل ... لأَنْعُمِهَا لسَانُ حَمْديَ مَادِحُ
فَإنْ تُحْيِي الرَّسْمِ بالرَّسْمِ تَجْنِ مِنْ ... غُصُونِ الثَّنَا مَا ثَمَّرَتْهُ القَرائِحُ

[٨٣٦]

مُحَمَّدُ بنُ عليِّ بن يُوسُفَ بنِ خمارتكينَ، أبو عبدِ الله الحلبيُّ، المعروفُ بابنِ المَحتسب.

لأنه تولّىٰ بحلب الحسبة مُدَّة(١).

ذكر لي، أنَّه ولد سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة. وخمارتكين جدُّه، كان حاجب الملك أبي المظفر رضوان بن تتش بن ألب أرسلان ـ سلطان حلب ـ ومن أخصّ حجابه؛ وأبو عبد الله يتولّىٰ التصرف. وقد تولّىٰ عمل غير عملٍ سلطاني، ويقول الشعر طبعًا.

أنشدني لنفسه مبدأ قصيد: [من الكامل]

مَا ضَرَّهُ لَوْ زَارَنِيْ مُتَكَتِّمًا ... فِيْ حِنْدس اللَّيْل البَهِيْم عَلَىٰ ظَمَا
رَشَأٌ تُحَاكِيْ السَّمْهَرِيةُ قَدَّهُ ... وَلحَاظُ عَيْنَيْهِ تُبَارِيْ الأَسْهُمَا
بَدْرٌ يُعِيْرُ الليلَ طُرَّةَ شَعْرِه ... وَيُغِيرُ ضَوْءُ جَبِيْنِهِ بَدْرَ السَّمَا
فِيْ خَدِّه وَرُضَابِهِ خَمْرٌ لَهَا ... إنْ نَقَّصَتْ فِعْلَ الْمُدَامَةِ تَمَّمَا
حَلَفَتْ لَوَاحِظُهُ بِأَنْ لا تَنْثَنِيْ ... عَنْ قَتْلَتِي أَفْدِيْ بِرُوْحِي الْمُقْسِمَا
أَضْنَىٰ وَظَنَّ بِأَنَّنِيْ أَسْلُوْ وَقَدْ ... أَضْحَىٰ السُّلُوُّ عَلَىٰ الْمُحِبِّ مُحَرَّمَا
وَجَنَىٰ عَلَيَّ فَجُنَّ وَجْدِيْ مِنْ جَنَىٰ ... شَفَتَيْهِ أَوْ أَلَمٍ إِلَىٰ ذاكَ اللَّمَا

/٢٠٣ب/ وأنشدني لنفسه، حين قدم المولىٰ الصاحب الوزير الصدر الكبير العالم السعيدُ مؤيد الدين أبو نصر إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم الشيباني ـ أدام الله عُلاه ـ من ميافارقين: [من البسيط]

عَادَ المُؤَيَّدُ بالتَأْيِيْدِ وَالظَّفَرِ ... وَجَاءَهُ النَّصْرُ يَسْعَىٰ سَعْيَ مُنْتَصِرِ

---

(١) في هامش الأصل: «قتل ببغداد في ذي القعدة». وفي هامش آخر «توفي في بغداد في العشرين من ذي القعدة. . . .».

وَأَقْبَلَتْ دَوْحَةُ الإِقْبَالِ يَانِعَةً ... تُومِي إِلَيْهِ بِأَكْمَامٍ مِنَ الثَّمَرِ
وَأَصْبَحَتْ رَوْضَةُ العَلْيَاءِ مُذْ هَطَلَ الـ ... ـحَيَاءُ مِنْ وَجْهِهِ تَخْتَالُ بِالزَّهَرِ
وَأَمْسَتِ الدَّوْلَةُ الغَرَّاءُ فِي حَلَبٍ ... بِقُرْبِهِ تَزْدَهِي فِي ثَوْبِهَا النَّضِرِ
مِنْ بَعْدِ مَا عَرِيَتْ دَهْراً مَحَاسِنُهَا ... وَشَابَهَا بَعْدَهُ نَوْعٌ مِنَ الضَّرَرِ
طَالَ اغْتِرَابُ بَنِيهَا فِي دِيَارِهِمُ ... وَأَصْبَحُوا بَعْدَ يُسْرٍ مِنْهُ فِي عُسُرِ
ظَلُّوا بِهِ زَمَنَاً فِي ظِلِّ أَنْعُمِهِ ... وَجُودِ رَاحَتِهِ المُغْنِي عَنِ المَطَرِ
مُمَتَّعِينَ بِمَا قَدْ خُوِّلُوا فَهُمُ ... فِي خُلْدِ جَنَّتِهِ العُلْيَا عَلَى سُرُرِ
مُقَابِلِي رَجُلٍ يُزْهَى عَلَى زُحَلٍ ... فِي رُتْبَةِ الشَّمْسِ مُسْتَوْلٍ عَلَى القَمَرِ
لَهُ عَزِيمَةُ رَأْيٍ لَيْسَ يَسْبِقُهَا ... رَيْبُ الزَّمَانِ فَمَا يَخْشَى مِنَ القَدَرِ
/ ٢٠٤أ/ خَبِرٌ يُخَبِّرُ عَمَّا فِي غَدٍ فَغَدَا ... مُسْتَقْبَلُ الفِعْلِ مَاضٍ غَيْرَ مُنْتَظَرِ
لَوْلَا مَخَافَةُ رَبِّ العَرْشِ، قُلْتُ لَهُ: ... يَا عَالِمَ السِّرِّ مِنِّي قُلَّ مُصْطَبَرِيْ
أَبْسُطْ بِفَضْلِكَ آمَالاً قَدِ انْقَبَضَتْ ... فَأَمْرُكَ اليَوْمَ مَقْدُورٌ عَلَى القَدَرِ
وَلَا تَكِلْنِي إِلَى مَا فِي غَدٍ فَغَدٌ ... يَأْتِي بِمَا لَيْسَ نَهْوَاهُ مِنَ الغِيَرِ
لَا تَسْتَقِلَّ قَلِيلَ الخَيْرِ تَفْعَلُهُ ... فَفَاعِلُ الخَيْرِ مَشْكُورٌ مَدَى العُصُرِ
نَبْنِي الزَّمَانَ وَيَبْقَى حُسْنُ سُمْعَتِهِ ... وَيَذْهَبُ النَّاسُ وَالدُّنْيَا عَلَى الأَثَرِ

وأنشدني أيضًا لنفسه إملاءً: [من البسيط]

يَا جَانِحاً عَنْ طَرِيقِ المَكْرُمَاتِ أَفِقْ ... مِنْ سَكْرَةِ العُجْبِ وَاحْذَرْ زَلَّةَ القَدَمِ
بَيْنَا تَرَى المَرْءَ فِي عِزِّ الوِلَايَةِ مُنْـ ... ـقَاداً إِلَيْهِ أُمُورُ العُرْبِ وَالعَجَمِ
حَتَّى يُوَافِيهِ ذُلُّ العَزْلِ يُصْلِحُهُ ... حِينَاً لِإِخْوَانِهِ بِالفَقْرِ وَالعَدَمِ
فَالعِزُّ يُصْلِحُ أَخْلَاقَ اللَّئِيمِ كَمَا ... تُبْدِي الوِلَايَةُ حَتْفَاً مِنْ أَخِي الكَرَمِ

[٨٣٧]

مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ محمودِ بنِ عبدِ الرحيمِ، أبو عبدِ اللهِ ابنِ أبي الحسنِ التَميميُّ.

من إنشاء حلب وأبناء رُؤسائها، والنبهاء بها، وبيت الأدب والفضل.

وأبو عبد الله تأدّب وقرأ من علم العربية ما يحتاج إليه، وساعدته قريحته في قول

الشعر، وأنجب فيه، /٢٠٤ب/ وأحسن وأجاد، وفاق أقرانه نظمًا، وبذّهم في أنواع القريض وأجناسه تمكُّنًا ما شهد له أربابُ هذا الشأن بالتقدّم فيه والاقتدار علىٰ ما يتوخّاهُ من المقاصد التي يرومها، والمحاسن التي يأتي بها.

شاهدته بحلب شابًا ذكيًا متيقظًا عاقلاً، أريبًا عفيفًا، نزهًا سريًا، جميلاً عارفًا بأقدار الناس، يتدين بمذهب الشيعة، من أحسن الناس عشرة، وأوفاهم تودُّداً ومُروءةً، وأسمحهم نفسًا. يخدمُ متصرفًا في الأعمال السُلطانية. وسألته عن ولادته، فقال: ولدتُ في عاشر المحرم سنة إحدىٰ عشرة وستمائة.

أنشدني لنفسه، وقد جاءهُ من العفيف أبي طالب بن صقر أبيات: [من الخفيف]

أَنْتَ فِي العِلْمِ فَوْقَ كُلِّ عَلِيْمِ ... يَا ابْنَ صَقْرٍ مَنْ أَبْنُ عَبْدِ الرَّحِيْمِ
قَدْ شَأَوْتَ الفُحُوْلَ فِيْ حَلْبَةِ الفَضْلِ ... وَأَنْسَيْتَ ذِكْرَ كُلِّ قَدِيْمِ
لَكَ شِعْرٌ قَدْ سَارَ فِيْ سَائِرِ الآ ... فَاقِ مَا الشَّامُ مَا بِلاَدُ الرُّوْمِ
لاَ تَقِسْ دِعْبِلاً إِلَيْكَ وَلاَ الطَّا ... ئِيَّ وَالبُحْتُرِيَّ وَابْنَ الرُّوْمِيّ
أَيْنَ مِنْكَ الرِّجَالُ مَا لَهُمُ مِثْـ ... ـلُكَ نَظْمٌ كَالْجَوْهَرِ المَنْظُوْمِ
/٢٠٥أ/ لَوْ تَقَدَّمْتَ فِيْ الزَّمَانِ لَقَالَ الْـ ... ـقَوْمُ هَذَا أَحَقُّ بِالتَّقْدِيْمِ
وَأَقَرُّوا لَدَىٰ جِدَالِكَ بِالعَجْزِ ... وَفَرُّوا مِنْهُ إِلَىٰ التَّسْلِيْمِ
أَيُّهَا الفَاضِلُ الأَدِيْبُ عَفِيْفَ الـ ... ـدِّيْنِ وَالمَاجِدُ الكَرِيْمُ الخِيْمِ
سَفَرَتْ لِيْ شَمْسُ النَّبَاهَةِ فِيْ أَرْ ... جَاءِ لَيْلٍ مِنَ الخُمُوْلِ بَهِيْمِ
حِيْنَ نَوَّهْتَ فِيْ قَرِيْضِكَ بِاسْمِي ... وَعَلاَ مَنْصِبِيْ وَقَدْرِيْ وَخِيْمِيْ
أَنْتَ شَرَّفْتَنِيْ بِنَظْمِ قَرِيْضٍ ... بِتُّ مِنْهُ فِيْ مُقْعِدٍ وَمُقِيْمِ
خِيْفَةَ الرَّدِّ وَالتَّرَدُّدِ فِيْهِ ... مُفْعَماً مُقْلَتِيْ مِنَ التَّهْوِيْمِ
يَا أَبَا طَالِبٍ تَطَلَّبْتَ مَا لَمْ ... يَكُ فِيْ خَاطِرِيْ وَلاَ مَعْلُوْمِيْ
لاَ تَسُمْنِيْ رَدَّ الجَوَابِ فَمَا خَا ... طَرَ فِيْهِ سِوَىٰ الخَطِيْرِ العَظِيْمِ
دَرَّ دَرُّ الصَّدْرِ النَّبِيْلِ شِهَابِ الدِّ ... يْنِ عَمْرِو الإِقْدَامِ غَمْرِ العُلُوْمِ
إِنْ تَجَرَّا عَلَىٰ جَوَابِكَ فِيْ الشِّعْـ ... ـرِ لَقَدْ قَامَ فِيْ مَقَامٍ عَظِيْمِ
أَنَا لَوْلاَ خَوْفِيْ وَعِيْدَكَ مَا فُهْـ ... ـتُ بِحَرْفٍ عَلَىٰ رَوِيِّ المِيْمِ
لاَ تَخَفْ أَنْ يَعِيْبَ شِعْرَكَ خَلْقٌ ... لَنْ يَعِيْبَ الصَّحِيْحَ غَيْرُ السَّقِيْمِ

وَالـزنـامِـيّ أَلِيـةً بَـرَّةً مَـا أَعْـ   ـتَـلَّ إِلاَّ عَلَـىٰ العُتُـلِّ الـزَّنِيْـمِ

قَسَـمٌ كُـلُّ مَـنْ تَجَـرَّا عَلَيْـهِ   كَـانَ عِنْـدَ الأَنَـامِ غَيْـرَ أَثِيْـمِ

/ ٢٠٥ب/ لاَ وَحُبِّي عُـلاَكَ خَالِصَـةً مِنْ   غَيْـرِ لَغْـوٍ فِيْهَـا وَلاَ تَـأْثِيْـمِ

لَـمْ يَعِبْ فِـيْ الأَنَـامِ شِعْـرَكَ مَـنْ يَفْـ   ـرُقُ بَيْـنَ المَجْهُـوْلِ وَالمَعْلُـوْمِ

ضَـاعَ طِيْبًـا فَخِلْتُـهُ جَـاءَ يَـرْوِيْ   خَبَـرَ البَـانِ عَـنْ لِسَـانِ النَّسِيْـمِ

شَيَّـدَ السَّيِّـدُ الشَّـرِيْـفُ جَمَـالُ الـدِّ   يْـنِ ذِكْـراً يَسِيْـرُ فِـيْ الإِقْلِيْـمِ

بَـاتَ يَـرْوِيْـهِ عَنْـكَ ثُـمَّ يُـؤَدِّيْـهِ   كَمَـا قُلْتَـهُ بِطَبْـعٍ سَلِيْـمِ

بِـالجَنَـانِ الثَّبْـتِ القَـوِيِّ عَلَـىٰ إِيْـ   ـرَادِهِ عَنْـكَ وَاللِّسَـانِ القَـوِيْـمِ

قَـالَ لِـيْ إِذْ سَـأَلْـتُ: خُبْـرُكَ يُغْنِـيْ   عَـنْ مَـدِيْحِـيْ لَـهُ وَعَـنْ تَفْخِيْمِـيْ

لَيْـسَ بِـالـرَّحْبَـةِ الصَّغِيْـرَةِ مَـنْ يَسْـ   ـقُـطُ مِنْـهُ عَلَـىٰ خَبِيْـرٍ عَلِيْـمِ

غَيْـرَ ذَا السَّيِّـدِ المُقِيْـمِ عَلَـىٰ حُبِّـ   ـكَ لاَ زَالَ فِـيْ نَعِيْـمٍ مُقِيْـمِ

يَـا مُفِيْـدِيْ مِـنَ الإِخَـاءِ بِمَـا غَـادَ   رَ عَيْشِـيْ إِلَـيَّ غَيْـرَ ذَمِيْـمِ

أَنْـتَ أَبْـرَزْتَ وَجْـهَ عِـرْضِـيْ بِـاطْـرَا   ئِـكَ يَـا ذِي احْتِشَـامِ صَـافِـيْ الأَدِيْـمِ

أَنْـتَ أَغْلَيْـتَ سِعْـرَ شِعْـرِيْ بِمَـا أَمْـ   ـلَيْتَـهُ فِـيْ كِتَـابِـكَ المَـرْقُـوْمِ

فَـأَخِـيْ اليَـوْمَ حَـاسِـدِيْ بَعْـدَ مَـا كَـانَ   عَـدُوِّيْ عَلَـىٰ الخُمُـوْلِ رَحِيْمِـيْ

وَكَسَتْنِـيْ عُـلاَكَ غُـرَّ صِفَـاتٍ   غَـادَرَتْنِـيْ مِـنْ دَارِمٍ فِـيْ الصَّمِيْـمِ

وَلِهَـذَا أَجُـرُّ ذَيْـلاً مِـنَ الفَخْـرِ   عَلَـىٰ كُـلِّ مُنْتَـمٍ لِتَمِيْـمِ

/ ٢٠٦أ/ أَنَـا أَوْلَـىٰ بِـأَنْ أُقَبِّـلَ كَفَّيْـ   ـكَ عَلَـىٰ فَضْلِـكَ العَمِيْـمِ الجَسِيْـمِ

أَنَـا حُبِّـيْ لَكُـمْ صَـلاَةٌ وَسَعْيِـيْ   لاَ يُتِـمُّ الصَّـلاَةَ بِـالتَّسْلِيْـمِ

لَسْـتَ بَـدْراً وَإِنَّمَـا أَنْـتَ فِـيْ أَهْـ   ـلِيْـكَ كَـالبَـدْرِ بَيْـنَ زُهْـرِ النُّجُـوْمِ

سَـادَةٌ كُلُّهُـمْ تَقِـيٌّ نَقِـيُّ الـ   ـعِـرْضِ صَـافِـيْ النِّجَـارِ زَاكِـيْ الأُرُوْمِ

يَشْتَـرِيْ بَـاقِـيَ الثَّنَـاءِ وَيَشْـرِيْ   فَـانِـيَ المَـالِ فِعْـلَ كُـلِّ كَـرِيْـمِ

سِيَّمَـا الكَـامِـلِ الفَضَـائِـلِ نَجْـمِ الـدِّيْـنِ رَبِّ العُـلاَ الأَثِيْـرِ الـزَّعِيْـمِ

ذِيْ الجِفَـانِ المُكَلَّـلاَتِ مِـنَ الشِّيْـ   ـزَىٰ طَعَـامـاً إِلَـىٰ مَحَـلِّ الشَّكِيْـمِ

وَالفَتَـىٰ المُشْتَـرِيْ المَحَـامِـدَ ذِيْ   المُحَيَّـا الطَّلْـقِ البَهِـيِّ الـوَسِيْـمِ

مَـنْ حَبَـانِـيْ مِـنْ نَصَبِ بَـابِ مَـزَاعَـا   بِنَصِيْـبِ المُشَيْمَـسِ المَعْـدُوْمِ

وَتَرَانِي غَداً إِلَى ظِلِّهِ البَارِد ... أَوْلَى مِنْ حَرِّ نَارِ السَّمُوم
إِنَّ لِي فِي جُنَيْنَةِ الحَلْبَةِ الفَيْـ ... ـحَاءِ وِرْداً مِنْ قَرْيَةِ ابْنِ العَدِيم
وَنَصُوباً تُخَالُ أَثْمَارُهَا حُسْـ ... ـناً وَطِيباً تُسْقَى بِمَاءِ النَّعِيم
سَوْفَ أَدْعُوكَ يَا عَفِيفُ إِلَيْهَا ... بَعْدَ أَيَّارَ وَانْقِشَاعِ الغُيُوم
لَسْتُ أَرْضَى قَسْمَ الحَيَاةِ إِذَا لَمْ ... أَرَ خِلِّي عَلَى حَيَاتِي قَسِيمِي(١)
وَكَذَا لاَ أَرَى السُّرُورَ بِهَا حَتَّـ ... ـى أَرَاهُ عَلَى السُّرُورِ نَدِيمِي
/٢٠٦ب/ دُمْتَ سَامِي العُلاَ كَرِيماً وَعُوفِيْـ ... ـتَ وَوُرِّثْتَ عُمْرَ كُلِّ لَئِيم
مَا اشْتَكَتْ أَيْنَهَا الرَّوَاسِمُ فِي البِيْـ ... ـدِ وَمَدَّتْ أَعْنَاقَهَا لِلرَّسِيم

وأنشدني لنفسه، ما كتبه إليه أيضًا: [من الخفيف]

دُمْتَ تُصْفِي مَوَدَّةَ الأَوْلِيَاءِ ... وَجَزَاكَ الإِلَهُ خَيْرَ جَزَاءِ
يَا عَفِيفَ الدِّينِ الَّذِي بُشِّرَ الآ ... بَاءُ مِنْهُ بِأَنْجَبِ الأَبْنَاءِ
يَا ابْنَ صَقْرٍ يَا مَنْ نَدَاهُ إِذَا مَا انْـ ... ـهَلَّ أَزْرَى بِصَيِّبِ الأَنْوَاءِ
يَا فَتًى سَادَ بَيْتَ مَجْدٍ بِهِ أَحْـ ... ـرَزَ مَجْدَ الأَجْدَادِ وَالآبَاءِ
لَيْسَ خُلْفُ المِيعَادِ شِيمَةَ مِثْلِي ... هُوَ عِنْدِي مِنْ أَقْبَحِ الأَشْيَاءِ
غَيْرَ أَنِّي عَزَمْتُ مِنْ قَبْلِ نَيْسَا ... نَ عَلَى جَوْسَقٍ رَفِيعِ البِنَاءِ
قُلْتُ: أَبْنِيهِ بِالجُنَيْنَةِ مِنْ أَجْـ ... ـلِكَ فِي الصَّيْفِ زَائِراً وَالشِّتَاءِ
فَتَصَدَّى مِنَ الوَرَى لِعِنَادِي ... وَتَنَاسَى مَوَدَّتِي وَإِخَائِي
صَاحِبٌ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ النَّا ... سِ اعْتِمَادِي فِي شِدَّتِي وَرَخَائِي
فَتَرَانِي أَخَافُ فِي أَمْرِ دَارِي ... وَأُدَارِي مَنْ لاَ يَخَافُ هِجَائِي
عَالِماً أَنَّنِي وَإِنْ نَكَثَ العَهْـ ... ـدَ وَلَمْ يَرْعَ لِي حُقُوقَ الوَلاَءِ
أَتَلَقَّى قَبِيحَهُ بِجَمِيلِ الـ ... ـصَّفْحِ عَنْهُ وَغَدْرَهُ بِالوَفَاءِ
/٢٠٧أ/ لاَ كَمَنْ بَاتَ يَشْتَكِيهِ فَتَى الحَـ ... ـجَّاجِ قَبْلِي لِسَيِّدِ الأُمَرَاءِ
وَانْقَضَى الوَرْدُ وَالجُنَيْنَةُ لاَ تُؤْ ... ذَنُ أَيَّامَ وَعْدِهَا بِانْقِضَاءِ
هَبْكَ أَنِّي عَمَّرْتُ جَوْسَقَهَا الجَا ... مِعَ شَمْلَ الأُلاَّفِ وَالقُرَنَاءِ

---

(١) القَسْم: العطاء، القِسْم: النصيب والحظ.

كَيْفَ نَمْضِي إِلَى الجُنَيْنَةِ وَالقَلْـ … ـبُ عَلَيْهِ لِلْهَمِّ مِثْلُ الغِشَاءِ
وَأَرَى الهَمَّ لاَ يُفَرِّجُهُ غَيْـ … ـرُ اجْتِمَاعٍ بِسَيِّدِ الشُّعَرَاءِ
بِأَبِي طَالِبَ الَّذِي طَلَبَ المَجْـ … ـدَ بِعَيْنٍ لَمْ تَدْنُ مِنْ إِغْفَاءِ
وَذَوِيهِ المُكَرَّمِينَ أُولِي السُّؤْ … دُدِ وَالفَضْلِ وَالتُّقَى وَالعَلاَءِ
فَتَفَضَّلْ بِهِمْ إِلَى قُبَّةِ السَّـ … ـيِّدِ ذِي المَكْرُمَاتِ وَالآلاَءِ
فَهْيَ مُشْتَاقَةٌ تُقَاسِمُنِي الشَّوْ … قَ إِلَيْكُمْ وَرَبُّهَا بِالسَّوَاءِ
ثُمَّ يُغْنِي عَنْ وِرْدِ آبَارِ مَا يَعْـ … ـبَقُ فِيهَا مِنْ مَائِهِ وَالكِبَاءِ
وَتَقِينَا حَرَّ السَّمَاءِ بِبَرْدِ الـ … ـمَاءِ فِي ظِلِّهَا وَبَرْدِ الهَوَاءِ
وَتَرَانَا مِنْ حُسْنِ أَخْلاَقِهِ نَرْ … تَعُ مِنْهَا فِي رَوْضَةٍ غَنَّاءِ
فَلَهَا اللهُ قُبَّةً وَلِبَانِيـ … ـهَا فَفِيهَا مَجَامِعُ الأَهْوَاءِ
شَادَهَا السَّيِّدُ الشَّرِيفُ الَّذِي جَا … زَتْ مَعَالِيهِ رُتْبَةَ الجَوْزَاءِ
مَاجِدٌ أَنْشَرَ الفَضَائِلَ فَاسْتَوْ … جَبَ شُكْرَ الأَمْوَاتِ وَالأَحْيَاءِ
/ ٢٠٧ب/ عَجِلٌ بِالنَّدَى لِمَنْ أَمَّ نَادِيـ … ـهِ مُجِيبٌ إِلَيْهِ قَبْلَ النِّدَاءِ
كَلِفٌ بِالعُلاَ يَحُلُّ عُرَى المُشْـ … ـكِلِ مِنْهُ بِفِطْنَةٍ وَذَكَاءِ
حُبُّهُ مَذْهَبِي وَدِينِي وَمَا زَا … لَ اعْتِمَادِي عَلَيْهِ وَهْوَ رَجَائِي
مِثْلَمَا مَذْهَبُ الكِرَامِ بَنِي صَقْـ … ـرٍ غَرَامٌ بِالمَجْدِ وَالعَلْيَاءِ
مَعْشَرٌ طِفْلُهُمْ فَتَى العَزْمِ وَالهِـ … ـمَّةِ كَهْلُ التَّدْبِيرِ وَالآرَاءِ
قَدْرُهُمْ فِي الوَرَى كَقَدْرِ عَفِيفِ الدِّ … يْنِ فِيهِمْ ذِي الجُودِ وَالنَّعْمَاءِ
يَا أَبَا طَالِبٍ أَقَرَّتْ لأَشْعَا … رِكَ بِالعَجْزِ أَلْسُنُ البُلَغَاءِ
أَنْتَ رَبُّ القَرِيضِ يَرْفُلُ مِنْهُ … أَبَداً فِي مَلاَبِسِ الإِثْرَاءِ
وَأَنَا المُمْلِقُ الفَقِيرُ وَهَيْهَا … تَ تُسَاوِي المُثْرِينَ بِالفُقَرَاءِ
أَفْحَمَتْنِي أَوْصَافُ قَدْرِكَ لَمَّا … جُزْتَ حَدَّ المَدِيحِ وَالإِطْرَاءِ
فَتَمَادَيْتُ فِي الجَوَابِ وَبَادَرْ … تُ مُجِيباً لَكُمْ بِرَفْعِ دُعَائِي
وَسَأَلْتُ الإِعْفَاءَ مِنْهُ فَمَا أَجْـ … ـدَى سُؤَالِي وَلاَ أُجِيبَ نِدَائِي
لَمْ تَزَلْ تَغْمُرُ الإِسَاءَةَ بِالعَفْـ … ـوِ فَإِلاَّ سَمَحْتَ بِالإِعْفَاءِ
فَاكْسُهَا حُلَّةَ الفَصَاحَةِ إِنْ جَا … ءَتْكَ مِنِّي فِي لُبْسَةِ الفَأْفَاءِ

أَوْ أَجْزْهَا دُرَّ الْبَلاَغَةِ إِنْ مُدَّ ... تْ أُكُفَّ السُّؤَالِ لاسْتِجْدَاءِ
/٢٠٨أ/ وَأَبْقَ مَا غَرَّدَ الْحَمَامُ وَمَا نَا ... حَ عَلَى غُصْنِ أَيْكَةٍ خَضْرَاءِ

وكتب إليه أيضًا: [من الرمل]

يَا عَفِيفَ الدِّيْنِ يَا مَنْ بِشْرُهُ ... يَهْتَدِيْ السَّارِيْ بِهِ وَاللَّيْلُ مُسْدِفْ
يَا فَتًى مَا فَتِئَتْ آرَاؤُهُ ... فِيْ دُجَى الَّلأْوَاءِ لِلْغَمَّاءِ تَكْشِفْ
يَا خَلِيْلاً لَمْ يَزَلْ مِنْ لُطْفِهِ ... أَبَداً يَحْنُو عَلَى الْخِلِّ وَيَعْطِفْ
قُلْ لِنَجْمِ الدِّيْنِ: يَا نَجْمُ أتَّئِدْ ... لاَ تَكُنْ فِيْ العَتْبِ وَالتَّأْنِيبِ مُسْرِفْ
قَدْ جَرَى الشَّرْطُ عَلَى مَا قُلْتَهُ ... وَالتَّصَارِيْفُ عَنِ الْمَقْصُوْدِ تَصْرِفْ
مَنْ تُرَى يَكْرَهُ أَنْ يَسْعَى إِلَى ... خِدْمَةِ السَّيِّدِ أَمْ مَنْ عَنْهُ يَصْدِفْ
هَاشِمِيٌّ لَمْ يَزَلْ مِنْ أَوَدِ ... الأَخِ الْمُعْوَجِّ فِيْ الْوُدِّ مُثَقِّفْ
مُصْلِحُ الْفَاسِدِ لَكِنْ بِالنَّدَى ... وَالرَّدَى لِلْمَالِ وَالأَعْدَاءِ مُتْلِفْ
أَنَا أَهْوَاهُ فَمَا أُصْغِي إِلَى ... قَوْلِ وَاشٍ فِيْ هَوَاهُ وَمُعَنِّفْ
لِجَمَالِ الدِّيْنِ بَيْتٌ قَدْ سَمَا ... شَرَفاً فَهْوَ عَلَى الأَفْلاَكِ مُشْرِفْ
وَلَهُ مُنْتَزَهٌ مِنْ حُسْنِهِ ... يَبْهَتُ الطَّرْفُ إِلَيْهِ لَيْسَ يَطْرِفْ
قُبَّةُ السَّيِّدِ لَوْ أَبْصَرَهَا ... لَتَوَارَى خَجَلاً طَارُوف منطف
حَبَّذَا عَيْشٌ قَطَعْنَاهُ بِهَا ... وَالْحَمَامُ الْوُرْقُ بِالأَفْنَانِ تَهْتِفْ
/٢٠٨ب/ وَلَدَيْنَا كُلُّ مَا نَخْتَارُهُ ... وَرِيَاحُ اللَّهْوِ بِاللَّذَّاتِ تَعْصِفْ
وَقُطُوفُ الْفَضْلِ تُسْتَجْلَى وَمِنْ ... رَوْحِ أَشْعَارِكَ نَجْنِيهَا وَنَقْطِفْ
وَالْفَتَى الْمَاجِدُ نَجْمُ الدِّيْنِ فِيْ ... كُلِّ مَعْنًى يَنْتَحِيْهِ مُتَلَطِّفْ
أَبَداً يُوْرِدُ مَا نَخْتَارُهُ ... وَسِوَى الْمُخْتَارِ يُلْغِيْهِ وَيَحْذِفْ
وَمُعِيْنُ الدِّيْنِ ذُوْ الْفَضْلِ الَّذِيْ ... بِالنَّدَى يُسْعِدُ رَاجِيْهِ وَيُسْعِفْ
كَاتِبٌ أَقْلاَمُهُ كَافِلَةٌ ... أَنَّ رَبَّ السَّعْدِ يُدْنِيْهِ وَيُزْلِفْ
تُشْبِهُ الْكُتْبُ الَّتِي يُنْشِئُهَا ... وَشْيَ أَعْلاَمِ بُرُوْدِ ابْنِ الْمُزَخْرِفْ
أَوْ كَمَا بَكَّرَ وَسْمِيُّ الْحَيَا ... لِبُرُوْدِ الرَّوْضِ بِالنَّوْرِ مُفَوِّفْ
وَلِشَمْسِ الدِّيْنِ يَحْيَى رَاحَةٌ ... ثَرَّةٌ نَوْءُ نَدَاهَا غَيْرُ مُخْلِفْ
أَبَداً يَجْمَعُ فِيْ تَفْرِيْقِهِ الـ ... ـمَالَ شَمْلَ الْمَجْدِ جُوْداً وَيُؤَلِّفْ

يَا بَنِي صَقْرٍ شَرُفْتُمْ أَنْفُسًا ... فَهْيَ عَنْ كُلِّ دَنِيِّ القَدْرِ تَعْزِفْ
قَسَمًا إِنِّي بِكُمْ ذُو كَلَفْ ... لَسْتُ فِي وُدِّي لَكُمْ بِالمُتَكَلِّفْ
وَإِذَا مَا غِبْتُ عَنْكُمْ لَمْ تَكُنْ ... جَفْوَةٌ لَكِنَّنِي عَنْكُمْ مُخَفِّفْ
وَلَقَدْ جِئْتُكُمُ مُعْتَذِراً ... وَاعْتِقَادِي أَنَّ نَجْمَ الدِّيْنِ مُنْصِفْ
لَمْ أَخَلْ وَهْوَ صَفِيِّي أَنَّهُ ... يَتَوَخَّى الظُّلْمَ فِي أَمْرِي وَيَعْسِفْ
/٢٠٩أ/ وَعَفِيْفُ الدِّيْنِ أَوْلاَكُمْ بِأَنْ ... يَتَحَامَى القَصْدَ فِي عَتْبِي وَيُسْرِفْ
قَالَ فِي مَدْحِ فِرَاخِي إِنَّهَا ... تُشْبِهُ الوَزَّ إِذَا مَا كَانَ مُخْلِفْ
وَإِلَى السَّيِّدِ تُهْدَى وَهْوَ بِالْـ ... ـفَضْلِ مِنْهَا لِعَفِيْفِ الدِّيْنِ مُتْحِفْ
إِنْ يَكُنْ عَتْبُكُمُ لِي دَيْدَنًا ... فَبِمَا أَجْنِيْهِ مِنْ جُرْمٍ وَأُسْلِفْ
يَا أَبَا طَالِبَ صَفْحًا عَنْ أَخٍ ... مَا لَهُ عَنْ حُبِّكُمْ مَا عَاشَ مَصْرَفْ
وَسَتَأْتِيْكَ فِرَاخِي عَاجِلاً ... مُنْجِزُ الوَعْدِ بِهَا غَيْرُ مُسَوِّفْ
ثُمَّ إِنِّي أَسْأَلُ اللهَ الَّذِي ... هُوَ بِالقُدْرَةِ فِيْنَا مُتَصَرِّفْ
أَنْ نَرَى يَا مَالِكِي جهة ... أَنْتَ فِيْهَا العَدْلُ وَالمَمْلُوكُ مُشْرِفْ

[٨٣٨]

مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنِ المُسلّم بن مُحَمَّدِ بنِ الحسينِ بنِ مَراجلَ، أبو عبد الله الكِنديُّ.

من أهل حماة ومن بيت مشهور بها.

شيخ أشقر أزرق العينين، يتصرّفُ في الأعمال.

أخبرني أنه ولد ضحوة نهار يوم الأحد ثالث شوال سنة ثمان وسبعين وخمسمائة. لم يكن عنده ما يقوّم به لسانه من علم النحو، ويلحن إذا أنشد، وله طبع يُطاوعه في قول الشعر.

أنشدني بحلب لنفسه في أوائل محرم سنة خمسين وستمائة، ما /٢٠٩ب/ كتبه إلىٰ السُّلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف ـ خلّد اللهُ ملكه ـ: [من الوافر]

أَيَا مَلِكًا تُرَنِّحُهُ القَوَافِي ... وَيُطْرِبُهُ مِنَ الشِّعْرِ النَّسِيْبُ

أُمَانِعُ أَنْ أَرَاكَ لِسُوْءِ حَظِّي ... وَأُبْعِدُ إِنَّ ذَا شَيْءٌ عَجِيْبُ
وَلَكِنِّي سَأُنْشِدُ بَيْتَ شِعْرٍ ... تَحِنُّ إِلَىٰ مَعَانِيْهِ القُلُوْبُ:
(إِذَا كَانَ المُحِبُّ قَلِيْلَ حَظٍّ ... فَمَا حَسَنَاتُهُ إِلاَّ ذُنُوْبُ)

وأنشدني أيضًا لنفسه فيه ـ أعزّ الله نصره ـ: [من الطويل]

أَيَا ابْنَ العَزِيْزِ النَّاصِرِ المَلِكِ الَّذِيْ ... إِذَا جَارَ دَهْرٌ فَهْوَ بِالجُوْدِ يُنْصِفُ
عَلَىٰ بَابِكَ المَيْمُوْنِ حَلَّتْ رِحَالُنَا ... وَقَدْ مَسَّنَا ضُرٌّ وَهَا أَنْتَ يُوْسُفُ

وأنشدني لنفسه يُهنّىء بالصيام: [من الخفيف]

لا أُهَنِّيْكَ بِالصِّيَامِ لأَنِّي ... قَدْ تَرَكْتُ الهَنَا لِيَوْمِ العِيْدِ
إِنَّمَا التَّهْنِئَاتُ بِالأَكْلِ وَالشُّرْ ... بِ وَصَوْتِ المَثْنَىٰ وَضَرْبِ العُوْدِ
لا بِصَوْمٍ قَدْ قَرَّحَ الكَبْدَ حَتَّىٰ ... تَرَكَ العَوْدَ فِيْهِ مِثْلَ العُوْدِ

وأنشدني لنفسه يرثي ولده عبد المحسن ـ رحمه الله تعالى ـ: [من الكامل]

/٢١٠أ/ عَنْ عُظْمِ أَحْزَانِي بِكُمْ لا أَنْثَنِي ... أَبَداً وَمَالِيْ بَعْدَكُمْ عَيْشٌ هَنِي
أَمَّلْتُ أَنْ سَأَنَالُ كُلَّ مَآرِبِي ... بِكُمْ فَخَيَّبَنِي الزَّمَانُ وَصَدَّنِي
وَلَسَوْفَ أَنْدُبُكُمْ وَأُعْلِنُ بِالبُكَا ... حَتَّىٰ أَصِيْرَ جِوَارَ عَبْدِ المُحْسِنِ

وأنشدني قوله فيه أيضًا: [من الكامل]

يَا بَدْرُ قَدْ عَظُمَتْ عَلَيْكَ رَزِيَّتِي ... وَتَوَقَّدَتْ نِيْرَانُهَا فِيْ أَضْلُعِي
مَا كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَكُوْنَ مُشَيِّعًا ... لَكَ لِلْمَقَابِرِ بَلْ تَكُوْنَ مُشَيِّعِي
وَلَئِنْ جَرَىٰ دَمْعِي دَمًا فَيَحِقُّ لِي ... أَنَا صَاحِبُ البَلْوَىٰ وَغَيْرِي المُدَّعِي

وأنشدني لنفسه في السُّلطان الملك الناصر صلاح الدين، وقد رمىٰ طيراً، يسمّىٰ الكُيَّ: [من الوافر]

كَوَيْتَ قُلُوْبَ مَنْ عَادَاكَ كَيّاً ... بِصَرْعِ الكُيِّ لَمَّا إِنْ تَهَيَّا
فَلاَ زَالَتْ سُعُوْدُكَ سَابِقَاتٍ ... وَنَجْمُكَ فِيْ العُلاَ أَبَداً مُضِيَّا
ملكت النَّاصِرِ السُّلْطَانَ عَدْلاً ... طَوَيْتَ بِهِ بِسَاطَ الأَرْضِ طَيَّا
وَسَهْمٍ لَمْ يُفَوَّقْ يَوْمَ حَرْبٍ ... فَأَخْطَأَ لا وَمَوْلاَنَا عَلِيَّا
كَأَنَّ مَجَرَّةَ الأَفْلاَكِ قَوْسٌ ... بِكَفِّكَ أَوْ بَنَادِقُهُ الثُّرَيَّا

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الخفيف]

/ ٢١٠ب/ وَتَقَنْطَرْ بِهِ فَدَيْنَاكَ يَا بَغْـ ـلُ إِلَىٰ السَّهْلِ مِنْ أَعَالِي الحُزُوْنِ
وَإِذَا مَا نَجَا وَلاَ سَلَّمَ اللـ ـهُ فَإِيَّاهُ يَا كِلاَبَ الجُوْنِ

وأنشدني لنفسه في السيف والقلم: [من البسيط]

إِنَّ المَقَادِيْرَ لاَ تَرْتَدُّ حِكْمَتُهَا وَقَدْ تَسَاوَتْ فِي أَحْكَامِهَا الأُمَمُ
إِذَا رَأَيْتَ سُيُوفَ الهِنْدِ قَاطِعَةً مَا ذَاكَ إِلاَّ بِمَا قَدْ خَطَّهُ القَلَمُ

[٨٣٩]

مُحَمَّدُ بنُ عُمرَ بن حَفاظ بن خليفةَ، يكنّىٰ أبا عبد الله السَّعديُّ، الفقيهُ الحنفيُّ المدرِّسُ المعروفُ بابنِ العقّادة(١).

من أهل حماة.

نزل والدُهُ حلب واستوطنها، إلىٰ أن تُوفي بها. وكان فقيهًا حنفيًا، تولّىٰ بها تدريس المدرسة التي بظاهر المدينة، ولمّا مات قاتم ولده هذا مقامه في التدريس، وفوّض إليه ما كان إلىٰ والده.

وكان أبو عبد الله؛ شابًا أشقر، ربعة من الرجال، ذكيًا فاضلاً، عنده بشر وسكون، جيّد المعرفة بعلم النحو والعربية والأدب وقول الشعر الحسن. ويكتب خطًا في غاية الجودة، وكان فقيهلاً مجوّداً مناظراً، اجتمعتُ به غير مرة، وحضرت معه بحلب، واقتضيته شيئًا من شعره؛ / ٢١١أ/ فكان يعدُني ويجيبني إلىٰ ذلك، ولم يتفق إنشادُ شيء من أشعاره، ثمّ مرض في أثناء ذلك، وتوفي يوم الجمعة سابع عشر جمادىٰ الأولىٰ سنة اثّنتين وأربعين وستمائة، ودفن قريبًا من مشهد الخضر، بمقام إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ قبليَ المدينة ظاهرَها ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

وأخبرني أنّه ولد في سنة اثنتين وستمائة، وبعد موته صار إليَّ كُراسة من شعره، تتضمن غزلاً ومدحًا، وغير ذلك وهي بخطه.

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٤/ ٢٦٤ وفيه: «محمد بن عمر بن حافظ بن خليفة بن حفاظ. . .».

ومما نقلته من خطّ يده، قوله في الغزل: [من الطويل]

وَمُعْتَدِلٍ كَالغُصْنِ قَدْ غَادَرَ الوَرَى ... عَلَى خَطَرٍ مِنْ قَدِّهِ حِينَ يَخْطُرُ
إِذَا مَا رَنَتْ مِنْهُ اللَّوَاحِظُ وَانْثَنَى ... حَمَى حُسْنَهُ عَنَّا حُسَامٌ وَأَسْمَرُ
وَإِنْ صَالَ يَبْغِي نُصْرَةً فَغَضَنْفَرٌ ... كَمَا أَنَّهُ إِنْ نَصَّ جِيداً فَجُؤذَرُ
وَإِنْ حَلَّ فِي أَرْضٍ وَمَرَّتْ بِهَا الصَّبَا ... تَنَفَّسَ فِيهَا عَنْ بَرِ الأَرْضِ عَنْبَرُ
وَإِنْ فَاهَ بَعْضُ العَاشِقِينَ بِذِكْرِهِ ... تَضَوَّعَ مِسْكٌ بِالَّذِي فَاهَ أَذْفَرُ
وَمَنْ يَكُ هَذَا طِيبُ ذِكْرَاهُ غَائِباً ... فَكَيْفَ يَكُونُ ذِكْرُهُ حِينَ يَحْضُرُ
مِنَ التُّرْكِ مِسْكِيُّ السَّوَالِفِ لَيِّنُ الْـ ... ـمَعَاطِفِ مَعْسُولُ المَرَاشِفِ أَحْوَرُ
تَطِيبُ بِرُؤْيَاهُ النُّفُوسُ وَإِنَّمَا ... بِأَنْفَاسِ رَيَّاهُ الجُيُوبُ تُعَطَّرُ
/ ٢١١ب/ وَلَيْلَةَ وَافَى وَالدُّجَى مِثْلُ شَعْرِهِ ... وَطَلْعَتُهُ فِيهَا كَمَا الصُّبْحِ تَزْهَرُ
فَقُلْتُ: وَفَيْتَ الآنَ وَعْدَكَ فِي الهَوَى ... فَقَالَ: وَمِثْلِي فِي الهَوَى كَيْفَ يُعْذَرُ
إِلَيْكَ قَطَعْتُ البِيدَ مِنْ رَمْلِ حَاجِرٍ ... أَخُوضُ الدُّجَى إِذْ بِالقَنَا الخَيْلُ تَعْثُرُ
فَبِتُّ وَلِي مِنْ وَرْدِ خَدَّيْهِ مَوْرِدٌ ... وَمِنْ صَدْرِهِ أَفْدِيهِ بِالنَّفْسِ مَصْدَرُ
وَلِي مِنْ سَجَايَاهُ الشَّهِيَّةِ جَنَّةٌ ... لَهَا مِنْ ثَنَايَاهُ البَهِيَّةِ كَوْثَرُ
وَقُلْتُ لَهُ [لا] زِلْتَ مُسْتَعْذَبَ الجَنَا ... وَلا بَرِحَتْ أُسْدُ الشَّرَى مِنْكَ تَحْذَرُ
وَيَفْدِيكَ مِنِّي فِي هَوَاكَ تَصَبُّرِي ... وَإِنْ كَانَ مَا لِي فِي هَوَاكَ تَصَبُّرُ

وقال أيضًا: [من الطويل]

وَطَلْقُ المُحَيَّا لا يُرَامُ وَإِنَّمَا ... هُوَ الشَّمْسُ لَكِنْ دَارَةُ البَدْرِ دَارُهُ
قَرِيبٌ مَدَى مَرْضَاهُ سَهْلٌ خُدَاعُهُ ... بعيد. . . . مَرَآهُ صَعْبٌ مَزَارُهُ
نَفُورٌ وَلَمْ تَظْفَرْ حَبَائِلُ حُبِّهِ ... بِحَبَّةِ قَلْبِ الصَّبِّ لَوْلا نِفَارُهُ
تعلقتُهُ مَا طعم محبِّه فيضحى ... وَتَقْرِيبُ المُحِبِّ شِعَارُهُ
وَقُلْتُ: إِذَا خُطَّ العِذَارُ سَلَوْتُهُ ... فَزَادَ هُيَامِي حِينَ خُطَّ عِذَارُهُ

وقال أيضًا: [من الطويل]

تعَلَّقْتُهُ مَا اشْتَاقَهُ رَمْلُ عَالِجٍ ... غَرَاماً وَمَا ضَمَّتْهُ سَلْعٌ وَحَاجِرُ
/ ٢١٢أ/ حُرِمْتُ الرِّضَا إِنْ كُنْتُ مُنْذُ أَلِفْتُهُ ... تَأَمَّلْتُهُ أَوْ رَاءَهُ لِي نَاظِرُ

إذَا زَارَنِي أطْرَقْتُ منْهُ مَهَابَةً وَأمَّا إذَا مَا ازْوَرَّ عَنِّيْ فَظَاهِرُ

وقال أيضًا: [من الوافر]

وَأحْوَرَ سَاحِرِ اللَّحَظَاتِ أحْوَى شَهِيِّ المُجْتَنَى طَلْقِ المُحَيَّا
ألَمَّ بِنَا فَأغْنَى حِيْنَ غَنَّى وَأحْيَانَا جَمِيْعًا حِيْنَ حَيَّا
وَجَادَ بِرَاحِهِ وَاللَّيْلُ دَاجٍ فَقُلْتُ بَرَاحِ قَدْ طَلَعَتْ عَلَيَّا(١)
وَشَجَّ الرَّاحَ مِنْ فِيْهِ بِرِيْقٍ فَشَجَّ لَنَا الحُمَيَّا بِالحُمَيَّا
وَطَافَ بِهَا عَلَى الأحْيَاءِ يَبْغِي نِهَابَ نُفُوْسِهِمْ حَيًّا فَحَيًّا
فَأحْيَا كَفُّهُ مَنْ كَانَ مَيْتًا بِهَا وأمَاتَ مَنْ قَدْ كَانَ حَيَّا
فَأسْكَرَنَا وَأذْكَرَنَا حَدِيْثًا قَدِيْمًا فِيْ رُبَى نَجْدٍ تَهَيَّا
فَبِتُّ لِنَشْرِ نَشْرِ حَدِيْثِ عَلْوَى عَلَى التَّذْكَارِ يَطْوِيْ القَلْبَ طَيَّا
أُعَفِّرُ فِيْ الثَّرَى خَدِّيْ لِعَفْرَا وَأرْوِيْ الأرْضَ مِنْ دَمْعِي لِرَيَّا
وَأسْتَجْدِيْ الرَّبَابَ مُرُوْرَ يَوْمٍ عَلَى دَارِ الرَّبَابِ وَدَارِ مَيَّا
فَشَمْلِيْ صَارَ ثِقْلَ بَنَاتِ نَعْشٍ بِهِنَّ وَكَانَ شَمْلِيْ كَالثُّرَيَّا

وقال أيضًا: [من البسيط]

/ ٢١٢ب/ فِيْ أيِّ شَرْعٍ وَقَدْ كُلِّفْتُ ذِكْرَاكِ حُبًّا نَسِيْتَ مُحِبًّا لَيْسَ يَنْسَاكِ
لَوْ لَمْ تَكُوْنِيْ سَوَادَ العَيْنِ مِنْهُ لَمَا أصَارَ مِنْهُ سُوَيْدَا القَلْبِ مَأوَاكِ
مَنْ بِالتَّقَالِيْ وَعَنْ عَطْفٍ عَلَى كَلِفٍ مُغْرًى بِحُبِّكِ أغْرَاكِ وَأعْرَاكِ
صَوْنِيْ مُعَنَّاكِ عَنْ مَغْنَاكِ بَارِزَةً فَقَدْ أذَبْتِ مُعَنَّاكِ بِمَعْنَاكِ
لا تَصْدَعِيْ القَلْبَ تُبْدِيْ مِنْهُ سِرَّ هَوًى أوْدَعْتِنِيْهِ فَمَا فِيْ القَلْبِ إلَّاكِ
مَنَعْتِنَا طِيْبَ رُؤْيَاكِ عَلَى أمَمٍ مِنَّا وَلا تَمْنَعِيْنَا طِيْبَ رَيَّاكِ
أنْتِ المُغِيْرَةُ رِيْمَ الرَّمْلِ مُقْلَتُهُ عَيْنَاكِ عَيْنَاهُ أوْ عَيْنَاهُ عَيْنَاكِ
بِالقَلْبِ أدْرَكْتُ مِنْكِ الحُسْنَ مُكْتَتِمًا وَإنَّمَا الطَّرْفُ أدْرَاكِ بِإدْرَاكِي
لَوْلا الهَوَى مَا هَوَى قَلْبِيْ لَدَيْكِ جَوًى أزَالَهُ عَنِّيْ يَوْمًا ذِكْرُ مَهْوَاكِ
أفْتَيْتِ بِالفَتْكِ فِيْ قَلْبِيْ وَفِيْ جَسَدِيْ أفْدِيْكِ مَنْ فِيْهِمَا بِالفَتْكِ أفْتَاكِ

---

(١) براح: الشمس.

وَجُرْت فيْ قَلْب صَبٍّ أنْت جاريَةٌ ... أجَارَكَ اللهُ مَنْ بالجَوْر جَارَاك
نُبِّئتُ هَجْرَك عَنْ أمْن العُدَاة وَمَا ... ظَنَنْتُ هَجْرَكَ إلاَّ خَوْفَ أعْدَاكَ
ألَسْت ظَبْيَ كنَاس منْ بَنيْ أسَد ... فكَيْفَ رُحْت وَأُسْدُ الغَاب تَخْشَاك
يَثْنيْ تَثَنِّيك عَنْ غُصْن الأرَاك كَمَاً ... عَنْ لامع البَرْق تَثْنينَا ثَنَايَاك
إنَّ الَّذيْ خَلَقَ الإنْسَانَ منْ عَلَق ... منْ أطْيَب الطِّيب فيْ الأحْشَاء أنْشَاك
/٢١٣أ/ ألَمْ تَرَيْ لنَسيْم الرِّيْح رَائحَةً ... تَضُوْعُ مسْكَاً إذَا مَا صَافَحَتْ فَاك
مَاذَا عَلَيْك وَفيْك الحُسْنُ أجْمَعُهُ ... لَوْ كَانَ حُسْنُك مَقْرُوْناً بحُسْنَاك
سَقَىٰ العهَادُ بأكْنَاف الأُبَيْرق منْ ... بَان الحمَىٰ مَعْهَداً فيْه عَهدْنَاك
رُدِّيْ حَديْثَك عَنْ حُزْوى عليَّ فما ... أحْلَىٰ حَديْثَك عَنْ حُزْوَىٰ واحْلاَك
فَلَسْتُ أنْسَىٰ برَمْل الرَّمْلَتَيْن وَقَدْ ... بتُّ المُلَمَّ بمَا تقبيل ألمَاك
إذْ كُلُّ عَيْنٍ إلَيْنَا غَيْرُ نَاظرَة ... وَكُلُّ عَيْنٍ عَلَيْنَا طَرْفُهَا بَاكيْ
وَرُبمَا لَيْلَةً بالجَزْع بتُّ بهَا ... وَأنْت تَرْعَيْنَ فيْ قَلْبيْ وَأرْعَاك
وَالحَيُّ آسَادُهُ تَبْدُو ثَعَالبُهَا ... بكُلِّ أبيَضَ مَاضيْ الحَدِّ فَتَّاك
أهْدَىٰ الأمَانَ إلَىٰ مَنْ منْ ذُرَىٰ إضَم ... إلَيَّ فيْ هَضَبَات الخَيْف أهْدَاك
نَعَمْ وَجبَّىٰ الجبا وَاديْ منَّىٰ فَبه ... نلْتُ المُنَىٰ إذْ تَمَشَّىٰ القَلْبُ يَلْقَاك
أهْلاً بطَيْفك خَاضَ اللَّيْلَ مُحْتَقراً ... هَوْلَ الفَيَافيْ ليُقْريْنَا تَحَايَاك
حَيَّا فَأحْيَا فَحَيَّاهُ الإلَهُ وَأحْـ ... ـيَاهُ خَيَالاً وَحَيَّاك وَأحْيَاك
ألَمَّ وَاللَّيْلُ فيْ قَيْد الصَّبَاح فَمَا ... ألَمَّ بالصَّبِّ حَتَّىٰ أمَّ مَغْنَاك
لَو امْتَطَيْت إلَيْنَا شَوْقَ أنْفُسنَا ... إلَيْك أسْرَاكَ شَوْقاً نَحْوَ أسْرَاك
قَدْ مَلَّ جَفْنيَ طَيْبَ النَّوْم فيْك جَفاً ... فَهَلْ ألَمَّ بطيْب النَّوْم جَفْنَاك
/٢١٣ب/ هَلْ لليَاليْ المَواضيْ أنْ تَعُوْدَ لَنَا ... يَوْماً فَتَجْمَعَنَا دَارٌ وَإيَّاك
عَلَيْك منِّي سَلاَمُ الله مَا بَرحَتْ ... بَرَاح تَخْفَىٰ حَيَاءً منْ مُحَيَّاك

ونقلتُ من خطِّه قوله، ما كتبه علىٰ ظهر كتاب الهداية في فقه أبي حنيفة ـ رضي

الله عنه ـ وكان قُبَيْل[(١)] موته بأيام يسيرة، فسُبحان الحي الذي لا يموت ـ: [من البسيط]

يَا نَاظِراً فِيْهِ يَجْنِي مِنْ حَدَائقه ... ثِمَارَ مَا أَنَا فِيْهِ غَارِسٌ سَاقِي
أَفْنَى قَرِيْباً وَتَبْقَى فِي الوَرَى حِقَباً ... فَاذْكُرْ بِهَا ذَلِكَ الفَانِي بِذَا البَاقِي

وقال أيضًا: [من الطويل]

مَنَحْنَاكُمُ مِنَّا الوُدَادَ كَرَامَةً ... لَكُمْ وَمَنَعْنَا غَيْرَكُمْ وُدَّنَا ضَنَّا
دَعَيْنَاكُمُ حِفْظاً وَمِلْنَا إِلَيْكُمُ ... رِضاً فَاعْدِلُوا فِيْنَا وَلَا تَعْدِلُوا عَنَّا
وَإِنْ نَقَلَ الوَاشُونَ عَنَّا إِسَاءَةً ... فَقَدْ نَقَلُوا ضِدَّ الَّذِي عَلِمُوا مِنَّا

وقوله: [من الطويل]

نَسِيْمَ الصَّبَا إِنْ زُرْتَ بُرْقَةَ ثَهْمَدِ ... فَبَلِّغْ سَلَامِي مَنْزِلَ السَّيْفِ أَحْمَدِ
/٢١٤أ/ وَإِنْ لَمْ يُجِبْ مِنْ جَانِبَيْهِ سِوَى الصَّدَى ... فَرَوِّ بِمَاءِ الدَّمْعِ مَرْبَعَهُ الصَّدِي
وَقَفْتُ بِهِ أَشْكُو إِلَيْهِ وَإِنَّنِي ... لَأَشْكُو صَبَابَاتِي إِلَى غَيْرِ مُسْعِدِ
بِقَلْبِ جَرِيْحٍ حِلْفِ وَجْدٍ مُجَدَّدٍ ... وَطَرْفٍ قَرِيْحٍ إِلْفِ جَفْنٍ مُسَهَّدِ
فَهَذَا إِنِ ٱسْتَجْدَيْتَهُ سَلْوَةً أَبَى ... وَهَذَا إِنِ ٱسْتَنْجَدْتَهُ الدَّمْعَ يُنْجِدِ
وَقَدْ سَاعَدَتْنِي فِيْهِ سَعْدَانَةٌ مَتَى ... أُعِدُّ لُيَيْلَاتِ الوِصَالِ تَعَدَّدِ
وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ القَرِيْنَيْنِ شَادِنٌ ... وَشَادٍ مِنَ الوُرْقِ الحَمَامِ مُغَرِّدِ
فَيَا غَضَّ عَيْشٍ غَاضَ مَاءُ حَيَاتِهِ ... سَقَاكَ الحَيَا مِنْ كُلِّ وَطْفَاءَ مُرْعِدِ
وَعُودِي لَنَا يَا لَيْلَةَ الجَزْعِ عَوْدَةً ... وَإِنْ لَمْ تَعُودِي فَاجْمِلِي القَوْلَ أَوْ عِدِي
وَفِي الحَيِّ خَالٍ مِنْ جَوَى القَلْبِ رَاقِدٌ ... وَمَنْ يَخْلُ يَوْماً مِنْ جَوَى الحُبِّ يَرْقُدِ
فَصِيْحٌ يَرَى قُسَّ الفَصَاحَةِ أَلْكَنَا ... جَوَادٌ يُرِيْنَا حَاتِمَ الجُوْدِ مُجْتَدِي
بَهِيُّ المُحَيَّا لَوْ تَرَاءَى لِيُوْسُفٍ ... لَمَا قُطِعَتْ فِي يُوْسُفِ الحُسْنِ مِنْ يَدِ
هُمَامٌ إِذَا مَا هَمَّ أَنْ يَحْضُرَ الوَغَى ... أَرَاكَ الحُسَامَ مُغْمَداً غَيْرَ مُغْمَدِ
إِذَا مَا رَمَى عَنْ رَأْيِهِ سَدَّدَ العِدَا ... وَمَنْ يَرْمِ عَنْ رَأْيٍ سَدِيْدٍ يُسَدِّدِ
وَإِنْ كَرَّ بِالرُّمْحِ الرُّدَيْنِيِّ طَاعِناً ... تَرَ الأَسَدَ الضَّارِي يَكُرُّ بِآسُدِ[(٢)]

---

(١) في الأصل «عُقَيب» وبهامشها «قُبَيل» وهو الأصوب بما ثبتناه.
(٢) آسُد: جمع أسد.

وَمِنْ حَذَرِي أُكْنِي بِحَيِّ كِنَانَةٍ ... وَإِنْ كُنْتُ أَعْزُوهُ إِلَى الشُّمِّ مِنْ عَدِي

/ ٢١٤ب/ أَطَعْتُ فَإِنْ أُتْهِمْتُ أُتْهِمُ صَبَابَةً ... إِلَيْكَ وَإِنْ تُنْجِدْ فَدَيْتُكَ أُنْجِدِ

يُفَنِّدُنِي عَنْكَ العَذُولُ وَرُبَّمَا ... يَزِيدُ الهَوَى قَوْلُ العَذُولِ المُفَنِّدِ

وَمُرْتَحِلٍ يُدْنِيهِ خِرْصٌ مُثَقَّفٌ ... وَيَصْحَبُهُ حَدُّ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

يُرِيكَ مِنَ الدُّرِّ النَّظِيمِ وَضِدَّهُ ... بِمَبْسِمِهِ النَّدِّيِّ وَمَنْطِقِهِ النَّدِي

سَرَى لَا يَرَى فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ ... عَلَى نَصْرِهِ دِينَ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

وَجَرَّدَ فِي اللهِ الحُسَامَ الَّذِي بِهِ ... يُرِيقُ دَمَ الأَعْدَاءِ غَيْرَ مُجَرَّدِ

حُسَامًا لَهُ إِنْ سُلَّ هَامَتْ إِلَى العِدَا ... مَضَارِبُهُ أَوْ صَلَّ لِلْهَامِ تَسْجُدِ

فَشَيَّبَ مِنْ أَفْوَادِهِمْ كُلَّ أَسْوَدٍ ... وَسَوَّدَ مِنْهُمْ وَجْهَ كُلِّ مُسَوَّدِ

وَطَرَّفَ مِنْهُمْ كُلَّ طَرْفٍ مُنَرْجَسٍ ... وَخَدَّدَ مِنْهُمْ كُلَّ خَدٍّ مُوَرَّدِ

فَأَظْهَرَ دِينَ اللهِ كُلُّ مُوَحِّدٍ ... وَمَكَّنَ بَطْنَ اللَّحْدِ مِنْ كُلِّ مُلْحِدِ

تَيَمَّمْتُهُ سِرًّا عَلَى قَصْدِ أَنَّنِي ... أُوَدِّعُهُ جَهْرًا فَمَا خَابَ مَقْصَدِي

وَزَوَّدَنِي شَوْقًا إِلَيْهِ وَإِنَّمَا ... تَزَوَّدَ مِنِّي عَبْرَتِي وَتَجَلُّدِي

وَأَوْهَمْتُ يُمْنَاهُ وَقَبَّلْتُ صُدْغَهُ ... وَعُدْتُ وَغُدْرَانُ الصَّبَابَةِ مَوْرِدِي

وَسَارٍ إِذَا اسْتَهْدَى بِهِ خَابِطُ رَأْيِ ... هُدَاهُ وَمَنْ يَسْتَهْدِ بِالبَدْرِ يَهْتَدِ

تَوَلَّى تَوَلَّى اللهُ حِفْظَ جَنَابِهِ ... وَسَلَّمَهُ أَنَّى يَرُوحُ وَيَغْتَدِي

/ ٢١٥أ/ وقال أيضًا: [من الطويل]

وَأَهْيَفَ يَحْكِي الرُّمْحَ إِنْ مَاسَ قَدُّهُ ... بَدَا فَحَسِبْنَا جَيْبَهُ إِذْ بَدَا شَرْقَا(١)

أَغَنَّ كَحِيلِ الطَّرْفِ ذِي نُفْرَةٍ فَلَمْ ... يُخَلِّ لِرِيمِ الرَّمْلِ خَلْقًا وَلَا خُلْقَا

جَعَلْتُ لَهُ يَوْمًا يَمِينِي وِسَادَةً ... وَمَا كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَذُوقَ لَهُ نُطْقَا

فَضَاجَعَنِي كَالغُصْنِ بَلْ غُصُنُ النَّقَا ... وَأَرْشَفَنِي كَالخَمْرِ بَلْ خَمْرَةً حَقَّا

فَعَانَقْتُ مِنْ جُثْمَانِهِ الرُّكْنَ عِنْدَمَا ... تَعَلَّقْتُ مِنْ صُدْغَيْهِ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى

وَقَبَّلْتُ مِنْهُ الخَدَّ وَالثَّغْرَ بَاسِمًا ... فَقَابَلَ طَرْفِي مِنْهُمَا الوَرْدَ وَالبَرْقَا

فَلَوْلَا ذَكَتْ أَنْفَاسُنَا وَتَصَاعَدَتْ ... لَأَبْصَرْتَنَا إِذْ ذَاكَ فِي عَرَقٍ غَرْقَى

(١) شرقًا: شمسًا.

وقال أيضًا: [من الوافر]

وَخَطِّيِّ القَدِّ خُوطِيِّ التَّثَنِّي ... رَحِيقِيِّ الرِّيْقِ دُرِّيِّ الثَّنَايَا
لَهُ مِنْ لَحْظِهِ السَّاجِيْ سِهَامٌ ... وَلَكِنْ مِنْ حَوَاجِبِهِ حَنَايَا
فَإِنَّ لَحَظَ القُلُوبَ يَرُوْمُ رَمْيًا ... تَثَبَّتَ أَنْ تَكُوْنَ لَهُ رَمَايَا
وَفِي أَجْفَانِهِ سَيْفٌ جُرَازٌ ... تَمَنَّاهُ هَوَادِيْنَا هَدَايَا
إِذَا مَا رَاضَهُ لِلْسَّبْيِ يَوْمًا ... رَضِيْنَا أَنْ نَكُوْنَ لَهُ سَبَايَا
أَيَا مَنْ حَازَ حُسْنَ النَّاسِ جَمْعًا ... وَجَازَ الحَدَّ فِيْ كَرَمِ السَّجَايَا
/ ٢١٥ب/ رَعَايَاكَ القُلُوبُ وَأَنْتَ جَارٌ ... لَهَا فَأَجِرْ جِوَارَكَ وَالرَّعَايَا
وَلَا تَصْدَعْ فُؤَادِيْ تُبْدِ مِنْهُ ... سَرَائِرَكَ المَصُوْنَاتِ الخَفَايَا
وَحُسْنُكَ قَدْ وُلِيْتَ بِهِ عَلَيْنَا ... قَضَاءَ الحُبِّ فَاعْدِلْ فِيْ القَضَايَا
أَمَانًا مِنْكَ يَا سُؤْلِيْ أَمَانًا ... فَقَدْ جَرَّعْتَنِيْ غُصَصَ المَنَايَا
فَلَا بَعُدَتْ يَدَاكَ عَنِ الأَيَادِيْ ... وَلَا قَرُبَتْ خُطَاكَ مِنَ الخَطَايَا

وقال أيضًا: [من البسيط]

مَنْ مُنْصِفِيْ أَوْ مُجِيْرِيْ مِنْ صُدُوْدِ فَتًى ... عَذْبِ التَّذَلُّلِ فِيْ العُشَّاقِ قَدْ فَتَكَا
مُهَفْهَفٍ مِنْ بَنِيْ الأَتْرَاكِ مُعْتَدِلٍ ... سَبَى النُّفُوْسَ فَمَا أَبْقَى وَلَا تَرَكَا
ظَبْيٌ وَلَكِنَّهُ يَحْمِيْهِ إِنْ نَصَبَتْ ... مِنْهُ العُيُوْنُ لِآسَادِ الوَرَى شَرَكَا
يَذُوْدُ عَنْ شَفَتَيْهِ مِنْ لَوَاحِظِهِ ... مُهَنَّدٌ مِنْ فُنُونِ السِّحْرِ قَدْ سُبِكَا
مَلَّكْتُهُ ثَغْرَ قَلْبِيْ إِذْ غَدَا مَلَكًا ... لَكِنَّهُ جَارَ فِيْهِ عِنْدَمَا مَلَكَا
وَشَمْسِ رَاحٍ بَدَتْ فِيْ كَفِّ بَدْرٍ . . . . مِنَ الزُّجَاجَةِ قَدْ صَاغُوا لَهَا فَلَكَا
لَهَا نُجُوْمُ حَبَابٍ قَدْ طَفَتْ دُرَرًا ... فَأَطْفَأَتْ بِذَكَاهَا بَهْجَةً لِذُكَا(١)
صَفَتْ فَلَمَّا رَمَى السَّاقِيْ أَنَامِلَهُ ... قَبْضًا عَلَى كَأْسِهَا كَانَتْ لَهُ حُبُكَا
قُمْ يَا نَدِيْمِيْ إِلَى الكَاسَاتِ مُغْتَنِمًا ... عَيْشًا وَدَعْ عَنْكَ مَنْ صَلَّى وَمَنْ نَسَكَا
/ ٢١٦أ/ فَإِنَّ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللهَ ذُوْ بَخَلٍ ... أَنْ يَغْفِرَ الذَّنْبَ إِحْسَانًا فَقَدْ أَفِكَا
أَمَا تَرَى طَائِرَ الأَغْصَانِ مِنْ شَجَنٍ ... مُرَنِّحًا عَذَبَاتِ البَانِ حِيْنَ حَكَى

(١) ذكاء: الشمس.

فَانْظُرْ فَقَدْ أَسْبَلَ الرَّاوُوقُ أَدْمُعَهُ ... لمَّا رَأَى دَمَ دَنَّ الخَمْرِ قَدْ سُفِكَا
خَمْرٌ يَدُورُ بِهَا بَدْرٌ عَلاَ غُصُنًا ... مِنَ الأَرَاكِ نَضِيرًا لَيِّنًا حَرِكَا
مُعَقْرَبُ الصُّدْغِ لَوْ لاَحَتْ مَعَاطِفُهُ ... لِيُوسُفَ الحُسْنِ يَوْمًا ظَنَّهُ مَلَكَا

وقال أيضًا: [من البسيط]

رَسْمٌ لِعَزَّةَ قَدْ أَقْوَتْ مَغَانِيهِ ... رَاحَتْ سَحَابُ الغَوَادِي وَهْيَ تَسْقِيهِ
وَلَوْ رَضِيتُ بِمَا تَذْرِي الجُفُونُ لَهُ ... لَقُلْتُ: لَيْتَ جُفُونِي مِنْ غَوَادِيهِ
وَقَفْتُ نَادِيهِ أَدْعُوهُ وَأَسْأَلُهُ ... عَنْ سَاكِنِيهِ وَأَسْقِيهِ وَأُسْقِيهِ(١)
سَاوَيْتُهُ فِي البِلَى، لاَ فِي الهَوَى فَغَدَا ... بِحَالِهِ وَهُوَ يُبْكِينِي وَأُبْكِيهِ
أَحَلَّ نَادِيكَ حَيٌّ مِنْ بَنِي مَطَرٍ ... أَمْ حَلَّ فِيكَ الحَيَا يَوْمًا عَزَالِيهِ
صَمْتًا كَأَنْ مَا غَدَتْ وَادِيهِ غَادِيَةٌ ... وَلاَ انْثَنَتْ فِي مَغَانِيهِ غَوَانِيهِ
أَلْيَّةً بِلُيَيْلاَتٍ لَنَا سَلَفَتْ ... وَغَضِّ عَيْشٍ تَوَلَّى فِي نَوَاحِيهِ
إِذْ مَنْزِلُ الحَيِّ طَلْقُ الثَّغْرِ بَاسِمُهُ ... وَمَوْرِدُ اللَّهْوِ عَذْبُ المَاءِ صَافِيهِ
فَهُوَ الزَّمَانُ الَّذِي لَوْ كَانَ غَانِيَةً ... لَنَا عُقُودُ جُمَانٍ فِي تَرَاقِيهِ
/٢١٦ب/ يَا مُوقِدِيَ جَمْرَ قَلْبِي يَوْمَ فُرْقَتِهِمْ ... مَاذَا عَلَى طَيْفِكُمْ لَوْ طَافَ يُطْفِيهِ
أَنْتُمْ تَسَلَّيْتُمُ عَنِّي بِبَعْضِكُمُ ... مُحِبُّكُمْ عَنْ هَوَاكُمْ مَنْ يُسَلِّيهِ
أَحْبَابَنَا لَوْ عَلِمْتُمْ مَا نُكَابِدُهُ ... مِنَ الغَرَامِ بِكُمْ أَوْ مَا نُقَاسِيهِ
أَرْفَدْتُمُونَا فَدَيْنَاكُمْ بِمَأْلُكَةٍ ... تُبْرِي المَرِيضَ وَإِنْ كَانَتْ لَتَبْرِيهِ
رَحَلْتُمُ عَنْ جَرِيحِ القَلْبِ مُوجَعِهِ ... وَنِمْتُمُ عَنْ قَرِيحِ الجَفْنِ دَامِيهِ
فَالوَجْدُ يَرْفَعُهُ شَوْقًا وَيَخْفِضُهُ ... وَالشَّوْقُ يَنْشُرُهُ وَجْدًا وَيَطْوِيهِ
وَدَّعْتُمُونَا فَأَوْدَعْنَا رِكَابَكُمُ ... مِنَّا قُلُوبًا بِنَارِ الشَّوْقِ تَهْدِيهِ
عَدَلْتُمُ عَنْ فُؤَادِي إِذْ غَدَا لَكُمُ ... دَارًا فَهَلاَّ عَدَلْتُمْ سَادَتِي فِيهِ
أَقْسَمْتُ لَوْ كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ بَيْنِكُمُ ... مَا بَعْدَهُ لَصَحِبْتُ الرَّكْبَ هَادِيهِ

وقوله من جُملة أبيات: [من المتقارب]

هِيَ الدَّارُ مِنْ حَاجِرٍ دَارُ أَسْمَا ... فَبُلَّ المَنَازِلَ رَسْمًا فَرَسْمَا

---

(١) أُسقيه: أقول له سقاك الله.

وَسَلِّمْ عَلَىٰ بَانِ وَادِي العُذَيْبِ ... فَثَمَّ أُعَيْلَامُ أَطْلَالِ سَلْمَىٰ

وَقُلْ لِأُصَيْحَابِنَا يَنْثُرُونَ ... مِنْ لُؤْلُؤِ الدَّمْعِ مَا كَانَ نَظْمَا

عَلَىٰ دَارِ نُعْمٍ بِوَادِي الأَرَاكِ ... فَإِنَّ لِنُعْمٍ عَلَى القَوْمِ نُعْمَىٰ

وَقَفْتُ لِأَسْمَعَ نَوْحَ الحَمَامِ ... وَلٰكِنْ بِأُذْنٍ عَنِ العَذْلِ صَمَّا

/٢١٧أ/ أَهِيمُ إِذَا ذُكِرَ اسْمُ الحَبِيبِ ... كَأَنِّي أَرَى الإِسْمَ عَيْنَ المُسَمَّىٰ

وَأَهْيَفَ كَالبَدْرِ عِنْدَ التَّمَامِ ... مِنَ الشَّمْسِ أَعْلَىٰ مَكَانًا وَأَسْمَىٰ

رَشًا وَدَّهُ حِجْلُهُ فَاسْتَسَرَّ ... وَعَادَاهُ مِنْهُ النِّطَاقُ فَنَمَّا

وقال أيضًا: [من البسيط]

وَأَهْيَفِ القَدِّ عَذْبِ اللَّفْظِ سَاحِرُهُ ... أَغَنَّ سَاحِرِ لَحْظِ العَيْنِ سَاجِيهِ

مُعَقْرَبِ الصُّدْغِ رَيْمِيٍّ تَلَفُّتُهُ ... مُخَصَّرِ الخَصْرِ خُوطِيٍّ تَثَنِّيهِ

يَسْبِيكَ بِالجِيدِ مِنْهُ وَهْوَ عَاطِلُهُ ... حُسْنًا فَكَيْفَ إِذَا مَا كَانَ حَالِيهِ

رَنَا وَأَغْضَىٰ فَقُلْتُ: المِسْكُ مِنْ دَمِهِ ... وَجَفْنُهُ الغِمْدُ لَا رَيْبٌ يُنَافِيهِ

يَا أَضْلُعِي لَا تُجِنِّيهِ مُحَافَظَةً ... فَإِنَّهُ بِكِ قَدْ أَوْدَىٰ تَجَنِّيهِ

وقال أيضًا: [من البسيط]

قَلْبِي بِصَدِّكَ عَنِّي كَمْ تُعَذِّبُهُ ... تِيهًا وَوَجْهُكَ عَنِّي كَمْ تُحَجِّبُهُ

يَا بَدْرَ تَمٍّ يَفُوقُ الشَّمْسَ مَطْلَعُهُ ... عِذَارُهُ وَقُلُوبُ النَّاسِ مَغْرِبُهُ

وَيَا غَزَالَ كِنَاسٍ مِنْ مَهَابَتِهِ ... لَا تَسْتَطِيعُ أُسُودُ الغَابِ تَصْحَبُهُ

قَدْ رَاحَ قَلْبِيَ لَهُ مَرْعًى فَلَا عَجَبٌ ... أَنْ رَاحَ مَاءُ حَيَاتِي وَهْوَ مَشْرَبُهُ

مَنْ قَالَ فِي الحُبِّ إِنَّ البَدْرَ يُشْبِهُهُ ... فَإِنَّ فِي الحُبِّ أَوْصَافًا تُكَذِّبُهُ

/٢١٧ب/ يُعْزَىٰ إِلَى العَرَبِ العَرْبَاءِ مَنْطِقُهُ ... وَاللَّحْظُ مِنْهُ إِلَى الأَتْرَاكِ مَنْسَبُهُ

مِنْ أَيْنَ لِلْبَدْرِ عَيْنَاهُ وَطُرَّتُهُ ... وَعَارِضَاهُ وَخَدَّاهُ وَأَشْنَبُهُ

أَمَا وَجَفْنَيْهِ شَمْسُ الأُفْقِ لَوْ مُنِحَتْ ... بِآيَةِ النُّطْقِ أَضْحَتْ وَهْيَ تُعْتِبُهُ

أَفْدِي الَّذِي طَيْفُهُ مَا زَارَنِي كَرَمًا ... إِلَّا انْثَنَىٰ وَلَوَىٰ عَيْنَيَّ يَرْكَبُهُ

يَرُومُ تَقْلِيبَ قَلْبِي فِي مَحَبَّتِهِ ... أَفْدِيهِ مِنْ أَيْنَ لِي قَلْبٌ يُقَلِّبُهُ ؟

أَمْلَىٰ تَجَنِّيهِ ظُلْمًا زَادَنِي أَلَمًا ... وَإِنَّمَا أَصْلُ آلَامِي تَجَنُّبُهُ

فَيَا حَبِيبًا حَبَانِي بِالهَوَىٰ وَهَوَىٰ ... عَنِّي لِيُخْبِرَ أَنَّ الغَدْرَ مَذْهَبُهُ

وَيَا رَشًا رَاشَ سَهْمَ الصَّدِّ مُقْتَصِداً ... لِلْصَّبِّ حَتَّى عَلَيْهِ ضَاقَ مَذْهَبُهُ
وَيَا غَزَالاً غَزَانِي حِينَ غَازَلَنِي ... بِمُرْهَفٍ مِنْ غَرِيبِ السِّحْرِ مَضْرَبُهُ
مَنْ لِي أَرَاكَ وَعَيْنُ البَحْرِ رَاقِدَةٌ ... وَالوَصْلُ يَقْظَانُ خَلْوَ القَلْبِ طَيِّبُهُ
حَتَّى أَبُوحَ بِسِرٍّ كُنْتُ أَكْتُمُهُ ... خَوْفًا وَأُعْرِبُ شَوْقًا كُنْتُ أُغْرِبُهُ

وله من جملة أبيات: [من المتدارك]

لِصُدُودِكَ هِمْتُ إِلَيْكَ صَدًى ... وَلِهَجْرِكَ وَاصَلْتُ السُّهُدَا
وَغَرَامٌ فِيكَ أُكَابِدُهُ ... قَدْ أَتْلَفَ قَلْبِي وَالكَبِدَا
فَإِلَى مَ تُعَانِدُنِي عَبَثًا ... وَبِلَحْظِكَ جُرْحِي قَدْ عَنَدَا
/ ٢١٨أ/ وَتُقَلِّبُ قَلْبًا مُنْصَدِعًا ... بِهَوَاجِرِ هَجْرِكَ مُتَّقِدَا
عُلِّقْتُ غَزَالاً مِنْ أَسَدٍ ... يَصْطَادُ بِمُقْلَتِهِ الأَسَدَا
قَدْ حَلَّ ذُؤَابَتَهُ فَأَضَلْـ ... ـلَ وَأَبْرَزَ طَلْعَتَهُ فَهَدَى
وَإِذَا مَا افْتَرَّ تَحَارُ العَيْـ ... ـنُ أَثَغْرًا تَنْظُرُ أَمْ بَرَدَا
يَا أَحْمَدُ دُونَكَ سَفْكَ دَمِي ... لاَ إِثْمَ عَلَيْكَ وَلاَ قَوَدَا
قَسَمًا بِسَمِيِّكَ لاَ أَسْكَنْـ ... ـتُ سِوَاكَ فَدَيْتُكَ لِي خَلَدَا
إِنْ مُتُّ بِحُبِّكَ يَا مَوْلاَ ... يَ وَعَيْشِكَ كُنْتُ مِنَ السُّعَدَا
وَحَدِيثُ سَمِيِّكَ صَلَّى اللـ ... ـهُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ قَدْ شَهِدَا
مَنْ مَاتَ مُحِبًّا بِالكِتْمَا ... نِ عَفِيفًا كَانَ مِنَ الشُّهَدَا
يَا قَلْبُ عَلَيْكَ جَمِيلَ الصَّبْـ ... ـرِ وَإِنْ يَكُ صَبْرُكَ قَدْ نَفِدَا
فَلِصَرْفِ زَمَانِكَ مُنْصَرَفٌ ... وَلِمُدَّةِ هَذَا الهَجْرِ مَدَى
وَارْقُدْ لِعَدُوِّكَ مُضْطَجِعًا ... إِنْ كَانَ عَدُوُّكَ مَا رَقَدَا

وقال أيضًا: [من البسيط]

إِذَا ذَكَرْتُكَ فَاضَتْ أَدْمُعِي وَذَكَتْ ... نِيرَانُ وَجْدِي وَزَادَتْ فِيكَ أَشْجَانِي
وَبِتُّ مُلْقًى عَلَى فُرُشِ الضَّنَى فَلَقَدْ ... قَدْ نَافَرَتْ فِيكَ طِيبَ النَّوْمِ أَجْفَانِي
/ ٢١٨ب/ عَانَ بِذَا السُّقْمِ أَرْعَى فِي مَدَى سَهَرِي ... مِنْ أَنْجُمِ الأُفْقِ نَجْمًا لَيْسَ يَرْعَانِي
مَنْ مُبْلِغُ التَّارِكِي فِي حُبِّهِ مَثَلاً ... يُنْسَى بِهِ ذِكْرُ مَا قَيْسٌ وَغَيْلاَنُ
أَنَّى دَنَا أَوْ تَنَاءَى رِقَّةً وَجَفَا ... مُغْرًى بِحُبِّيهِ فِي سِرِّي وَإِعْلاَنِي

[٨٤٠]

مُحَمَّدُ بنُ عُمرَ، أبو عبد الله الغماريُّ.

من أهل مَيُورْقَةَ من البلاد الأندلسية.

رأيتُ من شعره ما مدح به المولىٰ الصاحب الوزير الكبير العالم مؤيد الدين أبا نصر إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم الشيبانيّ بحلب ـ أدام الله تمكينه ـ:

[من مجزوء الرجز]

هَلْ لِلِّقَاءِ مِنْ مَوْعِدِ ... بِأَغْيَدِ المُقَلَّدِ
أَمَا تَرَانِي مِنْ هَوَا ... كَ فِي المُقِيْمِ المُقْعِدِ
وَأَنْتَ عَنِّي مُلْتَهِ ... فِي حُسْنِكَ المُجَدَّدِ
تَلْعَبُ بِي لَعْبَ الصِّبَا ... بِقَدِّكَ المُؤَوَّدِ
مَهْمَا تَشَكَّيْتُ لَكَ الـ ... ـوَجْدَ تَقُلْ إِلَىٰ غَدِ
فَلاَ أَنَا بِمُقْصِرٍ ... وَأَنْتَ لَسْتَ مُسْعِدِيْ
لَحْظُكَ لِيْ مُثَاقِفٌ ... عَنْ خَدِّكَ المُزَرَّدِ
/٢١٩أ/ وَقَدْ جَمَعْتَ نُفْرَةَ الـ ... ـظَّبْيِ وَبَطْشَ الأَسَدِ
وَلَيْسَ لِيْ مِنْكَ حِمًى ... إِلاَّ حِمَىٰ المُؤَيَّدِ
فَقَالَ لِيْ: كُنْ آمِناً ... وَأَبْشِرْ بِنَيْلِ المَقْصَدِ
إِنَّ المُؤَيَّدَ الَّذِيْ ... اسْتَنْجَدْتَ خَيْرُ مُنْجِدِ
أَشْهَرُ أَهْلِ الأَرْضِ فِيْ ... مَكَارِمٍ وَسُؤْدُدِ
أَقْدَمُهُمْ فِيْ شَرَفِ الأَ ... صْلِ وَطِيْبِ المَحْتِدِ
أَطْوَلُهُمْ يَداً نَدًى ... أَقْوَلُهُمْ فِيْ مَشْهَدِ
أَعَزُّهُمْ جَاراً وَأَوْ ... فَاهُمْ بِحُسْنِ المَوْعِدِ
أَمَا رَأَيْتَ فَضْلَهُ ... يُرْوَىٰ بِكُلِّ بَلَدِ
وَأَنَّهُ يَنْطِقُ عَنْ ... بَحْرِ عُلُومٍ مُزْبِدِ
أَمَا سَمِعْتَ مَدْحَهُ ... فِيْ فَمِ كُلِّ مُنْشِدِ
هُوَ الكَبِيْرُ قَدْرُهُ ... فِيْ صُوْرَةِ المُقْتَصِدِ!

كَمْ مَنْ يَدٍ لَهُ عَلَى … هَذَا الوَرَىٰ كَمْ مِنْ يَدِ ؟
دَامَتْ لَهُ النِّعْمَةُ وَالـ … ـسَّعْدُ دَوَامَ الأَبَدِ

[٨٤١]

مُحَمَّدُ بنُ عيسىٰ بنِ نظامِ الملكِ، الأميرُ.

منْ أهلِ بغدادَ.

يقول في الوزير أبي الثناء محمود بن محمد بن مقدار الحرّاني من قصيدة أولها: [من الوافر]

فُؤَادِيَ فِيكَ زَمُّوا لاَ النِّيَاقَا … وَشَوْقِي دَعْدَعَ الحَادِي وَسَاقَا
وَصَبْرِي عَنْكَ يَا تَامُوْرَ قَلْبِي … قَضَىٰ وَتَجَلُّدِي بَلَغَ السِّيَاقَا
جَلاَكَ لِيَ الفِرَاقُ فَصِرْتُ شَوْقًا … إِلَىٰ رُؤْيَاكَ أَشْتَاقُ الفِرَاقَا

ومنها يقول:

فَسَائِلْي الفِرَاقَ عَنِ ٱغْتِمَاضِي … وَقَلْبِي فَانْشُدِيْ عَنْهُ الرِّفَاقَا
تُخَبِّرْكِ الرَّكَائِبُ أَيَّ دَمْعٍ … أَرَقْتُ بِهَا وَأَيَّ دَمٍ أَرَاقَا
وَأَنَّ الرَّبْعَ مِنْكِ دَعَا دُمُوعِي … فَلَبَّتْهُ بَوَادِرُهَا ٱشْتِيَاقَا

[٨٤٢]

مُحَمَّدُ بنُ عياشِ بنِ صباوةَ بنِ أبي بكرِ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ رضوانَ بنِ عياشَ بنِ رضوانَ بنِ منصورِ بنِ دُوَيدِ بنِ صالحِ بنِ زيدِ بنِ عمرِو بنِ الزبّارِ بنِ جابرِ بنِ كعبِ بنِ عُليمِ بنِ جَنابِ بنِ هُبَلِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ كنانةَ بنِ بكرِ بنِ عوفِ بنِ عُذْرةَ بنِ زيدِ اللاتِ بنِ رُفَيدةَ بنِ ثورِ بنِ كلْبِ بنِ وبرةَ بنِ/ ٢٢٠أ/ تغلبَ بنِ حُلوانَ بنِ عمرانَ بنِ الحافي بنِ قُضاعةَ أبو الفضلِ بنُ أبي البقاءِ النحويُّ الأديبُ العرَّمانيُّ[١].

(١) تقدمت له ترجمة أخرى في هذا الجزء برقم ٨٠٢.

وعَرَّمانُ قريةٌ كبيرةٌ من أشهرِ قُرىٰ صرخد من عمل حوران من الولاية المشهورة بدمشق[١].

دخل حلب وسكنها مُدَّةً من الزَّمان، وسافر إلىٰ بغداد، ثم رجع عنها إلىٰ إربل، وأقام بها أيامًا قلائل، ثم رحل عنها ونزل الموصل، وتوجه إلىٰ حلب، واستَقرَّ بها مقامُهُ، واستوطنها وسكن المدرسة النورية المنسُوبة إلىٰ بني عُصرُونَ.

وكان يختلف إلىٰ أبي القاسم أحمد بن هبة الله بن سعد [الله] بن الجبراني النحوي المقرىء[٢]، يقرأ علَيه وعلىٰ الشيخ الموفق أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش النحوي الحلبي[٣]؛ علم العربية والأدب، وأتقن معرفة هذا الشأن، وتمهَّر فيه علىٰ أبناء زمانه، وتفقّه علىٰ مذهب الإمام الشافعيّ ـ رضي الله عنه ـ إلاَّ أنَّه غلب عليه علم الأدب والإعتناء به.

وكان واسع الحفظ لأشعار المُحدثين وغيرها من أشعار العرب. وكان ذكيًا متوقداً، جاري اللسان، ولم يدع جنسًا من أجناس الشعر، وفنًّا من فنونه إلاّ واستظهرَ/ ٢٢٠ب/ منه جُملةً وافرةً. وكان يسرُد ديوان أبي تمام والحماسة، وشعر أبي الطيب المتنبي، ويجيدُ قول الشعر، وهو منه علىٰ طبقة متوسطة. وكان قادراً علىٰ إنشائه، يقولهُ لهوى قلبه، ولا يرتزقُ به كعادة الشعراء الذين يستميحون بأشعارهم، ويقصدونَ بها. وكان يُعزُّ نفسه عن الإسترفاد، وكان نظمُهُ عليه سهلاً، وكان ضنينًا به لا يرىٰ إثباته إلاَّ يطرحُهُ ويُلغيه.

وكان يصنعُ الأشعار ويعزيها إلىٰ الكبراء من أهل حلب، وأولي الثروة الذين كان يغشاهم ليتبجح عندهم بذلك وتنفقَ سُوقُهُ، وربّما عثر لشاعر بأبيات فيسلخُها، ويغيِّر ألفاظَها، ويُبدّلها ثم ينتحلُها.

وكان شابًا قصيراً، لطيف الخلقة، منزعج العينين، شعرُهُ يضرب إلىٰ منكبيه.

---

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (عرمان).

(٢) ترجمه المؤلف في الجزء الأول برقم ٩١.

(٣) ترجمه المؤلف في الجزء العاشر برقم ٩٥٧.

يتزيّا بزي المغاربة، وإذا نطق بالقاف جعلها كافًا. وكان خفيفَ الرأس، ناقص العقل، مُبدّد الأحوال، سوداوي المَزاج، تعتريه السوداء، ذا هوج وسرعة غضب، وربّما أفضىٰ به ذلك إلىٰ ضرب من ضروب الجنون. وكان يُسرِفُ في المزاح والمداعبة.

/ ٢٢١أ/ إنسانَ سوء، قلَّ أنْ سلم أحدٌ من شرِّه ولسانه، وقد جعل هُجَيْرَاهُ الوقيعةَ في أعراض الناس وتلَقيبهم، ولم يترك أحداً من الأماثل بحلب إلاّ وأظهر له لقبًا ونبزهُ به. يفعل ذلك علىٰ سبيل الإنبساط والمَجانَة، وكنتُ في بعض الأوَقات ألُومُهُ علىٰ ذلك وأعنّفُهُ، فكان يقول لي: أنا أَحبُّ اللعب والهزل.

وكان مع ذلك شديد الميل إلىٰ المُرْد الصباح الوُجُوه، مُغرًى بمعاشرتهم والإختلاط بهم. وكان يذهبُ مذهبَ الباشطاريَّة، ويتعاطَى الرُّجْلَة والشجاعة ورُكوب الخيل والَمسابقة بها، وما نازعه أحدٌ في شيء ما إلاّ وشَهَرَ عليه سكينًا، وتوعّده بالفتك. وكان قد رفض جنب الله تعالىٰ، ولم يَخلُ في زمانه من هوًى يعلق بقَلبه، ويستحوذ علىٰ ذهنه ولبّه، ويُضمّنُهُ شرح أحواله، ويذكرُ ذلك في أقواله، ويصف ما يلقاهُ من تباريح الهوىٰ، ويجدُهُ من شدّة الجوىٰ، والشكوىٰ والغرام، والصبابة والهيام، والجفاء والبعاد، والشوق والسُّهاد.

ولم يزل بالغلمان الملاح مشعوفًا، مستهتراً بهنَّ معروفًا؛ ذوي القدود الرشاق، والخصور الدقاق / ٢٢١ب/ والطُرر المُصفَّفة، والوجنات المترَّفة، وميلُهُ إلىٰ هوىٰ نفسه، هو الذي أودىٰ به إلىٰ رمسه؛ لا جرم عاد عليه وبالُهُ، ومات أشنع موتةٍ، وخسر الدنيا والآخرة.

وكان يظهرُ التدين، وفعل الخير، وباطنُهُ بخلاف ذلك. وما ظهر لي منه، شهد الله تعالىٰ إلاّ استقامة الأحوال، وسلوك السَّمت الحسن، حتّىٰ خُبِّرْتُ أنَّه هوىٰ صبيًا أمرد بالمدرسَة العُصرُونيَّة، وأحبّه حُبًّا مُفرطًا، والصبيُّ يكرمُهُ، وينفقُ عليه، ويعاشرُهُ أجمل عشرة تكون بين الأصدقاء، ولم يعلم الصبيُّ ما في نفسه إلىٰ ليلة من ليالي شهر رمضان، وهي الرابعة عشر[ة] منه بعد صلاة عشاء الآخرة، وثب عَلَىٰ الصَّبيّ خُلسةً فضربه بسكين كانت معه مُعدَّةً فجرحه ثلاث جراحات، فنزل شخص آخر من المدرسة المقيمين بها، فضربه ضربتين ثم انهزم وصعد إِلىٰ بيته الذي يسكنُ به في عُلوّ المدرسة،

وقفل عليه الباب، فسمع شخصًا من المدرسة، يقول: قتل العُرَّماني إثنين، فخاف علىٰ نفسه الصلب، فذبح نفسه! وبقي إلىٰ صلاة الصبح، فجاء غلمان الوالي، فكسروا / ٢٢٢أ/ الباب، وألقوهُ في دركاة المدرسة، فبقي إلىٰ ضاحي نهار يوم الإثنين، ثم دفَنُوه بمقبرة الجُبيل وذلك في سنة خمس وأربعين وستمائة ـ سامحهُ الله تعالىٰ ـ وعمرُهُ يومئذٍ في حدود الأربعين أو نيِّف عليها بيسيرٍ.

وما أنشدني لنفسه، وكتبهُ لي بخطّه(١): [من الكامل]

يَــا صَــاحِ دَعْ عَــذْلَ العَــوَا ... ذل فــي مُعَتَّقَــة الــرَّحِيْــق
صــرْفــًا تَلَهَّــبُ فــي الكُــؤُوْ ... سِ كَــأَنَّهَــا لَهَــبُ الحَــرِيْــق
ممَّــا تخَيَّــرَهَــا المَسيْـ ... ـحُ ذَخيْــرَةً للْجَــاثَليْــق
وَكَــأَنَّهَــا ذَوْبٌ مِــنَ الـ ... ـيَــاقُــوْت لاَ ذَوْب العَقيْــق
يَسْعَــى عَلَيْــكَ بهَــا غــزَا ... لٌ كَــالغــزَالَــة فــي الشُّــرُوْق
رَشَــأٌ رَشيْــقُ قَــوَامــه ... أَحْلَــى مــنَ الغُصْــن الــرَّشيْــق
جَلَّــتْ بَــدَائــعُ حُسْنــه ... عَــنْ وَصْــف ذي الــذِّهْــن الــدَّقيْــق
لَــكَ كُلَّمَــا نَــادَمْتَــهُ ... سُكْــرَان مــنْ خَمْــر وَريْــق
أوَمَــا تَــرَىٰ وَشْــيَ الــرُّبَــىٰ ... أَرْبَــىٰ عَلَــىٰ الــوَشْــي الأَنيْــق
كَــمْ فيْــه مــنْ زَهْــر يَــرُو ... قُ الطَّــرْفَ فــي غُصْــن وَريْــق
/ ٢٢٢ب/ لمَّــا تَخَلَّلَــهُ النَّسيْـ ... ـمُ وَمَسَّــهُ مَــسَّ الشَّفيْــق
لَثَمَــتْ ثُغُــوْرٌ لــلأُقَــاحِ ... بــه خُــدُوْداً للْشَقيْــق
وَتَــأَرَّجَــتْ نَفَحَــاتُــهُ ... كَتَــأَرُّج المسْــكَ السَّحيْــق
وَكَــأَنَّ نَــرْجسَــهُ مَــدَا ... هِــنُ مِــنْ لُجَيْــنٍ للْخَلُــوْق
وَكَــأَنَّ زَهْــرَ بَهَــاره ... العقْيَــانُ أَوْ خَــدٌّ المَشُــوْق
وَالجَــوُّ فــي حُلَــل مُطَــرَّ ... زَة بمُــذْهَبَــة البُــرُوْق
فَــاشْــرَبْ وَصِــلْ منْهَــا صَبُــوْ ... حَــكَ كُــلَّ يَــوْم بــالغَبُــوْق
وَتَســلَّ عَــنْ كُــلِّ الأَنَــام ... فَلَيْــسَ فِيهِــمْ مِــنْ صَــدِيْــق

---

(١) مرّت القطعة في ترجمته برقم ٨٠٣.

وأنشدني لنفسه في الزُهد، والرجوع إلىٰ الله ـ عز وجل ـ: [من المجتث]

يَا رَبِّ يَا مَنْ إِلَيْهِ ... كُلُّ الأُمُوْرِ تَصِيرُ
يَا مَنْ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ ... هُوَ القَوِيُّ القَدِيْرُ
إرْحَمْ بعَفْوِكَ وَاغْفِرْ ... ذَنْبِي فَأَنْتَ الغَفُورُ
فَلَيْسَ لِي مِنْ عَذَابٍ ... إِنْ لَمْ تُجِرْنِي مُجِيْرُ

وأنشدني لنفسه، يستدعي صديقًا له: [من مجزء الكامل]

/ ٢٢٣أ/ قُمْ يَا كَمَالَ الدِّيْنِ نَغْـ ... ـنَمْ طِيْبَ ذَا اليَوْمِ المَطِيْرِ
بِمُدَامَةٍ قَدْ عُتِّقَتْ ... مِنْ عَهْدِ كِسْرَىٰ أَرْدَشِيرِ
يُهْدِيْ إِلَيْكَ نَسِيْمُهَا ... أَرَجَ الخُزَامَىٰ وَالعَبِيْرِ
رَقَّتْ فَمَا فِي كَأْسِهَا ... مِنْهَا سِوَىٰ إِشْرَاقِ نُوْرْ
كَادَتْ تَطِيْرُ فَعَاقَهَا ... شَبَكٌ مِنَ الدُّرِّ النَّثِيرِ
يَسْقِيْكَهَا ذُو قُرْطُقٍ ... أَبْهَىٰ مِنَ القَمَرِ المُنِيْرِ
فَإِذَا سَقَاكَ ثَلاَثَةً ... صِرْتَ الأَمِيْرَ عَلَىٰ الأَمِيْرِ
وَنَشَرْتَ كُلَّ فَضِيْلَةٍ ... طُوِيَتْ مِنَ الفَضْلِ الغَزِيْرِ
فَتَعَالَ فَاشْرَبْهَا تُسَـ ... ـرُّ فَلَيْسَ شَيءٌ كَالسُّرُوْرْ

وأنشدني لنفسه يمدح: [من مجزوء الرجز]

يَا مَلِكًا إِنْعَامُهُ ... عَمَّ جَمِيْعَ البَشَرِ
وَبَأْسُهُ فِي الرَّوْعِ أَمْـ ... ـضَىٰ مِنْ مَضَاءِ القَدَرِ
هَبَّ إِلَىٰ الرَّاحِ فَقَدْ ... هَبَّ نَسِيْمُ السَّحَرِ
وَغَنَّتِ الطَّيْرُ فَأَغْـ ... ـنَتْ عَنْ سَمَاعِ الوَتَرِ
/ ٢٢٣ب/ وَالجَوُّ يُجْلَىٰ فِي رِدَ ... اءٍ فَاخِتِيٍّ عَطِرِ
كَأَنَّهُ مُعْتَرِضًا ... دُخَانُ عُوْدٍ نَضِرِ
وَطَلُّهُ مِثْلُ الَّلآ ... لِي فِي عُيُوْنِ الزَّهَرِ
وَالأَرْضُ مِنْ رِيَاضِهَا ... فِي حُلَلٍ مِنْ حِبَرِ
فَقُمْ إِلَىٰ مُدَامَةٍ ... صَافِيَةٍ مِنْ كَدَرِ

كَأَنَّهَا يَاقُوتَةٌ ... قَدْ رُصِّعَتْ بِالدُّرَرِ
يَسْعَىٰ بِهَا قَضِيبُ بَا ... نٍ مُثْمِرٌ بِالقَمَرِ
حَيَّرَ غِزْلاَنَ النَّقَا ... بِجِيْدِهِ وَالحَوَرِ
يَسْقِيكَهَا وَمِثْلَهَا ... مِنْ رِيْقِ فِيْهِ الخَصِرِ
وَلاَ تَزَلْ فِي نِعْمَةٍ ... مُمَتَّعًا بِالعُمُرِ

وأنشدني لنفسه: [من المديد]

وَبَدِيْعِ الحُسْنِ لَيْسَ لَهُ ... غَيْرُ قَتْلِي فِي الهَوَىٰ إِرَبُ
فَعَلَتْ أَلْحَاظُهُ بِيَ مَا ... تَفْعَلُ الهِنْدِيَّةُ القُضُبُ
وَشِفَائِي لَوْ يَجُوْدُ بِهِ ... مَا حَوَاهُ ثَغْرُهُ الشَّنِبُ
رِيْقُهُ صَهْبَاءُ صَافِيَةٌ ... وَثَنَايَاهُ لَهَا حَبَبُ
/٢٢٤أ/ عَجَبِي مِنْ نَارِ وَجْنَتِهِ ... فِي مِيَاهِ الحُسْنِ تَلْتَهِبُ
إِنْ بَدَا فِي الشَّمْسِ مِنْ خَجَلٍ ... بِسُتُوْرِ الحُجْبِ تَحْتَجِبُ
كَمَلَتْ فِي الحُسْنِ صُوْرَتُهُ ... فَإِلَيْهِ الحُسْنُ يَنْتَسِبُ
كُلُّ رَاحَاتِي بِهِ تَعَبٌ ... وَيْحَ مَنْ رَاحَاتُهُ التَّعَبُ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الطويل]

أَأَحْبَابَنَا وَاللهِ مَا العَيْشُ بَعْدَكُمْ ... لَذِيْذٌ وَلاَ الصَّبْرُ الجَمِيْلُ جَمِيْلُ
وَلاَ رَاقَ طَرْفِي فِي الوَرَىٰ حُسْنُ مَنْظَرٍ ... وَلاَ تَاقَ قَلْبِي صَاحِبٌ وَخَلِيْلُ
وَلَوْلاَ نُسَيْمَاتُ القَبُوْلِ تَزُوْرُنِي ... لَهَا أَرَجٌ مِنْ نَشْرِكُمْ وَقَبُوْلُ
لَمَا عِشْتُ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْكُمْ مُبَرِّحٍ ... بِقَلْبِيَ طُوْلَ الدَّهْرِ لَيْسَ يَزُوْلُ
زَعَمْتُمْ بِأَنَّ البُعْدَ شَهْرٌ وَقَدْ مَضَىٰ ... فَمَا لِلْنَوَىٰ تُلْوَىٰ بِكُمْ وَتَطُوْلُ

وأنشدني أيضًا لنفسه يصف الشمس(١): [من البسيط]

وَالشَّمْسُ مُصْفَرَّةٌ فِي الغَرْبِ قَدْ نَشَرَتْ ... شُعَاعَهَا فِي تَفَارِيْقٍ مِنَ السُّحُبِ
كَأَنَّمَا السُّحْبُ أَعْلاَمٌ مُوَرَّدَةٌ ... وَالشَّمْسُ مِنْ تَحْتِهَا تُرْسٌ مِنَ الذَّهَبِ

---

(١) مرّا في ترجمته السابقة.

وأنشدني من شعره أيضًا(١): [من مجزوء الكامل]

/ ٢٢٤ب/ وَجْهٌ صَفَا مَاءُ الجَمَا ... لِ بِهِ وَشُبَّتْ فِيهِ نَارُهْ
وَكَأَنَّ خَطَّ ابْنِ العَدِيـ ... ـمِ عَلَى حَوَاشِيهِ عِذَارُهْ

وأنشدني لنفسه في المعنى أيضًا(٢): [من مجزوء الكامل]

قَدْ زُخْرِفَتْ فِي وَجْهِهِ ... لِلنَّاسِ جَنَّاتُ النَّعِيمْ
وَكَأَنَّ خَطَّ عِذَارِهِ الـ ... ـمَنْسُوبَ خَطُّ ابْنِ العَدِيمْ

وأنشدني لنفسه(٣)، وقد سمع هذا البيت: [من الطويل]

وَسَمْرَاءَ رُودٍ حَجَّبُوهَا بِأَسْمَرٍ ... يُمَاثِلُهَا فِي اللَّوْنِ وَاللِّينِ وَالقَدِّ

فقال تمامًا له: [من الطويل]

جَفَتْ فَجَفَا جَفْنِي الكَرَى بِجَفَائِهَا ... كَأَنَّهُمَا كَانَا لِهَجْرِيَ عَلَى وَعْدِ

وأنشدني أيضًا قوله، يصف الجيش(٤): [من الطويل]

خَمِيسٌ كَمِثْلِ البَحْرِ عُبَّ عُبَابُهُ ... أَوَائِلُهُ لَيْسَتْ لَهُنَّ أَوَاخِرُ
لَهُ تَحْتَ أَطْبَاقِ الأَرَاضِي زَلَازِلٌ ... وَمِنْ فَوْقِ أَفْلَاكِ النُّجُومِ زَمَاجِرُ

وأنشدني أيضًا لنفسه(٥): [من مجزوء الرجز]

يَا مَالِكًا أَمْسَيْتُ مِنْ ... وَجْدِي بِهِ مُتَيَّمَا
سَقَامُ جَفْنَيْكَ الَّذِي ... أَغْرَى بِجِسْمِي السَّقَمَا
/ ٢٢٥أ/ وَنَارُ خَدَّيْكَ بِهَا ... وَقَعْتُ فِي جَهَنَّمَا
مَنْ مُنْصِفِي مِنْ شَادِنٍ ... مُهَفْهَفٍ عَذْبِ اللَّمَى
حَكَّمْتُهُ فِي مُهْجَتِي ... فَجَارَ لَمَّا حُكِّمَا
كَأَنَّ عِقْدَيْ لُؤْلُؤٍ ... فِي ثَغْرِهِ قَدْ نُظِمَا

---

(١) البيتان مرّا بترجمته السابقة.
(٢) مرّا بترجمته السابقة.
(٣) مرّا بترجمته السابقة.
(٤) مرّا بترجمته السابقة.
(٥) القطعة مرّت في ترجمته السابقة.

قَدْ رَقَمَ الحُسْنُ لَهُ فِي عَارِضَيْهِ أَرْقَمَا
نَمَّ بِسِرِّ حُسْنِهِ لَمَّا بَدَا مُنَمْنَمَا
وَسَلَّ مِنْ جُفُونِهِ مِنَ اللِّحَاظِ مِخْذَمَا
وَفَوَّقَ الهُدْبَ بِقَوْسَيْ حَاجِبَيْهِ أَسْهُمَا
وَهَزَّ لَدْنًا ذَابِلًا مِنْ قَدِّهِ مُقَوَّمَا
فَاعْتَرَضَتْ مِنْ دُونِهِ يَمْنَعُهُ أَنْ يُلْثَمَا
تَحْمِيهِ مِمَّنْ رَامَهُ وَحُقَّ لِلْثَغْرِ الحِمَىٰ

وأنشدني أيضًا لنفسه(١): [من مجزوء الرجز]

وَشَادِن شَادٍ هُوَ الشَّـ ـمْسُ ضُحًى بَلْ أَحْسَنُ
قَدْ جُمِعَتْ فِي خَلْقِهِ لِنَاظِرَيْهِ الفِتَنُ
يَوَدُّ جِسْمِي أَنَّهُ حِينَ يُغَنِّي أُذُنُ
/ ٢٢٥ب/ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ لَنَا أَحْسَنُ مَا يُسْتَحْسَنُ
مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَمَا تَلَذُّ الأَعْيُنُ

وأنشدني له في غلام التحى(٢): [من الطويل]

وَلَمَّا اكْتَسَىٰ بِالشَّعْرِ تَوْرِيدُ خَدِّهِ وَمَا حَالَةٌ إِلَّا تَؤُولُ إِلَىٰ حَالِ
وَقَفْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ قُلْتُ مُسَلِّمًا: (أَلَا انْعِمْ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ البَالِي)

وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

يُعَادِي فُلَانَ الدِّينِ قَوْمٌ لَوَ انَّهُمْ لأَخْمَصِهِ تُرْبٌ لَكَانَ لَهُمْ فَخْرُ
وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُذْكَرُوا فَتَعَمَّدُوا عَدَاوَتَهُ حَتَّىٰ يَكُونَ لَهُمْ ذِكْرُ

وأنشدني أيضًا قوله: [من الوافر]

وَمَا لِيَ لَا أُحَيِّي دَارَ لَيْلَىٰ وَأَحْبِسُ فِي مَعَالِمِهَا رِكَابِي
وَأَعْتَنِقُ التُّرَابَ لَعَلَّ قَلْبِي يُسَكِّنُ حَرَّهُ بَرْدُ التُّرَابِ
وَقَدْ سَلَفَتْ لَنَا فِيهَا بِلَيْلَىٰ لَيَالٍ مِثْلُ رَيْعَانِ الشَّبَابِ

---

(١) الأبيات مرّت في ترجمته السابقة.
(٢) البيتان مرّا بترجمته السابقة.

وأنشدني لنفسه(١): [من السريع]

أَنْشَدَ عِزُّ الدِّيْنِ أَشْعَارَهُ فَمَا شَكَكْنَا أَنَّهَا دُرُّ
وَمَا عَجِبْنَا أَنَّهُ مُخْرِجٌ لِلدُّرِّ مِنْهُ وَهُوَ البَحْرُ
/ ٢٢٦أ/ وَإِنَّ أَوْصَافَ الوَزِيْرِ الَّذِيْ يَفْرَقُ مِنْ صَوْلَتِهِ الدَّهْرُ
قَدْ أَكْسَبَتْ أَشْعَارَهُ بَهْجَةً يَخْجَلُ مِنْهَا الشَّمْسُ وَالبَدْرُ

وأنشدني لنفسه في الفقيه الإمام نجم الدين موسىٰ بن محمد القمراوي يمدحه(٢): [من البسيط]

أَصْبَحْتَ عَلَّامَةَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا تُشَدُّ نَحْوَكَ مِنْ أَقْطَارِهَا النُّجُبُ
بَانَ عَلَىٰ كَبِدِ الجَوْزَاءِ مَنْزِلَةً تَحُفُّهَا مِنْ خِلَالِ حَوْلَهَا الشُّهُبُ
مَا نَالَ مَا نِلْتَ مِنْ فَضْلٍ وَمِنْ شَرَفٍ سُرَاةُ قَوْمٍ وَإِنْ جَدُّوا وَإِنْ طَلَبُوا

وأنشدني لنفسه يمدح الوزير زين الدين عبد المحسن بن محمد بن الواحد بن حرب الحَلَبي، وزير الملك العزيز غياث الدين محمد بن غازي بن يوسف(٣): [من الخفيف]

إِدَّعَىٰ مُفْتِي الأَنَامِ رَئِيْسُ الـ ـشَّامِ زَيْنُ الإِسْلَامِ قَاضِيْ القُضَاةِ
أَنَّ ذَا الصَّاحِبَ الوَزِيْرَ بْنَ حَرْبٍ ذَا المَعَالِيْ وَالأَنْعُمِ السَّابِقَاتِ
نَاشِرُ العَدْلِ فِي الرَّعِيَّةِ طَاوِيْ الـ ـظُّلْمِ عَنْهَا مُوَفَّقُ العَزَمَاتِ
خَاضِبُ الأَبْيَضِ المُهَنَّدِ وَالأَسْمَرِ فِي الرَّوْعِ مِنْ نَجِيْعِ الكُمَاةِ
/ ٢٢٦ب/ وَالشُّهُوْدُ العُدُوْلُ عَدْلٌ وَفَضْلٌ وَنَوَالٌ وَالأَبْحُرُ الزَّاخِرَاتُ
وَعَجِيْبٌ أَنْ أَدَّعِيْ مَا أَرَىٰ النَّا سَ أَقَرُّوا بِهِ وَبِالبَيِّنَاتِ

وأنشدني لنفسه وقد رأىٰ شيئًا من شعر الصاحب الوزير الكبير العالم مؤيد الدين أبي نصر إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم الشيباني ـ أسعده الله تعالىٰ ـ: [من الطويل]

وَقَفْتُ عَلَىٰ شِعْرِ الوَزِيْرِ ابْنِ يُوْسُفٍ فَقُلْتُ شَمَالٌ صَافَحَتْهُ شَمُوْلُ

---

(١) مرّت الأبيات في ترجمته السابقة.
(٢) الأبيات مرّت في ترجمته السابقة.
(٣) مرّت القطعة في ترجمته السابقة.

تُـدَافُ مِـنَ السِّحْـرِ الحَـلاَلِ كَـأَنَّهَـا نُجُـوْمُ سَمَـاءٍ مَـا لَهُـنَّ أُفُـوْلُ
فَلِلَّـهِ أَبْيَـاتٌ أَتَتْنَـا بَـدِيْهَـةً وَذَاكَ عَلَـىٰ الفَضْـلِ الغَـزِيْـرِ دَلِيْـلُ
بِخَـطٍّ كَنُـوَّارِ الحَـدَائِـقِ جَـادَهُ مِـنَ المُـزْنِ وَكَّـافُ السَّحَـابِ هَطُـوْلُ
سُطُـوْرٌ كَـوَشْـيِ الـرَّوْضِ حُسْنـاً أَجَـادَهَـا بَنَـانٌ بِـأَرْزَاقِ العِبَـادِ كَفِيْـلُ
لَـكَ اللهُ مَـوْلًـى شَـدَّ أَزْرِي وَسَـاعِـدِيْ وَقَـامَ بِنَصْـرِي وَالـزَّمَـانُ خَـذُوْلُ
وَقَـابَلَنِـي إِقْبَـالُـهُ عِنْـدَمَـا انْثَنَـى وَأَعْـرَضَ عَنِّـي صَـاحِـبٌ وَخَلِيْـلُ
فَلَسْـتُ أُبَـالِـي بِـالخُطُـوْبِ وَظِلُّـهُ عَلَـيَّ عَلَـىٰ مَـرِّ الـزَّمَـانِ ظَلِيْـلُ
فَمَـا خَـابَ فِـيْ الـدُّنْيَـا امْـرُؤٌ هُـوَ قَصْـدُهُ وَلاَ شَمِلَتْـهُ ذِلَّـةٌ وَخُمُـوْلُ
/ ٢٢٧أ/ فَـدَامَ لإِسْـدَاءِ المَكَـارِمِ مَـا شَـدَا حَمَـامٌ وَهَبَّـتْ شَمْـأَلٌ وَشَمُـوْلُ

ونقلتُ من خطِّه، قوله بعد موته ـ رحمه الله تعالىٰ ـ ما كتبهُ إلىٰ الأمير الكبير العالم السعيد صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن موسىٰ بن يوسف بن أيوب ـ أدام الله سعادته ـ من حلب إلىٰ الرُّها، يتشوقه ويستوحش له: [من الطويل]

تَجَنَّـىٰ فَقَلْبِـي مِـنْ تَجَنِّيْـهِ يَخْفِـقُ حَبِيْـبٌ غَـرِيْـبُ الحُسْـنِ أَلْمَـى مُمَنْطَـقُ
تَبَسَّـمَ عَـنْ عَـذْبِ الثَّنَـايَـا كَـأَنَّهَـا جُمَـانٌ شَـذَاهَـا مِـنْ شَـذَا المِسْـكِ أَعْبَـقُ
وَوَسْنَـانُـهُ أَمْضَـىٰ شَبـاً مِـنْ سِنَـانِـهِ وَقَـامَتُـهُ مِـنْ قَـامَـةِ الـرُّمْـحِ أَرْشَـقُ
زَهَـا وَرْدُ خَـدَّيْـهِ بِـآسِ عِـذَارِهِ فَظَـلَّ بِـهِ قَلْـبُ الشَّقِيْـقِ يُشَقَّـقُ
عَسَـىٰ هَجْعَـةٌ يَـا طَـرْفُ عَـلَّ خَيَـالَـهُ يَـزُوْرُ إِذَا نَـامَ الـرَّقِيْـبُ وَيَطْـرُقُ
وَكَيْـفَ يَـزُوْرُ الطَّيْـفُ لَـوْ سَـاعَـدَ الكَـرَىٰ وَمِـنْ دُوْنِـهِ بَحْـرٌ مِـنَ الـدَّمْـعِ مُغْـرِقُ
تُـرَىٰ يَـرْعَـوِيْ عَـنْ هَجْـرِهِ وَيَعُـوْدُ لِـي زَمَـانٌ مَضَـىٰ لِـيْ مِنْـهُ بِـالـوَصْـلِ مُـوْنِـقُ
لَيَـالِـيَ لاَ أَلْـوِيْ عَلَـىٰ عَـذْلِ عَـاذِلٍ بِسَمْعِـي وَغُصْـنُ العَيْـشِ رَيَّـانُ مُـوْرِقُ
/ ٢٢٧ب/ وَكَـأْسُ الهَـوَىٰ صِـرْفـاً تُـدَارُ وَبَيْنَنَـا حَـدِيْـثٌ كَـوَشْـيِ [الـرَّوْضِ] حُسنـاً مُنَمَّـقُ
فَـلاَ عُـذْرَ لِـيْ إِنْ لَـمْ يُـرَوَّضْ بِـأَدْمُعِـي مِـنَ الحُـزْنِ حَـزْنٌ بِـالعَقِيْـقِ وَأَبْـرَقُ
وَحَتَّـىٰ مَتَـىٰ أَبْلَـىٰ أَسًـى بِبِعَـادِهِ أَمَـالِـي مُجِيْـرٌ فِـيْ هَـوَاهُ وَمُشْفِـقُ
بَلَـىٰ إِنَّ لِـيْ فِـيْ ظِـلِّ يُـوسُـفَ مَلجَـأً يُشَـرِّدُ عَنِّـي الخَطْـبَ وَالخَطْـبُ مُحْنِـقُ
فَتًـى فَـاتَ كُـلَّ العَـالَمِيْـنَ إِلَـىٰ العُـلاَ بِعَـزْمٍ يُبَـارِي البَـرْقَ سَعْيـاً فَيَسْبِـقُ
فَمَـنْ حَـاتِـمٌ فِـيْ جُـوْدِهِ وَابْـنُ مَـامَـةٍ وَمَـنْ عَـامِـرٌ فِـيْ بَـأْسِـهِ وَالمُحَـرِّقُ

وَقَدْ عَلِمَ الأَقْوَامُ أَنَّكَ مِنْهُمُ ... بِفِعْلِ النَّدَىٰ وَالبَأْسِ أَوْلَىٰ وَأَلْيَقُ
وَأَضْرَبُ بِالبِيْضِ الصَّوَارِمِ فِي الوَغَىٰ ... وَأَطْعَنُ بِالسُّمْرِ اللِّدَانِ وَأَحْذَقُ
وَكَمْ مَعْرَكٍ لِلْمَوْتِ جَأْشُكَ رَابِطٌ ... بِهِ وَبِهِ هَامُ الكُمَاةِ تُفَلَّقُ
تَشُقُّ بِهِ بَحْرًا مِنَ الدَّمِ مُزْبِدًا ... بِجَيْشٍ بِهِ آذِيُّهُ المُتَدَفِّقُ
عَلَىٰ سَابِحٍ نَهْدٍ يُرِيكَ نَشَاطُهُ ... كَأَنَّ بِهِ مِنْهُ عَلَىٰ الأَيْنِ أَوْلَقُ(١)
فَكَيْفَ أَرَاكَ الدَّهْرُ مِنْكَ مَسَاءَةً ... وَمَازَالَ مِنْكَ الدَّهْرُ يَخْشَىٰ وَيَفْرَقُ
لَقَدْ سَاءَنِي مَا كَانَ مِنْهُ فَأَقْبَلَتْ ... بِهِ عَبْرَتِي مِنْ لَوْعَةٍ تَتَرَقْرَقُ
وَيَسْأَلُنِي عَنْ حَالَتِي مَنْ لَقِيتُهُ ... فَأُذْهَلُ عَنْ رَدِّ الجَوَابِ وَأُطْرِقُ
وَمَادَتْ بِهِ شُمُّ الجِبَالِ مَخَافَةً ... وَكَادَتْ بِهِ رُوْحُ المَكَارِمِ تُزْهَقُ
/٢٢٨أ/ وَلَكِنَّهُ وَلَّىٰ وَأَعْقَبَ صِحَّةً ... مُجَدَّدَةً لَيْسَتْ مَدَىٰ الدَّهْرِ تَخْلَقُ
كَمَا يَكْسِفُ الشَّمْسَ سَاعَةً ... وَعَادَ إِلَيْهَا نُورُهَا يَتَأَلَّقُ
فَشُكْرًا لِمَنْ عَافَاكَ مِنْ كُلِّ مُؤْلِمٍ ... وَمِنْ كُلِّ مَكْرُوْهٍ يَسُوْءُ وَيُقْلِقُ
وَأُبْلِغْتُ عَتْبًا عَنْكَ أَضْرَمَ ذِكْرُهُ ... حَشَايَ بِنَارٍ تَسْتَنِيْرُ فَتُحْرِقُ
وَمَا كَانَ تَرْكِي الكُتْبَ إِلَّا لِأَنَّهُ ... تَعَذَّرَ عِنْدِي مَنْ إِلَيْكَ يُشَرِّقُ
وَإِلَّا فَمَنْ يَشْتَاقُ مِثْلِي عَلَىٰ النَّوَىٰ ... إِلَيْكَ وَمَنْ يَحْنُو عَلَيْكَ وَيُشْفِقُ
وَيَبْقَىٰ عَلَىٰ مَرِّ الجَدِيْدَيْنِ دَائِمًا ... جَدِيدًا لَهُ عَهْدٌ وَثِيْقٌ وَمَوْثِقُ
وَجُدْتَ عَلَىٰ قُرْبِ الدِّيَارِ وَبُعْدِهَا ... كَمَا جَادَ هَطَّالٌ مِنَ المُزْنِ مُغْدِقُ
بَقِيْتَ بَقَاءَ النَّيِّرَاتِ مُخَلَّدًا ... وَأَنْوَارُهَا مِنْ نُورِ وَجْهِكَ تُشْرِقُ
فَلِلْفَضْلِ وَالإِفْضَالِ وَالبَأْسِ وَالنَّدَىٰ ... وَلِلدِّيْنِ وَالدُّنْيَا بِبُقْيَاكَ رَوْنَقُ

وأنشدني أيضًا من شعره: [من الخفيف]

يَا غَنِيًّا عَنِّي وَمَا لِي غِنًى عَنْـ ... ـهُ إِلَىٰ كَمْ يَكُوْنُ هَذَا الجَفَاءُ
قَدْ رَثَىٰ [لِيْ] الحُسَّادُ مِنْ سُوْءِ حَالِي ... وَبَكَىٰ رَحْمَةً لِيَ الأَعْدَاءُ

وقال أشعارًا كثيرة تفرقت وذهبت، كان ينفذها إلىٰ معارفه وأصدقائه.

---

(١) الأولق: الجنون.

[٨٤٣]

/٢٢٨ب/ مُحَمَّدُ بنُ عابدِ بنِ مُحَمَّدٍ، أبو المكارمِ الكرمانيُّ الصُوفيُّ الزَرَنْديُّ.

أخبرني الصاحب الوزير أبا البركات المستوفي ـ رضي الله عنه ـ إجازة، قال: ورد إربل غير مرّة. ثم وردها في جمادى الآخرة سنة ست عشرة وستمائة، واجتمعتُ به في رجب. وكان الشيخ أبو نصر عمر بن محمد السُّهرَوَرْدي، كتب له بخطّه إلىٰ الفقير إلىٰ الله تعالىٰ أبي سعيد كوكبُوري بن علي [بن] بكتكين يثني عليه بما حكايته:

«شهاب الدين الكرماني متفنن في العلوم، ويعرف المذهب والخلاف والحديث والتفسير والنحو واللغة. ومع ذلك هو ذو دين، وله النظم والنثر والترسل، ويصلح للتدريس والقضاء، وأنْ يُبعث رسولاً. غير أنَّ بعض الناس تقبله بعض الطباع، وتأباه بعض الطباع فإنْ قبله الطبع بشيء من ذلك بقدر أن يقيم، وإلاّ فليُنعم عليه بعوده إلىٰ بلاده».

فأحببتُ الإجتماع به لهذه الأوصاف المنسوبة إليه، فوجدتُ ثناءَه عليه، أكثر مما نسبه إليه. وناولني ورقة يمدح بها أبا سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين، وقرأتها تهنئة بشهر رجب المذكور. وأولها:

«حسبي الله كافياً ومعيناً»

[من الكامل]

/٢٢٩أ/ رَجَبٌ أَتَىٰ في حُرْمَةٍ وَجَمَالِ ... مُتَبَخْتِراً في مِشْيَةِ المُخْتَالِ

بَابَ المَلِيْكِ مُظَفَّرِ الدِّيْنِ الَّذِيْ ... سَبَقَ المُلُوْكَ بِجُوْدِه الهَطَّالِ

المُحْسِنِ المِطْعَامِ وَالمِقْدَامِ مَنْ ... أَضْحَىٰ بِسُؤْدُدِه عَدِيْمَ مِثَالِ

وُصِلاَتُهُ وَصَلاَتُهُ وَصِلاَتُهُ ... مَعْ حُسْنِ أَخْلاَقٍ وَيُمْنِ فَعَالِ

كَالرَّمْلِ أَوْ قَطْرِ السَّمَاءِ وَعَدِّهَا ... أَيهُوْنُ عَدُّ قِطَارِه وَرِمَالِ

يَخْتَارُ شَأْوَ المَكْرُمَاتِ وَوَصْفُهُ ... قَدْ فَاتَ كُلَّ مُجَوِّدٍ قَوَّالِ

لِيُبَشِّرَ السُّلْطَانَ بَعْدَ قُدُوْمِهِ ... بِبَقَائِهِ أَلْفاً مِنَ الأَحْوَالِ

فِــي رِفْعَــةٍ وَجَــلاَلَــةٍ وَمَكَــانَــةٍ ... وَنَفَــاذِ أَمْــرٍ نَــافِــذِ الأَحْــوَال
يَــا أَيُّهَــا السُّلْطَــانُ وَالمَلِــكُ الَّــذِيْ ... فَــاقَ الخَــلاَئِــقَ فِــيْ خِــلاَلِ جَــلاَلِ
أَعْجَــزْتَ أَرْبَــابَ المَكَــارِمِ وَالعُــلاَ ... بِفَضَــائِــلٍ جَلَّــتْ عَــنِ الأَمْثَــالِ
وَجَمَعْــتَ شَمْــلَ الــدِّيْــنِ بَعْــدَ تَشَتُّــتٍ ... وَنَفَيْــتَ عَنْــهُ شَعْــبَ كُــلِّ ضَــلاَلِ
وَصَــرَفْــتَ عَــنْ حُــرُمَــاتِــهِ قَصْــدَ العِــدَا ... بِكَتَــائِــبِ الأَجْنَــادِ وَالأَبطَــالِ
وَرَفَعْــتَ أَمْــرَ الشَّــرْعِ أَرْفَــعَ مَنْــزِلٍ ... وَدَفَعْــتَ أَهْــلَ الطَّبْــعِ بِــالأَبطَــالِ
وَنَصَبْــتَ أَعْــلاَمَ الهُــدَىٰ بِسِيَــاسَــةٍ ... وَظُبُــاتِ أَسْيَــافٍ وَطَعْــنِ عَــوَالِــيْ

قال: وهي أبيات كثيرة، وعقبها بكلام منثور.... الحاجة في إيراد ذلك.

[٨٤٤]

/٢٢٩ب/ مُحَمَّدُ بنُ غُرَّةَ بنِ أبي الفتح بن سالمِ بنِ غرَّةَ بنِ مرّةَ، أبو عبد الله المُرّيُّ ثُمَّ العمريُّ الكلاَبيُّ(١).

من أهل حرّان.

أخبرني أنه ولد بها في شهر شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة. شيخ أشقر، عبلُ الجثة، قرأ طرفًا من مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ علىٰ الضياء عثمان الزرزاريّ.

رأيته بحلب، وهو ينوبُ محتسبها محي الدين أبا صالح عبد الكريم بن عثمان بن عبد الرحيم بن العجمي، عنه في الحسبة. ومن يرىٰ شكله وهيأته يحسبُهُ معلم صبيان المكتب لرقاعته وحماقة في رأسه، ويتعاطىٰ الفضائل، ويدّعي قول الشعر، وليس عنده من الذي يدّعيه شيء، بل يغلب علىٰ طباعه الحماقة والعاميّة. وزعم أنَّ له شعراً كثيراً.

ومما أنشدني لنفسه بحلب في شعبان سنة أربع وثلاثين وستمائة: [من الكامل]

لَــوْ سَــارَ طَيْــفُ خَيَــالِكُــمْ أَوْ زَارَا ... لَحَمَلْــتُ مِــنْ ثِقْــلِ الهَــوَىٰ أَوْزَارَا
لَكِنَّــهُ كَــانَ الطَّلِيْــقَ مِــنَ الجَــوَىٰ ... فَجَفَــا وَلَــوْ يَسْــرِيْ لَفَــكَّ أُسَــارَىٰ

(١) في هامش الأصل: «[توفي] سنة ست وخمسين وستمائة بحلب».

وَلَقَدْ أَقُوْلُ لِبَارِقٍ مِنْ بَارِقٍ   بِوَمِيْضِهِ لَمَّا وَرَىٰ وَتَوَارَىٰ
/٢٣٠أ/ يَا أَيُّهَا البَرْقُ الَّذِي بِخُفُوْقِهِ   أَهْدَىٰ إِلَىٰ قَلْبِي الخُفُوْقَ وَسَارَا
أَبْكَيْتَ طَرْفِي حِيْنَ تَبْسِمُ فِي الدُّجَىٰ   فَلِذَاكَ أَجْرَيْتُ الدُّمُوعَ غِزَارَا
بِاللهِ قُلْ هَلْ عِنْدَ مَنْ خَلَّفْتُهُ   عِلْمٌ بِمَا جَرَّ الفِرَاقُ وَجَارَا
أَمْ هَلْ تَرَىٰ أَنِسُوا لِصُحْبَةِ ذَاكِرٍ   يَتَمَثَّلُ الأَوْطَانَ وَالأَوْطَارَا
يَا حَارِ رَوِّحْ بِالمَطِيِّ مِنَ السُّرَىٰ   نَفْسًا فَإِنَّ دَلِيْلَهَا قَدْ حَارَا
وَارْفُقْ بِأَبْنَاءِ الغَرَامِ فَإِنَّهُمْ   مِنْ خَمْرِ كَاسَاتِ الفِرَاقِ سُكَارَىٰ
قَدْ طَلَّقُوا لَذَّاتِهِمْ فَنَهَارُهُمْ   فِكَرٌ وَأَمَّا لَيْلُهُمْ فَسُهَارَىٰ
مِنْ كُلِّ مَطْبُوعٍ عَلَىٰ دِيْنِ الهَوَىٰ   وَكَفَاهُمُ هَذَا المَقَامُ فَخَارَا
أَنْضَاءُ شَوْقٍ تَسْتَقِلُّ بِحَمْلِهِمْ   أَنْضَاءُ سُوْقٍ كَالقِسِيِّ تُبَارَىٰ
لِلنَّوْحِ تَحْسَبُهُمْ حَمَائِمَ أَيْكَةٍ   صَارَتْ لَهُمْ أَكْوَارُهَا أَوْكَارَا
وَكَأَنَّ أَحْدَاجَ المَطِيِّ وَهُمْ بِهَا   أَبْرَاجُ حُسْنٍ أَطْلَعَتْ أَقْمَارَا

وأنشدني أيضًا لنفسه إملاءً: [من الطويل]

إِذَا مُغْرَمٌ صَبٌّ خَلَا مِنْ مُعِيْنِهِ   فَنَجْدَتُهُ دَمْعٌ جَرَىٰ مِنْ مَعِيْنِهِ
وَلَمْ يَكُ مُعْتَاضًا عَنِ الحُبِّ شَأْنَهُ   إِذَا عَزَّ لُقْيَاهُ بِفَيْضِ شُؤُوْنِهِ!
/٢٣٠ب/ وَلَا تَعْذُلِ المُشْتَاقَ فِيْمَنْ يُحِبُّهُ   فَعَذْلُكَ يُغْرِيْهِ بِفَرْطِ جُنُوْنِهِ
وَمَا يَنْفَعُ العُذَّالَ جَذْبُ شِمَالِهِ   وَقَدْ أَكَّدَ المِيْثَاقُ أَخْذَ يَمِيْنِهِ
أَقَامَ عَلَىٰ دَعْوَاهُ عِنْدَ عَذُوْلِهِ   بَرَاهِيْنَ تَنْفِي شَكَّهُ بِيَقِيْنِهِ
مَحَاسِنُ مَنْ يَهْوَىٰ فَعَادَ عَذِيْرُهُ   خَلِيًّا بِهَا عَنْ وَهْمِهِ وَظُنُوْنِهِ
يَمُوْتُ وَيَحْيَا كُلَّمَا شَامَ بَارِقًا   تَأَلَّقَ مِنْ سَهْلِ الحِمَىٰ وَحُزُوْنِهِ
يُذَكِّرُهُ وَصْلًا مَضَىٰ كَخُفُوْقِهِ   وَظُلْمَةَ هَجْرٍ بَعْدَهُ كَسُكُوْنِهِ
فَلَا تَلْمُ صَبًّا مَشُوْقًا إِلَىٰ الحِمَىٰ   يَنُوْحُ عَلَىٰ أَوْطَارِهِ لِشُجُوْنِهِ
فَإِنَّ بِهِ وُرْقَ الحَمَائِمِ فِي الضُّحَىٰ   تَنُوْحُ عَلَىٰ كُثْبَانِهِ وَغُصُوْنِهِ

وأنشدني أيضًا قوله إملاءً من لفظه: [من الوافر]

تَرَفَّقْ فِي مَلَامِكَ يَا مَلُوْمُ   فَمَا إِعْرَاضُهُ حَالٌ تَدُوْمُ
يُرِيْكَ قَسَاوَةً وَيَلِيْنُ سِرًّا   كَذَا الأَغْصَانُ عَنْ مَيْلٍ تَقُوْمُ

أُبثُّ إِلَيْهِ شَكْوَايَ وَيُبْدِي الـ ـتَجَاهُلَ وَهْوَ بِالشَّكْوَى عَلِيمُ
بَدِيعٌ فِي الجَمَالِ إِلَيْهِ يَصْبُو بِبَهْجَةِ حُسْنِهِ الرَّجُلُ الحَلِيمُ
عَدَتْنِي صِحَّتِي لِصَحِيحِ طَرْفٍ وَأَعْدَانِي بِهِ الجَفْنُ السَّقِيمُ
/ ٢٣١أ/ وَخَدَّ مُهْجَتِي خَدٌّ أَسِيلٌ فَبِالأَحْشَاءِ مِنْ كَلَفِي كُلُومُ
أَنِسْتُ بِنَارِ خَدَّيْهِ كَأَنِّي لِفَرْطِ صَبَابَتِي مُوسَى الكَلِيمُ(١)
أَزَالَ مَدَامِعِي مِنْ بَعْدِ صَوْنٍ فَنَاثِرُهَا لَهُ ثَغْرٌ نَظِيمُ
وَأَهْوَى قَدَّهُ الخَطَّارَ عُجْبًا إِذَا مَا مَالَ لَا القَدُّ القَوِيمُ
شَكَوْتُ عَقَارِبًا لَدَغَتْ فُؤَادِي وَمَا دَبَّتْ بِوَجْنَتِهِ تُقِيمُ
عَجِبْتُ وَلَا سَلِيمٌ مِنْ هَوَاهُ يَذُوقُ كَرًى وَلَكِنِّي السَّلِيمُ

وأنشدني لنفسه أيضًا: [من البسيط]

مَا رُمْتُ عَنْ عَاذِلِي وَجْدًا أُكَتِّمُهُ إِلَّا بَوَادِرَ دَمْعِ العَيْنِ تُعْلِمُهُ
أَنَّى يُفِيقُ مِنَ البَلْوَى بِهِ دَنِفٌ وَصِحَّةُ الحُبِّ وَالأَشْوَاقُ تُسْقِمُهُ
بَدْرٌ لَهُ مِنْ ضِيَاءِ الحُسْنِ أَنْوَرُهُ وَمِنْ حَنَادِسِ لَيْلِ الشَّعْرِ مُظْلِمُهُ
عَجِبْتُ كَيْفَ سَبَى قَلْبِي تَمَايُلُهُ وَأَقْتَلُ الرُّمْحِ فِي الهَيْجَا مُقَوَّمُهُ
فَلَوْ تَرَى حِينَ أَشْكُو وَهْوَ يَبْسِمُ مِنْ دَمْعِي عَلَى صَحْنِ خَدِّي كَيْفَ أَسْجُمُهُ
فَمَا السَّحَابُ سِوَى جَفْنِي هَاطِلَةً وَلَا البُرُوقُ بِهِ إِلَّا تَبَسُّمُهُ
يَا بَاخِلًا ظَنَّ أَنَّ الطَّيْفَ يَطْرُقُنِي فَصَدَّهُ فِي السُّرَى عَنِّي تَوَهُّمُهُ
/ ٢٣١ب/ مَا ضَرَّ أَنَّ خَيَالًا مِنْكَ تُرْسِلُهُ وَكَانَ يَحْظَى بِهِ فِي النَّوْمِ مُغْرَمُهُ

وأنشدني أيضًا لنفسه، مما قاله في الغزل، مبدأ قصيدة: [من الطويل]

سَلَاسِلُ بَرْقٍ لَاحَ وَالرَّكْبُ مُتْهِمُ تَقَيَّدَ فِي رُؤْيَاهُ صَبٌّ مُتَيَّمُ
وَيَخْفُقُ مِنْهُ قَلْبُهُ لِخُفُوقِهِ وَيَبْكِي لِذِكْرَى حُبِّهِ وَهْوَ يَبْسِمُ
وَمِنْ عَجَبٍ نَارٌ عَلَى البُعْدِ أَوْقَدَتْ بِأَحْشَائِهِ نَارَ الأَسَى تَتَضَرَّمُ
أُرَاقِبُهَا حَتَّى الصَّبَاحِ لَعَلَّهُ يَرَى نَسْمَةً مِنْ نَحْوِهَا تَتَنَسَّمُ
وَيَرْجِعُ إِمَّا مِنْهُ تُهْدِي تَحِيَّةً إِلَيْهِمْ وَإِمَّا بِالتَّحِيَّةِ مِنْهُمُ

(١) في عجز البيت تورية.

خَلِيلَيَّ كُفَّا لَيْسَ عَذْلِي بِنَافِعٍ ... وَهَيْهَاتَ يُصْغِي فِي المَلَامَةِ مُغْرَمُ
وَلَا تَعْذُلَا مَا كَانَ أَشْهَى لِسَمْعِهِ ... أَحَادِيثَ تُرْوَى فِي المَحَبَّةِ عَنْهُمُ
فَهَا رَجَبٌ سَمْعِي وَصَبْرِي لِبَيْنِهِمْ ... غَدَا صَفَراً وَالنَّوْمُ عَنِّي مُحَرَّمُ
فَيَا مَالِكِي فِي القَلْبِ مِنْكَ نُوَيْرَةٌ ... وَفِي جَفْنِ عَيْنِي مِنْ هَوَاكُمْ مُتَمِّمُ(١)

وأنشدني لنفسه أيضًا غزلاً: [من الطويل]

أَفِي الفَتْكِ أَمْضَى لَحْظُهُ أَمْ مُهَنَّدُ ... حُسَامٌ غَدَا فِي العَاشِقِينَ يُجَرَّدُ
/٢٣٢أ/ وَغُصْنُ النَّقَا فَوْقَ الكَثِيبِ إِخَالُهُ ... وَشَمْسُ الضُّحَى أَمْ وَجْهُهُ يَتَوَقَّدُ
أَحَاطَ عَلَيْهِ مُقْفَلٌ مِنْ عِذَارِهِ ... عَجِبْتُ لَهُ، أَنَّى لَهُ وَهْوَ أَغْيَدُ؟
وَأَعْجَبُ مِنْهُ قَاتِلِي وَهْوَ آمِنٌ ... عَلَى نَفْسِهِ وَالخَدُّ مِنْهُ مُزَرَّدُ
حَكَى مَدْمَعِي فِي الخَدِّ رِقَّةَ خَدِّهِ ... وَلَكِنَّهُ مِنْ لَوْنِهِ يَتَوَرَّدُ
وَثَغْراً لَهُ فِي فِيهِ أَضْحَى مُنَضَّداً ... فَمِنْ أَجْلِهِ دَمْعِي عَلَيْهِ مُبَدَّدُ
رَنَا فَسَقَى مِنْ لَحْظِهِ الخَمْرَ صَحْبَهُ ... فَأَعْجِبْ بِهِ صَاحٍ عَلَيَّ يُعَرْبِدُ
نَظَلُّ سُكَارَى لَا نُفِيقُ مِنَ الهَوَى ... إِذَا مَا انْقَضَى سُكْرٌ لَنَا يَتَجَدَّدُ
تَخَيَّلْتُهُ فِي خَاطِرِي فَرَأَيْتُهُ ... فَمِنْ عُظْمِ إِجْلَالِي لَهُ ظَلْتُ أَسْجُدُ
فَكَمْ حَاسِدٍ أَوْ عَاذِلٍ عَادَ عَاذِراً ... إِذَا مَا رَأَى الحُسْنَ الَّذِي فِيهِ أَحْسُدُ
يَرُومُ صَلَاحِي بِالمَلَامِ وَمَا دَرَى ... إِلَى العَذْلِ عَنْهُ فِي المَحَبَّةِ يُفْسِدُ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الكامل]

ذِكْرُ الحَبِيبِ لَدَى الكَئِيبِ شُجُونُ ... وَكَذَا المَلَامُ لَدَى الغَرَامِ جُنُونُ
مِثْلُ النَّسِيمِ يَزِيدُ نِيرَانَ الغَضَا ... لَهَباً وَيُظْهِرُ مَا بِهِنَّ دَفِينُ
ظَبْيٌ رَأَى قَتْلِي بِلَحْظِ عُيُونِهِ ... أَثَّرْنَ فِي قَلْبِي فَهُنَّ عُيُونُ
/٢٣٢ب/ لَوْ لَمْ تَكُنْ قُضُبَاً تُرِيقُ دِمَاءَنَا ... مَا قِيلَ أَغْطِيَةُ اللِّحَاظِ جُفُونُ
لَا تَحْسَبَنْ خَالاً يَلُوحُ بِخَدِّهِ ... لَكِنَّ إِثْمِي لِلْأَنَامِ يَبِينُ

---

(١) في البيت تورية، ومالك ومتمم ابنا نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعيين التميميين.
مالك: هو أبو حنظلة، فارس شجاع، من أرادف الملوك في الجاهلية، يقال له: «فارس ذي الخمار» وذو الخمار فرسه، وفي أمثالهم «فتًى ولا كمالك». توفي سنة ١٢هـ.
متمم: هو أبو نهشل، شاعر فحل، صحابي من أشراف قومه، توفي سنة ٣٠هـ.

إسْــوَدَّ فيْـــه دَمــي لِيَبْقَــىٰ شَــاهــداً ... منْــهُ عَلَيْـــه فـــيْ الحسَـــاب يكُـــوْنُ
يَحْكـــيْ القَضِيْـــبَ إذَا عَتَبْـــتُ بمَيلِـــه ... حَيْنـــاً ويَعْطِفُـــهُ عَلـــيَّ اللِّيْـــنُ
أهْــوَىٰ لمَــا يَــرْضَـــى وَإنْ حَتْفِــيْ بِــه ... مَــا عَــزَّ عنْــديْ مَــا عَلَيْــه يَهُــوْنُ
أشْكُـــوهُ أمْ أشْكُـــوْ إلَيْـــه وَكَيْـــفَ لـــيْ ... لَـــوْ أنَّـــهُ عنْـــدَ العتَـــاب يَلِيْـــنُ
إنِّـــي وَإيَّـــاهُ قَتِيْـــلٌ فـــيْ الهَـــوَىٰ ... وَمُبَـــرَّأٌ فـــيْ فعْلِـــه وَضَمِيْـــنُ

وأنشدني لنفسه أيضًا، وكان قد رحل من حلب إلىٰ البيرة: [من الطويل]

أأحْبَـابَنَـا غِبْتُـمْ فَـأدْنَـاكُـمُ الهَـوَىٰ ... بِقَلْبِـيْ فَـأنْتُـمْ نَـازِحُـوْنَ دَوَانـيْ
يُمَثِّلُكُـمْ قَلْبِـيْ فَـأنْظُـرُكُـمْ بِـه ... كَـأنْ لَـمْ تَـزَلْ أشْخَـاصُكُـمْ بعيَـانـيْ
رَكِبْتُمْ لِحَيْنِـيْ مَـرْكَـبَ الصَّـدِّ جَـامحـاً ... وَشَـوْقِـيْ إلَيْكُـم آخـذٌ بعِنَـانـيَ(١)
وَعَـوَّضْتُـمُ عَـنْ قُـرْبكُـمْ ببِعَـادِكُـمْ ... فَجُـوْدُوا فَمَـا لـيْ بـالفِـرَاق يَـدَان
جَنَيْـتُ عَلَـىٰ رُوْحِـيْ البِعَـادَ بِـرِحْلَتِـيْ ... كَـذَا كُـلُّ جَـانٍ للْقَطِيْعَـة جَـانـيْ
/ ٢٣٣أ/ يَقِلُّ اصْطِبَارِيْ كُلَّمَا زَادَ مَوْهِنًا ... وَمِيْـضُ بُـرَيْـقٍ بـالشَّـام شَجَـانـيْ
علَـىٰ حَلَـبَ مَسْـرَاهُ فـيْ ظُلْمـة الـدُّجَـىٰ ... كَلَمْـعِ ثُغُـوْرٍ أوْ فِـرِنْـدِ يَمَـانـيْ
خَليلَـيَّ مِـنْ ذِكْـرِ الحِمَـىٰ وَطُـوَيْلِـعٌ ... دَعَـانـيْ فَـذِكْـرُ الاَسْفَـرِيْـس دَعَـانـيْ

الأسفريس: محلّة بحلب.

بِـه مَنْـزِلٌ فيْـه مِـنَ الـرِّيْـم آنِـسٌ ... نَفُـوْرٌ إذَا مَـا رُمْتُـهُ لتَـدَانـيْ
حَكَـىٰ مَـدْمَعِـيْ مَـا ضَمَّـهُ مـنْ قَـلائـد ... مُنَظَّمَـةٍ مِـنْ لُـؤْلُـؤٍ وَجُمَـان
وَلَكنَّـهُ لمَّـا تَلَـوَّنَ فـيْ الهَـوَىٰ ... تَلَـوَّنَ منِّـيْ فَهْـوَ أحْمَـرُ قَـانـيْ
عَجِبْـتُ لَـهُ سُكْنَـىٰ فُـؤَادِيْ وَمَـا اعْتَنَـىٰ ... بـإسْكَـانِـه مِـنْ شِـدَّة الخَفَقَـان

وأنشدني أيضًا من شعره في إنسان كبير الأنف: [من السريع]

لَـوْ أنَّ فِـرْعَـوْنَ عَلَـىٰ أنْفِـه ... لَـمْ يَبْـنِ عَـالِـيْ الصَّـرح هَـامَـانُ
وَحَـلَّ كِسْـرَىٰ فـيْ ذُرَىٰ حِـزْبِـه ... وَقَـدْ حَـوَى الإيْـوَانَ إيْـوَانُ
وَجَـلَّ مَـنْ أبْـدَعَ فـيْ أنْفِـه ... إذْ هُـوَ عَلَـىٰ الصَّنْعَـة بُـرْهَـانُ

(١) الحين: الهلاك.

[٨٤٥]

مُحَمَّدُ بنُ غسَّانَ بن غافل بن نجاد بن غسّانَ بن غافل بن نجاد بن ثامر بن رفاعةَ بن نجاد بن مُحَمَّد بن كاملِ بن مُحَمَّد بن نجاد، أبو عبد الله الأنصاريُّ(١).

مِنْ أهْلِ دمشقَ.

حكىٰ محمد بن جامع الدمشقي، قال: حدثني أبو عبد الله محمد بن غسّان الدمشقي الأنصاري، قال: رأيتُ في المنام كأنّي في بستان كُنّا نملكه في المزّة، وفيه جوزةٌ كبيرة. وكان والدي وأعمامي كثيراً ما يتغدون تحتها، فقلتُ: لا إله إلاّ الله هذا موضع أبي وأعمامي!، فسمعتُ قائلاً يُنشدني من أصل الجوزة، أسمع صَوتَه ولا أرىٰ شخصه، وهو يقول: [من الطويل]

أَيَـا مَنْـزِلَ الأَحْبَـاب هَـلْ فيْـكَ مُخْبِـرٌ ... يُخَبِّـرُنِـي أَمْ هَـلْ نَـرَىٰ فيْـكَ مُنْجِـدَا

عَفَـوْتَ فَـأَعْفَـىٰ رَسْـمَـكَ المَـوْتُ وَالبِلَـىٰ ... وَأَقْفَـرْتَ حَتَّـىٰ لاَ أَرَىٰ فيْـكَ مُسْعِـدَا

أَحِبَّـةَ قَلْبِـي فَـرَّقَ الـدَّهْـرُ بَيْنَنَـا ... فَـلاَ تُشمتُـوا بـالبَيْـنِ أَشْـرَارَ حُسَّـدَا

بَعُـدْتُـمْ فَـذَابَ الجِسْـمُ بَعْـدَ بعَـادكُـمْ ... وَأَخْلَيْتُـمُ الأَوْطَـانَ أَشْمَتُّـمُ العِـدَا

فَعُـوْدُوْا يَعُـوْدُ الـوَصْـلُ بَعْـدَ قَطِيْعَـةٍ ... فَهَيْهَـاتَ رَاحَ اليَـوْمُ فَـاصْبِـرْ إِلَـىٰ غَـدَا

فأنكرت آخر البيت، فسمعته يقول: هذا إقْواءٌ.

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٤/ ٣١٣ رقم ١٨٥٥ وفيه: «محمد بن غسّان بن غافل بن نجاد بن ثامر الحنفي الأمير الأنصاري الخزرجي الحمصي، سيف الدولة، أبو عبد الله، ولد بحمص وقدم دمشق وهو صبي، وسمع وروى، وتوفي سنة اثنتين وثلاثين وستمائة». النجوم الزاهرة ٦/ ١٩٢. الجواهر المضيئة ٢/ ١٠٦. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠) ص١٢٤ ـ ١٢٥ رقم ١٢٧. التكملة للمنذري ٣/ ٣٩٦ رقم ٢٦٠٧ وفيه: «توفي في ليلة الثالث عشر من شعبان سنة اثنتين وثلاثين وستمائة بدمشق، ودفن من الغد بسفح قاسيون». سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٨١ رقم ٢٤٣. العبر ٥/ ١٣١. الطبقات السنية ٣/ ورقة ٥٤٧. المعين في طبقات المحدثين ١٩٦ رقم ٢٠٧٨. المشتبه ٢/ ٤٨٢. العسجد المسبوك ٢/ ٤٦٩. توضيح المشتبه ٦/ ٤١١، ٩/ ٣١. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٣٤. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٦١ ـ ٢٦٢.

[٨٤٦]

/ ٢٣٤أ/ مُحَمَّدُ بنُ فضلِ الله بنِ أبي بكرٍ، أبو عبدِ الله الخطيبِ النيسابوريُّ.

كان يتولّىٰ الخطابة بالريّ.

وجدت له بخطّه نظمًا ونثراً عربيًا وفارسيًا. ومما نقلت من شعره العربي، قوله وليس هو من مُختار شعره، ويغلُبُ علىٰ أقواله العجمة والعجرفة.

وهو القائل: [من الرمل]

هَبَّ رِيْحُ الشَّوْق مِنْ بَرْحِ النَّوَىٰ ... حِيْنَ لاَحَ البَرْقُ فِيْ وَسْطِ اللِّوَىٰ
لَوْعَةُ الأَشْوَاقِ دَعْنِيْ أَشْتكِيْ ... أَوْقَدَتْ فِيْ أَضْلُعِيْ نَارَ الجَوَى
صِرْتُ مِنْ كَأسِ الرَّدَىٰ فِيْ سَكْرَة ... وَغَرَامِيْ دَارَ بِيْ دَوْرَ النَّوَىٰ
أَنَا فِيْ الحُزْنِ وَصَدَّتْ سَلْوَتِيْ ... عزم الأيامِ ضُرِّيْ وَنَوَىٰ
حَبَّذَا آثَارُ أَنْفَاسِ الصَّبَا ... آه مِنْ حَالاَتِ لَوْعَاتِ الهَوَىٰ

وقال أيضًا[(١)]:

سَقْيًا لِعُهُوْدِنَا الخَوَالِيْ ... إذَا عهدُ معهد الوصال
العَيْنُ عَلَىٰ مني رواه ... تَبْكِيْ وَتَذْرِفُ كَالَّلاَلِيْ
القَلْبُ بِحُبِّه يُبَاهِيْ ... إلاَّ بِهَوَاهُ لاَ يُبَالِيْ
لَمَّا بَرَقْتَ وَمَيْضَ طَيْف ... أَيْقَنْتُ مَخَايِلَ الخَيَال
/ ٢٣٤ب/ أَفْدِيْ قَمَراً إِذَا تَجَلَّىٰ ... كَالبَدْرِ أَضَاءَ فِيْ اللَّيَالِيْ
أَفْدِيْ رَشَأً بِهِ حَيَاتِيْ ... وَالقَلْبُ عَلَىٰ هَوَاهُ سَالِيْ
أَمْسَيْتُ وَهَجْرُهُ سُلُوِّيْ ... أَصْبَحْتُ وَوَصْلُهُ سُؤَالِيْ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

طَلَعَ الصُّبْحُ هَاتِ يَا صَاحِ ... رُغْمَ أَنْفِ العَذُوْلِ وَاللاَّحِيْ
قَهْوَةً كَالزُّلاَلِ صَافِيَةً ... هِيَ وَالله رُوْحُ أَرْوَاحِ

---

(١) هذه الأبيات مضطربة المعنى، مختلة الوزن لا يعرف بحرها.

هِـيَّ فِـيْ الجَـامِ أَنْجُـمٌ طَلَعَـتْ ... شُعْشِعَـتْ نُـوْرُهَـا كَمِصْبَـاحِ
لاَ تَقِـفْ فِـيْ إِبْتِغَـاءِ مَطْلُـوْبِـي ... وَاسْـعَ فِـيْ حَـاجَتِـيْ بِـإِنْجَـاحِ
سُـدَّ بَـابَ الهُمُـوْمِ فَـافْتَتِحْـنَ ... بِمَفَـاتِيْـحَ دورَ أَقْـدَاحِ
إِغْتَنِـمْ فِـيْ الصَّبَـاحِ كَـأْسَ طِـلاً ... فَمَضَـى الصُّبْـحُ أَيُّهَـا الصَّـاحِـيْ
أَنَـا فِـيْ الصُّبْـحِ عِنْـدَ نَـدْمَـانِـيْ ... رَاحَتِـيْ فِـيْ الصَّبُـوْحِ وَالـرَّاحِ

وقال يهجو قاضيًا: [من السريع]

قَـاضٍ لَنَـا فِـيْ الفِعْـلِ مَمْقُـوْتَـا ... فِـيْ البَغْـيِ وَالعُـدْوَانِ جَـالُـوْتَـا
بِـالجَهْـلِ وَالنُّقْصَـانِ مَعْـرُوفَـا ... قَـدْ صَـارَ بِـالخِـذْلاَنِ مَنْعُـوْتَـا
فِـيْ طَلَـبِ الأَيْـرِ لَـهُ هِمَّـةٌ ... مِـنْ شَـوْقِـهِ لاَزَالَ مَبْهُـوْتَـا
[يَبْخَـلُ بِـالمَـالِ ولاَ يُـوْتَـى ... لَكِنَّـهُ فِـيْ خَلْفِـهِ يُـوْتَـى](١)

[٨٤٧]

/ ٢٣٥أ/ مُحَمَّدُ بنُ أبي الفتح بن أبي بكر بن أبي الفتح بن الحسين، أبو عبد الله، الأشتريُّ الأصلِ، المصريُّ المولدِ والمنشأ.

ذكر أنّه من أولاد مالك بن الأشتر. أنشدني أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد البرزالي الأشبيلي بحلب، قال: أنشدني أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح الأشتري لنفسه: [من الكامل]

لَـوْ صَـحَّ فِـيْ شَـرْعِ الغَـرَامِ وَفَـاكِ ... لَـرَشَفْـتُ مِـنْ شَعَفِـيْ لَمَـاكِ وَفَـاكِ
فَعَـلاَمَ تَعْتَمِـدِيْـنَ قَتْـلَ مُتَيَّـمٍ ... أَتُـرَى نُهَـاكِ عَـنِ الـوِصَـالِ نَهَـاكِ
مَـاذَا يَضُـرُّكِ لَـوْ مَنَنْـتِ بِنَظْـرَةٍ ... مَـاذَا يَضُـرُّكِ لَـوْ جَفَيْـتِ جَفَـاكِ
حَلَّلْـتِ قَتْـلَ الصَّـبِّ وَهْـوَ مُحَـرَّمٌ ... فَبِلَحْظِـكِ الفَتَّـاكِ مَـنْ أَفْتَـاكِ
لَـوْلاَكِ مَـا مَلَـكَ الغَـرَامُ حُشَـاشَتِـيْ ... وَأَذَابَ جِسْمِـيْ عَـامِـداً لَـوْلاَكِ
أَهْـوَى الأَرَاكَ وَمَـا الأَرَاكُ بِمَنْـزِلِـيْ ... لَكِـنْ لَعَـلَّ عَلَـى الأَرَاكِ أَرَاكِ

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

وَأَغُضُّ عَنْ ظَبَيَاتِ كَاظِمَةَ الحِمَىٰ طَرْفِي وَقَلْبِي لاَ يُحِبُّ سِوَاكَ
فَبِعِزِّ عِزِّكَ يَا سُعَادُ بِذِلَّتِي بِنُحُولِ جِسْمِي بِالَّذِي عَافَاكَ
بِعَظِيمِ مَا فِي القَلْبِ مِنْكِ بِحَقِّ مَنْ بِالحُسْنِ قَدْ حَلاَّكِ إِذْ حَلاَّكِ
لاَ تَتْرُكِينِي عِبْرَةً لأُولِي الهَوَىٰ وَتَرَفَّقِي يَا هَذِهِ بِفَتَاكِ
/٢٣٥ب/ وَتَعَطَّفِي مِنْ قَبْلِ قَوْلِ مُرَاقِبٍ للهِ يَحْسُنُ فِي فُلاَنَ عَزَاكِ
إِنْ كَانَ سَفْكُكِ دَمِي بِغَيْرِ جِنَايَةٍ وَتَلاَفُ رُوحِي فِي الهَوَىٰ بِرِضَاكِ
فَاسْتَغْنِمِي فُرَصَ الزَّمَانِ وَذَاكَ أَنْـ ـتِ يَا سُعَادُ وَمَا مَلَكْتُ فِدَاكِ
وَبِكُلِّ مَا شِئْتِ افْعَلِي بِي إِنَّنِي بِخُطَاكِ يَا لَمْيَا غَفَرْتُ خَطَاكِ

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني أبو عبد الله قوله: [من البسيط]

خَفِ الصَّدِيقَ وَكُنْ مِنْهُ عَلَىٰ حَذَرٍ وَلاَ تَقُلْ جَاءَنِي هَذَا عَلَىٰ نَسَقِ
فَالمَرْءُ يَشْرَقُ بِالمَاءِ الزُّلاَلِ إِذاً طَوْراً وَطَوْراً بِهِ يَنْجُو مِنَ الشَّرَقِ

وأنشدني، قال أنشدني لنفسه في صديق: [من الكامل]

لاَ تَعْجَبَنَّ إِذَا دَهَتْكَ مُصِيبَةٌ مِنْ صَاحِبٍ عَكَفَتْ عَلَيْهِ ذِئَابُهُ
وَاحْذَرْ مُصَافَاةَ الصَّدِيقِ فَرُبَّمَا عَانَتْ عَلَىٰ غَرَقِ الغَرِيقِ ثِيَابُهُ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من الكامل]

قَالَ الحَبِيبُ لِصَاحِبِي: صِفْ دَاءَهُ أَبِهِ جُنُونٌ؟ قَالَ: لاَ، بَلْ مُغْرَمُ
بِكَ بَاتَ يَحْلُمُ لَيْلَهُ فَأَجَابَهُ أَوَمَا كَفَاهُ يَنَامُ حَتَّىٰ يَحْلُمُ
لَوْ كَانَ فِي الدَّعْوَىٰ مُحِبّاً صَادِقاً مَا كَانَ يَفْنَىٰ العَاشِقُونَ وَيَسْلَمُ

وأنشدني، قال: أنشدني قوله: [من المتقارب]

/٢٣٦أ/ يَقُولُونَ لِي: جِلَّقٌ جَنَّةٌ مُزَخْرَفَةٌ لِلْوَرَىٰ مُفْتِنَهْ
فَقُلْتُ وَمَا إِنْ بِهَا مُحْسِنٌ يُرَىٰ لِلْغَرِيبِ وَلاَ مُحْسِنَهْ
إِذَا قُطِعَ المَاءُ مِنْهَا غَدَتْ كَأَرْبَابِهَا جِيفَةً مُنْتِنَهْ

[٨٤٨]

مُحَمَّدُ بنُ أبي الفخرِ بنِ أحمدَ، أبو حامدٍ الكرمانيُّ الصُوفيُّ الشيخُ الزاهدُ[١].

ذكره الصاحبُ الوزير أبو البركات المستوفي ـ رضي الله عنه ـ في تاريخه، وقال: ورد إربل غير مرَّة. وكان أوّل ما وردها معه جماعة من العجم، ونزل بالقبَّة الشمالية من المسجد الجامع يُسرةَ الداخل من الباب الشمالي، وزاره الناسُ وعليه جُبَّة صوف، واجتمع بالفقير إلىٰ الله تعالىٰ أبي سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في مجلس سَمَاع، وأراد الحج في تلك السنة، فزوّدهُ ومن معه، واكترىٰ لهم الظهر إلىٰ مكة، سائرين وقافلين بجملة من مال ثم صار في آخر قدماته خاصًا بأسراره ينفذه رسولاً إلىٰ الأطراف، وصار له خَولٌ ودواب كثيرة. وكان شيخ رباط الجُنينة مشارك عُمّاله في النظر معهم علىٰ حاصله، فحوسبَ فبقيَ عليه مال أطلقه له الفقير إلىٰ الله تعالىٰ أبو سعيد كوكبوري بن /٢٣٦ب/ علي، وخرج من إربل فهو في ديار بكر وما والاها شيخ مشايخ ربطها. كان يحب أنْ يكون في ألقابه علم الهُدىٰ.

أخبرني أنَّه ولد ببرْدَسير[٢] سنة إحدىٰ وستين وخمسمائة، يروي عن الشيخ أبي الغنائم غنيمة بن المفضل السَجاسي، وهو صاحب خرقة في التصوّف. وسِجاس قرية من قُرىٰ سُهْرَوَرْد بين زنجان وهمذان[٣]. هذا آخر كلامه.

وقدم بغداد وأقام بها إلىٰ أن توفي ثالث شعبان سنة خمس وثلاثين وستمائة ودفن بجانبها الغربي بالشونيزى، جوار قطب الدين الأبهري ـ رحمهما الله تعالىٰ ـ.

صار إليّ قطعةٌ من شعره إلاّ أنَّ فيها لحنًا، وقد أثبتُّها هاهُنا تبركًا بذكره،

---

(١) ترجمته في تأريخ إربل ١/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥ وقد نقلها عنه ابن الشعار.

(٢) بردسير: أعظم مدينة بكرمان بينها وبين السيرجان مرحلتان. انظر: معجم البلدان/ مادة (بردسير).

(٣) إلى هنا ينتهي المنقول نصًا من تأريخ إربل ١/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥. وحول سجاس، انظر: معجم البلدان/ مادة (سجاس).

صنعها علىٰ نهج ذوي الأحوال والمعارف، أنشدنيها شيخ الشيوخ عماد الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن أبي عصرون التميمي ـ أيده الله تعالىٰ ـ بحلب قال: أنشدني الشيخ الصالح العابد أبو حامد محمد بن أبي الفخر الكرماني لنفسه: [من مخلع البسيط]

فِـــيْ الشِّــدَّةِ وَالـــرَّخَــا جميْعــًا ... أَرْجُـــوْكَ وَلَـــمْ يَخِـــبْ رَجَـــائِـــيْ
/ ٢٣٧أ/ يَـا سَـامِـعُ جِئْـتُ مُسْتَجِيـراً ... أَدْعُـــوْكَ لِتَسْتَجِـــبْ دُعَـــائِـــيْ
أَفْنَيْـــتُ لِحُبِّكُـــمْ وُجُـــوْدِيْ ... كَـــيْ يَحْصُـــلَ فِـــي الفَنَـا بَقَـائِـــيْ
مَـــا كَـــانَ وَلَا يَكُـــوْنُ حَـــاشَـــا ... إِلَّا لِــــرِضَـــاكُـــمْ رِضَـــائِـــيْ
يَـــا رَبَّ مُحَمَّـــدٍ أَجِـــرْنِـــيْ ... مِـــنْ مَخْـــرَقَتِـــيْ وَمِـــنْ رِيَـــائِـــيْ
إِنْ يُحْسِـــنْ أَوْيسِـــيْ صُنعـــاً ... حَـــالِـــيْ مَعَكُـــمْ عَلَـــىٰ السَّـــوَاءِ
مَـــا حُلْـــتُ وَلَا أَحُـــوْلُ يَـــوْمـــًا ... عَـــنْ بَـــابِ مُنَـــاكَ يَـــا مُنَـــائِـــيْ

[٨٤٩]

مُحَمَّدُ بنُ القاسم بن هبة الله بن القاسم بن عليِّ بن مُحَمَّد بن الحريريِّ، أبو عَبدَ الله بَنُ أَبي الحريريِّ أبو عبدِ الله بنُ أبي مُحَمَّدٍ الطبيبُ الحكيمُ(١).

من أهل دنيسر.

كان والده ممّن يُشارُ إِليه في زمانه في علم الطب والمداواة، وله الإِصابة في الإِنذار في غالب أوقاته.

وابنُهُ هذا قرأ علىٰ الشيخ المهذّب أبي الحسن علي بن أحمد بن هُبل البغدادي الخلاطي بالموصل شيئًا من كتابه «المختار». ورحل إلىٰ بغداد، فظهر له بها القبولُ عند الناس، وعالج بها خلقًا كثيراً بالأدوية، وبعمل اليد. ثم رحل منها إلىٰ بلاد العجم.

---

(١) تقدمت هذه الترجمة في الجزء السادس برقم ٦٧١.
ترجمته في: تأريخ دنيسر ص١٩٩.

قال صاحب كتاب «حلية السريين من خواص الدنيسريّين»(١): /٢٣٧ب/ أنفذ كتابه إلينا من نيسابور، بأنّه يقرأ علىٰ الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي المعروف بابن الخطيب(٢). وله خطٌّ مليح.

كتب علىٰ [خَطّ](٣) الأمير أمين الدين أبي الدُّر ياقوت بن عبد الله الموصلي(٤) زمن اشتغاله بالطب علىٰ إبن هُبل(٥)، وتقدّم بعلمه عند الملوك والسلاطين، ورغبوا في استخدامه، لاسيما في دولة الملك الأشرف موسىٰ بن أبي بكر بن أيوب، فإنّه حظي لديه، وصنّف له كتابًا سمّاهُ: «الروضة» علىٰ وضع «كليلة ودمنة» وكتاب «البُلغَة». ومع ذلك له مشاركة قويّةٌ في الفنون الأدبيّة، وقرض الشعر. وله خاطرٌ سريع في إرتجاله، ويدٌ طولىٰ في صناعته، هذا آخر كلامه.

أنشدني الشيخ الحافظ صدر الدين أبو علي الحسن بن محمد البكري بدمشق في ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وستمائة، قال: أنشدني أبو عبد الله محمد بن القاسم بن الحريري لنفسه بسنجار في ربيع الأوّل سنة ثمان وعشرين وستمائة، وأنشدها الملك الأشرف موسىٰ بن أبي بكر بن أيوب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ ونظم ذلك بديهةً: [من الكامل]

/٢٣٨أ/ يَا أيُّهَا المَلِكُ الَّذِيْ بعلُومِه أصْبَحْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالمُتَعَلِّمِ
أبدَعْتَ فِيْمَا قُلْتَ حَتَّىٰ لَمْ يُقَلْ أبَداً بِأنَّ الفَضْلَ لِلْمُتَقَدِّمِ

وأنشدني أيضًا في التاريخ المذكور، قال: أنشدني أبو عبد الله لنفسه يمدح الملك الأشرف ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: [من الكامل]

---

(١) مؤلفه الطبيب أبي حفص عمر بن الخضر بن اللمش (٥٧٤ ـ ٦٤٠؟هـ) عني بتحقيقه الأستاذ ابراهيم صالح، وطبع في دمشق مرتين، وتحت عنوان «تأريخ دنيسر».

(٢) الإمام فخر الدين الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله صاحب التفسير المشهور (ت٦٠٦هـ)، أوحد أهل زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، وهو قرشي النسب، أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له: «ابن خطيب الري».

(٣) من هامش الأصل.

(٤) ترجمه المؤلف في الجزء التاسع برقم ٩٠٦.

(٥) انظر: تأريخ دنيسر ـ حلية السريين ـ ط٢/ ٢٠٠.

أُهْـدِي لِمَـوْلاَنَـا دُعَـاءً صَـالِحـاً ... يَـدْعُـوْ بِـهِ فِـيْ الصُّبْـحِ بَعْـدَ صَـلاَتِـهِ
وَسِـوَىٰ الـدُّعَـاءِ فَلَسْـتُ أَمْلِـكُ غَيْـرَ مَـا ... أَحْـوِيْـهِ مِـنْ صَـدَقَـاتِـهِ وَصِـلاَتِـهِ

[٨٥٠]

مُحَمَّدُ بنُ أبي القاسم بنِ مُحَمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ سعيد، أبو عبد الله الآمَدِيُّ(١).

قال الصَّاحبُ الوزير أبو البركات المستوفي ـ رضي الله عنه ـ في تاريخ إربل: ويُعرفُ بالرشيد الدمشقي، وسألته عن مولده؟ فقال: بآمد، فقلتُ له: في أي سَنة؟ فقال: ما هو مُعيَّن، إنما أنا في حدود عشر الثمانين.

وحدثني أنَّه قرأ الخلاف والفقه، وسافر إلىٰ خُراسان وغيرها، وسمع في صغره شيئًا من الحديث، ولم يكن من مطلوبه، إنَّما سَمعه في جماعة سمعوهُ. وذكر أنَّه لقي أبا بكر يحيىٰ بن سعدون القُرْطبي وغيره. لزمَ /٢٣٨ب/ طريقَة أهل التصوّف، وقال بمذهبهم، وهو ـ كما ذكر ـ ورد إربل غير مرّة.

وأنشدني من شعره في سادس شهر ربيع الآخر سنة سبع عشرة وستمائة؛ برباط الجنينة المعمور. وكان فقيهًا حنفيًا إمامًا مقدّمًا في مذهبهم، أثنىٰ علىٰ علمه بعضُ الحنفيّة ثناءً كثيراً. وكان نحويًا عالمًا بالنحو.

ثم قال: أنشدني لنفسه، وذكر إنه عملها في بلاد العجم، وقد عاجله الشيب: [من الكامل]

مَـا شِبْـتُ مِـنْ كِبَـرٍ وَلَكِـنْ شَيَّبَـتْ ... رَأْسِـي شَـدَائِـدُ لِلْمُتُـوْنِ قَـوَاطِـعُ
لَـوْ أَنَّ بَعْـضَ مَصَـائِبِـيْ يُمْنَـىٰ بِهَـا ... وَيَـذُوْقُ شِـدَّتَهَـا غُـلاَمٌ يَـافِـعُ
لَنَضَـالِهَـا بُـرْدَ الشَّبِيْبَـةِ وَاغْتَـدَىٰ ... لِلْشَيْـبِ فِـيْ فَـوْدَيْـهِ نَجْـمٌ طَـالِـعُ
وَالنَّـاسُ فِـيْ الـلأْوَاءِ حِيْـنَ تَعُـدُّهُـمْ ... رَجُـلاَنِ: ذُوْ صَبْـرٍ، وَآخَـرُ جَـازِعُ
فَـاصْبِـرْ عَلَـىٰ مَضَـضِ الحَـوَادِثِ إِنَّهَـا ... مِيْـزَانُ عَـدْلٍ خَـافِـضٌ أَوْ رَافِـعُ
وَلَتَعْلَمَـنْ أَنَّ البَـلاَءَ لأَهْلِـهِ ... كَـالسَّبْـكِ لِـلإِبْـرِيْـزِ مُـؤْذٍ نَـافِـعُ

---

(١) هذه الترجمة منقولة بحذافيرها من تأريخ إربل ١/ ٢٨٥ .

[٨٥١]

مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ أحمدَ، أبو عبدِ اللهِ البرزيُّ.

من أهل واسط.

ذكره الصاحبُ الوزير أبو البركات المستوفي ـ رضي الله عنه ـ في تاريخه، وقال: ورد إربل في العشر الأولىٰ من شعبان /٢٣٩أ/ سنة أربع عشرة وستمائة. وكان يسأل الناس معرضًا لا يعفُ عن أحدٍ ملكٍ أو سُوقة، رفيعٍ أو وضيعٍ.

أنشدني أبو عبد الله البَرْزي لنفسه: [من البسيط]

لَوْ لَمْ تهجْ بالجوَىٰ المُذْكي بَلابلُهُ ... مَا لَجَّ باللَّوْم وَالتَعْنِيْف عَاذلُهُ
صَبٌّ إذَا قَالَ: هَذَا الشَّوْقُ قَدْ ذَهَبَتْ ... عَنِّي أَوَاخرُهُ عَادَتْ أَوَائلُهُ
يَا مُصْلِتًا من قِرَاب اللَّحْظ سَيْفَ هَوًى ... مُهَنَّداً لاَ يُرِيْدُ السِّلْمَ حَاملُهُ
هَذَا الَّذيْ أُوْلِعَتْ عَيْنَاكَ فِيْ دَمه ... ظُلْماً لأَيَّة حَال أَنْتَ قَاتلُهُ
وَأَهْيَف كَقَضِيْب البَان مَا انْعَطَفَتْ ... أَعْطَافُ سُمْرِ القَنَا لَوْلاَ شَمَائلُهُ
يَكَادُ يُوْهيْه ممَّا فيْه منْ تَرَف ... مَرُّ النَّسيْم وَتُدْميْه غَلاَئلُهُ
كَالمَاء لَوْ بَاشَرَتْهُ كَفُّ مُغْتَبِقٍ ... لَسَالَ مَا قَبَضَتْ منْهُ أَنَاملُهُ
قَالَتْ لَنَا عَيْنُهُ سحْرِيْ بلَبَّتكُمْ ... فَأَيْنَ هَارُوْتُكُمْ أَمْ أَيْنَ بَابلُهُ
يَا مَنْ أَمَانيُّ عَيْنَيَّ إنْ تَرَاهُ وَمَنْ ... مَاليْ سوَىٰ قُرْبه وَصْلاً أُحَاولُهُ
مَا ذَاقَ طَعْمَ حَيَاة مَنْ تُفَارِقُهُ ... وَلاَ يَذُوْقُ حمَاماً مَنْ تُوَاصلُهُ
وَلاَ يَلَذُّ الكَرَىٰ فِيْ لَيْله مَلكٌ ... بَاتَ أبْنَ أَرْتَقَ مَحْمُوْدٌ يُصَاولُهُ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من البسيط]

/٢٣٩ب/ ثَنَىٰ عنانَ هَوَاهُ بَعْدَمَا جمَحَا ... وَرَاجَعَ الحلْمَ عَنْ جَهْل الصِّبَا فَصَحَا
فَمَا تَتَيَّمَهُ سحْرُ الجُفُون وَلاَ ... يَرُوْقُهُ الخَدُّ مُحْمَرّاً إذَا وَضَحَا
وَقَلَّمَا تَسْكُبُ الأَطْلاَلُ عَبْرَتَهُ ... وَلاَ الغَرِيْقُ أَجَدَّ البَيْنَ مُنْتَزِحَا
مَا كَانَ أَوَّلَ مَغْرُوْر بصَبْوَته ... ثَابَتْ إلَيْه أَنَاةٌ بَعْدَ مَا مَرِحَا
وَلاَ بأَوَّل مَنْ أَصْغَىٰ إلَىٰ عَذَلٍ ... أُذْنًا وَطَاوَعَ مَنْ فِيْ الحُبِّ قَدْ نَصَحَا

سَجِيَّةٌ عَقَدَتْ بِالمَجْدِ هِمَّتَهُ ... تَهْوَىٰ العُلاَ وَتَعَافُ اللَّهْوَ وَالقَدَحَا

صَمِّمْ إذَا رُمْتَ مِنْ أمْرٍ مُزَاوَلَةً ... وَقَدِّمِ الحَزْمَ تَرْدُدْهُ وإنْ جَمَحَا

وَعِشْ وَأَنْتَ عَزِيْزٌ أوْ فَمُتْ كَرَماً ... إنْ كُنْتَ حُرّاً وَلاَ تَقْنَعْ بِمَا سَنَحَا

فَالمَرْءُ لاَ تَرْهَبُ الأَيَّامُ سَطْوَتَهُ ... مَا لَمْ يَكُنْ لِزِنَادِ العِزِّ مُقْتَدِحَا

سَأَرْحَلُ العَنْسَ عَنْ أرْضٍ أُقِيْمُ بِهَا ... بَيْنَ اللِّئَامِ قَلِيْلَ الحَظِّ مُطَّرَحَا

وَأعْسِفُ البِيْدَ تَرْمِي بِيْ جَوَانِبُهَا ... بَحْراً مِنَ الكَيْلِ نَعْطُو أُكْلَهَا طَفَحَا

لاَ يَهْتَدِيْ النَّجْمُ فِيْهِ لِيْنَ مَسْلَكِهِ ... وَلاَ يَلِيْنُ لِسَارِيْهِ إذَا التَمَحَا

وَرُبَّمَا بَاتَ فِيْهِ البَدْرُ حِلْفَ سُرًى ... فَغَالَهُ بُعْدُ مَسْرَاهُ وَمَا بَرِحَا

تَرَكْتُ لِلْفَقْرِ يَطْوِيْ كُلَّ مَأْرَبَةٍ ... وَلِلْمَطِيِّ تُبَارِيْ المِشْيَةَ السُّجُحَا

مَا لِيْ أُعَلِّلُ نَفْسِيْ بِالمُنَىٰ سَفَهاً ... وَأَحْلُبُ الحَظَّ حَلْباً مُجْحِداً وَتِحَا[1]

/٢٤٠أ/ وَفِيْ القَوَافِيْ وَفِيْ عَرْضِ الفَلاَ سَعَةٌ ... تُعْدِيْ عَلَىٰ الهَمِّ إمَّا جَلَّ أوْ فَدَحَا

وأنشدني، قال: أنشدني أيضًا قوله: [من المنسرح]

خُذْهَا عَرُوْساً إلَيْكَ تُجْلَىٰ ... مَا نَتَجَتْ مِثْلَهَا الخَوَاطِرْ

مِنْ لَقْطِ غِرٍّ ألاَ فَمَنْ ذَا ... يُقَابِلُ اللَّيْثَ بِالجَآذِرْ

وقال يهجو المهذّب أحمد الواسطي المنبوز بمدلويه: [من الخفيف]

أَحْمَدُ الوَاسِطِيُّ أكْذَبُ خَلْقِ اللـ ... ـهِ فِيْ نُطْقِهِ إذَا مَا فَاهَا

لَعَنَ اللهُ نُطْفَةً صِيْغَ مِنْهَا ... فَهْوَ فِيْ قُبْحِهِ الشَّنِيْعِ تَنَاهَىٰ

إنْ رَأَىٰ خُلَّةً تَسُرُّ لِخِلٍّ ... صَدَّ عَنْهَا أوْ زَلَّةً أفْشَاهَا

[٨٥٢]

مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ أبي حنيفةَ، أبو القاسمِ بنُ أبي عبد الله بنِ الفرضيِّ.

كان إربلي المولد والمنشأ، بغدادي الوالد والأصل. أستشهد بدمْياط[2] في

(١) الوتحه: القليل التافه.

(٢) دمياط: مدينة قديمة، بين تنيس ومصر، على زاوية بين بحر الروم والنيل. انظر: معجم البلدان/ مادة =

سنة ست عشرة وستمائة.

قال الصاحبُ الوزيرُ أبو البركات المستوفي: لم يكن يعرف ما يقوّم به لسانه، ثم قال: أنشدني أبو القاسم محمد بن محمد بن محمد بن أبي حنيفة البغدادي لنفسه: [من الكامل]

/٢٤٠ب/ أَشْتَاقُكُمْ فَإِذَا ذَكَرْتُ لِقَاءَكُمْ ... أَجْرَتْ دُمُوعِي لَوْعَةٌ وَتَفَرُّقُ
خَوْفًا عَلَى أَنِّي إِذَا لاَقَيْتُكُمْ ... يَبْقَى القَلِيلُ وَبَعْدَهُ نَتَفَرَّقُ

وأنشدني، قال: أنشدني أبو القاسم بن الفرضي لنفسه: [من الخفيف]

زَادَ شَوْقِي إِذْ قَلَّ فِيهِ ٱحْتِيَالِي ... قَمَرٌ ذُو مَلاَحَةٍ وَدَلاَلِ
بِقَوَامٍ كَأَنَّهُ غُصْنُ بَانٍ ... غَرَسُوهُ عَلَى كَثِيبٍ عَالِي
وَبِوَجْهٍ كَأَنَّهُ بَدْرُ تَمٍّ ... وَلِحَاظٍ تَرْمِي الحَشَا بِنِبَالِ

[٨٥٣]

مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّد بن أيوبَ بن شاذي بن مروانَ بن يعقوبَ السلطانُ الملكُ الكاملُ، أبوَ المعالي بنُ السُّلطانِ الملكِ العادلِ أبي بكرٍ[(١)].

كانت ولادته في ربيع الأول سنة ستٍّ وسبعين وخمسمائة. وتوفي يوم الخميس منتصف نهاره، الثاني والعشرين من شهر رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة بدمشق، ودفن بها ـ رضي الله عنه ـ.

خطب له بولاية العهد في زمان أبيه. وكان أتم ملوك زمانه عقلاً وأحزمهم رأيًا وفعلاً. وكان كامل الأوصاف كنعته، وأبا المعالي محمداً في وقته.

ملك الديار المصرية /٢٤١أ/ بكمالها، ودمشق وأعمالها، ومملكة اليمن

= (دمياط).

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١/ ١٩٣ ـ ١٩٧ رقم ١١٩. الحوادث الجامعة ١٠٧. الدارس ٢/ ٢٧٧. التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٤٨٥ رقم ٢٨٢٢. الكامل لابن الأثير ١٢/ ١٢٦، ١٣٥، ١٨٦. السلوك للمقريزي ١/ ١٩٤ ـ ٢٦٠. وفيات الأعيان ٢/ ٥٠. مرآة الزمان ٨/ ٧٠٥ وفيه مولده سنة ٥٧٣هـ. رواد الشرق العربي ١٥ ـ ١٦. الأعلام ط٤/ ٧/ ٢٨.

ما خلا صنعاء وديار بكر بأسرها. ومن الجزيرة حرّان والرُّها والرّقة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور. وخطب له من باب الموصل إلىٰ حضرموت، وضربت له السكةُ بها، فكادت أعواد المنابر أنْ تنطق طرقًا نطق الأعواد، واستنار الدينار والدرهم برسمه إستنارة الكوكب الوقاد.

وكان محافظًا علىٰ إقامة منار الشريعة المطهرة، وأمر بإجراء أحكامها علىٰ أدلتها المعتبرة المقرّرة. أحيا سنةَ النبي ﷺ وأنشأ بالقاهرة المعزّية داراً للحديث النبوي، وولّي رواية الحديث بها، وإقرائه الإمام العلامة ابن دحية، وأمر أن يتحفظ الحديث بها كحفظ دروس الفقه بكرةً وعشيًا. وعَيّن للطلبة بحفظ ملخّص القابسيّ، وأظهر في ذلك رغبة، وأقرَّه حتىٰ كان أكثر مجالسه تنقضي بالبحث فيه، وأمر بحذف أسانيد صحيح مسلم. وكان كثير المُطالعة له. فذُكر لي أنَّ ولده الملك العادل سيف الدين أبا بكر /٢٤١ب/ قال: كنتُ كثيراً ما أرىٰ السلطان والدي ـ قدس الله روحه ـ إذا انفصلَ من مجلس أمره ونهيه، وطلب الراحة لنفسه، يديم المطالعة في كتاب، فإذا أراد النوم استلقىٰ واستدام مُطالعتَهُ فإذا نام ترك الكتاب علىٰ صدره فطالبتني نفسي بالإطلاع علىٰ ذلك الكتاب لمّا رأيت من محافظته علىٰ تأمُله، فاتفق إنْ نام في قائلة يوم من الأيام علىٰ هذه الصورة، وأمرني بالمقام عنده، فلما انتبه وقام من ذلك المكانَ تباطأت بعده إلىٰ أنْ غاب عني، فعمدتُ إلىٰ الكتاب فإذا هو صحيح مسلم محذوف الأسانيد.

وحين ملك مكّة ـ شرفها الله تعالىٰ ـ وأذعن له مالك المدينة النبوية ـ علىٰ ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ بالطاعة وانتظم في جملة أشياعه، آثر أن يتشرّف بذكر الحرمين الشريفين مع ذكره علىٰ المنابر، وقُرّر أنْ يقال ملك الحرمين، فأبىٰ ذلك، فقيل: مالك الحرمين، فقال: لا أوثر أنْ يقرن ذكري بذكر الحرمين الشريفين مع تعظيم، فقيل خادم الحرمين الشريفين فسرَّه ذلك وابتهج به، وقال: الحمد لله علىٰ خدمتهما.

وأجرىٰ في أيامه علىٰ فقهاء المدارس، وربط المتطوّعة جراية من /٢٤٢أ/ طعام طول شهر رمضان المُعظّم، وأفرد لذلك مطبخًا يُسَيِّرُ منه إلىٰ كل موضع

كفايته. وأبلَىٰ بلاءً حسنًا في الجهاد، واسترجع ثغر دمياط المحروس، وصبر علىٰ بلاء ما اتفق صبر أيوب، ونال من عاقبة نصره علىٰ العدوّ ـ خذله الله تعالىٰ ـ ما نال من الفرح بيوسف يعقوب، ولم يمت أحد في خدمته من الأجناد وغيرهم إلاَّ وأجرىٰ بعض رزقه علىٰ مخلفيه من الأولاد؛ ذكوراً أو إناثًا، فجزاه الله عن إحياء سُنَّة نبيّه ﷺ الجزاء الأوفىٰ، وأحلّه علىٰ إقامة منار الشريعة المُحمديّة من دار مقامه المحلّ الأشرف الأسنىٰ ـ بمحمد وآله وصحبه أجمعين ـ.

حكىٰ أبو العزّ مظفر بن إبراهيم المصري العيلاني الشاعر الضرير. قال: دخلت علىٰ السلطان ناصر الدين أبي المَعالي محمد بن أبي بكر بن أيوب، فقال لي: أجزْ هذا النصف[1]: [من المنسرح]

قَدْ بَلَغَ الشُّوْقُ مُنْتَهَاهُ

فقلت: ومَا دَرَىٰ العَاشِقُوْنَ مَا هُوْ

فقال الملك الكامل: وإِنَّمَا غَرَّهُمْ دُخُوْلِيْ

فقلت: /٢٤٢ب/ فِيْهِ فَهَامُوا بِهِمْ وَتَاهُوا

فقال: ولِيْ حَبِيْبٌ رَأَىٰ هَوَانِي

فسكتّ ثم قلت: وَمَا تَغَيَّرْتُ عَنْ هَوَاهُ

فقال: رِيَاضَةُ النَّفْسِ فِيْ ٱحْتِمَالِيْ

فقلت: ورَوْضَةُ الحُسْنِ فِيْ حُلاَهُ

فقال: أَسْمَرُ لَدْنُ القَوَامِ ٱلْمَى

فقلت: يَعْشَقُهُ كُلُّ مَنْ رَآهُ

فقال: رِيْقَتُهُ كُلُّهَا مُدَامٌ

فقلت: خِتَامُهَا المِسْكُ مِنْ لَمَاهُ

فقال: لِيْلَتُهُ كُلُّهَا رُقَادٌ

فقلت: ولَيْلَتِيْ كُلُّهَا ٱنْتِبَاهُ

فقال: ومَا يَرَىٰ أَنْ يَهِيْنَ عَبْداً

(١) المحاورة في الوافي ١/ ١٩٥ ـ ١٩٦.

فسكتُّ ساعةً، ثم قمتُ قائمًا، وقلت:

بـالمَلـك الكَـامـل ٱحْتمَـــاهُ

قال: فَألقىٰ إليَّ الزينَ الدمياطي، وأمرهَ بكَتبها لَيلاً، يكتُب مَدْحَهُ.

قال مظفر فكملتُ الأبياتَ وقلتُ:

/٢٤٣أ/ العَـالـمُ العَـامـلُ الَّـذيْ فـيْ كُــلِّ حُــلاَهُ تَــرَىٰ أبــاهُ
فَمــنْ سُطَــاهُ وَمَــنْ نَــدَاهُ لَيْــثٌ وَغَيْــثٌ يُــرجَــىٰ نَــدَاهُ
لَيْــثٌ وَغَــوْثٌ وَبَــدْرُ تَــمٍّ وَمَنْصِــبٌ جَــلَّ مُــرْتَقَــاهُ

ومما يُنسب إليه من الشعر، وهو مشهور بين الناس متداول قوله:

[من البسيط]

إذَا تَحقَّقْتُـمُ مَـا عنْـدَ صَـاحبكُـمْ مِــنَ الغَــرَام فَــذَاكَ القَــدْرُ يَكْفيْــه
سَكَنْتُـمُ فِـيْ فُـؤَادِيْ وَهْـوَ مَنْـزِلُكُـمْ وَصَـاحِـبُ البَيْـتِ أدْرَىٰ بـالَّـذيْ فِيْـه

[٨٥٤]

مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّد بنِ مُحَمَّد الفرغانيُّ.

قال الصاحبُ الوزير أبو البركات المستوفي ـ رضي الله عنه ـ في تاريخه: ورد إربل في صفر سنة عشرين وستمائة؛ شاب طويل، حنفي المذهب.

وسألته عن لقبه فذكره لي، وسألته عن كنيته فلم يعرفها، وسألته عن ما بعد محمد الأخير، فقال: ما أعرفُ إلاَّ ذلك أو كلامًا هذا معناه. حدثني أنَّه ولد بأرش من فرغانةً، ونشأ بكاشغر.

قال: وأنشدني لنفسه يمدح عميد الملك أسعد بن نصر وزير شيراز:

[من الكامل]

يَـا خَيْـرَ مَـنْ بَلَـغَ المَـدَىٰ فيْمَـا سَلَـكْ وَرِقَــابَ أحْــرَار الــوَرَىٰ بَــذْلاً مَلَــكْ
/٢٤٣ب/ خَـرَّتْ لَـكَ الثَّقَـلاَن طَـوْعـاً سُجَّـداً مَهْمَـا أظَلَّهُمَــا وَيَخْــدُمُــهُ المَلَــكْ
مَـارَسْـتُ فِيْـكَ السَّيْـرَ مُمْتَطِـيَ الـوَجَـا بحُشَـاشَـة قَـدْ جَـاوَرَتْ صَبًّـا هَلَـكْ
إنْ كُنْـتَ تَقْتُلُنِـيْ أصَبْـتُ مَـآربِـيْ أَوْ لاَ فَـأُبْـتُ آيسـاً وَالحُكْـمُ لَـكْ

فُزْ بالعُلاَ وَحُزِ المُنَىٰ قَطْبَ المَعَالِي مَا ٱسْتَدَارَ رَحَا الفَلَكْ

وأخبرني أيضًا إجازةً، قال: أنشدني محمد بن محمد بن محمد الفرغاني من شعره، والتزم اللام: [من الطويل]

يَدُ الفكْرِ منِّي فِيْ ٱمْتِدَاحِكَ سَلَّت حُسَامًا فَلَوْ سُلَّتْ لغَيْرِكَ: شَلَّت

فَإِنَّكَ مَنْ فَاقَ القُرُوْمَ بِمَالِهِ سَجَايَا عَلَىٰ العِزِّ المُخَلَّدِ دَلَّتِ

وَأَنْتَ الَّذِيْ الأَحْسَابُ قَدْ شَرُفَتْ بِهِ وَدِيْنُ الهُدَىٰ يُزْهَى وَدُنْيَا تَحَلَّتِ

وَطَاوَلَتِ الأَرْضُ السَّمَاءَ تَفَاخُراً بِدَوْلَتِكَ الغَرَّاء مُنْذُ أَظَلَّتِ

هِيَ الدَّوْلَةُ الغَرَّاءُ عِنْدَ صِيَالِهَا تَرُدُّ لُيُوْثَ الحَادِثَاتِ ٱسْتَقَلَّتِ[1]

تم الجزء السابع من قلائد الجمان.

ويتلوه في الجزء الثامن بقية من اسمه محمد.

محمد بن إبراهيم بن هذيل

وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وسلم.

---

(١) إلى هنا انتهى ما بخط المؤلف ـ على أغلب الظن ـ.

إشارات لبعض تراجم

الجزء الثامن

من كتاب

قلائد الجُمان

في فرائد شعراء هذا الزمان

وردت بين ثنايا كتاب قلائد الجمان إشارات لتراجم بعض الشعراء في الجزء الثامن (المفقود).

● **محمد بن إبراهيم بن هذيل.**

أشار إليه المؤلف في آخر الجزء السابع.

● **المظفر بن الفضل بن يحيى بن عبد الله بن جعفر بن زيد بن جعفر بن محمد ابن أحمد بن محمد بن الحسين بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الشريف أبو الفضل العلوي الحسيني.**

أشار إليه المؤلف في ترجمة ابن أخيه (يحيى بن محمد بن الفضل) في الجزء العاشر برقم ٩٣٥.

● **معتوق بن إسماعيل بن الحسين بن حامد بن جبارة بن المحسن بن عبد الله.**

أشار إليه المؤلف في ترجمة أبيه (إسماعيل بن الحسين) في الجزء الأول برقم ١٦٢.

فهرس تراجم الجزء السابع

رقم الترجمة	صاحب الترجمة	الصفحة

تتمة حرف الميم

ذكر من اسمه محمد

رقم الترجمة	صاحب الترجمة	الصفحة

رقم الترجمة	صاحب الترجمة	الصفحة

رقم الترجمة	صاحب الترجمة	الصفحة
٨٣٧ ـ	مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ محمودِ بنِ عبدِ الرحيمِ، أبو عبدِ الله بنِ أبي الحسنِ التميميُّ	٢٦٤
٨٣٨ ـ	مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنِ المُسلّمِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ الحسينِ بنِ مَراجلَ، أبو عبدِ الله الكنديُّ	٢٧٠
٨٣٩ ـ	مُحَمَّدُ بنُ عُمرَ بنِ حَفاظِ بنِ خليفةَ، يكنّى أبا عبدِ الله السَّعديُّ، الفقيهُ الحنفيُّ المدرسُ المعروفُ بابنِ العقّادة	٢٧٢
٨٤٠ ـ	مُحَمَّدُ بنُ عُمرَ، أبو عبدِ الله الغماريُّ	٢٨٢
٨٤١ ـ	مُحَمَّدُ بنُ عيسىٰ بنِ نظامِ الملكِ، الأميرُ	٢٨٣
٨٤٢ ـ	مُحَمَّدُ بنُ عياشِ بنِ صباوةَ بنِ أبي بكرِ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ رضوانَ بنِ عياشِ بنِ رضوانَ بنِ منصورِ بنِ دُوَيدِ بنِ صالحِ بنِ زيدِ بنِ عمرِو بنِ الزّبارِ بنِ جابرِ بنِ كعبِ بنِ عُليمِ بنِ جَنابِ بنِ هُبَلِ بنِ عبدِ الله بنِ كنانةَ بنِ بكرِ بنِ عوفِ بنِ عُذرةَ بنِ زيدِ اللاتِ بنِ رُفيدةَ بنِ ثورِ بنِ كلبِ بنِ وبرةَ بنِ تغلبَ بنِ حُلوانَ بنِ عمرانَ بنِ الحافي بنِ قُضاعةَ أبو الفضلِ بنُ أبي البقاءِ النحويُّ الأديبُ العَرّمانيُّ	٢٨٣
٨٤٣ ـ	مُحَمَّدُ بنُ عابدِ بنِ مُحَمَّدٍ، أبو المكارمِ الكرمانيُّ الصُوفيُّ الزَرَنْديُّ	٢٩٤
٨٤٤ ـ	مُحَمَّدُ بنُ غُرَّةَ بنِ أبي الفتحِ بنِ سالمِ بنِ غرَّةَ بنِ مرّةَ، أبو عبدِ الله المُرّيُّ ثُمَّ العمريُّ الكلابيُّ	٢٩٥
٨٤٥ ـ	مُحَمَّدُ بنُ غسّانَ بنِ غافلِ بنِ نجادِ بنِ غسّانَ بنِ غافلِ بنِ نجادِ بنِ ثامرِ بنِ رفاعةَ بنِ نجادِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ كاملِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ نجادٍ، أبو عبدِ الله الأنصاريُّ	٣٠٠
٨٤٦ ـ	مُحَمَّدُ بنُ فضلِ الله بنِ أبي بكرٍ، أبو عبدِ الله الخطيبِ النيسابوريُّ	٣٠١
٨٤٧ ـ	مُحَمَّدُ بنُ أبي الفتحِ بنِ أبي بكرِ بنِ أبي الفتحِ بنِ الحسينِ، أبو عبدِ الله، الأشتريُّ، المصريُّ	٣٠٢
٨٤٨ ـ	مُحَمَّدُ بنُ أبي الفخرِ بنِ أحمدَ، أبو حامدٍ الكرمانيُّ الصُوفيُّ الشيخُ الزاهدُ	٣٠٤